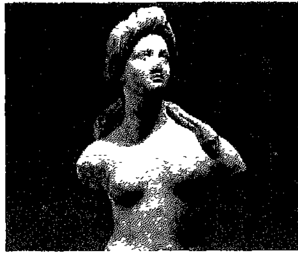
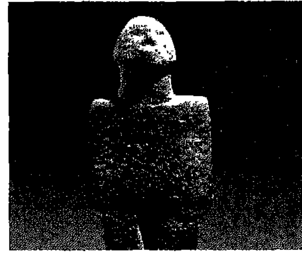
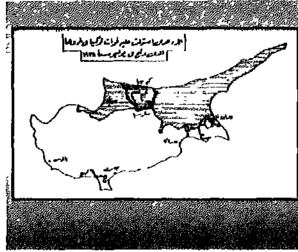
د. أحمد عتمان
أستاذ الدراسات اليونانية واللاتينية
ومدير مركز الدراسات اللغوية والأدبية المقارنة
كلية الآداب - جامعة القاهرة

تاريخ قبرص

جزيرة الجمال والألم
منذ القدم وإلى اليوم







القاهرة ١٩٩٧

- Seneca's "Hercules Oetaeus". Translation, Introduction and Mythological Glossary. Kuwait: International Theatre Series No. 138 March 1981. Second ed. with the Latin Text. Cairo 1985. This play was produced and broadcasted by the Second Programme, Cairo Radio.

- Aristophanes' "The Clouds". Translation, Introduction, Notes and Historico-mythological Glossary. 2 vols. Kuwait: International Theatre Series No. 215-216. August-September. 1987. This Play was also produced and broadcasted by the Second Programme, Cairo Radio.

- Sophocles' "Trachiniae". Translation, Introduction, Notes and Mythological Glossary. Kuwait: International Theatre Series No. 249. June 1990. This play was also produced and broadcasted by the Second Programme. Cairo Radio.

- Miscellaneous poems and literary pieces chosen, and translated from Modern Greek Literature: published here and there all over the Arab World in the press and in literary periodicals.

WRITINGS AND TRANSLATIONS IN MODERN GREEK

- (Et alii) Holy Quran (The meanings of). Athens 1987.

- Naguib Mahfouz. "The Beginning and the End". Psychoios, Athens First ed. 1990. This translation received the Kavafy International Award 1991 and it was reprinted many times.

- The Problem of Heracles' Apotheosis in the "Trachiniae" of Sophocles and in "Hercules Oetaeus" of Seneca. A Comparative Study of the Tragic and Stoic Meaning of the Myth. A thesis for the Ph.D. Degree (with summary in English). Athens 1974 (Out of print).

CREATIVE WRITING

- "Cleopatra Adores Peace". General Egyptian Book Organisation 1984. This play has been translated into Italian, Greek, English and French.

- "The Blind Guest Restores his Sight". The General Egyptian Book Organisation 1986. This play was staged in Kuwait under the title "Al Dinar" 1983.

- "Al-Hakim Does Not Join the Hypocritic Procession", "Alam-Al-Kitab" 19, July-Sept. 1988. Staged in Luxor July 1990 and in the Egyptian Opera House, Cairo July, 1991.

د. أحمـــد عـــتمان

أستاذ الدراسات اليونانية واللاتينية

ومدير مركز الدراسات اللغوية والأدبية المقارنة

كلية الآداب - جامعة القاهرة

تاريـــخ قبـــرص

جزيرة الجمال والألم
منذ القدم وإلى اليوم

القاهـــرة ٩٩٧

رقم الإيداع بدار الكتب ٨٩٨٣ – ٩٧
الترقيم الدولى I.S.B.N 977-223-278-2

السعر: ثلاثون جنيهاً مصرياً
التوزيع فى المكتبات الكبرى بمصر والبلاد العربية

الإهـــــــداء

إلى أختى الوحيدة سعاد التى ورثت عن أمى وأبى حب
الحقيقة والتضحية من أجل الأبناء

أ. ع.

المحتـــويات

الباب الخامس

جمهورية قبرص (١٩٦٠م -

قائمة بالأشكال الواردة فى المتن

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمــــة

قد يعجب الكثير من الأصدقاء والزمـلاء والقـراء المتـابعين لكتابـاتى عنـد صـدور هـذا الكتـاب. فـالأدب الإغريقى واللاتينى والدراسـات المقارنـة تسـتغرقنى تمامـاً، ولا تسـمح لشـئ آخـر مثـل موضـوع هذا الكتاب الـذى بـين أيدينـا أن يزاحـم هـذه الإهتمامـات. ولذلـك وجب علـى أن أصارح الجميـع بالسـر الكـامن وراء هـذا الكتـاب.

فـى ٨ ديسـمبر ١٩٦٩م سـافرت إلى اليونـان للحصـول علـى الدكتـوراه، وقبـل سـفرى ودعنـى طلابـى فـى كليـة الآداب – جامعـة القـاهرة بالكثـير مـن مشـاعر الـود والإحـترام والقليـل مـن دمـوع العواطف البريئـة والسـاحرة. كـان بينهـم طالبـة مـن قـبرص –لا أتذكـر إسمهـا الآن– كـانت تطلـب العلـم فـى قسم اللغـة الإنجليزيـة. فلمـا طـاب لى المقـام فى أثينـا، وإنخرطـت فـى دراسـاتى وعلاقـاتى الجديـدة نسـيت مؤقتاً كل الذى حدث في جامعـة القـاهرة قبـل سفرى رغـم أنـه محفـور فـى اللاوعـى.

ومـن أفضـل مـا حظيـت بـه فى اليونـان صحبـة مجموعـة مـن الزمـلاء والأصدقـاء الأجـانب، أى غـير اليونـانيين. تزاملنـا فـى دروس اللغـة اليونانيـة، ثـم تقاربنـا وتصادقنـا وصرنـا أشـبه بمجموعـة مـن العشـاق والعشـيقات للهيللينيـة. نعيـش علـى الثقافـة والحـوار والرحـلات تحـت رعايـة هومـيروس وأفلاطـون وديونيسـوس وأفروديتـى وإيروس. وعلـى الأرض يرعانـا مـدرس اللغـة اليونانيـة بنـايوتى كونـدوس. وهـذه المجموعـة النـادرة مـن الأصدقـاء كـانت تضـم جنسـيات شـتى مـن الصـين إلى أمريكـا اللاتينيـة، مـروراً بإفريقيـا، بـل وإمتـداداً إلى اسـتراليا.

ولكننـى سمعـت هـؤلاء الأصدقـاء مـراراً وتكـراراً يتحدثـون عـن قـبرص بكـل إعجـاب، ويخططـون لزيارتهـا. وذهـب الكثـيرون إلى قـبرص بـالفعل، وعـادوا يحكـون لنـا مشـاهداتهم وذكريـاتهم العذبـة هنـاك. كـانت علـى سـبيل المثـل ميشـيل دومـاس عالمـة الآثـار الفرنسـية وبنـت مدينـة جرينوبـل لا تكـف عـن الحديـث فى آثـار قـبرص. ومـن فـوق هـذه الجزيـرة أرسـلت لى "كـارت بوسـتال" عليـه صـورة لصخـرة أفروديتـى فـى بـافوس، وهـى الصخـرة التـى يعتقـد النـاس –وكمـا تـروى الأسـاطير– أن ربـة الجمـال والحـب والتناسـل ولـدت هنـاك مـن زبـد البحـر. كـان ذلـك حـوالى عـام ١٩٧٢/١٩٧١م. ولازلـت أحتفـظ بهـذا الكـارت حتـى الآن. وإزداد شـوقى لرؤيـة قـبرص، ولم أحـظ بذلـك طـوال إقـامتى باليونـان.

وعـدت إلى مصـر فـى أغسـطس ١٩٧٤م وأنـا أختـزن هـذه الرغبـة العارمـة فـى زيـارة قـبرص. وتشـاء الظـروف أن يوليـو ١٩٧٤م قـد شـاهد أكـبر حـدث مأسـاوى فـى تـاريخ قـبرص، أى الغـزو الـتركى. تـألمت كثـيراً وأدركـت أن حلمـى بزيـارة قـبرص ينضـم إلى "المؤجـلات" فـى حيـاتى.

فلمـا سـافرت إلى الكويـت فـى سـبتمبر ١٩٧٨م للعمـل فـى المعهـد العـالى للفنـون المسـرحية تحسـنت أحـوالى الماديـة، فعـاودت زيـاراتى لليونـان، وصحـا الحلـم القـبرصى مـن جديـد. وفـى أغسطـس

١٩٨٢م إنتقلت من أثينا إلى لارناكا في قبرص وأمضيت هناك أسبوعين. وكانت هذه الزيارة القبرصية من العلامات الفارقة في حياتي. كان زملائي وأصدقائي اليونان قد أوصوا بي القبارصة خيراً. وأرسلني الأستاذ الفاضل ستافروس كوروسيس -المتخصص في البيزنطيات والعالم الفقيه- إلى أحد أقاربه في قبرص. المهم دخلت الحياة الثقافية والأدبية من أول لحظة وطأت قدماى فيها قبرص. كنت قد رسمت لنفسي خطة مدروسة لزيارة الآثار، ونفذت معظمها. وفي أثناء زيارتي للقرية الجبلية ليفكارا إشتريت خاتماً فضياً مازلت أضعه في إصبعي إلى يومنا هذا.

تعرفت على الكثيرين من الأدباء والشعراء والممثلين وإتحاد الكتاب وجمعية Pen أو القلم كما هي معرونة في مصر. وأهدوني مؤلفاتهم وإحتفوا بي كثيراً، ولأول مرة ذقت "الحالوم"، الجبنة القبرصية المشهورة فأعجبتني وصرت من مريديها، رغم أنني كنت لا أقبلها في السابق. ولما كانت خطتي تتضمن زيارة آثار كيرينيا، فهي أغنى منطقة في الآثار بقبرص، وحيث أنها تقع في الجانب التركي كان على أن أحصل على تصريح خاص للمرور عبر الخط الأخضر في نيقوسيا، والذى يفصل بين القبارصة اليونان والقبارصة الأتراك. وبالفعل حصلت على التصريح وعبرت الخط الفاصل، وبدأت التجول في نيقوسيا المحتلة. وحدث ما لا يصدقه أحد من أصدقائي حتى الآن. ذلك أنني ما أن وصلت إلى أحد الميادين هناك ورأيت الآلاف من الجنود الأتراك يملأون المكان في غير نظام، حتى إنتابني الخوف. هذا مع العلم بأنني سبق لى أن زرت تركيا عام ١٩٧٣م ولقيت من الأتراك البسطاء حفاوة بالغة، ولاسيما عندما كانوا يعرفون أنني مصرى مسلم. أما في نيقوسيا المحتلة فبمجرد أن رأيت ميداناً مليئاً بالجنود الأتراك، حتى قررت إلغاء خطتي لزيارة الآثار أى تخليت عن الحلم، وبدلاً من ذلك سألت عن افضل فندق أو مطعم بالمكان، ودلوني بالفعل على فندق تناولت فيه طعام الغداء وعدت أدراجي إلى نيقوسيا وفندقي بها. ولما تحادثت تلفونياً مع أصدقائي هناك ظنوا أنني أكلمهم من الجانب التركي وفوجئوا بعودتي. وحتى هذه اللحظة لم أحظ بمشاهدة آثار القسم الذى يسيطر عليه الأتراك في قبرص، ولا أدرى متى سأحظى بذلك؟

لكن أهم ما وقع لى -ولا يمحى من الذاكرة- في أثناء هذه الزيارة الأولى لقبرص أنني كنت أذهب هنا وهناك وأتمتع بزيارة الآثار نهاراً وبفنون التسلية ليلاً وتدوى في أذني أصوات المدافع دوماً، ذلك أن زيارتي تواكبت مع الإقتحام الإسرائيلي الغاشم لجنوب لبنان وحصار بيروت. وكنت أعيش هذه المأساة بكل جوارحي، وهيئ لى أنني أسمع أصوات المدافع الإسرائيلية المعتدية. ومع أن قبرص فعلاً قريبة من بيروت، وربما يحس بتلك الأصوات سكان الأطراف الشرقية للجزيرة، إلا أن أحداً في نيقوسيا وليماسول ولارناكا لم يسمع هذه الأصوات، فهي من التخيلات الوهمية التي تؤرق حياتي في مثل هذه المواقف. ولكنني التمست لنفسي العذر فيما بعد وقلت إنني ربما فعلاً سمعت أصوات المدافع، لأن معاوية عندما أستأذن عمر بن الخطاب لغزو قبرص في أول حملة بحرية للعرب كتب له مبرراً رغبته قائلاً "إن قرية من قرى حمص ليسمع أهلها نباح كلابهم وصياح دجاجهم".

وجاءت إحدى كوميديات أريستوفانيس لتكمل الجانب المأساوى من زيارتى القبرصية الأولى. ذلك أننى ذهبت لمشاهدة أحد عروض الفرقة القومية القبرصية فى مسرح مكشوف ، وكان العرض هو "ليسيستراتى" لأريستوفانيس. ففى هذه المسرحية يتفق النساء بزعامة ليسيستراتى على مقاطعة الرجال فى فراش الزوجية عقاباً لهم، لأنهم أشعلوا الحروب وفشلوا فى تحقيق السلام. فالموضوع كوميدى مثير للضحك والسخرية وغنى بالفكاهات، ولكن الممثلين القبارصة كانوا فى بعض المشاهد وهم يصرخون ضد الحرب ويستصرخون الدنيا من أجل السلام ويرفعون لافتات كتبت عليها عبارات بهذا المعنى، أحسست وكأنهم يعبرون عن مأساة قبرص ولبنان فى آن واحد. وعاودتنى التهيؤات، فخيل إلى أن هذه الصرخات تختلط بأصوات المدافع الإسرائيلية التى تدك بيروت، وتتجاوب مع صرخات النساء والأطفال تحت الأنقاض.

منذ ذلك التاريخ وأنا أشعر بأن على دين لا مفر من تسديده لقبرص والقبارصة. فعشرات المؤلفين الذين أهدونى كتبهم سواء الروايات الطويلة أو القصص القصيرة أو الأشعار والدراسات الأدبية والتاريخية والحضارية كانوا يطمعون فى أن أقدمهم للقارئ العربى ، ولم أكن قادراً على ذلك قبل قراءة تاريخ قبرص عبر العصور ، والقارئ العربى نفسه لن يستوعب الأدب القبرصى قبل أن يلم بشئ عن الخلفية الحضارية له.

وعندما شرعت فى وضع خطة هذا الكتاب أردت به أن يحقق كل أحلامى فى هذا المجال ، وإكتشفت بمرور الوقت أن هذه الأحلام لا يمكن تحقيقها برمية واحدة. كنت أحلم بدراسة قبرص فى المصادر المصرية القديمة، ووجدت أن هذه الفكرة وحدها تصلح مشروعاً للدكتوراه مثلاً. وكنت أحلم بأن أقدم دراسة لصورة قبرص فى المصادر الإغريقية واللاتينية، فإكتشفت أن الأمر يحتاج إلى مشروعين ضخمين قام بأحدهما العالم الجليل كيرياكوس خاتزيوأنيس الذى فى أكثر من ثلاثة آلاف صفحة قام بحصر ودراسة الإشارات فى المصادر الإغريقية القديمة لقبرص ، أما قبرص فى المصادر اللاتينية فلا زال مشروعاً ضخماً ينتظر باحثاً شاباً ونشطاً.

أما قبرص فى العصر البيزنطى والوسيط فنجد له الكثير من المراجع فى اللغة اليونانية واللغات الأوروبية الحديثة. وهى أيضاً الفترة التى إهتم بها الكتاب العرب القدامى والمحدثون. لأن قبرص دخلت مجال الصراع بين العرب والروم أى أهل بيزنطة ، وهى التى شهدت أول حملة عربية بحرية بقيادة معاوية. وفيها دفنت أم حرام زوجة عبادة بن الصامت وقيل إن بنت أبى بكر لها قبر هناك أيضاً.

وإتخذ الصليبيون من قبرص نقطة إنطلاق فى غزو الدول الإسلامية فى مصر وفلسطين والشام. وبذلك أصبحت قبرص جزءً لايتجزأ من تاريخ هذه الحروب وتلك الشعوب. ولذلك إهتم بها المؤرخون المصريون والعرب. ومع ذلك فإن هذه الدراسات حفلت فقط بكل ما يتصل بالتاريخ العربى والاسلامى فى هذا الموضوع وهو أمر طبيعى ، وآن الآوان لدراسة جزيرة قبرص نفسها من حيث مقومات حضارتها الأصلية بوصفها منطقة حدودية بين الشرق والغرب. كما أن صورة قبرص

فى المصادر العربية القديمة لم تكتمل بالنسبة للقارئ الحديث والمعاصر، فهى تحتاج إلى جمع الشتات ونظمها فى دراسة مستفيضة.

أما فيما يتصل بتاريخ قبرص الحديث والمعاصر فإن المكتبة العربية لا زالت فقيرة. حقاً إن المصريين وأهل الشام والعرب كافة يهتمون بشئون قبرص ويتابعونها متابعة حثيثة، بل إن الأحداث فى منطقتنا مرتبطة بما يجرى فى قبرص. ومشكلة قبرص نفسها تعتمد كثيراً على تطورات مشكلة فلسطين ولبنان، أو مانسميه مشكلة الشرق الأوسط. ومع ذلك لا توجد دراسة واحدة جادة عن تاريخ قبرص الحديث والمعاصر. وهو أمر ينطبق أيضاً على اليونان التى تجد فى المكتبة العربية العشرات من الكتب عن تاريخها القديم وحتى العصر الهيللنستى، ولكننا نجهلها تماماً فيما يتصل بالعصر البيزنطى والوسيط وكذا الحديث والمعاصر.

يحاول الكتاب الذى بين أيدينا أن يسد هذه الثغرات بصفة مؤقتة، لأن طبيعته لا تسمح بالإفاضة والإحاطة الشاملتين. ونأمل أن تتلو هذا الكتاب دراسات أخرى أكثر تفصيلاً وتخصصاً فى هذه النقطة أو تلك.

ولا أذكر بدقة مواعيد زياراتى المتتالية لقبرص وإن كنت أعرف أن زيارتى عام ١٩٨٩م كانت مثمرة من حيث تعرفى على شخصيات قبرصية مهمة. ومن بين هؤلاء أذكر فالانتينو، ذلك الخزاف المرموق الذى عاش فى العراق والكويت وقتا طويلا، وعشق مصر شعبا وفنا. وكان فالانتينو هو الذى استقبلنى فى زيارتى عام ١٩٩١م ووضع لى البرنامج. فصعد بى إلى جبل ترووُدوس أعلى جبال قبرص الذى تسمى قمته الأوليمبوس تيمنا بهذا الاسم فى الأساطير الإغريقية، حيث كان يقع عرش السماء وموطن الآلهة وملكهم زيوس كما تذهب الأساطير.

وعلى إحدى قمم هذا الجبل دفن مكاريوس أعظم شخصية وطنية فى التاريخ القبرصى الحديث. وفى قمة أخرى من قمة هذا الجبل وفى أثناء عودتنا إلى ليماسول أشار فالانتينو وهو يتحسر إلى إحدى القرى السياحية الجميلة وقال "هنا كان يقيم الرسام المصرى الشهير محمد ناجى ولكننا للأسف لانستطيع دخول بيته!!". دخلت هذه العبارة إلى أعماقى وفجرت فيضا من الأسئلة التى إستمرت طوال مدة إقامتى هناك. ولم يبخل على فالانتينو بالمعلومات والكتيبات وأسماء الشخصيات المرتبطة بمحمد ناجى (١٨٨٨-١٩٥٦م). كانت المفاجأة الأولى أن محمد ناجى (صاحب متحف ناجى بالقرب من الأهرام الآن) عاش فى قبرص سنين طويلة على فترات متقطعة، وهذا الأمر يمكن أن نتأكد منه ونلمسه فى لوحاته القبرصية، ولاسيما اللوحة المسماة "الوحدة القبرصية". أما المفاجأة الثانية والتى إكتشفت فيما بعد أن أحداً فى مصر من المهتمين بناجى لا يعرفها، ولا يذكرها، وهى أن ناجى تزوج بإمرأة قبرصية تدعى ليليكا تافرنارى والتى ظلت على قيد الحياة حتى عام ١٩٧٦م.





شكل رقم (١) : الأديب والرسام القبرصى نيكولاليديس يتجول فى شوارع القاهرة ، ولوحة بريشته للفلاحة المصرية.



شكل رقم (٢) : مكاريوس بريشة الفنان محمد ناجى ١٩٥٥م.



شكل رقم (٣) : مقهى في قبرص كما رسمه محمد ناجي.



. شكل رقم (٤) : منظر طبيعى فى قبرص، لوحة لمحمد ناجى، ونعتقد أنه إستوحاه بيته أى من المكان الذى يقع فيه "وادى العندليب".





شكل رقم (٥) : منزل محمد ناجى فى قبرص ويفتح المؤلف بابه.

وكان هذا هو زواجها الثاني. كانت شاعرة إذ نشرت لها مجموعة شعرية عام ١٩٥٦م، وهى نفس السنة التى مات فيها محمد ناجى. وكان لها من زواجها الأول أولاد صاروا مرموقين فى عالم الثقافة والفن باليونان. فإبنها خريستو موسيقار مبدع، ولد فى هيليوبوليس بالقاهرة عام ١٩٢٨م وكبر وترعرع وتعلم فيما بين الأسكندرية وكمبريدج. أما موسيقاه فهى مستوحاة من مصر وبالتحديد من "كتاب الموتى". إنه إذن من عشاق الحضارة المصرية القديمة ويبدو أنه أحب محمد ناجى زوج أمه، فقد عرفه فى الحادية عشرة من سنه وأعجب به كثيرا، ولاسيما أن محمد ناجى كان يعزف الفيولين ببراعة! وما أن عدت من قبرص فى فبراير عام ١٩٩١م حتى كتبت مقالاً فى مجلة "الإذاعة والتليفزيون أوضحت فيه أن لمحمد ناجى بقايا وإسكتشات فى قبرص وله بيت فى قبرص. وكانت المفاجأة أن أحدا لا يعرف ذلك ولكن المسئولين إهتموا بالموضوع وأصبحت الأن هناك أوراق رسمية متداولة فيما بين وزارة التعليم والثقافة القبرصية ووزارة الثقافة المصرية. وكل مانقوله إن الأوراق بطيئة الحركة فلم يحدث شيئ حتى الآن إزاء هذه الإكتشافات.

وفى زيارتى الأخيرة لقبرص يناير ١٩٩٥م تمكنت من دخول بيت محمد ناجى فى القرية السياحية الرائعة بلا تريس فوق جبل ترووْدوس. بل إن القبارصة المرافقين لى طلبوا منى أن أقوم شخصيا بفتح باب هذا البيت المهجور. وهذه بادرة لها مدلول صريح وواضح لكل من يفهم التاريخ ويحترم التراث.

حكى لى صديقى القبرصى فالانتينو "فى القاهرة وقبرص عن قصته مع بيت الأديب القبرصى نيكولائيديس، الذى كان يعيش فى القاهرة ومات عام ١٩٥٦م فى نفس العام الذى مات فيه محمد ناجى. ويقال إن نيكولائيديس القبرصى هذا حمل السلاح لكى يحارب دفاعا عن مصر أيام العدوان الثلاثى ولقد أرسل إليه عبد الناصر خطاب شكر. المهم ظل فالانتينو يبحث عن بيت نيكولائيديس حتى عثر عليه فى بولاق وفى شارع متفرع من شارع ٢٦ يوليو بالقرب من كوبرى أبو العلا. وذهبت معه ذات مرة وشاهدنا المنزل معاً، وهو على ميدان صغير ويقطنه أناس وبه بعض المحلات الصغيرة. وهناك فكرة قبرصية لشراء هذا المنزل وتحويله إلى متحف. ففى هذا المنزل البولاقى التقى نيكولائيديس مع مشاهير الأدباء المصريين واليونان أمثال تسيركاس وسيفيرس. لقد واصل فالانتينو البحث حتى التقى ببعض الشخصيات المصرية التى كانت على علاقة وثيقة بنيكولائيديس مثل عمو عزيز وجيد جرجس. بل يقال إن هذا الأديب القبرصى تبنى فتى مصريا نوبيا وصار يحمل إسم "فتحى نيقولا"!!.

على أية حال هذه أمور مازالت قيد البحث والتحرى. ويحدث هذا فى الوقت الذى يستصرخنا القبارصة لإنقاذ بيت محمد ناجى فى قبرص. أليست هذه مأساة مضحكة أو كوميديا سوداء!؟

لقد ذهبنا لزيارة بيت محمد ناجى فى بلاتريس فوق جبل ترووْدوس بقبرص بصحبة السيدة التى إشترت هذا البيت حديثا، لأنه يقع إلى جوار بيتها الذى هو مشتى ومصيف فى آن واحد. فعندما

ذهبنا كانت الثلوج تغطي المكان. وعليك أن تتخيل نفسك في قطعة من الجنة فوق جبل ثلجي، حيث تغطي هامات الأشجار تيجان ناصعة البياض والدنيا من حولك تتزاوج بين الخضرة الزاهية، وزرقة السماء الصافية، وألوان الطيف المتناثرة هنا وهناك. وتشنف الأذن شقشقة العصافير وتغريد البلابل والعندليب. نعم نحن في بقعة يسمونها" وادى العندليب"، وهو إسم على مسمى.

هناك في شرفة منزله كان محمد ناجي يجلس صيفا أو شتاء ليعزف الموسيقى، إستجابة لغناء العندليب ونداء الموهبة، وكان يضع الإسكتشات للوحاته الشهيرة هناك. وبالقرب من بيت محمد ناجي جلس مكاريوس أعظم قائد وطني قبرصي بين الأشجار في يوم من أيام ١٩٥٥م يرسم له محمد ناجي صورة شخصية "بورترية". وكانت هذه المرة الأولى والأخيرة التي جلس فيها مكاريوس هذه الجلسة لرسام. "هذه الصورة التاريخية أهداها عبد الناصر لمكاريوس في عيد ميلاده عام ١٩٦٣م. وذلك بفضل مساعي السفير المصرى وأيام أن كان ثروت عكاشة وزيرا للثقافة.

إنه إذن مكان جميل وتاريخي وقيل إن الملك فاروق كان يعشق السهر هناك في وادى العندليب، من بعد ان إكتشف المكان بعض الإنجليز الذين كانوا يعملون في مصر أنذاك. فكانوا يذهبون إلى قبرص لقضاء الإجازات، ومما يقال أيضا إن مهندسا إنجليزيا هو الذى صمم بيت محمد ناجي، حيث بني عام ١٩٠٠م.

بيت محمد ناجي في قبرص يصلح لأن يتحول إلى متحف أو مدرسة للرسم أى "مرسم". ويصلح لأفكار أخرى كثيرة يمكن أن يتقدم بها المبدعون المصريون إذا إهتموا بالموضوع.

هذا وبالله التوفيق

أحمد عثمان

القاهرة - يناير ١٩٩٧

الباب الأول

قبرص همزة وصل حضارية منذ أقدم العصور

Tum vero Paphius plenissima concipit heros
verba, quibus Veneri grates agat, oraque tandem
ore suo non falsa premit, dataque oscula virgo
sensit et erubuit, timidumque ad lumina lumen.
attollens pariter cum caelo vidit amantem.

(Ovid. Metamph. X 290-294)

" وراح بطل بافوس (بيجماليون) يستجمع أحلى الكلمات
شكراً لفينوس (أفروديتي) مجيبة الدعوات
بعد أن وجد فمه يلثم فماً دافئاً،
فالعذراء تحس به وتحمر خجلاً
ها هي ترفع عينيها في استحياء،
وفي آن واحد تطالع نور السماء
ونار الحب في عيون تعشق الحياء"
(أوفيديوس، التناسخات، ١٠ أبيات ٢٩٠ – ٢٩٤)

١- أقدم حضارة

تقع قبرص عند مفترق الطرق البحرية بين الشرق الأدنى والأوسط وآسيا الصغرى وأفريقيا من ناحية وأوروبا من ناحية أخرى مما أعطاها أهمية خاصة فى عملية السيطرة على هذه الطرق ومن ثم التحكم فى دفة المعاملات التجارية والحربية والتوازنات السياسية بالمنطقة . وهذا هو سر معاناة قبرص منذ ظهورها وحتى يومنا هذا .

يقول د . عبدالمنعم ماجد عن قبرص إنها أشبه بمدفع يدوى صوبت فوهته إلى الشام[1]، ونحن نفضل أن نشبه قبرص باليد الحضارية الممتدة من الغرب إلى الشرق بهدف الأخذ والعطاء . وتبلغ المساحة بين طرف الجزيرة الشمالى واللاذقية بالشام حوالى ٥٢ ميلاً ، أما بين الساحل الشمالى وآسيا الصغرى فحوالى ٣٥ ميلاً ، ويبلغ طول الجزيرة بين طرفيها الشرقى والغربى ٢٢٥كم (= القاهرة - الاسكندرية) وعرضها ٩٦كم ومساحتها ٩٢٥كم٢.

يعود العصر الحجرى الجديد (Neolithic) فى قبرص إلى ٧٠٠٠ سنة ق.م ويستمر إلى حوالى ٣٠٠٠ق.م ويتمثل فى وجود مساكن من الفترة الحجرية غير الفخارية Aceramic الأولى، ثم الفترة الفخارية الحجرية الثانية . وأهم هذه المساكن تلك التى تنتمى إلى العصر الحجرى الأول فى خيروكيتيا (Chirokitia) ورأس البر المعروف بأسم القديس أندرياس (كاستروس Kastros ورأس البر جريكو Greko وترولىّ Troulli إلى الشرق من كيرينيا) وبيترا توليمنيتى Petra tou Limniti وكالافاسوس Kalavassos (= تينتا Tenta) وكاتاليونداس Kataliondas الخ . وتعد كل هذه المواقع من الملامح البارزة للساحل القبرصى أو نقاط ارتكاز مميزة على ضفاف الأنهار أو فى وسط الوديان وفوق التلال . ويتمتع كل منها بمساحات واسعة قابلة للزراعة وتتوافر لديها الامدادات المائية والموارد الطبيعية كما تحتل موقعاً يمكن الدفاع عنه .

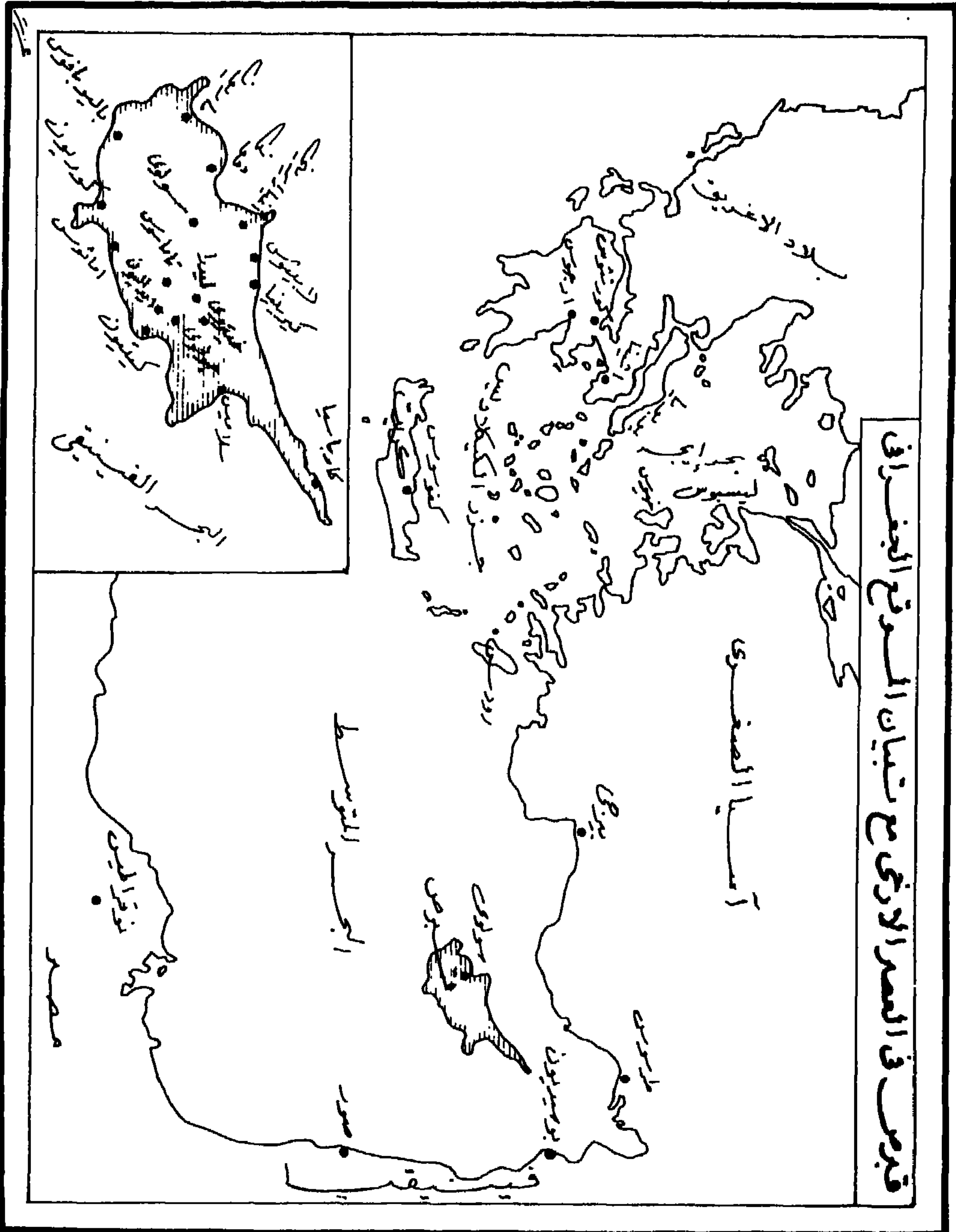
وتؤرخ هذه المساكن فيما بين ٥٨٠٠ ق.م و ٥٢٥٠ ق.م ولو أن بعض الدارسين يؤرخونها بعام ٧٠٠٠ أو ٦٨٠٠ ق.م أو على الأقل ٦٠٠٠ ق.م . وفى هذه المواقع تم العثور على آنية حجرية وأدوات مختلفة ورؤس سهام وشفرات المناجل؛ وأيادى الهون وطواحين أو رحايات وابر ومخارز مصنوعة من العظم وكذلك فلكات المغازل وأقراط وعقود وأصداف وغيرها من أدوات الزينة .

---

(١) عبد المنعم ماجد: العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى. مكتبة الجامعة العربية، بيروت ١٩٦٦، ص٨٥.

وراجع المقدمة الجغرافية التى كتبها أندرياس سوفوكليس A.Cl. Sophocles للكتاب الآتى:

Costas P. Kyrris, History of Cyprus. Nicocles Publishing House. Nicosia 1985, pp. 5-26.



شكل رقم (٦) : خريطة قبرص فى العصر الأرخى مع تبيان الموقع الجغرافى

ويقوم اقتصاد هذه المواقع السكنية على الزراعة بصفة أساسية ولكن أهل هذه الفترة كانوا أيضاً يمارسون صيد الأسماك والحيوانات وصناعة بعض مايحتاجونه، على نحو بدائي ويدوي . كانت منازلهم دائرية أو بيضاوية وتبنى من طمي النهر أو من الحجر والطوب اللبن غير المحروق . واندثر العمران في هذه المواقع السكنية حوالي عام ٦٠٠٠ أو ٥٢٥٠ ق.م ووقعت فجوة زمنية حتى بداية العصر الفخاري الحجري الجديد حوالي عام ٤٠٠٠ ق.م – ٣٨٠٠ ق.م أو ٥٠٠٠ – ٤٨٠٠ ق.م .

أهم مواقع هذه الفترة هي فيليا Philia (= دراكوس Drakos) في وادي أو فجوس Ovgos بشمال غرب قبرص – ومن هذه المواقع سوتيرا Sotira (= Teppes) وذالي Dhali (= أغريذي Agridhi) وكالافاسوس (Kalavassos) وأغيوس ابيكتيتوس Agios Epiktitos (= فريسي Vryssi) وخيروكيتيا (رقم ٣) وتروليّ . ويفترض أن أهل ذاك العصر من الوافدين الجدد على قبرص وكانت لهم نفس اهتمامات السكان الأصليين . وكانت مساكنهم دائرية أو بيضاوية أو على شكل حدوة الحصان، وبنيت الجدران من الاحجار وعليها ملاط من الطين . وكانت الزراعة والرعي هما الملمح الأساسي للحياة مع وجود بعض الصناعات اليدوية البسيطة . دفن الموتى في ذلك العصر عند سفوح التلال وغطيت مدافنهم بالحجارة . ووقع زلزال حوالي عام ٣٩٠٠ ق.م أو ٣٨٠٠ق.م أو ٣٠٠٠ق.م وأجريت حفريات حديثة بالقرب من لارناكا في موقع يسمى وادي تريميثوس Tremithos بالقرب من قرية آغيا أنّا Agia Anna وعثر على مواد تشبه ماتم الكشف عنه في خيروكيتيا . وتؤرخ هذه الموجودات بحوالي عام ٦٠٠٠ ق.م . وتم العثور على دلائل جيولوجية تؤرخ بالألف العاشرة قبل الميلاد(١) .

تؤرخ مساكن خيروكيتيا رقم ٣ بحوالي ٥٨٠٠ ق.م وهي دائرية tholos وتبنى فوق مكان مرتفع مما يقربه من فكرة الأكروبوليس Acropolis وعادة ما تتجمع المساكن حول مجرى مائي أو نبع ما . وتبنى الجدران من قطع الطمي النهري المتجمد والتي تشبه الحجارة وتوضع بعضها فوق بعض وتربط بينها طبقة من الملاط الطيني . وتضم بعض المساكن دائرتين حول دائرة أخرى من الطوب الطيني غير المحروق ثم تطلى بالطين . وهذا الشكل المعماري هو الأشيع في شرق البحر المتوسط عموماً . كما تم العثور على مبنى معقد ومركب من ثلاث وحدات دائرية tholoi . وهو كما يبدو منزل أحد الأعيان . وفي الآونة الأخيرة توصلت الحفريات إلى الطريق الرئيسي وحدود التجمع السكني أو فيما نسميه اليوم " كاردون المدينة" التي توسعت فيما بعد إلى ماورائه غرباً فصار للمدينة "كاردون جديد" تم تحديده ببناء سور ضخم عرضه ٥٠٢ متر وبارتفاع ثلاثة أمتار . وهناك تم اكتشاف بعض المدافن، عثر في بعضها على بقايا الموتى من النساء والأطفال . وبعض الجدران ملونة . وتم العثور على بعض الأدوات كالابر والمخارز المصنوعة من العظم . كل

---

(١) [Greek] Hatzedemetriou, pp. 7-50.

ذلك له علاقة بطقوس الدفن المعروفة في قبرص وشرق البحر المتوسط . ولوحظ أن التصميم المعماري للمساكن ثلاثي التكوين، إذ يضم مطبخاً وحجرة عمل أو معيشة على جانبي الحجرة الوسطى الأكبر والتي تشكل الوحدة المحورية . وظل هذا التصميم المعماري الثلاثي للمساكن يستخدم حتى في بناء المعابد إبان العصور التالية كما هو الحال في معبد أفروديتي في بافوس[١].

ونستدل من العناية الخاصة والهدايا الجنائزية الفاخرة التي تقدم للمرأة أننا بصدد مجتمع زراعي أمومي matriarchial مع نزعة واضحة لتأليه الأم العظمى magna mater . وتذكرنا القرابين البشرية المقدمة في بعض الحالات لتأمين البناء ومباركته بما هو سائد في العصر الحجري الثيسالي وبعض أجزاء البلقان وفي المكان المعروف الآن باسم تشيكوسلوفاكيا . ولازالت بعض الأغاني الفولكلورية في هذه الأماكن تحمل آثاراً من هذه الطقوس العريقة وظهر ذلك جلياً في " أغنية جسر آرتا " اليونانية الحديثة .

ومن الأشياء التي تشد الانتباه هو أن الفخار المجدول أو الممشط الموجود في خيروكيتيا يشبه الفخار المصري المعروف باسم "فخار البداري" وكذا فخار بيلوس في لبنان ورأس شمرا وبعض أنواع الفخار في ثيساليا ابان العصر الحجري الجديد، وإن كان الأخير ذا جودة عالية لاتبارى . وتعود هذه التشابهات إلى العلاقات التجارية المباشرة أو غير المباشرة بين هذه المناطق جميعاً . ويمكن اثبات أن الديانة القبرصية البدائية مثل ديانات كريت في العصر الحجري الجديد كانت تشمل فنون السحر . فذلك ماتنم عنه التماثيل الصغيرة المكتشفة في خيروكيتيا والتي قد تكون استمراراً لتماثيل الأنثى التي عثر عليها في ثيساليا . فإذا كانت هذه التماثيل في خيروكيتيا هي قرابين مقدمة للأم العظمى طلباً للعلاج فهذا يعني أن لدينا دليلاً قاطعاً على حضارة مزدهرة في خيروكيتيا . وبصفة عامة فإن المباني الدائرية (tholoi) في المدينة القبرصية تشبه من حيث الشكل والوظيفة مباني تيبي جاورا Tepe Gawra وأرباخيه Arpachiyah في فترة تل حلف Tell Halaf وبيبلوس بسوريا (٣٥٠٠-٣٢٥٠ ق.م) وكذلك المباني المكتشفة في وسط الاناضول (Eti Yokusu) وفي أريحا بفلسطين علاوة على جزر بحرإيجة .

وبالنسبة للتجمع السكاني، المنتمي للعصر الحجري الجديد (رقم ١)، الموجود في كاستروس عند رأس سانت أندرياس عند أقصى الشرق من شبه جزيرة كارباس Karpass فهي تعود إلى أوائل الألف السادسة ق.م . وتتكون من أكواخ دائرية من الطين أو الطوب اللبن . وهناك مايدل على إقامة سقوف على قواعد خشبية، وهناك فتحة للمدفأة في أرضية الكوخ تحيط بها بعض الحفر الصغيرة، ويبدو أنها كانت قواعد أعمدة صغيرة أو قوائم لمدفأة خشبية مبطنة بالفخار .

وفيما بين ريزوكارباسو Rhizokarpasso ورأس أندرياس يوجد تجمع سكاني آخر من العصر الحجري الجديد، مما ينم عن الكثافة السكانية العالية في هذه المنطقة . وكان صيد السمك

---

(١) [Greek] ARDAC (1981) pp. 22 ff.
[Greek] IEE vol. A. pp. 74-79.

هو مورد الرزق الأساسى كما يتضح من عظام الأسماك وأصداف البحر وأدوات الصيد التى تم العثور عليها فى الموقع . كيسو ومن أكثر المناطق القبرصية كثافة وثراءً فى المساكن الدائرية من أثار ما قبل التاريخ كيسونيرجا موسفيليا Kissonerga- Mosphilia بمنطقة بافوس، ويوحى التصميم المعمارى هناك ولاسيما نظام إقامة السقوف بمعرفة متطورة . بل يمكن ملاحظة تطور فى البنية الاجتماعية نفسها من متابعة مستويات البناء المعماررى الممتد من ٤٠٠٠-٢٥٠٠ق.م. ولقد اكتشفت هناك تماثيل فخارية صغيرة آية فى دقة الصنع وجمال الرسوم التى تحمله .

وهكذا نجد أنفسنا أمام حقائق مدهشة بصدد الحضارة القبرصية فى العصر الحجرى القديم . أهمها ندرة مواقع الحضارة الخيروكيتية مما يؤيد النظرية المطروحة ومحتواها أن شبه الجزيرة تعرضت لموجة من الاستيطان قادمة من الشرق أو الشمال الشرقي، حيث كان مركز الاستيطان وبؤرته ملاصقاً لمصدر هذه الموجة الاستيطانية فى الآونة غير الفخارية من العصر الحجرى الجديد . وهناك دليل آخر على الإستعمار الأجنبى جاء من كالافاسوس تينتا Kalavassos - Tenta ومن مارى ميسوفوونى Mari Messovouni فى جنوب قبرص . إذ كانت مساكن تينتا دائرية أو شبه دائرية ولها طابق علوى يقوم على عمودين مربعين ولها عتبات ونوافذ، أما حوائطها فمطلية ومرسومة[1] .

يمتد العصر النحاسى - الحجرى (Chalcolithic) من ٣٢٠٠-٢٣٠٠ ق.م (أو ٣٩٠٠-٢٥٠٠ق.م تقريباً) وهو يوازى على نحو التقريب الفترة المتأخرة من العصر الحجرى الجديد . ومن المراكز الحضارية المهمة لهذا العصر نذكر : اريمى- بامبولا Erimi - Pamboula ولمبا- لاكوس Lemba -Lakkous وكيسونيرجا- ميلوثكيا Kissonerga -Mylouthkia وكيسونيرجا- رموسفيلياKissonerga - Mosphilia وسوسكيو فاثير كاكاس Souskiou- Vathyrkakas وكالافاسوس ولابيثوس Lapethos وكيثريا Kythrea . ويتسم العصر النحاسى الحجرى بروح المحافظة سواء فى مفاهيمه الفنية أو فى تطبيقاته واساليبة التقنية . فكل ماتم اكتشافه يتبع معياراً مستقراً، وإن شابته بعض التجاوزات . وتعكس روح المحافظة هذه جو السلام واستتباب الأمن مما يسمح بالاستمرارية . وعلى نقيض البنية الدائرية فى العمارة المعروفة والمفضلة فى الفترة السابقة وتمثلها اريمى بامبولا وليمبا لاكوس فإن الفترة اللاحقة كما تبدو من معظم المبانى الباقية فى سوتيرا - كامينوذيا Satira- Kaminoudhia (العصر النحاسى الثانى) فإنها رباعية ذات حجرات كثيرة ومبنية بالحجر . واكتشفت بها آنية فخارية حمراء وبيضاء، وبعضها من نوع الخزف الفاخر الأحمر والمصقول مما يبشر بالعصر البرنزى . واكتشفت أدوات كثيرة وحلى وطواجين . . . الخ مما يدل على تطور حضارة فيليا. وهناك حوالى ٢٤ موقعاً تنتمى إلى مايسمى حضارة

---

(١) ARDAC (1981), p. 254.

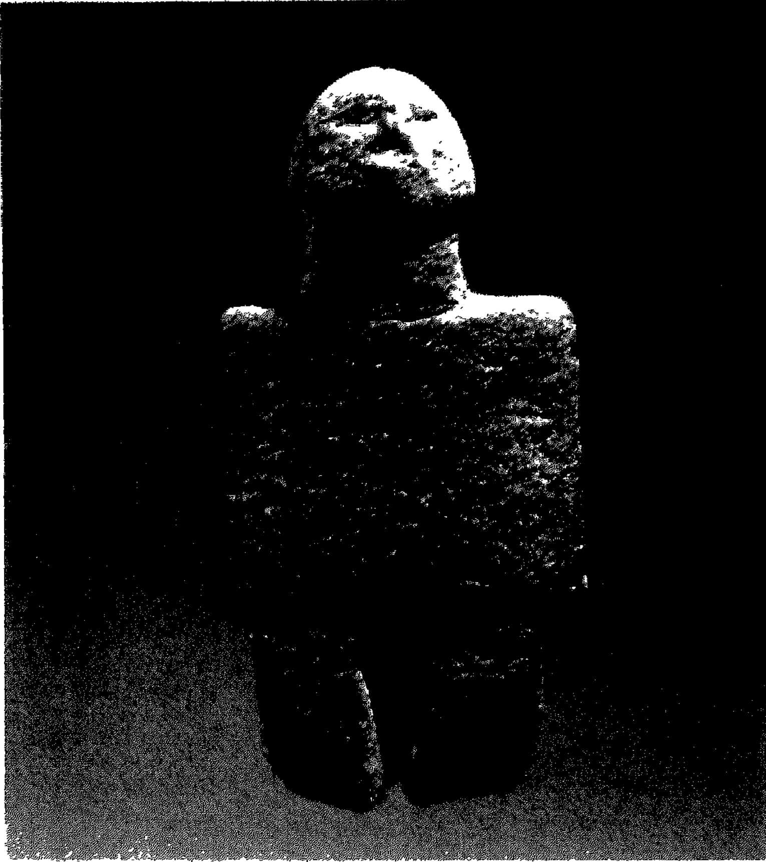
سوتيرا كما كان الإنتقال من العصر الخالكوليثي[١] (النحاسي - الحجرى) إلى العصر البرنزى المبكر مكثفاً في مواقع بالجزء الشمالى المواجه لآسيا الصغرى . ولقد ظهرت مناجم النحاس فى قبرص منذ الألف الرابعة ق.م وأقيمت المناجم بالقرب من المعابد[٢].

ولم تحدث تطورات حادة فى المعتقدات الدينية وطقوس دفن الموتى . وتم اكتشاف عضو الذكر Phallos في سوسكيو مع تمثالين صغيرين من الحجر الصابوني لذكر وأنثى فى شكل تقاطعي . وعثر كذلك على تمثالين لامرأة عارية وكل ذلك يؤكد أن الديانة القبرصية فيما قبل التاريخ بدأت بتقديس الموتى فى العصر الحجرى وتطورت إلى تقديس الحياة نفسها من خلال عبادة قوة إلهية للخصوبة التى سوف تنمو وتترعرع وتتفرع فى العصور التاريخية التالية .

كان العصر البرنزى المبكر (٣٠٠٠-١٨٠٠ق.م أو ٢٣٠٠ -١٩٠٠ق.م) متزامناً مع بداية العصر النحاسي الحجرى الأوسط والأخير (أى الفترة الثانية والثالثة منه) . وكان الفخار الأحمر المصقول وما يسمى خزف فيليا هو الشائع وعثر عليه فى كيرا - ألونيا Kyra Alonia وكيرا كامينا- Kyra -Kamina وكامينوثكيا بالقرب من سوتيرا . وفى ترابيزى Trapezi وفونوس Vounos وفيليا فاسيليكو Philia-Vassiliko وفيليا -دراكوس Philia Drakos واربيرا Arpera وفاسيليا وذينيا وأغيا باراسكفي جنوب نيقوسيا وكريسيليو Krissiliou شمال شرق مورفو وليفكا وأغيوس جيورجيوس ، وفى بوليميديا Polemidia وبيرجوس فى منطقة ليماسول ، وفى كوتشاتى Kotchati وكيتيون وبرودروموس فى لارناكا وفى لابيثوس ووادى أوفجوس وغيرها . ويبدو أن لارناكا وفد إليها قوم جدد بثقافات مختلفة أضيفت إلى ثقافة قبرص المحلية من العصر النحاسي الحجرى الثانى، ولايمثل الخزف الأحمر المصقول استمراراً للعصر النحاسي الحجرى الثانى بل يدل على دخول عنصر جديد واستحداث ملامح جديدة تقوم على الصناعة والتجارة المعدنيتين القائمتين على عناصر وافدة من جنوب غرب الأناضول وبالتحديد وادى كونيا Konya وكيليكيا . والسكن الوحيد الذى بقى من العصر البرونزى المبكر (٢٧٠٠-٢٦٠٠ ق.م أو ٢٤٠٠-٢٣٠٠ق.م) وجد فى أغيوس جيورجيوس وهو دائرى أو بيضاوى من الطراز الشائع فى كل منطقة الشرق الأدنى . ويرجح أن هولاء الوافدين الجدد لم يكونوا غزاة بل كانوا لاجئين هربوا إلى قبرص بعد التدمير الذى لحق بأوطانهم فيما بين ٣٠٠٠ و ٢٩٠٠ ق.م . وكانوا على درجة عالية من اتقان الحرف اليدوية وتمتعوا بالنزعة المسالمة والهدوء . وأول أسلحة برنزية عثر عليها فى قبرص جاءت من مقابر آغيابارا سكيفى وفاسيليا (٢٧٠٠-٢٦٠٠ق.م أو ٢٤٠٠-٢٣٠٠ق.م) حيث كان أحفاد هؤلاء الأناضوليين قد اندمجوا فى خضم السكان الأصليين وتسلحوا معهم للدفاع عن قبرص . وكانت الزراعة هى عماد

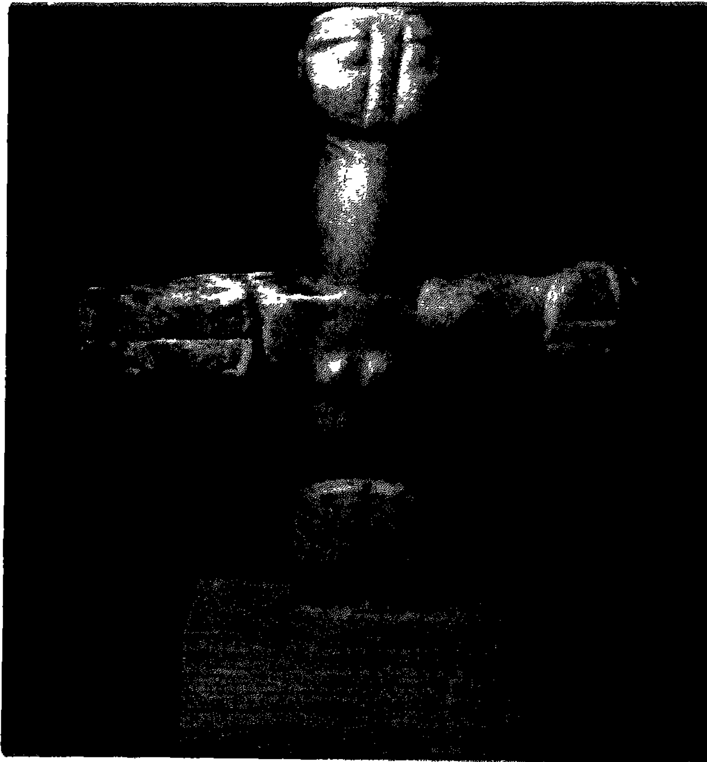


شكل رقم (٧): بيت دائرى من حفريات المجمع السكنى فى كالافاسوتينتا.

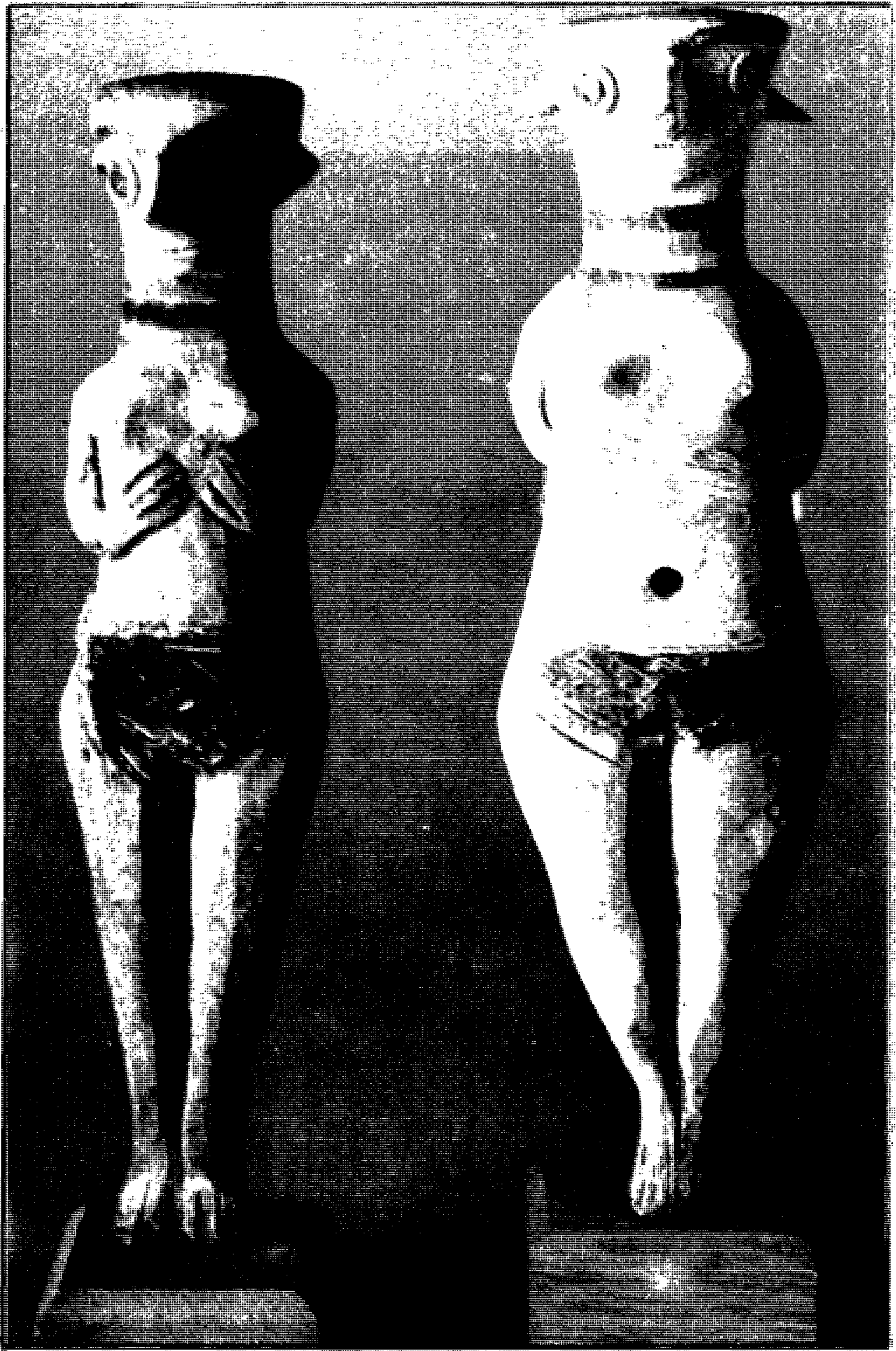


شكل رقم (٨): شكل آدمي حجرى عثر عليه فى حفريات خيروكيتيا، محفوظ بالمتحف القومي القبرصي





شكل رقم (٩): تماثيل صغيرة لإلهين متقاطعين (على هيئة صليب) ترجع هذه التماثيل إلى العصر الحالكوليتى (النحاسى الحجرى)، ويبدو أن أحد الإلهين -ذكر والآخر أنثى حيث يظهر له تديان إذن فهى تماثيل تتصل بعبادة آلهة الخصوبة وهذه التماثيل محفوظة بمتحف قبرص.



شكل رقم (١٠): عشتروت التي ظهرت في قبرص منذ العصر الخالكوليتي (النحاسي الحجري) وفي التمثالين تضع هذه الإلهة يديها أسفل صدرها وهي هيئة مألوفة في البحر المتوسط، ويلاحظ أن تجويف الحوض يتميز على بقية الجسد برسوم وخطوط محفورة يعود هذان التمثالان إلى القرن الثالث عشر ق.م. ومحفوظان بمتحف قبرص.



شكل رقم (١١): الإلهة عشتروت بوجه طائر وهى صورة شائعة فى حوض البحر المتوسط ووجدت لها تماثيل كثيرة فى قبرص فى القرن الخامس عشر والرابع عشر ق.م يلاحظ ضخامة الأنف والأذنين. تظهر هذه "الإلهة الأم" هنا عارية وتحمل طفلاً على صدرها. محفوظ بمتحف قبرص.



شكل رقم (١٢): عثر على نماذج للمعابد فى قبرص حوالى عام ٢٠٠٠ ق.م، وهذا النموذج يمثل واجهة المعبد مع ثلاثة أصنام، وشخص يسكب القرابين فى إناء ضخم. راجع

V. Karageorghis "Two religious Documents of the Early cypriote Bronze Age RDAC, 1970, pp. 10 ff.

الحياة وكسب لقمة العيش، واستخدم المحراث إلى جانب الصيد البرى والبحرى وصناعة التعدين والفخار والغزل وحدث تقدم تقني ملموس(١).

وتمدنا مقابر فونوس بمادة حضارية قيمة ولاسيما ما يتصل بالعقائد الدينية فى العصر البرنزى المبكر . وهناك عثر على تماثيل للكهنة ورؤوس للثيران ومشاهد من عملية حرث الأرض . أما التماثيل الكبيرة هناك فربما يمثل كل واحد منها المتوفى المدفون فى القبر وتذكرنا هذه التماثيل بالمقابر والمعابد المصرية . أما وجود الثيران فى أحد المبانى هناك فقد يدل على أنها كانت تقدم قرابين للآلهة أو الموتى . ويرى بعض الباحثين أن لبس أقنعة الثيران والامساك بالثعابين فى الطقوس بالمعبد المكتشف هناك قد يرمزان إلى الخصوبة والموت على التوالى .

ويتزامن العصر البرنزى المتأخر ١٦٠٠-١٠٥٠ ق.م تقريباً مع فترة الاستيطان الآخى الموكيتى فى قبرص . ولهذا العصر عدة مراكز ومواقع ولو أن مواقع السكن والاستقرار قد تغيرت وظهرت الكتابة وظهر الفخار الإيجى المستورد وبزغت بوادر ثقافية قبرصية جديدة . ذلك أن الحاجة فى بحرايجة إلى المعادن قد أعطت لقبرص أهمية خاصة وساعد على تكثيف العلاقات التجارية والثقافية . ومن أهم مراكز حضارة ذلك العصر إنكومى وكيتيون؛ ومورفّو - تومبا توسكورو؛ فريسى؛ وتوباربا فى لابيثوس؛ ومواقع التعدين فى نيقوسيا وأثينو Athienou وتيكى وآغيوس سوزومينوس وأبليكى Apliki وماثياتيسMathiatis . وتتسم السنوات الأخيرة من العصر البرنزى المتأخر بالقلاقل كما تشهد بذلك عودة الناس لبناء الحصون والملاجئ . ويقال فى تفسير ذلك إنه نتيجة التنافس بين شرق قبرص وغربها للإستيلاء على مناجم النحاس والأراضى الزراعية . وهناك تفسير آخر أكثر شيوعاً وهو غزو الهكسوس لقبرص بعد أن كانوا قد احتلوا مصر فيما بين ١٦٧٥- ١٥٨٠ ق.م . وعلى أية حال فإن هزيمة الهيكسوس وطردهم من مصر على يد الفرعون أحمس (١٨٥٠-١٥٥٧ق.م)(٢)(١) قد ساعد على الإزدهار وتطوير المدن الصناعية الموجودة فى

---

(١) عن قبرص فى العصر البرنزى المبكر وإسهامها فى رواج التجارة بمنطقة حوض البحر المتوسط الشرقى والشرق الأدنى والأوسط والأناضول راجع:

J. Mellaart, The Chalcolithic and Early Bronze Ages in the Near East and Anatolia. Khayats, Beirut 1966, pp. 13 ff.

(٢) الجدير بالذكر أن أحمس "كان مجاملاً للإغريق، ولكن ذلك لم يمنعه من منافستهم فى البحر المتوسط، فاستولى أسطوله على جزيرة قبرص"، أنظر عبد العزيز صالح، الشرق الأدنى القديم، الجزء الأول: مصر والعراق، الطبعة الرابعة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٨٤ ص٣٠٨، ٣١١، ٣١٥.

وراجع كذلك:

M. Bernal, Black Athena, The Afro-asiatic Roots of Classical Civilization. Vol. 11. Rutgers University Press 1993, pp. 330 ff.

جنوب قبرص – هالة سلطان تبكى[٢] وماروني وإنكومي وغيرها . أما في الشمال فيلاحظ أن ذينيا ولابيثوس قد تدهورتا بسرعة . وربما يعلل ذلك بالتوجه الجديد لتجارة النحاس نحو الجنوب، في حين كانت الأجزاء الشمالية من قبرص قد اعتمدت على العلاقات التجارية مع كريت .

كان الموقع الطبيعي الذي تهيئه بحيرة تيكى المالحة يتخذ كميناء نشيط لتصدير النحاس للشرق والغرب حتى نهاية العصر البرنزى، وقد إكتشفت بعض المراسي anchors في الجانب الغربي من البحيرة . كانت البحيرة والمدينة الواقعة عليها بمينائها مدخلاً إلى الجزيرة برمتها وإلى التغلغل شرقاً وكانت مدخلاً للموكينيين سواء في تجارتهم عبر الجزيرة أو للإستقرار فيها . والمستوى المينوى الموكيني للصناعة المحلية تشهد به قطعة من الفخار الموكيني عبارة عن Crater عثر عليه هناك وتمثل هيئة آدمية يقفز على ظهر ثور شقلبة وهو مشهد له نظير في ريت .

وعثر على كرات من الطين لم يعرف وجه إستخدامها وعليها نقوش قبرصية مينوية في هالة سلطان تيكى وكيتيون حيث عثر على صولجان ceptre = خزفي من القرن ١٢ مزين بخارطوش حورمحب Horemheb . (١٣٤٨-١٣٢٠ ق.م) . وعثر كذلك على قنينة ختم موقعة بخارطوش الفرعون سيتى I (حوالى ١٣١٢-١٣٠٠ ق.م) وجعران zcarals أمينوفيس الثالث Amenophies III (١٤٠٢-١٣٦٤ ق.م) . عثر عليه في باليوبافوس سكاليس في مقبرة تعود للقرن الحادى عشر ق.م، وأكثر أهمية الآنية الموكينية الكثيرة ولاسيما الكبيرة منها فهي مزينة بعناصر من زخرف البحرالإيجي والشرق الأدنى كتلك الموجودة في تيكى وكوريون وماروني وبيلا وإنكومي.

وهناك مباني من كتل الحجر الصابوني ashlar في كيتيون وتيكى وإنكومي يسر حجم أن بناة من أوجاريت قد هجروا إلى قبرص وبنوها ولاسيما بعد تدمير أوجاريت عام ١٢٠٠ تقريباً، كما تم العثور على خزف طروادى في إنكومي وبيلا فرغين Pyla-Verghin وكيتيون مما يشي بصلة أناس البحر بالأناضول ومنطقة طروادة .

وهناك شوكة ثلاثية trident برنزية ذات socket tubular و burbed points ربما كانت تستخدم لتقديم القرابين، عثر عليها في مقبرة في تيكى وهي من أصل الشرق الأدنى.

Z. El Habashi, Tutankhamun and the Sporting Traditions. Peter Lang, New York 1992, pp. 69-71, 73, 147, 148, 153.

ARDAC (1977) p.26

ويلزم التنويه إلى أن هذه التسمية "هالة سلطان تيكى" هي التسمية الحديثة للمكان، الذى سوف يكتسب أهمية خاصة بعد حملة معاوية بن أبي سفيان على قبرص في القرن السابع الميلادى. ولازالت توجد به حتى يومنا هذا تكية أم حرام وهذا ما سنتناوله بالتفصيل لاحقاً في ثناء الكتاب الذى بين أيدينا

وهناك معضلة تاريخية لماذا كل مراكز الإستيطان حول البحيرة بما فى تيكى هجرت تماماً فى نهاية القرن الحادى عشر ق.م حيث غطت مياه البحر الميناء وتحولت المنطقة إلى مستنقعات . ولجأ الناس إلى كيتيون القريبة . ويُعتقد أن زلزالاً أو أية كارثة طبيعية هى التى قضت على حضارة العصر البرنزى القبرصى ونتيجة لذلك، هجرت هالة – سلطان تيكى وإتجه سكانها إلى كيتيون التى لحقها الدمار بعض الشيئ ولكنها ظلت مأهولة . وهذا ماتثبته حفريات كاثارى Kathari التى كانت فى عصور ماقبل التاريخ على الساحل مباشرة وتغطى مساحة واسعة تصل إلى حدود المدينة كيتيون . وفى كاثارى إستعاد المستوطنون الفينيقيون المعبد الموكينى I وحولوه إلى معبد لإلهتهم عشتروت Astarte .

إن خط الكتابة القبرصية المينوية التى يقارنها المتخصصون (Linear (A فى كريت قد دخل قبرص وانتشر حوالى ١٥٠٠ ق.م . والمرجح أنه اشتق مباشرة من كريت التى كانت على علاقة وثيقة بقبرص فى المجالات التجارية والثقافية منذ العصر البرنزى المبكر، أى فيما قبل عصر بناء القصور العملاقة الفخمة فى كريت . ومن الملاحظ وجود مواد أثرية فى كل من الجزيرتين قادمة من الأخرى، حتى أنه قد تم العثور على تالنتات قبرصية فى كريت وآنية كريتية صقيلة وملونة فى قبرص وهكذا بلا حصر . ومع ذلك لاحظ المؤرخون تقلصاً فى العلاقات القبرصية – الكريتية حول عام ١٥٠٠ق.م مما دفع البعض إلى الاقتراح بأن الكتابة القبرصية المينوية قد استعارها القبارصة من التجار الكريتيين منذ العصر البرنزى المتوسط . كان هولاء يعيشون فى أوجاريت Ugarit وغيرها فى سوريا – التى كانت مستعمرتها الكريتية قد فرضت على عالم التجارة بالمنطقة خط الكتابة LinearA وسيلة للتعامل والتفاهم .

وكان تبنى خط الكتابة الكريتية المينوية بمثابة خطوة جبارة نحو تطور الفكر فى قبرص . إن لغة النقوش القبرصية المينوية التى بقيت لنا ليست اغريقية . ولقد بدأ الاستيطان الآخى فى قبرص بعد ١٥٠٠ق.م بفترة طويلة . وبرغم أنه حتى الآن لم تفك طلاسم الثمانين علامة الباقية من الخط القبرصى – المينوى فمن الواضح أنها كانت سائدة الاستعمال فى قبرص كلها . وهناك خط قبرصى مينوى آخر يحمل رقم ٢ ظهر فى القرن الثالث عشر ق.م فى انكومى . وتكتب هذه العلامات بشكل أفقى على النحو الشرقى التقليدى . وخفضت هذه العلامات من الثمانين إلى الستين مما يدل على تطور مطرد نحو التبسيط . واكتشف خط كتابة قبرصى مينوى يحمل رقم ٣ على لوحة تم العثور عليها فى أوجاريت . إذ كان المستوطنون الموكينيون فى القرن الثالث عشر والثانى عشر ق.م يستخدمون الخط القبرصى المينوى لا الخط التقليدى الخاص بهم LinearB بعد أن تواءموا مع البيئة التى كانوا يتعاملون فى اطارها . هذا وقد تم العثور على أختام كثيرة تنتمى لتلك الفترة

وتحمل طابعاً إيجياً أو شرقياً واضحاً وهي مصنوعة من مواد مختلفة وبأشكال متعددة واستخدمت في أغراض تجارية[١] .

ويمكن مقارنة العصر البرنزى المتأخر فى قبرص بصفة عامة بالعصر الموكينى فى بلاد اليونان القاربة . وهو عصر بدأ فيه الوجود الاغريقي في قبرص على الصعيد الإثنولوجي جنباً إلى جنب مع التفاعل الثقافي والسياسي والتبادل الاقتصادى . ومما سهل على الموكينيين السيطرة على الجزيرة وادارتها تفوقهم التقنى فى الأسلحة وادارة الحرب . ويلاحظ أن التطور الوحيد الذى طرأ عام ١٢٠٠ق.م على صناعة الأسلحة القبرصية هو ظهور رأس الحربة ذات المغارز . وجاء الاحتلال الموكينى فأحدث طفرة فى التعدين وصناعة الأسلحة . ومما لاشك فيه أن استخدام السيف الطويل البتار على يد الموكينيين كان عاملاً حاسما فى اتمام غزوهم لقبرص عند نهاية القرن الثالث عشر ق.م[٢] .

أما العلاقات القبرصية الإيجية فتتجلى فى أثار كثيرة من بينها أباريق التخزين ذات اليدين وذات الأذن المخروطية، وكذلك آنية فخارية فيها بروز مخروطى عند الكتف . ووجدت مصنوعات قبرصية أو على الأقل مصنوعات متأثرة بالأسلوب القبرصي فى آخايا مثل الأباريق (stirrup) وهى غير مزخرفة وذات مثلثات أو أنصاف دوائر عند الكتف . وفى بداية القرن الحادى عشر ق.م أصبحت العلاقات القبرصية –الإيجية وطيدة ولصيقة . وهناك تشابه بين الآنية فى إنكومى وسلاميس ولابيثوس وباليوبافوس من جهة وأثينا وناكسوس من جهة أخرى .

ولقد حافظت قبرص على طابعها الخاص برغم تقبلها لمؤثرات خارجية سواء من كريت وبلاد الاغريق أو من الشرق ولاسيما مصر . ونستدل على ذلك برسوم تصور الألعاب على الآنية القبرصية من القرن الثالث عشر ق.م . فمعروف أن المصارعة والملاكمة دخلتا قبرص من موكيناى ومعهما كل المصاحبات الثقافية . هاتان اللعبتان قدمتا إلى موكيناى من موطنهما الأصلى كريت التى ربما تكون قد استوردتهما من مصر[٣] . مما يدل على أنهما لم تأتيا مباشرة من كريت إلى قبرص وانما عبر موكيناى . وبعد الغزو الموكينى الآخى حوالى عام ١٢٠٠ق.م وبسبب التفسخ الذى أصاب المجتمعات الموكينية فى شبه جزيرة البلوبونيسوس خرجت موجات من الهجرات المتتالية تستهدف المناطق المعروفة والواعدة فى منطقة الشرق الأدنى وشرق البحر المتوسط وبحرإيجة . فاتجهت موجة كاسحة إلى جنوب أوجاريت فى سوريا وفلسطين، إنها موجة "أناس البحر "الذين بعد ذلك وبسفن أوجاريتية سورية هاجموا جنوب آلاسيا – قبرص الحليفة القديمة لأوجاريت . وحوالى عام ١٢٢٢ق.م دمرت كل من إنكومى وكيتيون، وفى عام ١١٩٠ ق.م كان شوبيلوليومن الثانى

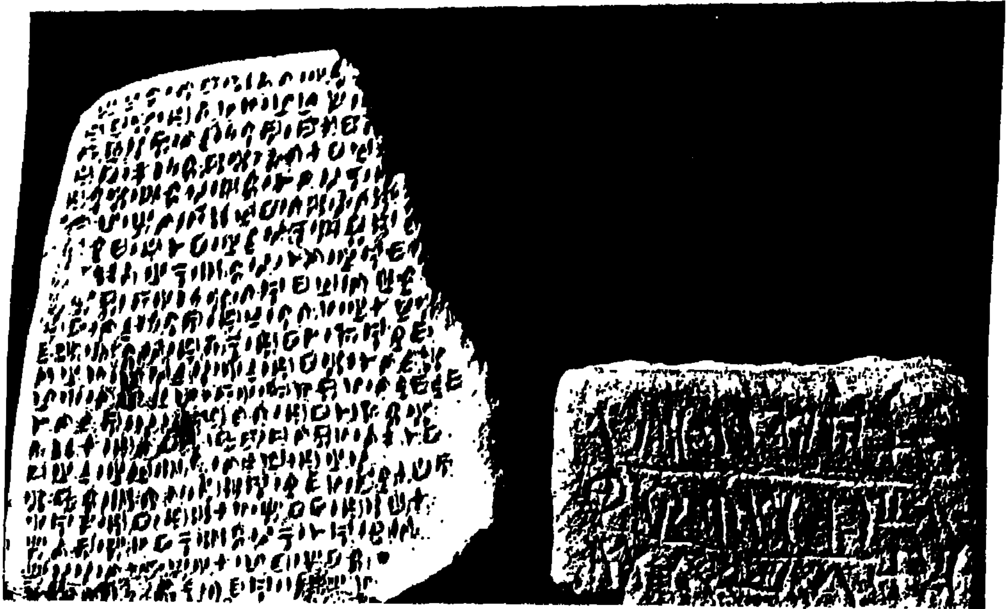
---

(١) قارن: M.Bernal: "On the transmission of the Alphabet to the Aegean before 1400 B.C.", Bulletin of the American Schools of Oriental Research 267 (1987) pp. 1-19.

(٢) [Greek] IEE Vol. A (Karageorghis) pp. 338-352.

(٣) Habashi, op. cit., p.52 et passim.

الهيروغليفية
خط الكتابة A
خط الكتابة B
القبرصية المينوية
القبرصية الكلاسيكية



شكل رقم (١٣): لم يتم بعد فك طلاسم اللغة القبرصية فيما قبل التاريخ وهي كتابة مقطعية تختلف عن نظام الكتابة المينوية. وهناك تفسيرات مختلفة في أصولها وأعلاه تبيان بتطور اللغة القبرصية من الهيروغليفية حتى الأبجدية القبرصية الكلاسيكية وأسفله لوحتان إكتشفتا في إنكومي وعليهما الكتابة القبرصية القديمة الأولى تعود للقرن الرابع عشر ق.م والثانية تعود إلى ١٤٠٠–١٢٣٠ ق.م. وهما محفوظتان بمتحف قبرص

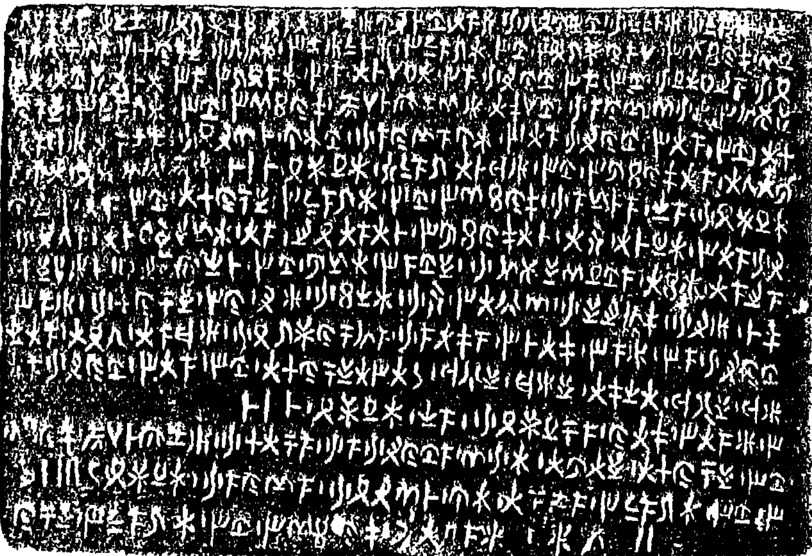
الهيروغليفية	خط الكتابة A	خط الكتابة B	الهيروغليفية	خط الكتابة A	خط الكتابة B

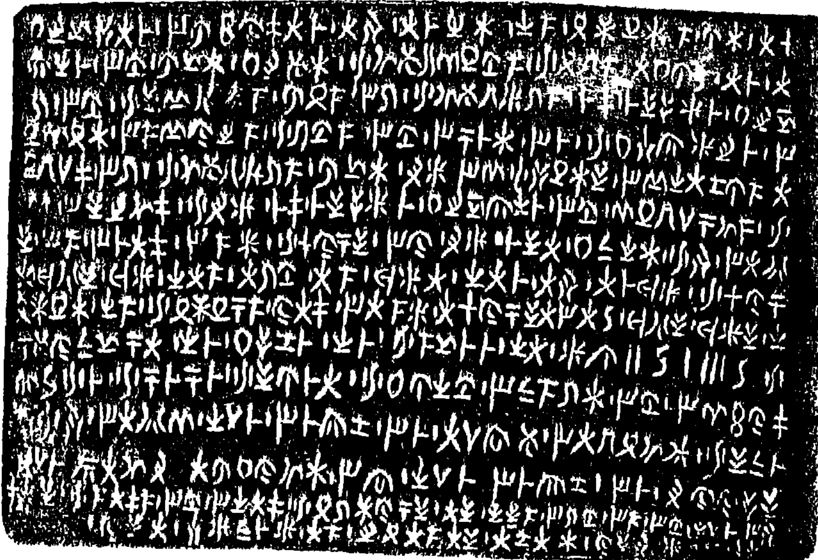
الوحدات	=	5
العشرات	=	50
المئات	=	400
الآلاف	=	4000
عشرات الآلاف	=	40000
مثل	=	14268

شكل رقم (١٤): كان إفانس أول من كشف النقاب عن الألواح التى عثر عليها فى كنوسـوس وبها خـط الكتابـة فـى البحـر الإيجى. وهنا قائمة مقارنة حيث نجد الهيروغليفية، وخط الكتابة A وخط الكتابة B. وتحتها نظام الأرقام فى خط الكتابة B

	A	E	I	O	U
	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
P	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
T	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
K	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
L	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
M	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
N	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
R	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
J	[illegible]	[illegible]		[illegible]	
V	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	
S	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
X		[illegible]			
Z	[illegible]			[illegible]	

شكل رقم (١٥): نموذج للكتابة القبرصية المقطعية وبها خمسة مقاطع للأصوات وخمسون أخرى كل منها يمثل مقطعاً





شكل رقم (١٦): لوحة نحاسية إكتشفت فى غيداليون وعليها نقش للكتابة القبرصية المقطعيـة، على الوجـه (الصـورة الأعلى) وعلى الظهر (الصورة السفلى) وهذه اللوحة محفوظة بالمكتبة الأهلية الفرنسية فى باريس

Shuppiluliumen ملك الحيثيين يتباهى بأنه شن الحرب على آلاسيا ودمر أسطولها . كانت هذه الموجات مدمرة، إلا أن بعض " أناس البحر " ومنهم الموكينيون استقروا فى المناطق المدمرة من قبرص وأعادوا إعمارها وأضافوا إليها "الأسوار الكيكلوبية"[١] التى بنوها فوق أنقاض الأسوار الطينية القديمة . وهذا ماحدث بالنسبة لإنكومى وكيتيون وسيندا Sinda ومآء باليوكاسترون Ma'a-paliocustron وبيلاكوكينو ريموس Pyla-kokkino-remmos وغيرها .

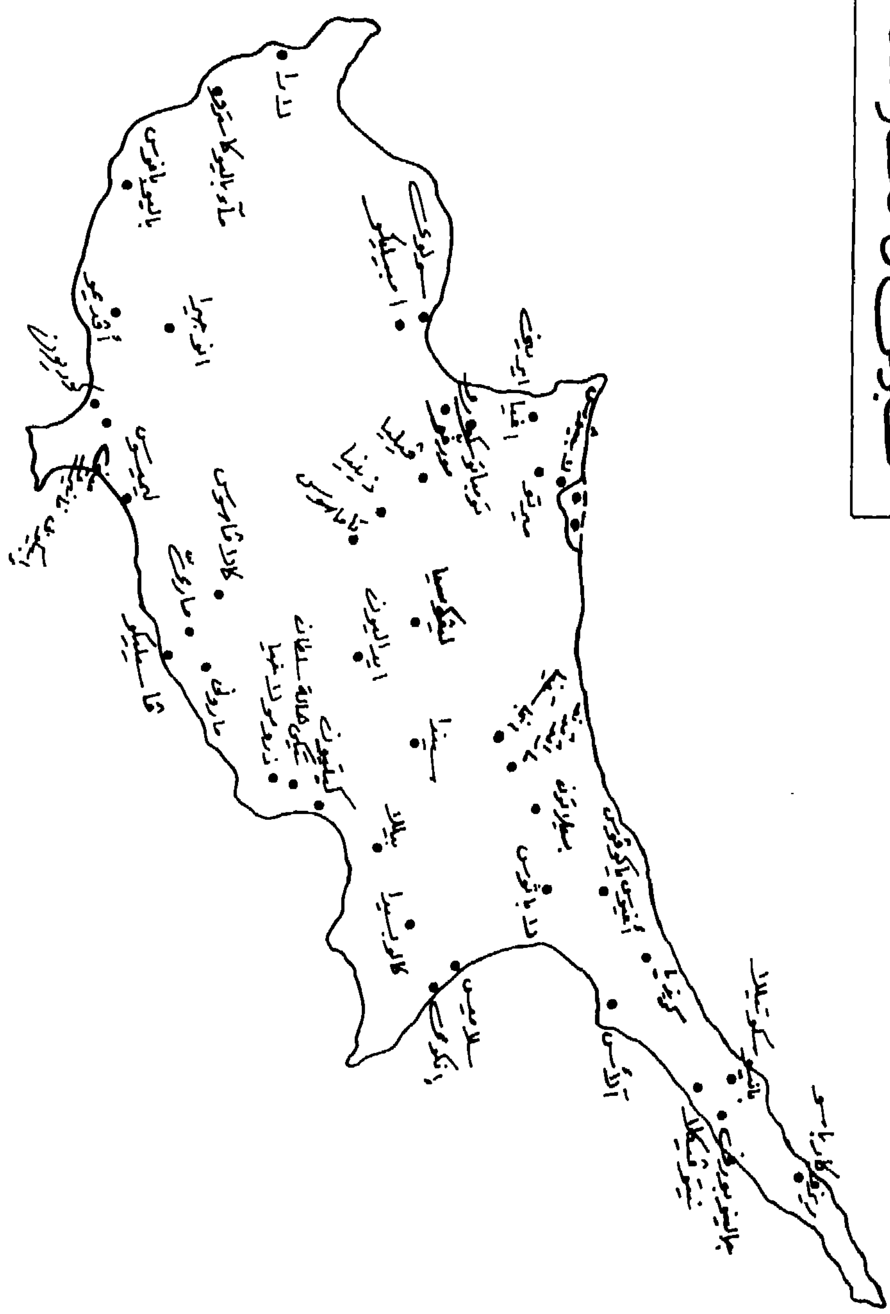
وهكذا بدأت مرحلة حضارية جديدة وظهر فخار موكينى وهيلادى فى المواقع سالفة الذكر وغيرها . وهذا الفخار جاء مع المستوطنين الموكينيين الجدد . ويختلف علماء الآثار فيما بينهم حول الطراز الرعوى الجاف الذى أنتج فى قبرص آنذاك . فالبعض يعتبرونه مسخاً رديئاً متدهوراً للطراز الموكينى المتأخر ، فى حين تميل بعض الدراسات الحديثة إلى القول بأن هذا الأسلوب الرعوى وجد جنباً إلى جنب مع الطراز الموكينى . وإلى جوارهما ظهرت طرز قبرصية أخرى . وفى نفس الوقت استورد الطراز المسمى " الطروادى " من مكان ما بالقرب من طروادة مما قد يفهم منه أن "أناس البحر" قد قدموا إلى قبرص عبر الأناضول .

وهناك رأى اخر محتواه أن الدمار الذى حل بقبرص عام١١٩٠ ق.م يعزى إلى النزاع العنيف الذى وقع بين القبارصة الأصليين والآخيين المستوطنين الجدد الذين أيدتهم موجة إضافيه من أبناء سلالتهم قدمت من البلوبونيسوس . ثم توالت الموجات من الآخيين والمينويين وبعض اللاجئين الشرقيين الذين أرغموا على ترك فلسطين بعد اجتياح "أناس البحر " للمنطقة واستقرارهم فيها . ويؤيد الفخار المكتشف من تلك الفترة هذه المعلومات كما تؤيده شهادة احد المصريين الذى رأى الحياة فى آلاسيا – قبرص حوالى عام ١٠٧٥ و١٠٥٠ ق.م[٢]

---

(١) نسبة إلى الكيكلوبس Cyclops (= ذو العين الدائرية) فهو مخلوق أسطورى ورد ذكره عند هوميروس ولاسيما فى "الأوديسيا". إن هذا المخلوق الخرافى ينتمى إلى سلالة لكل منها عين واحدة فى الجبهة. وأشهر كيكلوبس هو بوليفيموس إبن بوسيدون اله البحر والذى فقأ أوديسيوس عينه بعد أن أكل اثنين من رفاقه كما يرد فى "الأوديسيا". وهو غريم آكيس فى حب جالاتيا. وعندما ظهرت الأسوار الضخمة فى المدن الموكينية نسبها الناس إلى الكيكلوبس وقالوا عنها "أسوار كيكلوبية"، اى أنها أضخم من أن يبنيها الإنسان العادى. وعن أناس البحر أو شعوب البحر التى تكرر ذكرها فى المصادر القديمة راجع:
N. Sandars, The Sea Peoples, warriors of the Ancient Mediterra-nean, 1978, passim

(٢) بلغ التداخل الحضارى بين مصر والشرق القديم من جهة وقبرص واليونان من جهة أخرى حتى إن دراسة حضارة أى طرف منهما أصبحت ضرورة لفهم حضارة الطرف الآخر. وبعبارة أخرى نقول إن المصادر المصرية القديمة وكذا اللغات الشرقية القديمة تعد من الأدوات البحثية المهمة لمن يرغب التعمق فى أصول حضارة قبرص واليونان. وبالمثل لا يمكن للمتخصص فى المصريات والشرقيات القديمة أن يستغنى عن النصوص اليونانية واللاتينية. وهذا ماسبق أن أشرنا إليه مراراً فى دراساتنا السابقة ونشير إلى البحث التالى منها:
احمد عتمان: "تفاعل الآداب العالمية فى تراث طه حسين: الآداب الأوروبية القديمة، الأدب اليونانى والأدب اللاتينى". ص٢٢٥–٢٧٦ من كتاب: طه حسين، مائة عام من النهوض العربى. القاهرة، دار الفكر للدراسات، ١٩٨٩.
وراجع:
Ahmed Etman, "Isis in the Greco-Roman World with a special reference to Plutarch's Treatise *De Iside et Osiride*" JOAS (1990) pp. 11-21.



شكل رقم (١٧): خريطة قبرص في العصر النحاسي



شكل رقم (١٨): خريطة قبرص فى العصر الحجرى الجديد (النيوليثى) والنحاسى الحجرى (خالكوليثى)



شكل رقم (١٩): خريطة قبرص فى العصور التاريخية

وينعكس الغزو الموكيني لقبرص في أساطير تأسيس المدن على أيدى أبطال وقادة آخيين . فكيفيوس Kepheus[١] هو مؤسس كيرينيا Kerynia التي سميت باسم مدينة موكينية أقدم . وبراكسا ندروس Praxandros[٢] من لاكيد ايمون (= اسبرطة) هو مؤسس لابيثوس . وأسس تيوكروس Teukros[٣] مدينة سلاميس على الساحل بجوار إنكومي-آلاسيا . ومن ثم أصبحت سلاميس وريثة هذه المدينة العريقة وصارت مركزاً سياسياً وثقافياً وحصناً حصيناً للهيللينسية القبرصية مع أنها في أقصى شرق الجزيرة . وأسس أجابينور Agapenor[٤] من تيجيا Tegea بافوس الجديدة Nea Paphos، وأقام خالكانور Chalcanor[٥] ايداليون، وبنى خيتروس Chytros[٦] مدينة خيتروى Chytroi التي تسمى كذلك Kythrea أو Kythria . أما ديموفون Demophon[٧] فقد بنى أيبيا Aipeia . والأرجيون أى أبناء أرجوس هم الذين شيدوا كوريون Kourion . وأسس أكاماس Akamas[٨] ابن البطل الأثيني القومي

---

(١) تحفل الأساطير الإغريقية بأكثر من شخصية تحمل هذا الإسم، وأشهرها هو كيفيوس ملك إثيوبيا ووالد أندروميدا. وهناك أيضاً كيفيوس ملك تيجيا في أركاديا بشبه جزيرة البلوبونيسوس باليونان، وهو أحد أبطال رحلة السفينة أرجو التي قادها البطل ياسون، لكي يحضر الفروة الذهبية من كولخيس على البحر الأسود.

(٢) عن براكساندروس Praxandros من لاكونيا ومؤسس لابيثوس أنظر:

[Greek] Hatzedemetriou, p.27

(٣) تيوكروس بن تيلامون من زوجته هيسيونى. وهو الأخ غير الشقيق للبطل الأشهر أياس الذى أعطى إسمه عنوانا لإحدى مسرحيات سوفوكليس السبعة التى وصلت إلينا كاملة. و"تيوكروس" لقب معناه الطروادى لأن أمه هيسيونى هى بنت لاوميدون. وعندما عاد تيوكروس بعد حرب طرواده عوقب بالنفى، لأن أباه اعتبره مسئولاً عن موت أخيه أياس. فذهب إلى قبرص وأسس سلاميس.

(٤) أجابينور هو قائد الفرقة الأركادية فى الجيش الإغريقى الذى حاصر طروادة عشر سنوات ("الإلياذة" الأنشودة الثانية ٦٠٩). فى طريق عودته بعد أن وضعت حرب طروادة أوزارها وصل أجابينور إلى قبرص (Lycophr. 479 ff.، فأسس بافوس الجديدة Nea Paphos وأقام معبداً لأفروديتى واستقر فى الجزيرة (Pausan. VIII 502).

(٥) يبدو أن إسم خالكانور Chalkanor له علاقة بالنحاس (Chalkos). وهو مؤسس إيداليون فى الأساطير الإغريقية.

[Greek] Hatzedemetriou, p.27.

(٦) خيتروس Chytros هذا الاسم فى اليونانية القديمة يعنى "ثقب عميق" أو "طبق عميق". وفى الجمع خيتروى Chytroi يستخدم إسماً لعيد يقع ضمن الأعياد الأكبر والمسماة الأنثيستريا Anthisteria فى أثينا. كما أنه إسم الينابيع الساخنة عند ممرات ثيرموبيلاى فى بلاد اليونان القارية. وذكر أريستوفانيس أعياد الخيتروى فى "الأخارنيون" (١٠٧٦) و"الضفادع" (٢١٨) راجع:

Jane Harrison, Epilegomena to the Study of Greek Religion "Cambridge, 1921 reprint 1980, pp. 33-37.
Eadem, Themis. A study of the Social Origins of Greek Religion. Cambridge 1927 raprint 1977, pp. 284-294.

(٧) ديموفون هو ابن بطل أثينا القومى ثيسيوس وأخو أكاماس (وهو اسم لنتوء أو رأس بر فى قبرص) اشتركا معاً فى حرب طروادة.

(٨) أنظر الحاشية السابقة وراجع: Strabo, XIV 6.3.

تسيوس مع أخيه ديموفون وبالتعاون مع فاليروس الأثيني مدينة سولوى soloi ومن هنا جاء إسم شبه جزيرة أكاماس .

ولقد تمت عملية "هلّنة" قبرص أى تحويلها إلى كيان هيلليني في الفترة ١١٩٠– ١١٧٥ ق.م . وهي عملية قد واكبت تاريخ حرب طروادة ١١٨٤ ق.م كما أنها كانت عملية متكاملة شملت السياسة والاقتصاد والثقافة، إذ دخلت اللغة الإغريقية قبرص . ومن الطبيعي أن كل سلالة من سلالات الاغريق احضرت معها لهجتها فأجابينور على سبيل المثال أدخل اللهجة الأركادية إلى بافوس الجديدة . جاء هذا الغزو في نهاية العصر البرنزى المتأخر بعد حدوث دمار شبه شامل في المواقع الحضارية القديمة، وواكبه وفود عناصر شرقية قوية . لقد ثبت أن الاستيطان الآخي – الهيلليني في قبرص قد وقع إبان العصر البرنزى المتأخر ومابعده، ولاسيما خلال القرون من الثالث عشر إلى القرن الحادى عشر ق.م . وهو الحدث المسجل في آثار هذه الجزيرة . ومن الملاحظ أن هذا الاستيطان هو الذى قلل من شأن العناصر الأخرى الوافدة . وهكذا نجح الموكينيون في انتزاع قبرص من دائرة النفوذ الحيثي والمصرى والشرقي بصفة عامة، لتصبح موقعاً متقدماً للدفاع عن الهيللينية . ومع ذلك فإن هذا التنازع بين الشرق والغرب حول قبرص يمثل الطابع التاريخى العام من القدم إلى يومنا هذا .

ثم جاء تأسيس ممالك آخية في أسيا الصغرى ليدعم الوجود الهيلليني في قبرص، التي ظلت هيللينية منذ ذلك التاريخ في كل شئ دون أن تفقد صلاتها التجارية والثقافية مع دول الجوار الشرقي . ولقد تورط ملك بافوس كينيراس Kinyras[1] في الحرب الطروادية – أهم حدث في ذلك الزمان – وتلت هذه الحرب موجة هجرة آخية – هيللينية إلى قبرص .

وظهر طراز المدافن الموكينية في قبرص بعد عام ١١٥٠ق.م وهو طراز المقبرة – الحجرة . وظهرت الآوانى الموكينية في قبرص سواء استوردت أوصنعت محلياً . وبزغ فجر جديد من الإنتعاش التجارى مع الشرق الأدنى والشرق الأوسط، لعبت فيه قبرص دور همزة الوصل أو نقطة الإرتكاز . فحدث التقارب بين الشرق القديم والعالم الهيلليني في قبرص وموكيناى . وتجلى ذلك في التشابه بين الديانة الموكينية ونظيرتها الفلسطينية – السورية والمصرية . ولقد أخذ هذا الإندماج الحضارى بعداً خاصاً في قبرص . فلقد حاول الإغريق فيها أن يوائموا بين فنونهم والمفاهيم الشرقية دون أن تتعدل أو تتبدل عقولهم وطرائق تفكيرهم أى هويتهم الهيللينية . فإله إنكومي هو أبوللو الآلاسي Apollo Alasiotes بالرغم من أنه يحمل بعض الملامح الشرقية إلا انه هيلليني صميم . ويقال نفس الشي عن أفروديني وآلهة قبرص الأخرى . إذ أن لها جذوراً في التربة القبرصية حتى قبل الغزو الهليلليني – الموكيني .

---

(١) كينيراس Kinyras هو اسم أحد الملوك الأشوريين، الذى حولت هيرا إبنته إلى درجات السلم في معبدها .Ovid) (Metamph. vi. 98. أما كينيراس ملك قبرص الأسطورى فهو ابن بيجماليون ووالد ميرها Myrrha (= شجرة المر أو عطر المر) والمحب منها أدونيس Adonis (Ovid. Metamph. x 299 ff. & 712).

إن بقاء الموكينيين لوقت طويل في فريساكيا Vryssakia بالقرب من هالة سلطان تيكى يمتد من القرن السادس عشر حتى القرن الثانى عشر ق.م . وعلى خاتم أسطوانى رسمت إلهة الخصوبة تحيط بها الغزلان التى تقفز هنا وهناك . وكانت سيندا Sinda مستوطنة محصنة في وادى ميساريا غرب إنكومى، ودمرت حوالى ١٢٣٠ ق.م على يد "أناس البحر" الآخيين الذين بنوا مدينة جديدة فوق بقاياها – كما حدث فى إنكومى ومآء وكيتيون . وكانت جولجوى Golgoi تحتل موقعاً بين مناجم تروؤدوس وميناء التصدير فى كيتيون وأقيم بها معبد منذ القرن الرابع عشر ق.م.

كانت مدينة كيتيون الجديدة ذات أسوار كيكلوبية وتضم مصانع النحاس . ولقد تم الكشف عن هذا الحى الصناعى بها . وكان التعدين هو النشاط الاقتصادى الرئيسى فيها وتحميه قوى إلهية ما وكما هو الحال فى إنكومى . وكانت هذه المصانع غير مسقوفة حتى يتسنى للرياح الجنوبية أن تطيح بسحب الدخان بعيداً عن السكان . وكان يتم دفن الموتى فى فناء المنازل وهى عادة تربط بين كيتيون وأوجاريت . فى كيتيون عبدت عشتروت وكذا الاله المصرى بس Bes اله الإستشفاء والعلاج وحامى النساء الحوامل وحارس أهل المنزل ويؤرخ معبده هناك بـ ١٢٠٠ ق.م وهو يشبه النماذج المصرية لبناء المعابد . وتم العثور على نقوش فيه تحمل كتابة بالخط القبرصى المينوى ويفيد أن كاهنة المعبد تقيم طقوس العبادة لإلهة الخصوبة . ولقد عثر أيضاً على تماثيل لهذه الإلهة من العصر الحجرى المبكر وهى ترفع ذراعيها إلى أعلى ولها ثديان بارزان . هناك اذن علاقة مابين هذه الإلهة والإله المصرى بس، الذى ربما أدخله إلى كيتيون الفينيقيون فى الفترة السابقة على احتلالهم للمدينة وبوصفهم تجاراً . ولقد عثر على تمثال آخر صغير لهذا الإله المصرى يعود للقرن الحادى عشر ق.م . أحضره الفينيقيون وكانوا قد احتلوا كيتيون وكانوا أيضاً قد أتقنوا صناعة القناع الذى يميز الإله المصرى والذى ربما كان الأنموذج الذى بنيت على منواله المخلوقات الاسطورية الاغريقية مثل السيلينوى والساتيروى.

صفوة القول إن التغيرات التى واكبت الغزو الموكينى لقبرص ولاسيما كيتيون وإنكومى منذ القرن الثالث عشر ق.م كانت هى نفسها ممزوجة بالتأثيرات الشرقية . ومن ثم كانت النتيجة النهائية لهذا الغزو – مع تأثيرات موجات " أناس البحر " المتجولين فى شرق البحر المتوسط – أن ظهر للوجود مزيج حضارى فريد نجد فى الآثار المكتشفة فى قبرص التى لعبت دور همزة الوصل الحضارية بين شعوب هذه المنطقة .

٢- آلاسيا (قبرص) وشعوب الشرق القديم

ذات يوم من عام ١٩٩١ / ١٩٩٢ تلقيت خطاباً من قبرص يقول مرسلوه إنهم أبناء مدينة يقال إن اسمها القديم آلاسيا، وإنها مذكورة في الكتابات المصرية القديمة في تل العمارنة ويطلبون مني يد العون للكشف عن هذه الحقيقة . وبالبحث تبين لي صعوبة الوصول إلى الحقيقة، فالأمر يحتاج إلى مزيد من السنوات والجهود المتضافرة . ولكنني أقدم هنا ما توصلت إليه أول اسم عرفت به قبرص هو آلاسيا أو آلاسهيا (Alashya)، إذ ورد هذا الاسم في نصوص من القرن ١٨ والقرن ١٧ ق.م ، وهي نصوص قد عثر عليها في الألاخ Alalakh وماري Mari[1] ولكن الأستاذ مارينatos عالم الآثار اليوناني وصاحب حفريات ثيرا الشهيرة يعتقد أن علاقة هذا الاسم آلاسيا بالعبارة اليونانية (Alesion pedion) واضحة تماما[2] . ويقول ذيكيوس إن آلاسيا يمكن أن يكون اسماً لأية مدينة أخرى غير إنكومي Enkomi ، ولم يكن هذا الاسم يطلق على قبرص كلها كما يتراءى للبعض . بيد انه قد ورد في نقش فينيقي أن شبه الجزيرة كلها حملت هذا الاسم " آلاسيا " حتى القرن السابع ق.م، وربما إلى مابعد ذلك التاريخ[3] . هذا بالرغم من أن بعض الأسماء الأخرى كانت مستخدمة وفي مقدمتها قبرص (Kypros) المشتق من (Kypeiros) أي السُعد وهوبات معطر كانت رائحته تعتبر عقاراً مضاداً للموت، وظل هذا النبات جنباً إلى جنب مع الآس Myrsine مرتبطاً بقبرص وأفروديتي على مدى التاريخ . إن الذين يدافعون عن الاسم آلاسيا بوصفه اقدم اسم لكل الجزيرة يقولون إنه قد يكون إسماً لمدينة في الجزيرة، ولكن من المؤكد أنه كانت أكبر وأهم مدينة، أي أنها العاصمة لدولة متحدة ربما سميت " مملكة آلاسيا حيث كان ملوكها على قدم المساواة مع ملوك الشرق آن ذاك . ويستدل على صحة ذلك من خطابات آلاسيا (أو آسي) إلى فرعون مصر اخناتون (أمحوتب الرابع) ١٣٦٤-١٣٦٢ ق.م والتي تم الكشف عنها في تل العمارنة . ويرى بعض الدارسين أن قبرص كانت حليفاً قوياً لمصر، وأن "ملك آلاسيا" هذا

---

(١) P. Dikaios, Enkomi Excavation, 1948-1958. Nicosia 1971 p. 534 ff

(٢) Sp. Marinatos, ΠΑΑ (1961) pp. 5-6

أما العبارة اليونانية فمعناها "مكان الطحن" ولا نعرف مدى علاقتها بالاسم آلاسيا

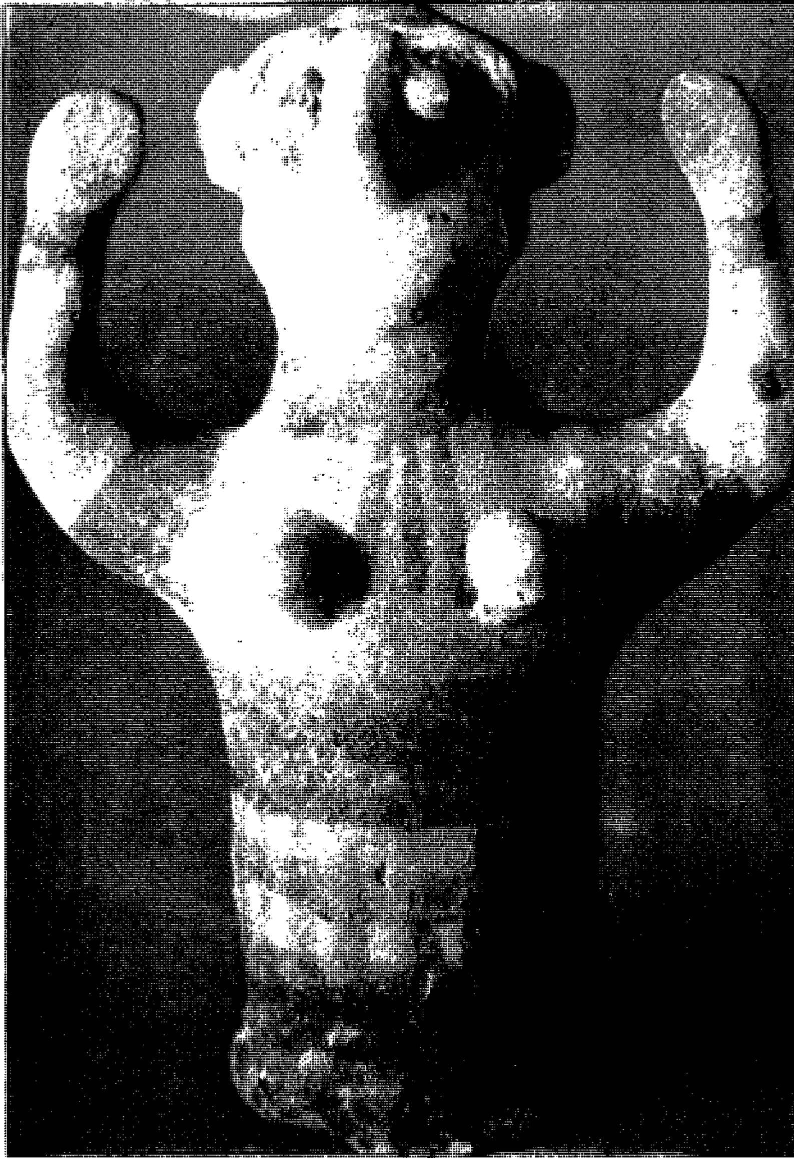
(٣) P. Masson, "Apropos d'Alasia. "Kadmos XII (1973) pp. 98-99.

L. Helbing, "Alasia problems" SIMA LVII (1979)

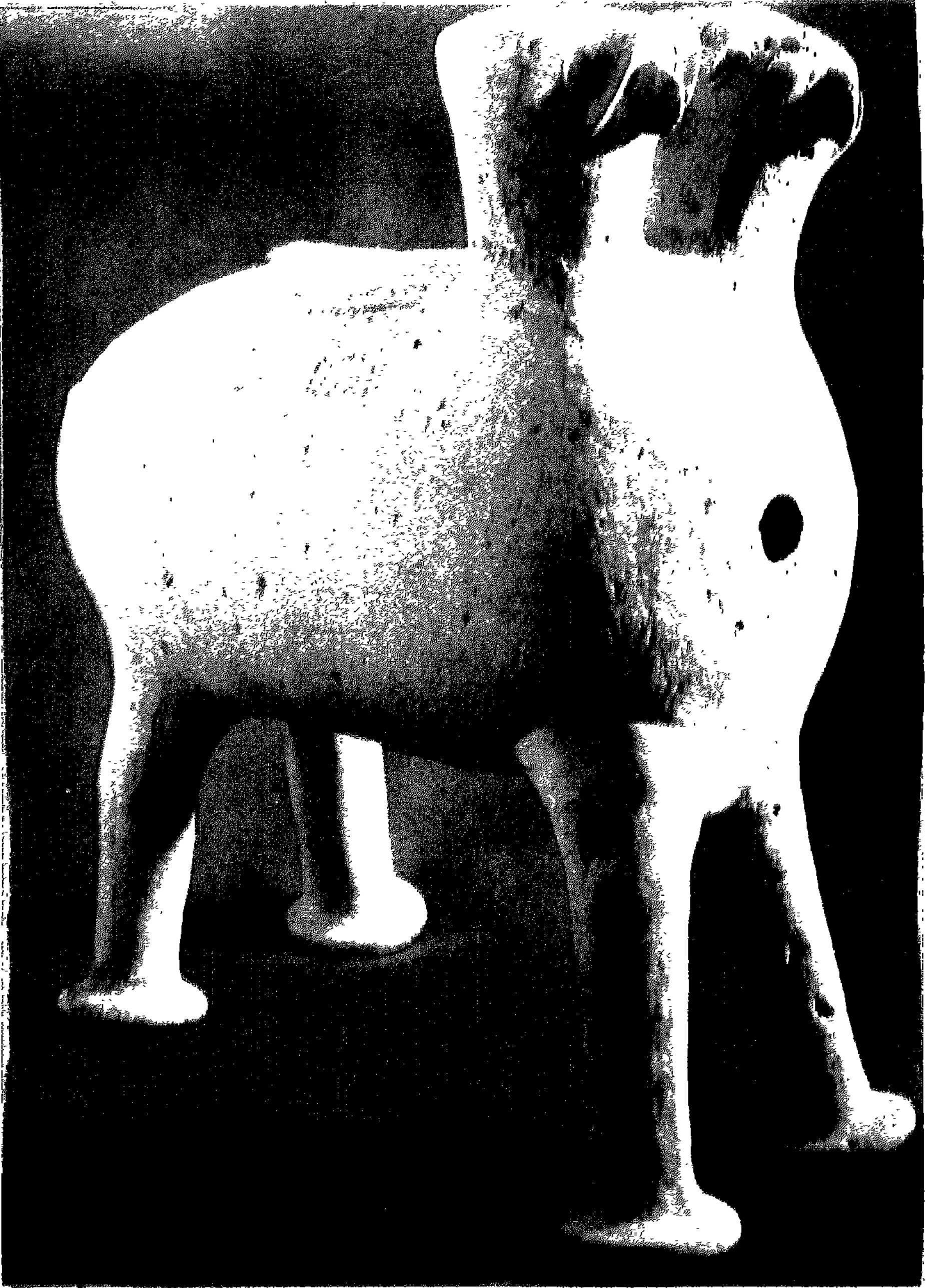
ويقول مارتن برنال في الجزء الثاني من كتابه "أثينة إفريقية سوداء" الذى أثار ضجة مايلي:

The name ỉsy leads to great complications, as it falls between two names, both of which are themselves the subjects of great dispute. The first and less controversial of these is [hieroglyphs], . irs, commonly vocalized as Alasia on the basis of Akkadian and Hittite transcriptions. irs is generally accepted as the name for Cyprus, though some scholars identify it as a stretch of coastline in South Anatolia. This name is attested from Egypt and elsewhere only in the New Kingdom. Given the fact that during the Middle Kingdom the 3 was a liquid, the suggestion made by Meltzer and Helck that Bsy was the earlier form of Alasia seems plausible, and this would also fit evidence from the Mit Rahina inscription. ... Thus ỉsy may refer to Enkomi or another of the chief cities of Cyprus".

Martin Bernal, Black Athena: Vol. II The Archaeological and Documentary Evidence. (1993) pp. 232-233. cf. 378, 460.462-465, 469, 471, 480, 494.



شكل رقم (٢٠): تمثال لإلهة ترفع ذراعيها وظهرت لأول مرة فى الفن الميسوى وقد إستوردت إلى قبرص فى القرن الحادى عشر ق.م وبقى هذا الطراز معروفاً فى قبرص حتى الفترة الكلاسيكية ويعود هذا التمثال إلى الفترة المتأخرة من العصر الجيوميترى وعثر على تماثيل مشابهة فى إنكومى وكيتيون وغيرها. والتمثال محفوظ بمتحف قبرص.



شكل رقم (٢١): الكنتوروس ذو الرأسين. وجد في نفس المعبد الذي عثر فيه على الإله ذي القرنين. وهذا المعبد أقيم للإله الذي يحمي مناجم النحاس في قبرص. وربما إحدى الرأسين للذكر والأخرى للأنثى. ويعود هذا التمثال لنهاية القرن الثاني عشر وبداية القرن الحادي عشر ق م



شكل رقم (٢٢): تمثال الإله ذى القرنين وهو أضخم تمثال برنزى من القرن الثانى عشر ق.م عثر عليه فى معبد إنكومى، وهو تمثال إله الخصوبة حيث يلبس غطاء للرأس به قرنان للثور. وهذا القناع كان يرتديه الكهنة. والتمثال محفوظ بمتحف قبرص.

نصح الفرعون ألا يبرم معاهدة مع الحيثيين "أعداء آلاسيا"[1]. وفى خطابات أخرى من ملك آلاسيا إلى فرعون مصر كانت الشئون التجارية هى المحور الرئيسى. فمن أهم هذه الخطابات نعلم أن أحد ملوك آلاسيا طلب من الفرعون ذهباً وفضة وأباريق زيت من النوع الممتاز وخيولاً وعربات وسريراً من خشب الأبنوس المرصع بالذهب وملابس نسائية. . الخ وكانت تلك البضائع تستورد من مصر فى مقابل النحاس ومنتجات أخرى من الصناعات المعدنية ومنتجات الغابات . ولقد طلب أحد ملوك آلاسيا من أمحوتب الثالث (١٤٠٢- ١٣٦٤ ق.م) أن يعيد ثروة أحد التجار القبارصة بعد أن كان قد مات فى مصر . وفى أحد الخطابات ورد أن مبعوثاً لفرعون مصر وصل إلى آلاسيا واضطر للبقاء هناك لمدة ثلاث سنوات لأن الأيدى العاملة فى مناجم النحاس نضبت حيث أن الإله نرجال Nergal Sprm قد قتل جميع الرجال، وهو مايشى بوقوع وباء حصد الناس حصداً . وربما تفتى هذا الوباء بعد زلزال مدمر احتاح الجزيرة بما فيها إنكومى حوالى ١٣٧٥- ١٣٥٠ق.م، أو ربما تكون هذه إشارات إلى غزو أجنبى من الغزوات والهجمات الكثيرة التى تعرضت لها آلاسيا .

ويرى جلوتز G . Glotz أنه لايمكن أن نستدل من عمق العلاقات بين مصر وقبرص على أن هذه الجزيرة كانت ولاية تابعة لمصر . إذ كانت الوفود القبرصية مثل نظيرتها الكريتية تعامل بما لايوحى بأنها وفود من ولاية تابعة لمصر جاءت لتؤدى واجبات الطاعة والولاء أو لدفع الجزية . ولكنها وفود تجارية جاءت لعقد صفقات لتبادل المنتجات والمصنوعات[2] . من خلال دراسة وفحص طبيعة المنتجات المصرية التى تم العثور عليها فى المواقع الأثرية بقبرص وتؤرخ بحوالى ١٤٠٠ق.م يستنتج العلامة كاراجيورجيس أن العلاقات المصرية - القبرصية توقفت بعد أن أصبحت أوجاريت تابعة للحيثيين . فالتجارة بين الطرفين كانت تتم عبر هذا الوسيط . ويؤكد كاراجيورجيس أن قبرص نفسها صارت جزءاً من الامبراطورية الحيثية فيما بين ١٤٠٠- ١٢٠٠(أو١١٩٠) ق.م وأن أهل آلاسيا دفعوا الجزية ، وهذا أمر قابل للجدل على أية حال .

كانت قبرص تصدر النحاس والمصنوعات النحاسية إلى الدول المجاورة التى اكتشفنا فى بعضها أيضاً الفخار القبرصى من العصر البرنزى الوسيط . وعرفت قبرص باسم آسى Asy أو آلاشية Alashiya واشتهرت بالنحاس . وحوالى ١٦٠٠ق.م صدر الفخار إلى الخارج حيث كانت التجارة الداخلية قد ركدت بعض الشئ . وبرزت كل من إنكومى والموقع المسمى الآن هالة سلطان تيكى باعتبارها الموانئ التجارية المراكز الاقتصادية . وعطت هذه الأسماء على أسماء مدن أخرى سابقة مثل كالو بسيذا ولابيثوس فى فترة العصر البرنزى الوسيط (١٧٢٥-١٦٥٠ ق.م) .

---

(١) V. Karageorghis, Cyprus from the stone Age to the Romans. (1982). p. 67

(٢) G. Glotz, The Aegean Civilization, 1925 (1968), pp. 207-208.

واستمرت العقائد الدينية من الحجر البرنزى المبكر إلى الوسيط . وهذا ما أثبتته الحفريات الحديثة حيث تم العثور على تماثيل لأطفال، وترمز هذه التماثيل للخصوبة وعثر على تماثيل أخرى لصور العشيقات والخدم المدفونين مع الميت . وهى تقلد النماذج السورية وربما يصور بعضها عشتروت (Astarte) = Ashtoreth التىتعد الأصل الشرقى للإلهة الاغريقية القبرصية أفروديتى Aphrodite [١] . ويلاحظ أن البطل الإغريقى هرقل فى قبرص يجمع بين عناصر اغريقية وفينيقية (ملقرت) مع بعض سمات مصرية (الالة بس)[٢]

لقد ثبت من حفريات لابيثوس وآثارها من العصر الجيومترى أن العبيد والخدم كانوا يقدمون بوصفهم قرابين ويدفنون مع سيدهم فى طقوس خاصة تقام عند مدفنه بما يوحى بانتقال المعتقدات الشرقية بوجود حياة أخرى بعد الموت إلى قبرص . وفى كوريون التى احتلها الأرجيون (١١٩٠-١١٥٠ق.م) عثرنا على مايدل على وجود عادة حرق الموتى ولاسيما فى النار كالوريزيكى (١٠٥٠- ٩٥٠ق.م) جنباً إلى جنب مع الدفن تحت الأرض . وهذا ماحدث فى بلاد الإغريق وآسيا الصغرى . فهو أمر غير مستحدث وإن قامت خلافات فى الرأى بين فارنل Farnell وروود Rohde وغيرهما حول أصول هذه الطقوس[٣] بيد أن هناك بعض الباحثين الذين يعتقدون بأن حرق الموتى جاء إلى بلاد الاغريق من قبرص أو سوريا أو أسيا الصغرى . وعلينا أن نربط كل هذا بمراسم الدفن فى ملاحم هوميروس ، فمما لاشك فيه أنها وفدت إلى بلاد الاغريق فيما بعد العصر الموكينى الذى تتحدث عنه هذه الملاحم وليس قبله، وهذا مايكشف عن

---

(١) عن أفروديتى وألقابها ومعابدها وطقوس عبادتها راجع:

[Greek] Hatzioannou, Vol. B. pp. 256 ff.

[Greek] Karla, Parousia (1991/ 1992) pp. 22- 27.

(٢) A.G. Orphanides, "Bronze Anthropomorphic figurines in the Cesnola Collection at the Metropolitan Museum of Art" 20 (1983). SIMA

Nancy Joan Skon- Jedele, "Aigyptiaka" A catalogue of Egyptian and Egyptianizing objects excavated from Greek Archeological sites ca. 1100- 525 B.C. With Historical Commentary. Ph.D. 1994. University of Pennsylvania.

أما عن هرقل – ملقرت والمصادر والمراجع حول هذا الموضوع فانظر:

[Greek] Ahmed Etman, pp. 23- 68.

(٣) L.R. Farnell, Greek Hero- Cults and Ideas of Immortality Oxford 1921

E. Rohde: Psyche. The cult of Souls and Belief in Immortality among the Greeks. Transl. from the 18th ed. by W.B. Hillis London. 1925.

وراجع:

احمد عتمان، "طبيعة الروح وحياة القبور فى الفكر الإغريقى" مجلة "إبداع" السنة ١٢ العدد (مايو ١٩٩٤) ص ١٣-٢٢.

منيرة عبد المنعم كروان، العالم الآخر فى المسرح الإغريقى، دار المعارف ١٩٩٣، ص ٩- ٥٤

"الخلط الزمنى anachronism"[1] عند هوميروس كما أنه يجمع بين بلاد الإغريق والجزيرة القبرصية.

ورد فى أحد المصادر المصرية القديمة عن شخص رأى رؤيا العين الحياة فى قبرص أن الناس فى آلاسيا يمثلون شعباً واحداً لايفهم المصرية القديمة ولا السورية، وعاشت فى المدينة أميرة اسمها هيتب Heteb التى أنقذت البحارة السوريين حتى لاتعطى فرصة إلى ملك بيبلوس = جبيل أن يقتل بحارة آلاسيا انتقاماً . وكان السوريون هم الذين قادوا سفينة كان على متنها الكاهن المصرى وينامون Wenamon وتحطمت عند شاطئ قبرص[2] .

هذا وقد أورد ويلسون J.A. Wilson فى الكتاب الذى أشرف على نشره بريتشارد J.B. Pritchard نص هذه الرحلة بعنوان "رحلة" وينامون إلى فينيقيا" ويقول مقدماً لها إنها تبدو وكأنها تجرى فى جو الحكايات ولكنها تتحدث عن سلسلة من الشخصيات والأحداث الحقيقية مما يدل على أنها تستند إلى قاعدة تاريخية. كان وينامون كاهناً فى معبد آمون بالكرنك أرسل إلى الساحل الفينيقى وبالتحديد بيبلوس للحصول على أخشاب للسفينة المقدسة للإله. وتعود البردية التى حفظت هذا النص إلى القرن الحادى عشر ق.م. أى إلى أوائل عصر الأسرة الحادية والعشرين. عثر عليها فى الحيبة ببنى سويف أى مصر الوسطى وهى محفوظة بمتحف موسكو وجاء فى خاتمة النص الذى وصلنا.

وهكذا وضعنى على السفينة وأرسلنى فى عرض البحر بعيداً عن الميناء (بيبلوس). وألقت بى الرياح على أرض آلاسيا (آلاشيا). فالتفت جموع من أهل هذه المدينة تريد قتلى. ولكننى تمكنت من شق طريقى بالقوة وسط صفوفهم وذهبت إلى حيث تقيم الأميرة هيتب Heteb حاكمة المدينة. قابلتها عندما كانت تهم بالخروج من احد منازلها لدخول منزل آخر لها.

قدمت لها التحية وسألت الواقفين من حولى أليس فيكم من يفهم المصرية ؟ فقال أحدهم "نعم أنا أفهمها فقلت له: اخبر سيدتى أننى قد سمعت عندما كنت لأزال بعيداً فى طيبة، مقام آمون، أن الظلم يحدث فى كل مدينة وأن العدالة مصونة فى آلاسيا. ولكننى أرى أن الظلم يقع هنا كل يوم" فقالت "ماذا تعنى بهذا القول ؟". فأخبرتها قائلاً "إذا كان البحر العاصف والرياح قد

---

(١) احمد عتمان، "الزمن المأساوى فى الفكر الإغريقى"، "ألف مجلة البلاغة المقارنة". (الجامعة الأمريكية بالقاهرة) عدد ٩ (١٩٨٩)، ص١٧٣ - ١٨٨.

لطفى عبد الوهاب، "عالم هوميروس". مجلة "عالم الفكر" الكويتية، المجلد الثانى عشر، عدد ٣ (١٩٨١) ص١٣- ٥٦.

نفس المؤلف، اليونان، مقدمة فى التاريخ الحضارى. دار المعرفة الجامعية، الأسكندرية ١٩٩١، ص١٧ - ٧٠.

(٢) G. Hill, A History of Cyprus, Cambridge University Press Vol. I. pp. (1989-1957), 425 ff.
Dikaios, Enkomi, I pp. 533 - 4.

ألقت بى على أرضك فلا تدعيهم يأخذوننى لأنهم ينوون قتلى، إننى رسول الإله آمون... وبالنسبة لبحارة أمير بيبلوس فإستدعت الناس فلما وقفوا أمامها قالت لى "إقضى ليلتك"[١] .

ولعل ورود الإشارة إلى أن أميرة هى التى كانت على رأس حكومة آلاسيا يوحى باستمرار النظام الأمومى الذى ظلت له أثار باقية فى ملاحم هوميروس وفى أنظمة الدويلات الاغريقية وكذا الشرقية . ومن ثم يكون أمراً عادياً فى قبرص إبان القرن الثانى عشر ق.م أن تحكم آلاسيا إمرأة . وهل كان بحارة بيبلوس السوريون فينيقيين؟ هذا هو المرجح وقد يكونوا من أحفاد "أناس البحر" . ومن المؤكد على أية حال كما يفهم من هذه المصادر أن آلاسيا إما مدينة فى قبرص أو هى قبرص برمتها . وفى بعض المقابر شمال غرب سلاميس تم العثور على آنية سورية بعضها يقلد الأباريق الكنعانية جنباً إلى جنب مع آنية كريتية وموكينية (١١٠٠-١٠٥٠ ق.م) . وهذا الإختلاط بين الثقافات الشرقية والإغريقية فى آلاسيا المدينة أو الجزيرة هو السمة المميزة لقبرص منذ القدم وإلى يومنا هذا .

وتشير كل الدلائل إلى أن نظام الحكم فى آلاسيا كان ملكياً استبدادياً من الطراز الشرقى العتيق . وكان البلاط الملكى هو مركز الحياة السياسية والاقتصادية بل والادارية والدينية والعسكرية . وهذه هى الصورة السائدة لنظام الحكم فى العالم الموكينى . وليست هذه محاولة تعسفية لتلفيق الحقائق التاريخية، فالعالم الموكينى نفسه كان على علاقة وثيقة بالشرق . حتى أن بعض العلماء يذهبون إلى القول بأنهما فى الواقع عالم واحد . أما علاقات آلاسيا ببحرإيجة فهى قديمة ويشهد بذلك زوج من دروع الساق البرنزية مصدرها هو إنكومى، وعثر عليه فى منطقة أرجوس ويؤرخان بالقرن الرابع عشر ق.م أى العصر الموكينى أو الهيلادى المتأخر . وكل ذلك يدل على أن آلاسيا- قبرص قد بدأت تخرج من عزلتها .

ولعل الدور المهم الذى إطلعت إنكومى- آلاسيا سياسياً وثقافياً واقتصادياً وهو الذى جلب عليها فى النهاية سلسلة من الكوارث التدميرية المتتالية . بدأت السلسلة من كارثة الغزو الذى قام به الهكسوس فى القرن السادس عشر ق.م ثم توالت الكوارث وكان أحدثها ما وقع فيما بين ١٢٢٢- ١١٩٠ ق.م على أيدى "أناس البحر" . وكانت الضربة القاصمة للظهر الزلزال الذى وقع عام ١٠٧٥ ق.م . وحطم هذا الزلزال الميناء وحرك الشاطئ ناحية الشرق . وبالتدريج هجر السكان الموقع القديم محل إقامتهم، واتجهوا إلى موقع جديد يصلح لأن يستغل ميناء . وبنوا مدينتهم الجديدة سلاميس فى منتصف القرن الحادى عشر ق.م.

يقول ويلسون فى الكتاب المشار إليه سابقاً إنه فى النصف الثانى من الألف الثانية ق.م. عجت منطقة حوض البحر المتوسط الشرقية بالحركة. إذ هبت حشود غفيرة من أناس لا وطن لهم على السواحل وطردوا السكان الأصليين أو اختلطوا بهم. هذه الهجرات هى التى أنهت الحضارة

---

(١) J.B. Pritchard (ed.), The Ancient Near East. An Antholrgy of Texts and Pictures. Princeton University Press. 1958. pp. 16-24

المينوية في كريت، وأسهمت في تشكيل السكان التاريخيين في بلاد اليونان وإيطاليا وقضت على الامبراطورية الحيثية وألقت بالفلسطينيين إلى أرض كنعان. وفي السنة الثامنة من حكم رمسيس الثالث (حوالى ١١٨٨ ق.م) صدهم هذا الفرعون من التوغل في وادى النيل الخصب. ولكن امبراطورية مصر الآسيوية تلاشت بعد ذلك بقليل. لقد سجلت هذه الآحداث على معبد رمسيس الثالث في مدينة حابو بالأقصر وجاء في النقش هناك:

"في السنة الثامنة تحت حكم عظمته (رمسيس الثالث)... حاكت الدول الأجنبية مؤامرة في جزرهم. وعلى الفور أزيلت أراضيهم وبعثرت. فلا أرض تستطيع أن تقف في وجه أسلحتهم وجيوشهم سواء من حاتّى (= الامبراطورية الحيثية) أو كودى (= كيليكيا وسوريا) أو كارشميش (مدينة على الفرات) أو أرزاوا (= في كيليكيا) وآلاسيا (قبرص)..." [١]

كانت إنكومي – آلاسيا من أهم مراكز الحضارة، إذ عثر بها على معبد صغير لإله شاب ذى قرنين من الطراز الشرقي – الإغريقي – قيل أنه نيرجال Nergal (Sprm) إله العالم السفلي أو أبوللو ريشيف Apollo Reshef[٢] أو أبوللو ذو القرون Apollo Keratas أو أبوللو إله آلاسيا Apollo Alasiotas . وهو يجسد الخصوبة بالمفهوم الشائع في الشرق .

فإذا كان هو أبوللو ذو القرون، فربما وفد إلى قبرص مع الآخيين القادمين من أركاديا في القرن الثالث عشر ق.م .

وإلى الشرق من هذا المعبد عثر على معبد أصغر اكتشف فيه تمثال صغير لإلهة يبدو أنها زوجة الإله السابق أو رفيقته على نحو أو آخر . ويبدو أن فكرة "الزواج المقدس" (hieros gamos) تعود إلى مفهوم ثنائي أو انشطارى ساد في الأساطير القديمة المتعلقة بالخلق والتكوين والتوالد . ومن المكتشفات الأثرية في إنكومي – آلاسيا " إناء زيوس " والذى وفد إلى المكان من بلاد الاغريق الموكينية في القرن الثالث عشر أو القرن الثاني عشر ق.م، حيث كان العالم الموكيني يسعى للتوسع شرقاً بتأسيس دويلات على الساحل الآسيوى . وفي هذا الإطار "فهم الحرب الطروادية ١١٨٤ ق.م . يمسك الإله على هذا الإناء بميزان القدر ذى الكفتين[٣] . وهذا مفهوم شرقي مصرى آخر يربط بين إنكومي – آلاسيا والشرق المحيط بقبرص من جهة، والعالم الموكيني الإغريقي من جهة أخرى .

وبدأ الفخار الموكيني المرسوم يصل إلى قبرص منذ ١٤٥٠ ق.م، ولاسيما بعد سقوط كنوسوس في ١٣٨٠ ق.م . ويحمل بعض هذه الآنية ملامح الشرق الأدنى مثل العربة ذات

---

(١) Ibidem, pp. 185 ff.

(٢) Ibidem, pp. 68, 190, 216

(٣) قارن ماورد عند هوميروس في "الإلياذة" الأنشودة ٢٢ أبيات ٢٠٩-٢١٢، الأنشودة ١٦ أبيات ٦٥٦-٦٨٨، الأنشودة ١٩ أبيات ٢٢٣ ومايليه، الأنشودة ١١ أبيات ٥٠٩ ومايليه، الأنشودة ١٤ أبيات ١٩ ومايليه، الأنشودة ١٨ أبيات ٦٩-٧٥.

العجلات الستة بدلاً من العجلات الأربعة الموكينية . ويبدو أن آنية خاصة كانت تصنع في موكيناى خصيصاً للتصدير إلى قبرص والشرق الأدنى . ولقد عثر على هذه الآنية في إنكومى – آلاسيا وكيتيون وأوجاريت رأس شمرة وغيرها . وعثر على إناءين من الفضة بيد من العظم في إنكومى وهما يشبهان إناء عثر عليه في دندرا Dendra، وآخر في إنكومى يذكرنا بنموذج في فافيو Favio . وكل ذلك يشير إلى صناعة تعدين الفضة التى بدأت تزدهر في إنكومى . ومن المكتشفات الأثرية التى عثر عليها في الحفريات في إنكومى تلك المنازل الشاسعة المبنية من كتل حجرية مربعة في القطاع الجنوبى من المدينة . وتحت أرضية أحد المنازل عثر على لوحة فخارية محروقة تحمل نقشاً طويلاً بخط الكتابة القبرصية المينوية التى لم تفك طلاسمها بعد . وتؤرخ المبانى بما بعد العصر الموكينى، ويعتقد أنها تنتمى إلى "أناس البحر" . وهم إما الإيجيون أو شعوب أخرى من شرق البحر المتوسط الذين غزوا آلاسيا عام ١٢٢٢ ق.م . وفى عام ١٩٧٢ عثر على درجتين من درع وقائى، وهو الأول من نوعه في قبرص ويشبه الدروع التىجاءت من بحرإيجة والشرق الأدنى . فهذه المناطق تتشابة حضارتها مع حضارة إنكومى – آلاسيا بما في ذلك فنون الحرب وأدواتها .

إن بناء الأسوار الكيكلوبية الضخمة من كتل حجرية مربعة شائع في حضارة كيتيون ومآء باليوكاسترون وربما أيضاً في منطقة هالة تيكى وباليوبافوس . ويعتقد أن هذه الفنون قد دخلت قبرص على أيدى بناة ماهرين قادمين من الأناضول وأوجاريت وقت وصول الآخيين إلى قبرص حوالى عام ١٢٠٠ق.م بعد تدمير أوجاريت .

يبدو أن علاقات قبرص بالدول الاخرى قد بدأت تنشط في العصر البرنزى المبكر . وهذا مايتضح من الإكتشافات . الأثرية فهناك إبريق من الفخار الأبيض السورى وجد في قونوس، وهناك إبريق آخر مماثل عثر عليه في موقع مينوى مبكر . وثالث عثر عليه في لابيثوس ويعود للعصر المينوى الأوسط . وتم العثور كذلك على شفرات خنجر كريتى في لابيثوس، وآخر في قونوس وبرجعان لنفس الفترة . وعثر على مواد أثرية مصرية في سوتيرا وكامينوذيا وغيرهما . وهناك رواية تقول إن الملك الأكادى سارجون الأول (٢٣٤٦- ٢٢٩١ ق.م) قد مخر عباب بحر الغرب ووصل إلى قبرص وكريت[1].

إن الإكتشافات الأثرية الحديثة في منطقة غرب مسجد هالة سلطان تيكى بالقرب من لارناكا وبحيرتها المالحة والتى تعود للعصر البرنزى المتأخر لها أهمية خاصة من حيث علاقات قبرص

Pritchard, op. cit., pp. 85-86 cf. 120, 199, 195-198.

S. lloyd, The Archeology of Mesopotamia, 1978, p.138.

Mellaart, op. cit., pp. 92, 167-169.

حيث يقول هذا الباحث (ص١٦٧): "في هذا العصر إزدهرت حركة الإستكشاف والتجارة ومن ثم فليس مدهشاً أن تظهر في الآثار أول صورة للسفن (في منطقة الشرق الأدنى)...... وظهرت صور مماثلة في آثار جزر الكيكلاديس (باليونان) وبعد ذلك في كريت ويولكوس **Iolkos** في ثيساليا وهو الميناء المشهور في الأساطير حيث منه أبحرت السفينة أرجو".

بكل من كريت وسوريا وفلسطين (كنعان – أوجاريت) . ويصورها إناء مينوى، وابارايق كنعانية، وآنية عليها رسوم للنخيل والحيوانات، واناء فضى عليه نقش كنعانى مطول . ولابد من الربط بين هذه الآنية وإناء قبرصى يحمل رأس ثور وينتمى لنفس الفترة وعثر عليه فى أوجاريت ، فلربما كان قد صنع فى قبرص تلبية لطلب من عميل سورى تجارى يقطن الساحل . وعلى أية حال فإن قبرص هكذا تبرز بوصفها مركزاً للتبادل التجارى والثقافى مع أوجاريت . ونفس الشئ يقال عن مصر حيث عثر فى نفس المكان على جعران وأحجار خاصة بالألعاب . ولكن التعامل مع مصر تلقى ضربة قاصمة وتعطل عندما استولى الحيثيون على أوجاريت . وفى هالة سلطان أيضاً تم اكتشاف خاتم فضى وختم من الحجر الأخضر وكلها من أصل حيثى وتدخل فى باب الدلائل الأثرية على سيطرة الحيثيين على قبرص بعض الوقت . وهذا ماورد فى بعض النصوص الحيثية والشرقية الأخرى. وتم الكشف فى إيداليون على أباريق مزينة بأشكال ثلاثية ونصف دائرية وهو شكل معروف فى الآنية الفخارية الآخية والفلسطينية (Philistine)، مما يوحى بوجود حضارى ثلاثى آخى (موكينى وإيجى) ، وقبرصى ، وسورى – فلسطينى ، بل ينهض دليلاً على وجود مستوطنة أقامها أهل شاردانا وغيرها من جنوب سوريا فى قبرص بعد تدمير أوجاريت وبعد طرد "أناس البحر " من دلتا النيل . ويبدو أن مستوطنى شاردانا قد تحركوا بعد ذلك من قبرص إلى ساردينيا فى البحر المتوسط . أما الدرع الذى اكتشف فى إنكومى فمصدره فلسطين وشاردانا . وعثر على خوذات ذات قرون تشبه الثور تم العثور عليها فى معبد بإنكومى، فيمكن القول بأنها خوذة محارب من شاردانا مقيم فى قبرص . كما يمكن أن يستخدمها محارب آخر مهاجر إلى قبرص، لأن هذه الخوذة لاتختلف عما هو شائع من أسلحة فى حوض البحر الأبيض المتوسط الشرقى . وإذا صح القول بأن قرون الثور – موضوع النقاش فى الخوذة – له علاقة بالقرون المطلية ذهباً والموجودة فى معبد الإله ذى القرون فى إنكومى، فهو إذن قد يكون جزءاً من رأس الثور الطقسى ومن ثم فهو يشبه القرون التى اكتشفت فى المقابر الموكينية . وهناك تفسير آخر وهو أن هذه القرون تمثل خوذة لتمثال أنثروبومورفى (ناسوتى) لإله ما معروف على أثار قبرصية من النصف الثانى من القرن الخامس عشر ق.م . وكل ذلك يقودنا مرة أخرى إلى الآلهة ذات القرون فى جنوب سوريا، ولاسيما فى رأس شمرا – أوجاريت، وفى لبنان والأناضول ومن بينها الإلهة المحاربة فى وضع التصويب وتؤخذ على أنها ريشيف Reshef أو يعل . إن قرن الثور من إنكومى إذن أخذ على أنه جزء من قناع يلبس أثناء تأدية طقوس العبادة فيمكن مقارنته بمجموعة تماثيل قبرصية قديمة تمثل بشراً مقنعين .

تقول أحدث الدراسات أن كيفتيو Keftiu أو كافطور Caphtor أصل الفلسطينين Philistines الذين هاجروا إلى فلسطين فى أوائل القرن الثانى عشر ق.م لايمكن أن تكون كريت أو كيليكيا، ولكنها قد تكون على الأرجح قبرص وبالتحديد الجزء الجنوبى الشرقى . فلقد نجح سترانج Strange فى أن يجعل من نظرية كيفتيو – قبرص شيئاً معقولاً دون أن يحذف نهائياً احتمال أن تكون كريت . ومن المحتمل أن تكون لقبرص عدة أسماء فى ذلك الزمان . ومن الجدير بالذكر أن النقوش القبرصية من العصر البرنزى شحيحة، ولاسيما فيما يتصل بكيفتيو وآلاسيا أو

فيما يتصل بإسم قبرص على نحو عام . ويبد أن سترانج يورد نصاً يعود للقرن الثامن عشر ق.م . وفحواه أن كافتور كانت بلداً أو دولة فى البحر المتوسط ولها علاقة تجارية وثيقة مع مابين النهرين وأوجاريت . ولقد استوردت كافتور القصدير والصفيح من الشرق وصدرتهما للعالم الموكينى . وللدلك على أولئك الذين كانوا يعتقدون أن القصدير قد استورد من جهة الغرب - إسبانيا أو بريطانيا - إلى قبرص أن يراجعوا أنفسهم . وهذا مايساعد كثيراً فى اعتبار أن كافتور هى قبرص الواقعة على الحدود الشرقية للعالم الموكينى . وطبقاً لما جاء فى نصوص مصرية قديمة فإن كيفتيو تقع إلى الغرب من ساحل مصر الشمالى، وإلى الغرب من الساحل السورى الجنوبى وهكذا يمكن استبعاد كل من كيليكيا وكريت ليبقى الاحتمال الأقوى وهو أن كيفتو هى قبرص[1] .

وكانت لغة كيفتيو هى خط الكتابة LinearA التى لم يثبت أنها استخدمت خارج كريت، ولا خارج العالم القبرصى المينوى . وكانت معروفة فى أوجاريت . وفى مشاهد من القرن الخامس عشر ق.م على قبر رخمير Rekhmire بالأقصر يستنبط أن صانعيها اعتبروا قادة كيفتيو من بحر إيجة وسوريا وفلسطين ، وهذا مايعضدد نظرية أن كيفتو هى قبرص لأن صور القبارصة فى القرن السادس عشر تظهر فى طراز سورى فلسطينى، فمن المحتمل تماماً أن قبرص فى العصر البرنزى كانت تحمل أكثر من اسم . ولقد ورد اسم Kyprios فى نصوص كريتية وموكينية على أنه اسم لشخص يعمل فى تجارة الزيتون والصوف .

John Strange, Caphtor, Keftin, Leideu Brill 1980.

F.J. Vercoutter, L'Egypte et le monde egéen prehelleni-que, Le Caire 1956, pp. 114 ff, 369 ff.

٣ - رسوم مقومات الهيللينية القبرصية

يمتد العصر البرنزى الوسيط من ١٨٠٠-١٦٠٠ق.م (أو من ١٩٠٠-١٦٥٠ق.م)، وتمثله بعض المواقع التى نشير إلى أهمها هنا . حيث عثر فى آغيا إيرينى Agia Eirene على آنية بيضاء عليها رسوم، كما عثر على بعض التماثيل الطقوسية وأعمال نحت أخرى . وفى تومبا توسكور Tomba Tou Skourou بالقرب من مورفّو (٢٠٠٠-١٦٥٠ ق.م) عثر على أشياء أخرى، وكان من بينها بيض النعامة . وفى آغيا باراسكيفى Agia Paraskevi جنوب شرق نيقوسيا توجد مقابر عثر فيها على آنية فخارية بيضاء عليها رسوم، وأخرى حمراء مصقولة . وفى تاماسوس Tamassos وفلاموزى فومارين Phlamoudhi - Voumarin اكتشف معبد فوق تل هناك . وكانت لابيثوس عاصمة منطقة الجنوب الغربى وميناء لتجارة النحاس والفخار . وفى كالوبسيدا Kalopsidha عاصمة شرق قبرص عثر هناك على منزل مكون من عشرة غرف، ثمانية منها مربعة تمتد بمحاذاة الفناء . وعثر هناك أيضاً على فخار أبيض عليه رسوم، ووجدت بعض الخطوط الكتابية غير المعروفة .

وفى أغيوس سوزومينوس Agios Souzomenos و نيتوفيكلا Nitovikla بمنطقة كارباس تم الكشف عن قلعة تنتمى للعصر البرنزى الوسيط، وهى رباعية التكوين المعمارى من الطراز السورى- الفلسطينى - الأناضولى، والذى اختفى مع نهاية العصر البرنزى الوسيط . ثم عاود ظهوره فى العصر البرنزى المتأخر باعتباره يصلح للدفاع فى مواجهة هجمات وغزوات من البحر .

وفى باليوسكو تيللا Palaeo Skoutella بمنطقة كارباس أيضاً عثر على أكوام من الركام والتراب فوق القبور، وهذه عادة شائعة فى سوريا وفلسطين . وفى كارمى باليولونا Karmi Palaeolona عثر فى أحد القبور على نحت بارز يمثل شكلاً إنسانياً ذا إيحاءات مصرية . وفى الجنوب لم يعثر على أية تحصينات، مما يوحى بأن السلام كان يسود هناك فى مقابل القلاقل التى أزعجت الجزء الشمالى .

إن الإكتشافات الأثرية فى درومولاكسيا Dromolaxia (١٣٧٥-١١٩٠) أو (١٣٢٥- ١٢٢٥) ق٠م . تؤكد الوجود الموكينى فى قبرص وكذا علاقتها الوثيقة بسوريا وفلسطين ومصر . إذ عثر على آنية فخارية من تل اليهودية حيث تم استيراده من دلتا النيل . وهناك عثر أيضاً على فخار أحمر محروق من سوريا وفلسطين بالإضافة إلى إبريق مينوى كريتى .

ومن أهم مستوطنات العصر البرنزى المتأخر فى قبرص مآء Maa بالقرب من أحد الخلجان فى منطقة بافوس . إنها من أقدم المراكز الإستراتيجية البكر التى أسسها الآخيون القادمون من بحر إيجة فى أواخر القرن الثالث عشر ق٠م وذلك بعد تدهور الممالك الموكينية فى البلوبونيسوس . وتنتمى آثار مآء إلى ١٢٠٠ق.م أو الربع الأخير من القرن الثالث عشر عندما

دمرت إنكومى • وعثر هناك على مبنى ضخم ينقسم إلى قطاعين متصلين ويحوى ٤٣ حجرة صغيرة . ولم يعد علماء الآثار يعتقدون أنه مرفق عام أو معبد فالأرجح أنه مقر الحاكم أو الشخصية الرئيسية بين أهل مآء • القطاع الجنوبى من المبنى هو الوحدة السكنية، أما القطاع الشمالى فهو ملحق يضم الوحدات التى تخدم القطاع السكنى .

بعد زلزال عام ١٠٧٥ ق•م هجر أهل إنكومى مدينتهم وقاموا بتأسيس سلاميس • ويقال إن الذى أسس معبد زيوس فى سلاميس هو تيوكروس بن تيلامون ملك جزيرة سلاميس باليونان وأسسه بعد حرب طروادة . وأصبح هذا المعبد هو المركز الدينى الرئيسى فى المنطقة وظل كذلك حتى العصر الرومانى . ومع أن أسطورة تأسيس سلاميس القبرصية ربما تكون تلفيقا أثينياً أثناء الفترة الكلاسيكية، فإنها على أية حال تحمل بذرة الحقيقة التاريخية المتمثلة فى أن غزاة من بلاد الاغريق القارية والأناضول وصلوا إلى قبرص حوالى ١٢٠٠ ق•م وعرفوا باسم "أناس البحر"، ولاسيما أن الاسطورة تذكر أن بيلوس Belos ملك صيدا ساعد تيوكروس فى غزوته التى استهدفت إحتلال سلاميس . وفى منتصف القرن الحادى عشر بزغت المدينة الجديدة – التى كانت مدافنها خارج الأسوار – وكانت ميناءً رائعاً ازدهرت فيه التجارة وتوسعت كما تدل على ذلك الاكتشافات الاثرية المتتالية[1] .

لاتوجد أسطورة اغريقية لتأسيس كيتيون Kition . وبعد دمار زلزال ١٠٧٥ ق•م ظلت معابدها نشطة وحيوية حتى عام ١٠٢٥ ق•م وظلت مدافنها تستخدم حتى عام ٩٥٠ق•م وكانت خارج أسوار المدينة من ناحية الغرب • وفى معبد كيتيون عثر على تماثيل صغيرة لآلهة ذات ذراعين مرفوعتين إلى أعلى . وعثر هناك على أطباق وأقنعة تستخدم فى الطقوس وكانت توضع فى آنية bothroi إلى جوار المعبد •

يمتد العصر الحديدى فى قبرص من ١٠٥٠ – ٧٠٠ق•م وفى غضونه وقعت هجرات دورية من البلوبونيسوس وبحرإيجة إلى قبرص . وفى ذلك العصر كانت المراكز الحضارية المهمة هما سلاميس وبلاتانى Platani ولابيثوس وكارافاس Karavas وأرناذى Arnadhi وكوريون وباليوبافوس سكاليس وكالوريزيكى . ومن حيث الفن يطلق على هذا العصر لقب الجيومترى (الهندسى) ولقد خلف أروع النماذج فى حضارة قبرص الإغريقية ببدايات القرن الثامن ق.م ويمثل عصراً جديداً فى زخرفة الآنية القبرصية بإستخدام صور البشر والحيوانات والطيور والسمك . فعلى سبيل المثال وصل لنا إناء يسمى هابارد Hubbard amphoreus عثر عليه فى بلاتانى ويؤرخ . وفى كيفالو فريسو Kephalo vrysso عثر على تمثال صغير يمثل ثوراً فى هيئة رجل وعلى ظهره عدل الخرج أو السرج . وهناك رسم آخر يذكرنا بأسلوب بيكاسو السريالى فهو

---

[1] قارن أعلاه

تصميم حر وهندسي لثور أحمر يشم زهرة اللوتس مرسوم على إناء من أرناذى . وكل الإكتشافات الأثرية الفنية من هذه الفترة تتضح بطزاجة في الأساليب ومستوى جمالي رفيع معبرة عن حضارة متجددة قائمة على استخدام الحديد الذى أحدث ثورة تقنية[١]. وحدثت هذه الطفرة الصناعية حوالى عام ١٠٥٠ق.م وإن سبقتها بعض الإرهاصات . ومع أن البدايات كانت محلية وتجلت في صناعة سيوف حديدية[٢]، إلا أن القادمين من بحرإيجة هم الذين قفزوا بهذه البدايات القبرصية المحلية إلى ثورة حقيقية في الفن.

من أغنى وأروع المكتشفات الأثرية من العصر الجيومترى الأول ما عثر عليه في باليو بافوس سكاليس في مقابرها الموكينية ذات الدفن المتعدد في حجرة رباعية، وكان الدفن تحت الأرض هو الأشيع مع ظهور بعض حالات الحرق . وعثر على مشابك برنزية وحديدية وبعض المشغولات الذهبية مثل خواتم الإصبع والأذن وما إلى ذلك من حلى نسائية . وعثر أيضاً على رسم يمثل أفعى ليرنا على طبق ضحل جيومترى أبيض مرسوم . وعثر أيضاً على Kalathos عليه رسم يمثل "عازف القيثارة" ربما يكون أورفيوس .

ويلاحظ أن الإتجاه السائد في العصر الجيومترى القبرصي الثانى (٩٥٠- ٨٥٠ق.م) هو التزاوج أو التمازج بين ماهو هيلليني وافد وماهو قبرصي أصلي أو محلي، وهو اتجاه عميق الجذور في التاريخ . لقد وصلت الصادرات القبرصية إلى اليونان وطالت جزيرة يوبويا - ليفكاندى وكذا أثينا - كيراميكوس وردس - ياليسوس (Ialyssos) والجزر الإثنى عشر المحاذية لساحل آسيا الصغرى بصفة عامة . وطالت كذلك كريت التى عثر فيها على مقاعد ثلاثية قبرصية، وكذا إناء برنزى يعود للقرن العاشر ق.م . تقريباً وعليه نقش فينيقي حفر في كنوسوس . وعثر على إناء مماثل له في - أثينا كيرا ميكوس ويرتبط بعبادة أفروديتى - عشتروت ويعود للقرن التاسع ق.م .

وكل ذلك يعني أن قبرص بدأت مرحلة جديدة في تاريخها ، فلم تعد مستهلكة ومقلدة لما تستورده، بل صارت لها اسهاماتها وإبداعاتها التى تصدرها للخارج ، وفي إطار شرق البحر المتوسط وبحرإيجة والعالم الهيلليني على نحو خاص . إذ جنباً إلى جنب مع هذا الإلتصاق بعالم البحر الإيجي الهيلليني كانت هناك صلات لقبرص مع الشرق الأدنى . وتنعكس هذه الصلات في مواقع إيجية مثل يوبويا - ليفكاندى . وكانت هناك تأثيرات قبرصية على الصناعات الفخارية في العصر البروتوجيوميترى في كل من أثينا ويوبويا، ولكن هذه المؤثرات القبرصية نفسها تحمل نكهة حوض

---

(١) [Greek] IEE Vol. B pp. 358-365.

(٢) كان السيف القبرصي الطويل المعروف منذ أوائل العصر الحديدى والسائد في القرن الثامن ق.م. هو بالقطع حديث السيف الموكيني. وعثر على هذه السيوف في سكاليس جنباً إلى جنب مع السيوف القصيرة. ومن أطول السيوف التى عثر عليها في قبرص ما يبلغ طوله ٧٩,٧سم، عثر عليه في إيداليون ويؤرخ بالعصر الجيومترى. وعثر على سيف آخر في نيقوسيا بطول ٨٠,٨سم. ومؤخراً تم العثور في سلاميس على سيف طوله ٩٢سم يعود للقرن السادس ق.م. وهذا السيف يعد علامة فارقة في تاريخ صناعة السيوف من حيث الطول والسمك والوزن.



شكل رقم (٢٣): تمثال ضخم لإله أماثوس الذى يمسك بأسد من قدميه وسماه أهل أماثوس "مالك" (Malika) وأخذه اليونانيون على أنه مثيل هرقل.

البحر المتوسط الشرقي . وربما حمل هذه المصنوعات القبرصية تجار من هذه المنطقة أو من يوبويا الذين كانوا يزورون قبرص ويترددون على الشرق الأدنى، وهم الذين فيما بعد أسسوا مستوطنة بوسيديون Poseideion أى المينا (وهى الآن المنيا البيضا وضاحيتها صابوني) Al Mina في سوريا . وكانت هذه المبادلات التجارية تشمل المصنوعات النحاسية والحديدية حيث كانت تصدر لليونان بما في ذلك السيوف الحديدية .

إن السيف الطويل والضخم الذى عثر عليه في نيقوسيا يعكس التطور الهائل الذى وقع فيما بين ٧٧٦ –٧٠٠ ق.م في العالم الهيلليني وبحرايجة . ويرقى إن مجمل هذه التطورات إلى مستوى الثورة التى شملت على المستوى الأدبى والثقافي تبنى الأبجدية الفينيقية وازدياد عدد السكان ونشاط حركة الاستيطان وتأسيس المدن أو المستعمرات الجديدة في آسيا الصغرى وجنوب ايطاليا وصقلية وانتشار نظام الدولة – المدينة Polis في عالم البحر المتوسط . حدثت طفرة في الصناعة، كما انتشرت المعابد والمهرجانات الهيللينية القومية ومنها على سبيل المثال الألعاب الأوليمبية التى بدأت عام ٧٧٦ ق.م، ومن المرجح أن هوميروس عاش في أواخر القرن التاسع أو أوائل الثامن من ق.م[١] .

إزدهر الشعر الملحمى في قبرص إبان العصر الأرخى[٢] كما هو الحال في بلاد الاغريق . فقبرص مثلها مثل عدة جزر ومدن إغريقية زعمت بأنها مسقط رأس هوميروس . ذلك أن القبرصي ستاسينوس Stasinos (أو هيجيسياس Hegessias أو هيجيسينوس Hegessinos) كان شائعاً ومقبولاً على أنه مؤلف الملحمة القبرصية (Kypria) . فيما بعد عصر هوميروس . وهى ملحمة تعد في ذاتها مقدمة لملحمة هوميروس "الإلياذة" وتسودها نغمة غائية بمعنى الإعتقاد بأن لكل شيء في الكون غاية ما . بل إنها ملحمة مفعمة بلغة المجاز الإستعارية والأخلاقية (allegorical) وراجت روايات فحواها أن ستاسينوس هو زوج بنت هوميروس الذى وهبه "القبرصية " هدية زواج . فالعادة الإغريقية القديمة السائدة حتى الآن في اليونان وقبرص الحديثين أن الفتاة هى التى تقدم هدية الزواج لعريسها ويسمونها dotta .

تقع القبرصية (Ta Kypria epe) في أحد عشر كتاباً وتعالج مقدمات الحرب الطروادية أى زواج بيليوس من ثيتيس وحكم باريس الأير الطروادى في مسابقة الجمال بين هيرا وأثينة وأفروديتي، ثم إختطاف هيليني ثم بدايات الحرب الطروادية نفسها وتقف حيث تبدأ أحداث "الإلياذة" . وكانت القبرصية معروفة ومألوفة لدى كل من هيرودوتوس ويوريبيديس وأفلاطون وأرسطو وغيرهم وقد أجرت كسيد خريستو Xuda christou رسالة للدكتوراه في جامعة أثينا عام ١٩٧٩ عن "الملاحم القبرصية Ta Kypria Epe" ونشرت مع تعليق وافى الشذرات المتبقية فيها .

---

(١) أحمد عتمان، الأدب الإغريقى تراثاً إنسانياً وعالمياً. الطبعة الثانية. دار المعارف ١٩٨٧ ص١٧–٨٥.

(٢) العصر الأرخى archaic اسم يطلقه بعض المؤرخين على فترة من التاريخ الإغريقى تقع فيما بين القرن التاسع والسابع ق.م على وجه التقريب.

ولقد دافع هيرودوتوس أبو التاريخ عن نسبة ملحمة "القبرصية" إلى هوميروس نفسه، ومن ثم لا يمكن استبعاد هذه النظرية تماماً في حالة الإتفاق على وجود هوميروس نفسه ونسبة "الإلياذة" و "الأوديسيا" إليه[1] . وربما كانت "القبرصية" من الأشعار التي تنشد في الأعياد الدينية ولاسيما في معابد أفروديتي – عشتروت (وتسمى في الأدب الإغريقي الكلاسيكي: القبرصية Kypris) وذلك في كيتيون وسلاميس وبافوس . أما معبد افروديتي في بافوس فيرجع تاريخه إلى حوالي عام ١٢٠٠ ق.م . وكان معروفاً هوميروس (في القرن التاسع أو الثامن) الذي كان يصف مجتمع ذلك الزمان في ملحمته أي المجتمع الآخي أو الموكيني .

أما سلاميس القبرصية فبوصفها مدينة تحميها الربة أفروديتي فلقد ورد ذكرها في النشيد الهومري العاشر . وفي النشيد السادس يذكر أن أفروديتي ولدت في قبرص وهي أسطورة شاعت في الأدب الإغريقي واللاتيني واستقرت تماماً . ويعتبر بعض النقاد أن " الأناشيد الهومرية " نظمت فيما بعد عصر هوميروس لتكون بمثابة مقدمات استهلالية (Pooimia) لإنشاد الملاحم الهومرية الطويلة . ولقد تم العثور على شذرات النشيد الهومري "إلى أفروديتي" في سولوي[2] Soloi مما يشي بأن هذه الأناشيد قد نظمت وأنشدت في قبرص اثناء المهرجانات والأعياد والمباريات، وذلك قبل ظهور " دائرة الملاحم " Kyklos epikos التي كانت " القبرصية " واحدة منها[3] .

ولقدت راجت نبوة في القرن السابع ق.م . قيل إنها جاءت على لسان الشاعر المغني القبرصي يوكلوس Euklos، وفحواها أن هوميروس ولد في قبرص وبالتحديد في سلاميس . وكانت أمه فلاحة بسيطة تدعى ثيمستو Themisto وسواء صدقت هذه النبوة أم كذبت فإنها تصور الجو الهومري العام والمحيط بالحياة في مدينة سلاميس القبرصية، كما تعكس بوضوح أن إغريق قبرص كانوا يشعرون ويفخرون بأغريقيتهم وبأنهم جزء لاينفصل عن العالم الهيلليني منذ ذلك التاريخ المبكر، وعلى أية حال فلقد نفى العلامة اليونانية كيرياكوس خاتزيؤاليس في بحث مفصل أن يكون هوميروس من سلاميس ولا من قبرص كلها[4].

οι δ αλλοι περι ενα ποτοπι και πεπι ενα χρονον και μιαν πραξιν πολυμεπη, οιον ο τα Κυπρια ποιησαs και την μικραν 'Ιλιαδα . τονγαρουν εκ μεν 'Ιλιαδοs και 'Οδυσσειαs μια τραγωδια ποιειται εκατεραs η δνο μοναι, εκ δε Κυριων πολλαι .

---

(١) [Greek] Xuda Christou, passim. Cf. Herodot. II. 117.

وراجع أحمد عتمان، الأدب الإغريقي، ص ١٧-٢٩.

(٢) SCE III pp. 627 ff.

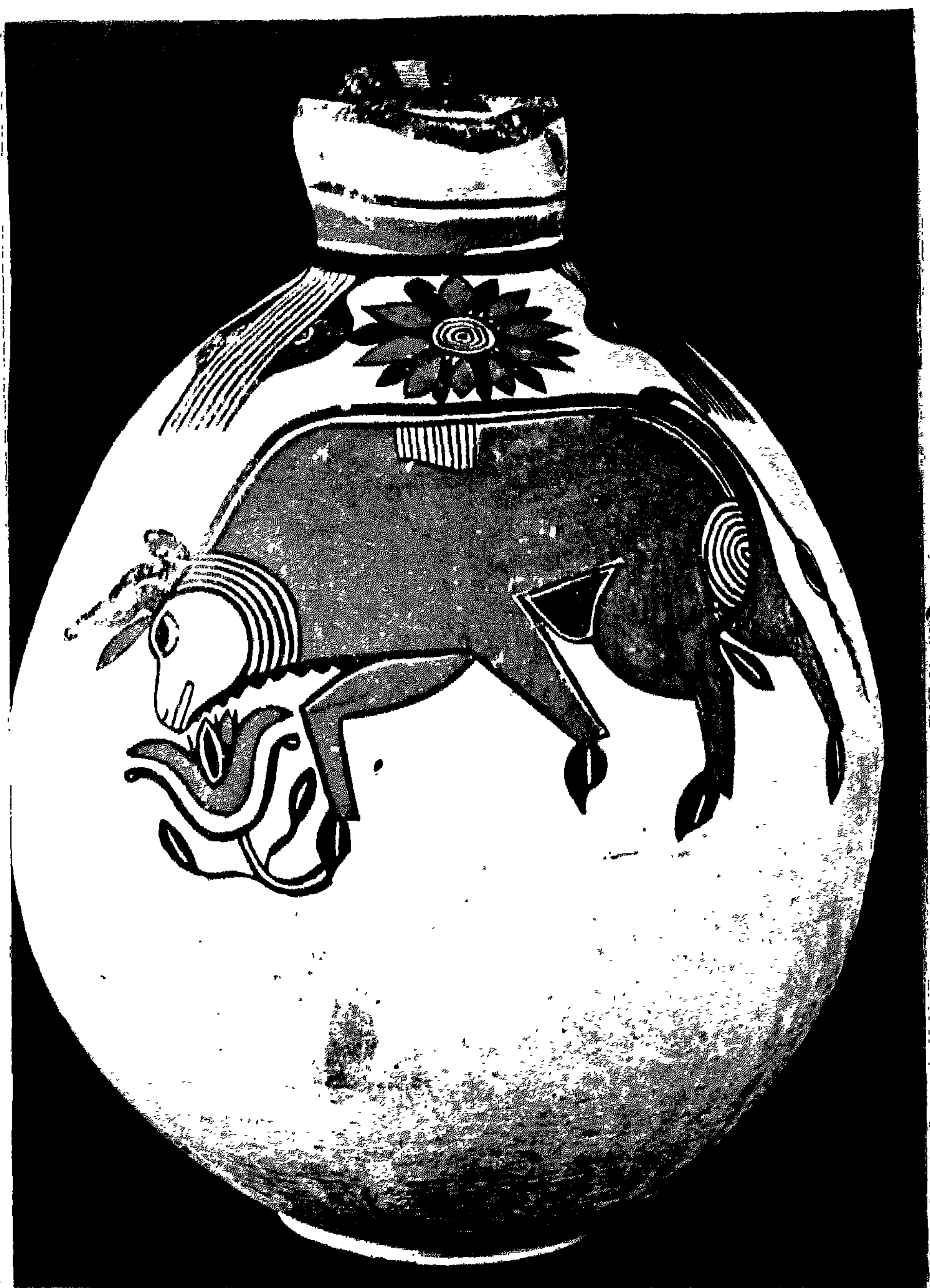
cf. Zeitchr. für papyrolog. V. Epigr. IV 2 (1969) pp. 94-100.

(٣) أحمد عتمان، الأدب الإغريقي ص٨٢-٨٥.

(٤) [Greek] Hatzioannou, vol. Γ' passim



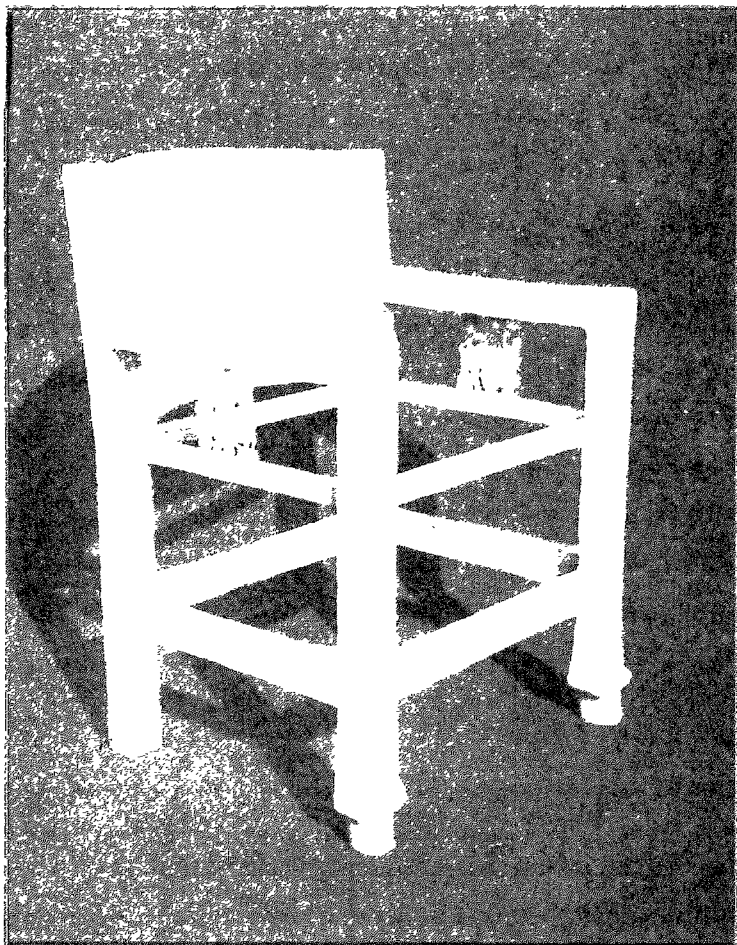
شكل رقم (٢٤): إناء هابارد Hubbard Amphora الشهير بإسم صاحب الإهداء. وهذا الاناء فتح عصرا جديدا فـى زخرفة الآنية القبرصية بإستخدام صور البشر والحيوانات والطيور والسمك. ظهرت الإرهاصات في العصر البرنزى. ولكنها تبلورت فى العصر الأرخى يرجع هذا الإناء الى نهاية العصر الجيوميترى (بداية القرن الثامن ق م) ونرى فى الرسم سيدة تجلس على كرسى مريح وترتشف سائلا ما بواسطة شفاطة من القش وأمامها ابريق. وعلى يمين الصورة نجد أبو الهول المجنح يمسك زهرة ويشمها. . الإناء محفوظ بمتحف قبرص



شكل رقم (٢٥) اناء يؤرخ بالقرن السابع ق م وينتمي لنفس طراز الاناء السابق وفيه نرى ثورا يشم زهرة اللوتس



شكل رقم (٢٦): زيوس ذو الصاعقة تمثال من حجر البازلت عثر عليه في كينيون. حيث يقذف الإله الصاعقة بيمناه، ويمسك صقرا بيسراه. ويؤرخ للتمثال بالقرن الخامس ق.م



شكل رقم (٢٧): كرسى مريح أو عرش مرصع بالعاج من سلاميس ويؤرخ القرن من الثامن ق.م.

"على النقيض من ذلك البعض يكتبون عن بطل واحد أو زمن واحد أو حدث واحد متعدد الأجزاء مثل أولئك الذين اتكأوا على "القبرصية" أو "الإلياذة" الصغيرة" في أعمالهم . ذلك أنه من "الإلياذة" أو "الأديسيا" لا يمكن أن نستخرج أكثر من مأساة واحدة أو إثنتين على الأكثر بينما كتبت تراجيديات كثيرة من "القبرصية" . . . . .

وهذه ملاحظة هامة جاءت في كتاب " فن الشعر " لأرسطو (C23.1459b) وهي أن ملحمة "القبرصية" كانت مصدراً مهما من مصادر التراجيديا الإغريقية أي مسرحيات أيسخولوس وسوفوكليس ويوريبيدس وغيرهم . فبالنسبة لهؤلاء الشعراء بالإضافة إلى تورتايوس وبندارس وهيرودوتوس وثوكيديديس وغيرهم كانت قبرص بلداً إغريقياً في كل شئ من السياسة الى اللغة والأدب الثقافة[1] .

كشفت الحفريات الحديثة فيمدينة الموتى بسكاليس – إلى الجنوب الشرقي من باليوبافوس – النقاب عن عدد من المقابر تعود إلى أواسط القرن الحادي عشر ق.م . وهي مقابر خاصة بالأرستقراطية الآخية المهاجرة إلى قبرص بعد الغزو الدوري لليونان حوالي ١١٠٠ق.م . وعثر في هذه المقابر على آنية فخارية ذات أشكال غير عادية وتحمل رسوماً ، وكذا آنية برنزية بعضها ينتمي إلى طراز يظهر في قبرص لأول مرة . وتم العثور أيضاً على سيوف حديدية تنتمي إلى طراز ظهر في اليونان إبان إرهاصات العصر الجيوميتري الأول . بعض هذه السيوف برنزية ذات أشكال شائعة في بحرايجة . وبعض ماعثر عليه صنع من الفضة . وعثر أيضاً على مشابك حديدية . وعثر الأثريون القبارصة هناك على نقش محفور فوق سهم برنزي obelos يحمل علامات الكتابة المقطعية القبرصية الباليوبافية . والكلمة هي المضاف إليه الأركادي للكلمة اليونانية δφελτγσ وعثر على لوحة مماثلة في كنوسوس مكتوبة بخط الكتابة Linear B . المهم أن هذا يعني أن اللهجة

[1] احمد عتمان، الأدب الإغريقي، ص٢٢٤– ٢٢٨، ٢٦٤–٢٦٩، ٣٠٢–٣٠٥.

حيث يورد المؤلف قائمة بمصادر كل مؤلف تراجيدي اغريقي ويُفهم منها أن أيسخولوس استلهم "القبرصية" في أربع مسرحيات هي "إفيجينيا"، "الميسيون"، "بالاميديس" و "تيليفوس". واستلهم سوفوكليس القبرصية في خمسة عشر مسرحية هي "ألكساندروس"، "حشد الآخيين" أو "المجتمعون على الوليمة" (ساتيرية)، "عشاق أخيلليوس" (ساتيرية)، "المطالبة بعودة هيليني"، "زواج هيليني" (ساتيرية)، "إفيجينيا"، "التحكيم" (ساتيرية)، "الميسيون"، "ناوبليوس مبحراً"، "أوديسيوس مجنوناً"، "بالاميديس"، "الرعاة"، "أهل سكيروس"، "تيليفوس" (ساتيرية)، ... "ترويلوس" أو الطروادي الصغير". واستلهم يوريبيديس "القبرصية" في ست مسرحيات هي "الكساندروس"، "إفيجينيا في أوليس"، "بالاميديس"، بروتيسلاؤس"، "أهل سكيروس"، "تيليفوس".

أما عن موضوع اللغة القبرصية وأصولها وعلاقتها باللغة اليونانية القديمة المستخدمة في بلاد اليونان القارية راجع:

[Greek] Hatzioannou, Vol..Γ' Part B, passim

وراجع [Greek] Iankoullis (Nicosia 1990) passim

وهناك مشروع لجمع اللغة القبرصية في معجم شامل بعنوان:

Thesaurus Linguae Cypriae Graecae. Cyprus - to - Day xxxii, no.182 (January - June 1994) pp. 16-17.

الاركادية القبرصية تطورت عن الموكينية ، وهذا هو أول نقش يدل على وجود اللغة اليونانية في قبرص . فإذا وضعنا هذه المعطيات الأثرية جنباً إلى جنب مع أسطورة تأسيس بافوس على يد قائد الأركاديين في حرب طروادة أجابينور Agapenor وكذا رواية باوسانياس أنه كان هناك في تيجيا- موطن أجا بينور في البلوبونيسوس- معبد لأفروديتي البافية Aphrodite Paphia لأمكننا أن نتفهم ما ذكره هوميروس في الأوديسيا (٩ أبيات ٣٦٢-٣٦٣) وربطه بالمعبد الذى تم إكتشافه في باليوبافوس وكان قد أقيم لأفروديتي حوالى ١٢٠٠ ق.م . وهناك رواية فحواها أن إبنة أجابينور وتدعى لاؤديكي قد أرسلت من بافوس عباءة peplos إلى معبد الربة أثينة في آليا Alea بتيجيا وطنها الأصلي .

إن أول معبد ضخم بني لأفروديتي في باليوبافوس – بالتحديد في كوكليا Kouklia – يعود إذن إلى حوالى ١٢٠٠ ق.م . ومع أن هذا المبنى الأثرى المهم والنادر قد أصابه التشويه والتدمير عندما أقام الحاكم اللوسينياني (Lusignan) على أنقاضه معملاً لتكرير سكر لقصب إبان القرن الخامس عشر الميلادى، إلا أننا يمكن أن نتتبع تاريخ هذا المعبد وتطوره منذ نشأته وحتى العصر الروماني، بل ويمكن ترميمه وإعادة بنائه . التكوين المعمارى لهذا المعبد هو الطراز الثلاثي الشائع في قبرص منذ العصر الحجرى الجديد، ويمكن مقارنته بالمعبد رقم ١ في كيتيون . وهو مبني من كتل الحجر الصابوني المربعة وبه أعمدة رباعية وذات رؤوس حجرية كتلك الموجودة في كيتيون . وعثر بهذا المعبد على قرون الحيوانات التى فيما يبدو كانت تقدم كقرابين للآلهة ، وهنا نتذكر قول أوفيديوس في " التناسخات " وفي سياق أسطورة بيجماليون واصفاً طقوس القرابين في معبد أفروديتي البافية .

ذهب بيجماليون يشارك أهل المدينة
هذه المناسبة السعيدة
وهناك رأى أموراً عجيبة
ذوات القرون الملتوية المرصعة بالذهب
تلك البقيرات الصغيرات
ضُربن في النحور ناصعة البياض كالثلوج
وسقطن للربة (أفروديتي = فينوس) أضحيات
وتصاعد دخان البخور ، وأدى بيجماليون الصلوات
عند مذبح فينوس (في بافوس)[1]

---

(١) أحمد عتمان، الأدب اللاتيني ودوره الحضارى حتى العصر الذهبي. الطبعة الثانية، دار المعارف القاهرة ١٩٩٥، ص٣٢١- ٣٢٦.

نفس المؤلف، المصادر الكلاسيكية لمسرح توفيق الحكيم، دراسة مقارنة. الطبعة الثانية. الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان ١٩٩٣. ص١-٣٢.

وفى معبد عشتروت المكتشف فى تاماسوس خصص أحد المذبحين للإلهة الأم كوبيلى Kybele . وفى كيتيون تعبد الناس لكل من إشمون Esmoun وملقرت Melqart وريشيف Reshef وميكال بعل Mikal - Baal جنباً إلى جنب مع أفروديتى (عشتروت) وأثينة (أنات Anat) وهرقل (ملقرت) . كما كان آلهة الأوليمبوس يعبدون فى قبرص وارتبط كل منهم بمدينة من المدن فيها . فارتبط زيوس بسلاميس وماريون وخيتروى وجولجوى وكيتيون . وفى الأخيرة على نحو خاص عبد زيوس ذو الصاعقة Zeus Keraunios . أما هيرا فقد ارتبطت باليوبافوس وأماثوس وإيداليون . وارتبطت أرتميس ببافوس وكيتيون حيث عبدت كإلهة تحمى الساحل Artemis Paralia وهكذا نجد أبوللون يعبد فى كوريون بوصفه Hylates أى " حامى الغابات " وفى بيلا بوصفه Mageirios و Lakeutas أى المتنبئ . وعبدت الربة أثينة فى كاكوبيتريا وميرسيناكى وإيداليون وفونى أيبيا Vouni-Aepeia وفى سولوى . أما أفروديتى فعلاوة على ما ذكرناه سالفاً عبدت فى أناسّا Anassa وفى أماثوس بلقب القبرصية Kypria وفى كيتيون بلقب "ذات الصاعقة" Keraunia .

وهناك قوة إلهية للخصوبة فى شكل مذكر جسدت فى أشكال من الطين النضيج (terracotta) على هيئة عضو الذكر (Phallos) ومعه صورت أشكال أنثوية . عبد هذا الإله فى منطقة ليماسول – كوميسارياتو Limassol - Komissariato حوالى عام ٥٠٠ ق.م . وقد تعود أصوله إلى العصر البرنزى المتأخر . وهناك معبد لهرقل – ملقرت . كما يفهم من قطعة أثرية favissa تنتمى للعصر الأرخى الثانى تحوى تماثيل صغيرة من كازافانى حدها لعشتروت . ومن القرن السادس والخامس ق.م عثر على الكثير من التماثيل الحجرية تمثل أنثى تمسك بحمامة أو ثمرة ما . هذه التماثيل تشى بتأثيرات تماثيل الكورى Kore فى النحت الإغريقى، وعثر عليها خارج سلاميس ولابد أنها ذات علاقة بأفروديتى . وفى تمثالين فخاريين بمعبد إيداليون نرى تمثيلاً لعشتروت "المومس المقدسة" وهو موضوع موجود فى الديانة الأشورية وأشار إليه هيرودوتوس (١١٩٩) ومن ثم فإن العمودين على هيئة زهرة اللوتس قد يشيران إلى التأثير المصرى .

٤- الأشوريون والفينيقيون في قبرص

إن الدور الإيجابي الذى لعبه الفينيقيون فى قبرص يتجلى فى المبانى الدينية أى المعابد الضخمة ولا سيما فى كيتيون . وربما يتجلى ذلك فى العناصر الشرقية الملموسة فى معابد كيتيون وآلاسيا – إنكومى، التى كانت شائعة حتى قبل الفترة الفينيقية فى تاريخ قبرص . فمعبد كيتيون رقم ١ – وهو ثلاثى البنية المعمارية – كان قد فات أوانه كطراز وهجر ، ولكن مقاييسه وفناءه فقد تم الإحتفاظ بها فى معبد عشتروت الذى أقيم فوق أنقاض هذا المعبد نفسه . وكان معبد عشتروت يشمل رواقين للمدخل (portico) استند سقفاها على ثمانية وعشرين عموداً خشبياً قسمت على أربعة صفوف، حيث أن كل رواق كان به أربعة عشر عموداً . وكل هذه الأعمدة تستند على قواعد حجرية مجوفة، ولم يحدث أى تغيير جوهرى فى قدس الأقداس عما كان فى المعبد الأقدم . فالعمودان الحجريان المربعان على كل جانب من المدخل الرئيسى ظلا كما هما . ولقد قورن هذا المعبد وأعمدته بمعبد سليمان فى جيرو سالم والذى بناه مهندسون من صور . كما هو الحال بالنسبة لمعبد عشتروت موضوع حديثنا هنا . ومما يلاحظ فى هذا المعبد الإبقاء على الطراز الكريتى لإلهة ترفع ذراعيها وهو طراز موجود فى كيتيون منذ القرن الحادى عشر ق.م . فهكذا ظهرت عشتروت – أفروديتى حتى فى ظل الوجود الفينيقى .

يضاف إلى ذلك أنه فى بافوس كانت عشتروت وأفروديتى تعتبران وجهين لعملة واحدة منذ أن أقيم معبد صغير هناك حوالى عام ١٢٠٠ ق.م . ففى بافوس وكيتيون كما فى سوريا عبدت عشتروت بطقوس تماثل طقوس أفروديتى . بما فى ذلك وجود الخبازين والحلاقين والمومسات فى المعبد . وهذا ما يقرب المستوطنين الفينيقيين من القبارصة الأصليين والموكينيين القبارصة ويضع هذه الثقافة المختلفة فى سياقها التاريخى والجغرافى أى البحر المتوسط والشرق الأوسط وبحر إيجه لإغريقى. وربطت صناعة النحاس[١] بين كيتيون الفينيقية وتاماسوس – المركز الرئيسى لهذه الصناعة – وترتب على ذلك حدوث امتزاج حضارى ودينى . وجاء فى المصادر القديمة أن فينيقياً كان يقطن تاماسوس قام برحلة إلى كيتيون لتقديم القرابين إلى عشتروت فى يوم ما من سنة ما قبل القرن الثامن ق.م.

إن القبر الملكى فى سلاميس رقم ١ (القرن الثامن ق.م) بنيت فيه قاعة لها واجهة من كتل الحجر الصابونى المربعة. وكورنيش له الطابع المصرى . ولقد عثر على آنية فخارية محلية وإغريقية وأطباق وكئوس الشراب (skyphoi)، وهى جميعاً ربما تكون جزء من هدية زواج إحدى الأميرات الإغريقيات. أما الأميرة نفسها فيدل هيكلها العظمى على أنها أحرقت بعد الموت. وعلى الطريقة الإغريقية وضع رمادها فى إناء برنزى مع عقدها الذهبى . وفى سلاميس أيضاً يحمل القبر رقم ٣ و ٧٩ – كما فى مقابر تاماساسوس– ملامح التأثير الأناضولى المعمارى جنباً إلى جنب مع

---

[١] عن تعدين النحاس وصناعته راجع حاشية رقم ٦.

الملامح الهومرية المميزة فى طقوس الدفن مثل تقديم حصان قرباناً وهدايا أخرى. ومن بين المقاعد الثلاثة الوثيرة (أو العروش throne) والسرير فى القبر رقم ٧٩ يلفت النظر (المقعد المطلى بالفضة والمذكور فى "الأوديسيا" (٧ بيت ١٦٢) وهناك مقعد آخر له مسند مرصع بالعاج ونحت عليه أبو الهول ومع زهرة اللوتس على الجانبين وهو يشبه مقعد بنيلوبى فى الأوديسيا والذى يحمل بعض الملامح الشرقية . أما السرير فبه بعض الأجزاء العاجية تزينها رسوم مصرية وبعض الكلمات بالخط الهيروغليفى . وكل ذلك يشى بشيوع الطراز المصرى – الفينيقى . وربما تكون هذه المنتجات من صنع أولئك الفنانين الفينيقيين الذين يعيشون فى مدن السواحل السورية ويبيعون مصنوعاتهم فى بلاد الإغريق وقبرص والشرق الأدنى . ومن بين القرابين المقدمة فى مقبرة رقم ٧٩ نجد أدوات زينة تعلق على جانبى رؤوس الخيول ومن بينها أبو الهول المجنح والأسد . وفى نفس المقبرة عثر على اناء برنزى ضخم (قزان) مزين بصورة حيوان خرافى "نصفه نسر ونصفه أسد" وصور السيرينات[1] .

وفى المقبرة رقم ٣ بسلاميس عثر على إناء يحمل نقشاً من بعض المقاطع وتذكر فيها عبادة "إناء زيت الزيتون" . كما ذكر فى سياق كومة الحرق التى أعدت لباتروكلوس فى " الإلياذة " (٢٣ أبيات ١٧١ ومايليه) . وفى مقبرة رقم ٢ عثر على بقايا تنم عن تقديم البشر قرابين للآلهة وهو ما يذكرنا بكومة حرق باتروكلوس مرة أخرى . وعلى إناء amphora ويؤرخ بحوالى ٧٠٠ ق ٠ م تم اكتشافه فى أحد المقابر بسلاميس نقش بالأبجدية الإغريقية وهو من أقدم الشواهد على هذه الأبجدية فى قبرص جنبنا إلى جنب مع نقش آخر من ماريون .

عندما وطأ الفنيقيين أرض قبرص فى القرن التاسع أو أوائل الثامن ق.م كانت الجزيرة قد تأغرقت بالكامل وفى كافة النواحى . وإن كان العنصر المحلى القبرصى هو الأظهر والأقوى حتى فى اطار الطابع الهليللينى العام . وكانت كيتيون هى أول وأقوى مركز حضارى وتجارى فينيقى فى الجزيرة . وبهذا الإسم القبرصى الأصيل ظلت هذه المدينة معروفة، بل صار يطلق على قبرص كلها، كما كان اسم كيطيم Kittim يطلق على قبرص فى العهد القديم . وهو فى نفس الوقت يطلق على جزر قريبة منها، وعلى مدينة فى مقدونيا . وكانت كيطيم ايضا تعنى مدن الإغريق . أما فى حالة كيتيون فكانت "مدينة الإغريق" . وفى العصر الجيوميترى الثالث (٨٥٠ ق.م) بدأ الاستيطان الفينيقى لكيتيون . وهذا مايستدل عليه بمعابد بنيت لعشتروت وملقرت أى أفروديتى وهرقل على التوالى . بنيت هذه المعابد حوالى ٨٥٠ ق.م على أنقاض معابد العصر البرنزى المتأخر فى مركز المدينة، الذى كان قد تم هجره حوالى ١٠٠٠ ق٠ م وربما استخدم الفينيقيون كيتيون مركزا تجاريا وصناعيا قبل عام ٨٥٠ق ٠م، ولكنها بعد ذلك العام صارت تابعة لملك صور . وساهمت هذه المدينة الفينيقية فى توطيد العلاقات التجارية بين فينيقيا والعالم الهيلليني . وكان اسم

---

[1] السيرينات Seirenes مخلوقات أسطورية لها رؤوس نسوة وأجسام طيور، كن يجتذبن البحارة بغنائهن الساحر وصوتهن الآسر، ثم يقتلنهم.

كيتيون الرسمي في اللغة الفينيقية "المدينة الجديدة" Qathadast كما تدل ذلك على المصادر الأثرية والأدبية . وكانت اللغة الفينيقية هي اللغة الرسمية للمدينة بعد عام ٨٥٠ق.م .

ويمتد العصر الأرخي في قبرص من ٧٥٠ (أو ٧٢٥) إلى ٤٧٥ ق٠م ٠ وكانت الفترة الأولى منه تبدأ من ٧٥٠ (أو ٧٢٥) وتنتهي ٦٠٠ق.م . وتظهر الاكتشافات الأثرية من هذه الفترة مايدل على أنها كانت عصر تقدم وازدهار ورخاء، برغم استمرار السيطرة الفينيقية على كيتيون بل وتغلغل النفوذ الفينيقي في كل أنحاء الجزيرة على الصعيد الإقتصادي والثقافي . وكان يواكب ذلك تزايد اعتماد الفينيقيين في كيتيون على مدينتهم الأم المؤسسة صور . وهذا مايتجلى في نقش على إناءين برونزيين عثر عليهما في موطى سينؤاس Mouti Sinoas في منطقة مناجم النحاس شمال شرق أماثوس حيث جاء في أحدهما رد "حاكم قار ثاداست خادم حيرام الثاني Hiram II من صور ملك أهل صيدا إلى بعل لبنان سيده" .

وحيرام الثاني ملك أهل صيدا أي الفينيقيين معروف أنه كان يدفع الجزية عام ٧١٨ ق.م للملك الأشوريين تيجلاتبيلسر الثالث Tiglatpileser III (٧٤٥ - ٧٢٧ ق٠م) . وهذا مايشير إلى اعتماد فينيقي كيتيون بطريق مباشر أو غير مباشر على الأشوريين الذين كان ضغطهم المتزايد وراء هجرة عدد كبير من الفينيقيين إلى جنوب قبرص في أواسط القرن التاسع ق.م . مما وجه ضربة قاصمة إلى أساطيل المدن الفينيقية في أوائل القرن الثامن وحتى أواسط القرن السابع ق.م .

ومع أن الإهداء الذي وجدناه على الإناء حامل النقش سالف الذكر هو للإله بعل، فإنه ربما يكون الإسم الفينيقي لزيوس لابرانيوس Zeus Labranios القبرصي والذي أقيمت له عبادة في فاصوللا Phassaulla القريبة من موطى سينؤاس والذي قد يكون على صلة وثيقة بزيوس لابراوندوس Zeus Labraundos ومعبده الشهير في كاريا . ولعل إعتماد فينيقي كيتيون على صور هو الذي أدى إلى ظهور السيطرة البحرية القبرصية على ما عداها من القوى المحيطة بها في البحر المتوسط، وهذا ما يشير إليه يوسيبيوس[1] . ولقد بلغت هذه السيادة القبرصية ذروتها عام ٧٤٢ أو ٧٣٢ - ٧٠٩ ق.م . أي بعد خضوع فينيقيا لتيجلا تبليسر الثالث بعد إنتصاره في الحروب ضد الدويلات الآرامية المتحدة . ولقد أعطى ذلك فرصة للقبارصة المعارضين للفينيقيين لكي يعبروا عن آرائهم بصراحة . استغل الفينيقييون أخشاب قبرص الوفيرة لبناء سفنهم مما مكنهم من السيطرة على تجارة البحر المتوسط، ووصلوا حتى أسبانيا التي إليها ذهب في صحبتهم القبارصة. ويستدل على ذلك من وجود منتجات قبرصية هناك .

وكل ذلك لا يقلل من شأن احتدام المنافسة بين القبارصة والفينيقيين، ولا سيما بعد أن استعاد الطرف الأول قوته وسحق القوة البحرية الفينيقية حوإلى عام ٧٤١/٧٤٠ ق.م. وبنفس الطريقة استغل الفينيقيون تورط الأشوريين في حروب مع بابيلون وعيلام تحت حكم سيناشريب

---

(١) [Greek] Hatzioannou, Vol. A, pp. 30-71.

(٧٠٥ – ٦٨١ ق.م) لإحكام قبضتهم على كيتيون من جديد وانتزاعها من أهلها القبارصة والإغريق، والذين كان تمردهم عام ٧٠٧ ق.م قد فسر على أنه بمثابة إعلان بخضوع كيتيون – قرثاداست وبقية قبرص لسارجون الثانى (٧٢٢ – ٧٠٥ ق.م) الملك الأشورى . ويبدو أن ذلك قد حدث بعد حصار صيدا ووقوعها فى أيدى سارهادون وخضوع صور لأشور بانيبال (٦٦٨ ق.م) .

كان تعارض المصالح القبرصية والأشورية هو الذى دفع الطرف الثانى للإستيلاء على قبرص عام ٧٠٥ ق.م . فبعد السيطرة على سوريا وكيليكيا ٧٢٠ ق.م جاء دور قبرص . بيد أن التجارة القبرصية – الاغريقية فى أل مينا Al Mina بشمال سوريا لم تتأثر سلباً بالإحتلال الأشورى . بل على النقيض مما هو متوقع ازدهرت التجارة الدولية مما أعطى لقبرص أهمية متزايدة بوصفها منقطة الإرتكاز البحرية فى الإنطلاق بالتجارة من أل مينا . ويبقى التركيز على الوجود القبرصى فى هذا الميناء السورى كما يظهر من زخارف الآنية القبرصية وكئوس الشراب التى أكتشفت هناك والتى تجسد التعاون والتمازج بين إغريق الشرق الأدنى والقبارصة من جهة، ومن جهة أخرى إغريق بحرإيجة الذين أفادوا من تجربة قبرص الشرقية للتغلغل إلى الشرق الأدنى إنطلاقاً من الجزيرة نفسها . ولم ينقطع الفخار القبرصى عن آل مينا إلا لوقت قصير أوائل القرن السابع ق.م . ويفسر هذا الإنقطاع بتمرد طرسوس عام ٦٩٦ ق.م .

هناك اختلاف واضح بين الإستيطان الفينيقى والإغريقى لقبرص . إذ آقام الإغريق فى قبرص دويلات – مدن أما الفينيقيون فقد أقاموا مستوطنة ساحلية غير مستقلة بل تابعة للمدينة الأم المؤسسة صور . لقد كانت الدويلات – المدن الاغريقية الجديدة فى قبرص تابعة ثقافياً وتراثياً للمدن الأم فى بلاد الإغريق القارية، وربما حملت إسمها وشعرت نحوها بالإنتماء . ولكن هذه الروابط لا ترقى إلى مستوى التبعية السياسية التى دانت بها كيتيون مثلا لصور الفينيقية . ففى كيتيون الفينيقية كانت الجالية القبرصية الإغريقية لا تزال تتمتع بالحيوية وتمارس كافة أنشطتها ويستخدمون الإسم الأصلى (كيتيون) لا قرثاداست الإسم الفينيقى . وفى ٧٠٧ ق.م . عندما خضع الملوك القبارصة للملك أشور سارجون الثانى (٧٢٢ – ٧٠٥ ق.م) ودفعوا الجزية له كان على كيتيون أن تسير على درب المحتل فتحولت إلى مملكة .

وفى ظل حكم ابن سارجون الثانى أى سيناشريب Sennachrib استغل إلولايوس Elulaios الصورى حرب الأشوريين ضد بابيلون وعيلام فاستولى من جديد على كيتيون – قرثاداست – واستعاد الحكم الفينيقى فيها لبعض الوقت . وعندما حاصر سيناشريب مدينة صور تحالف إلولايوس مع إئتلاف فلسطينى معارض (٧٠١ ق.م) وهرب إلى قبرص ومات هناك حوالى عام ٦٩٤ ق.م . واستخدم سيناشريب البحارة القبارصة والصوريين مع بحارة صيدا فى إتمام أعماله على نهر دجلة . وفى نقش من عهد إسارهادون Essarhaddon يعود لعام ٦٧٢/٦٧٣ ق.م نجد قائمة

بـالأراضي والممتلكـات الحيثيـة وراء البحـار . وهـي البلـدان التـي وقعـت تحـت نـير النفـوذ الحيثـي وأرغمـت علـى دفـع الجزيـة، وتشـمل الممـالك القبرصيـة وذكـرت فـي النقـش الممـالك القبرصيـة التاليـة:

Edia'l	=	Idalion
Kitrusi	=	Chytroi
Sillua	=	Soloi (Solamis ?)
Pappa	=	Paphos
Sillu	=	Salamis ? Soloi ?
Kuri	=	Kourion
Tamesu	=	Tamasos
Qarthadast	=	Kition
Lidir	=	Lefkosia (١)

وهكـذا فمـن المؤكـد أن كيتيـون عـام ٦٧٣/٦٧٢ ق.م . كـانت تحـت حكـم الأشـوريين وفـي عـام ٦٧١ ق.م تحـالف ملكهـا الفينيقـي بعـل مـع الملـك الفرعونـي تيرهاكـاه Tirhakah والقـادة السـوريين – الفلسـطينيين ضـد إسارهادون الـذى هزمهـم . وقـام بعـل المهـزوم بحركتـين للتمـرد، كمـا وقعـت ثورتـان متتاليتـان ضـد أشـوربا نيبـال Ashurbanipal الـذى وضـع مملكـة قرثاداسـت (كيتيـون) ضمـن قائمة الـدول الخاضعة لـه عـام ٦٦٧ ق.م ولكـن ليس هنـاك مـا يثبـت إسـتعادة الحكـم الصـورى الفينيقـي علـى كيتيـون بواسـطة بعـل . وبعد أشـوربانيـال لم يردنـا أى ذكـر فـي المصـادر المختلفـة عن قرثاداسـتِ القبرصيـة، فـالنقوش الرسميـة مـن القـرن الخـامس والرابـع ق.م . المكتشـفة فـي كيتيـون تسـتخدم هـذا الإسـم الأخير " كيتيـون " لا غـيره .

وحـانت فرصـة أخـرى لتحقيـق التطلعـات والأطمـاع الفينيقيـة نحـو السـيادة البحريـة فـي المنطقـة عندما احتـدم الصـراع بـين الأشـوريين وكـل مـن إغريـق قـبرص وأشـقائهم فـي بـلاد الإغريـق القاريـة نفسـها وفـي جـزر بحرإيجـة، وذلـك عقـب وقـوع تمـرد إغريـق طرسـوس وأنخيـالى Anchiale فـي كيليكيـا (الولايـة الأشـورية منـد ٧٢٠ ق.م) . جنبا إلى جنب مع الحـاكم الأشـورى فـي كيليكيـا عـام ٦٩٦ ق.م . وسـحق سيناشـريب هـذا التمـرد، وكـانت قواتـه البحريـة آنـذاك مشـتبكة فـي موقعـة مـع الأيونيـين . وهكـذا قـد احتدمـت العـداوة بـين الإغريـق عامـة وإغريـق قـبرص خاصـة مـن جهـة، ومـن جهـة أخـرى الأشـوريين . وخلـص الطـرف الثـانى إلى النتيجـة النهائيـة وفحواهـا ألا ولاء للإغريـق . وكـان سـارجون الثـانى قـد سـحق تمرداً قـام بـه إغريقـي قـبرصي جلـس ملكـا علـى عـرش أشـدود Ashdod الفلسـطينية بـترتيب حيثـي واسمه يمـانى Yamani.

---

(١) Kyrris, op. cit., pp. 88-90.

وبعد قرون من الأمية الكتابية التى تلت إنهيار الحضارة الموكينية واختفاء خط الكتابة LinearB منذ العصر الجيوميترى والأرخى تبنى الإغريق كتابة جديدة . لقد توسعوا ناحية الغرب وطوروا معارفهم الرياضية والكوزمولوجية وسائر فروع العلم الأخرى . وتطورت الحرف الصناعية والتعدينية . وكل ذلك كان من وحى حضارات الشرق الأدنى . وفى تلك الأثناء كانت الملاحم الهومرية قد أخذت شكلها النهائى ولعبت دوراً لا حدود له فى صبغ الحضارة الإغريقية بصبغة مميزة . إن هذه المنجزات القائمة على الاستعارة من الشرق وصلت إلى حد الكمال . – كما يقول افلاطون (Epinomis 987d) عندما غذت هذه المؤثرات ما سبق أن استوعبه وهضمه الإغريق المستقرون فى أيونيا وجنوب شرق البحر الإيجى من أوائل العصر الجيوميترى. ولا سيما المثلث كريت – رودس – قبرص . وربما تكون الألفبائية الإغريقية قد ولدت فى آل مينا السورية أو فى أى منطقة إغريقية – فينيقية مشتركة مثل رودس وكريت وقبرص . فلا يمكن أن نستبعد قبرص التى كانت نقطة إلتقاء وتبادل مادى وثقافى منذ قرون مضت . وعلى الأقل منذ القرن التاسع ق.م كانت قبرص الجسر الرئيسى لعبور الأفكار الشرقية إلى العالم الهيلليني . ومن المقبول تصور أن الألفبائية الفينيقية قد انتقلت من الساحل السورى عبر قبرص ورودس . ولابد أن قبرص قد لعبت دوراً رئيسياً فى انتقال هذه الأبجدية الفينيقية إلى الإغريق، ولا سيما أن مستوطنة فينيقية كانت قائمة فى قبرص ولها علاقات وثيقة مع فينيقيا من جهة، وبلاد الإغريق من جهة أخرى.

فمنذ القرن الثالث عشر ق.م كانت البضائع والمنتجات والأفكار والموتيفات الفنية والثقافية تعبر بين الساحل الفينيقى وجزر بحرإيجة وبلاد الإغريق عن طريق قبرص فلماذا تستثنى من ذلك الأبجدية ؟

يقول ريس كاربنتر Rhys Carpenter إن بناء الأبجدية الإغريقية تدعم وتقوى بعون من الأبجدية المقطعية سواء أكانت قبرصية محلية أم غير ذلك . المهم أنها وفرت ما هو ناقص فى الأبجدية الفينيقية وبالتحديد الحروف الصائتة الخمس المستخدمة فى الكتابة الأبجدية المقطعية القبرصية . صفوة القول إن قبرص مرشحة ترشيحا قويا لأن تكون المكان الذى نجح فيه الإغريق فى تبنى الأبجدية الفينيقية . وهذه العملية تمثل نقطة تحول رئيسية فى مسار الحضارة الإغريقية ومعلم بارز من معالم العبقرية الإبداعية . لقد كانت قبرص إذن مكان عقد الزواج الحضارى بين فينيقيا والإغريق أو بين الشرق والغرب . إنها جزيرة مزدوجة اللسان والحضارة وربما السلالة، وهى بذلك تصلح لأن تكون نقطة الإلتقاء أو البوتقة التى تُخلط وتنصهر فيها كل العناصر الحضارية الشرقية والغربية . تبدو قبرص أوفر حظا لأن تنال شرف ولادة جديدة تمخضت عن تبنى الأبجدية

الفينيقية على يد الإغريق المقيمين فيها والجاورين للفينيقيين، وتقاسموا معهم تراثاً شفاهيا من التراتيل والأناشيد، ثم تقاسموا معهم فن الكتابة[1] .

---

(1) Rhys Carpenter, "The Antiquity of the Greek Alphabet" AJA xxvii (1933) pp. 8-29.

Idem, "The Greek Alphabet Again", AJA XLII (1938) pp. 58-69.

E.A. Havelock, The Literate Revolution in Greece. 1982

The most probable point of entry of the Semitic prototype into the Greek world is Rhodes, whose geographical position exposed it to the oncoming wave of Assyro-Oriental influence brought by the Phoenician westward expansion during the eighth century. Cyprus was exposed to this influence first; but the Cypriote Greeks were immune as far as the alphabet was concerned, because they still preserved their ancient Achaean mode of writing. In Rhodes, the Cypriote and Phoenician contact during the second half of the eighth century is familiar to all archaeologists: it is only natural that the Phoenician art of writing should form a part of this inheritance.

وعن أحدث ماكتب في هذا الموضوع راجع:

J.T. Hooker, "Linear B As A Source For Social History", pp. 7-43 in A. Powell (ed.): The Greek world. Routledge, London- New York 1995.

وقارن عبد اللطيف أحمد علي، التاريخ اليوناني، العصر الهلادى، الجزء ٢. دار النهضة العربية بيروت ١٩٧٤، ص٧٦٩ - ٧٧٦

٥- قبرص ومصر (القرن ٧-٦ ق.م.)

إن العلاقات بين قبرص ومصر تبدأ من عصور ماقبل التاريخ وتمتد دون إنقطاع وعلاوة على ماذكرنا آنفاً وفي أماكن متفرقة نواصل الحديث عن هذه العلاقات في العصور التاريخية الموثقة.

فبعد إنهيار الإمبراطورية الأشورية (٦٦٩ ق.م .) وإلى أن فرض الملك المصرى أمازيس سيطرته على الجزيرة (٥٧٠ ق.م .) تمتعت قبرص بالإستقلال التام لمدة قرن من الزمان . ازدهرت التجارة في هذا القرن وتم تصدير التماثيل الحجرية الصغيرة من قبرص إلى مختلف الدول المحيطة، ولاسيما جزر بحرإيجة ونوكراتيس في مصر وردوس . هكذا برزت قبرص في أواخر القرن السابع وأوائل السادس ق.م بوصفها قوة إغريقية في شرق البحر المتوسط . وتجسد التماثيل القبرصية الصغيرة التي عثر عليها في نوكراتيس ملامح القبارصة . وبعض هذه المنتجات القبرصية مصنوع من مواد غير موجودة في قبرص مثل الألاباستر والحجر الرملي . وهذا يعني أن بعض القبارصة الإغريق كانوا موجودين في نوكراتيس .

إن الدور القبرصي في التبادل التجارى المصرى – الإغريقي إبان القرن السابع والسادس ق.م . كان يفوق دور الفينيقيين . ولذلك تطور وتبللور "الطراز القبرصي المتمصر" في النحت وأبرز ملامحه الوجوه الكبيرة الجسمة والمكثفة والعيون الجاحظة والأنوف الطويلة والفم المغلق بشفتيه الغليظتين . صيغت هذه التماثيل وما شابهها في قبرص وصدرت إلى مختلف أنحاء بلاد الإغريق مثل ليندوس وكاميروسKameiros وفروليا Vroullia وغيرها في جزيرة رودس، وباروس وساموس، خيوس وميلوس الخ . ومن بين ١٨٠ قطعة أثرية عثر عليها في قبرص فإن أروعها تمثال بالحجم الطبيعي لتيماجوراس Timagoras (٦٠٠ – ٥٥٠ ق.م) وهو مصنوع على النمط المصرى المعروف باسم الصاوى نسبة إلى سايس (Saitic)، والذى جرى عليه التعديل فصار يعرف باسم الطراز الشرقي القبرصي الجديد . ذلك أنه طراز قد تبنى الأصول الفنية المصرية، ولكنه أخضعها لعملية مواءمة مع معطيات الفن الإغريقي . وهناك بعض العلماء ممن يعتقدون بأن تماثيل، "كوروى" Kouroi الإغريقية المميزة والمرتبطة ببلاد الإغريق في القرن السادس ق.م إنما هي من تأثير الطراز القبرصي المتمصر في القرن السابع ق.م . أى أن قبرص سبقت بلاد الإغريق في نقل هذا الطراز المصرى وتطويره . ولقد شاعت أعمال الفن المصرى في قبرص وردوس وكان الحرفيون الفينيقيون قد أسسوا مصانع الخزف في كيتيون منذ القرن الثالث عشر ق.م . ويلاحظ أن الفنان القبرصي والاغريقي قد حرص على التناسق الجمالي، ولو أتى ذلك على حساب القواعد الرياضية المتبعة في فن النحت المصرى .

شعر إبسماتيك أنه بحاجة إلى أن يستوثق لنفسه ويحتاط لحادثات الأيام وفاجعات الليالى فنظر في الدلتا وهي يومئذ غاصة بالإغريق فقدر أن يفيد منهم فوسع عليهم سوقهم في نوكراتيس وهي مستعمرة إغريقية كان أهل ميليتوس بخاصة قد أقاموها حوالى عام ٧٠٠ ق.م . قرب سايس

كمركز تجارى عرف فى البداية بإسم "قلعة أهل ميليتوس" ثم إكتسب إسم "نوكراتيس" بعد ذلك. على أية حال فعندما خلا الجو لأبسماتيك وإستقل بمصر عام ٦٦٣ ق.م . جعل عرشه فى سايس وبدأ عصر جديد فى التاريخ الفرعونى . فلقد تأسست أسرة جديدة أقامت حكمها على أسس متينة وجلست على عرش البلاد قرنا ونيفا وحتى دخول الفرس مصر عام ٥٢٥ ق.م . وكانت أسرة أبسماتيك قد رأت من حسن السياسة أن تعود بالبلاد إلى مظاهر عهدها القديم فسارت فى نظامها وإدارتها وشئون عقائدها وثقافتها على سنة السلف الصالح من حكام الدولتين القديمة والوسطى. وطلعت علينا آثارها الدينية والفنية تتحدث بذلك فى صراحة ووضوح حتى إعتقد بعض المؤرخين والكتاب بأن حكمها بمصر كان بمثابة عصر بعث وإحياء . وخدع أكثرهم وباتوا يعتقدون أن تلك الأسرة كانت مصرية وطنية لحما ودما وأن سياستها كانت سياسة قومية خالصة إلى أن نبه إلى فساد هذا الرأى المؤرخ الألمانى إدوارد مايو Ed. Meyer حين قال إنها أسرة غريبة وإن أصلها قد يرجع إلى غلول أسرة نبيلة نزلت بمصر وإنتشر أفرادها فى أقاليمها أواخر أيام الرعامسة.

ومن الواضح فى تاريخ تلك الأسرة وسيرتها - فى رأى الدكتور بدوى - أنها إعتمدت فى كفاحها وتثبيت دعائم سلطانها على عناصر غريبة عن مصر . إذ لم تكد أمور مصر تستقر بين يدى عاهلها أبسماتيك حتى بادر إلى مكافأة جنوده المرتزقين وأكثرهم أنذاك من الأغريق فملأ بهم بلاطه وجعل منهم خاصة جنده وحراسه . ثم بالغ فجعل منهم حماة الثغور يردون عنها إغارات المغيرين وعدوان المعتدين . وتزداد مبالغته فى إكرامهم حين يطلق أيديهم فى إنشاء المزارع والمؤسسات التجارية فى سايس ونوكراتيس وأبوقير . وعندما رأى أن يحصن بلاده جعل على حدودها حاميات ثلاث كانت أولاها عند جزيرة فيلة وكان جنودها من المواطنين، وكانت الثانية والثالثة فى الشمال، إحداهما فى دفنة عند خليج السويس والأخرى فى ماريا أو ماريوتيس (مريوط) ، وكان الجند فى كلتيهما من الإغريق .

ولما ودع أبسماتيك الدنيا خلفه على العرش أبسماتيك الثانى ومن ورائه أبريس وكان كلاهما يؤثر الإغريق ويختصهم بعطفه. إلا أن الأخير قد بالغ فى ذلك إلى الحد الذى فجر قلوب المواطنين كرها وغيظا فأشعلوا من حوله نار ثورة حامية يحمل لواءها قائد من الوطنيين المغامرين يدعى أمازيس فظلت مشتعلة حتى نودى بهذا القائد البطل المغامر ملكا على مصر فقام بالحكم إلى جانب أبريس وظل حكم البلاد شركة بينهما إلى أن إنتهى الأمر بمصرع الأخير عام ٥٦٨ ق.م . فإستقل أمازيس بعرش مصر . ولم يستطع إزاء إلتفاف الوطنيين من حوله ومؤازرتهم له إلا أن ينظر إلى الإغريق فى مصر بإحدى عينيه ويستمع إليهم بإحدى أذنيه . فسلك معهم طريقا وسطا حين أجلى جنودهم عن الثغور فنقل حامية "دفنة" إلى منف وجعل المحاربين الإغريق حرسه الخاص لا لشئ إلا ليكونوا تحت سمعه وبصره (هيرودوتوس: الكتاب الثالث ١٥٤) وجمع المدنيين منهم فأنزلهم فى نوكراتيس (نفس المصدر ١٧٨) . وكان عهد أمازيس أشبه شئ بما يسمونه صحوة الموت فى حياة مصر. فهى قد بلغت على يديه أقصى ماكان يمكن أن يهيأ لها من كان، فراجت تجارتها

وإزدادت ثروتها ونشطت حركة البناء في عمائرها الدينية، وإزدهرت في رحابها نهضة العلوم والفنون، وإطمئن الناس إلى حياتهم فباتوا يستمرئون لذاتها ويجنون من خيراتها ثمار ما أنفقوا من جهد في كفاحهم المرير الطويل . وما كانوا يحسبون أن القدر كان يبيت لهم ولوطنهم شر ما يكرهون من نازلات الأيام وفاجعات الليالي . ويكاد عصر أمازيس من هذه الناحية يشبه عصر أمينوفيس الثالث الذى عاشه المصريون قبل عصر أمازيس بثمانية قرون[1] .

كان أمازيس – كما صوره هيرودوتوس في الفقرة التي إقتطفناها سالفا – صاحب لهو وشراب وزير نساء تماما كما كان سلفه البعيد أمينوفيس الثالث . وكان أمازيس مع ذلك صاحب فطنة وذكاء وسياسة رشيدة مما أعانه على تهيئة جو ملؤه الصفو الشامل والهدوء الكامل. فهو برغم إنحيازه إلى قومه من الوطنيين لم يهمل جانب من أزروه من الإغريق، بل عاملهم بالحسنى سواء منهم من كان يرتزق من العمل في الجيش ومن كان يعمل في التجارة . ثم بالغ فوثق صلاته بمن كانوا يقيمون منهم في كوريني حتى قيل إنه سعى إليهم ليرتبط معهم بأوثق رباط عندما تزوج أميرة منهم وهي لاديكي التي سبق أن تحدثنا عنها . ولكن ما أن مات أمازيس حتى دق ناقوس الخطر وبدت عيون الشر حمراء ترمى بالشرر وتنذر به مستطيرا على حدود مصر الشرقية .

لأننا إذا إلتفتنا شرقا وجدنا ملك الفرس قورش (Kurash و Kyros ٥٥٩-٥٢٩ ق.م) لم يكد يتذوق حلاوة النصر على كرويسوس (قارون ؟) ملك ليديا حتى ولى وجهه شطر الشرق فخرب كل مالقى في طريقه من بلاد آسيا العليا بغية المحافظة على تخومه . وحين إطمأن إلى سلامة حدوده أخذ يفكر في الإتجاه إلى بابل ففعل ولم يلبث أن إستولى عليها في غير عناء كبير وكان ذلك في عام ٥٤٦ ق.م . فأصبح بذلك سيدا على آسيا بغير منازع وظل يستمتع بتلك السيادة عشرة أعوام ثم مات عام ٥٢٩ ق.م . مخلفا على العرش قمبيز ولده من كاساندانى بنت فارناسبيس فإستأنف سيرة أبيه وتطلع إلى مصر وأخذ يعد نفسه غليها مدا قويا . ولم يكن أمازيس بغافل يومئذ عما يجرى في الشرق من أحداث بل كان بصيرا بها مدركا بأس قورش وشدته مقدرا عواقب نشاطه الخطير . فسارع إلى إخضاع قبرص ومحالفة كرويسوس ملك ليديا ، فلما سقط الأخير سارع إلى محالفة بوليكراتيس طاغية ساموس (راجع هيرودوتوس الكتاب الثالث ٣٩) . إلا أن هذا الطاغية قد إضطر أمام الرعب الفارسي إلى الإنضواء تحت لواء قمبيز (عامى ٥٤٦-٥٤٥ ق.م.) وأعلن خضوعه وولاءه في الوقت الذى كان قمبيز فيه يتهيأ للوثوب على مصر .

ومنذ اوائل القرن السادس ق.م . وكما أثبتت المكتشفات الاثرية وصلت المنتجات القبرصية إلى نوكراتيس . وفي هذه المستوطنة الإغريقية – التي تحمل الآن اسم كوم جعيفة بالقرب من إيتياى البارود بالبحيرة – عثر على تمثال للإلهة أفروديتي يعتقد أنه منتج قبرصي مستورد . ومن

---

[1] محمد صقر خفاجة (تقديم أحمد بدوى)، هردوت يتحدث عن مصر. ترجم الأحاديث عن الإغريقية الدكتور محمد صقر خفاجة، قدم لها وتولى شرحها الدكتور أحمد بدوى. دار القلم ١٩٦٦، ص٥ – ٥٧.

أحمد عتمان، كليوباترا وأنطونيوس. دراسة في فن بلوتارخورس وشكسبير وشوقي، الطبعة الثانية، أيجيبتوس، القاهرة ١٩٩٠ ص٣٥٤-٣٨٧.

المؤكد أن القبارصة كانوا بين الأجانب والإغريق المرتزقة فى الجيش المصرى . فى ظل حكم الملك أبسماتيك الثانى Psammetichos II (٥٩٥ - ٥٨٩ ق.م) . وربما كان هؤلاء القبارصة المرتزقة من نسل الذين خدموا فى نفس الجيش تحت حكم أبسماتيك الأول (٦٦٤ - ٦١٠ ق.م) . ومن بين التماثيل الحجرية التى عثر عليها فى موقع نوكراتيس نجد مجموعة كبيرة تحمل سمات فن العالم الإغريقى الشرقى ولا سيما قبرص . لاشك أن بعضها صنع فى نوكراتيس نفسها وبعضها الآخر استورد من قبرص .

كانت أماثوس القبرصية هى همزة الوصل بين بلاد الإغريق ومصر، فكانت السفن الإغريقية ترسو فى أماثوس وهى فى طريقها إلى نوكراتيس بدلتا النيل . فمرت صادرات خيوس ورودس وكورنثة وأثينا من هناك . وصدرت آنية من نوكراتيس إلى قبرص فبيعت فى أماثوس وسلاميس وماريون . وواكب ذلك حدوث تأثيرات متبادلة فى الفن والديانة، فوصلت هدايا قبرصية وقرابين إلى معبد دلفى، وبعضها كان من الدروع البرونزية . وفى أواخر القرن السابع ق.م . أرسلت تماثيل قبرصية إلى أزمير بآسيا الصغرى، حيث كان معبد الربة أثينة . وفى نفس الوقت عثر فى قبرص على منتجات يونانية وشرقية فى معابد القرى والمدن مثل آغيا إيرينى ومينيكو وليماسول وكزافازنى وكوريون وتاماسوس وأماثوس وكيتيون . وهناك تماثيل طينية صغيرة تلبس قناع الثور وجدت جنباً إلى جنب مع تماثيل الكنتوروس فى آغيا إيرينى وتؤرخ هذه الآثار بـ٧٥٠ - ٦٠٠ ق.م مما يوحى بوجود طقوس تمثيلية هناك . وفى هذه الطقوس كان الكهنة والمتعبدون يقدمون فرائض الولاء لقوة الخصوبة الإلهية الموروثة من العصر البرنزى المتأخر وذات السمة الوحشية (theriamorphic) . يبدو أن تمثيلية طقسية سرية كانت تجرى هناك، كما كان يحدث فى مصر، وهو طقس تمخضت عنه فى النهاية الديثورامبوس والتراجيديا الإغريقية التى بدأت على أنها مباريات أو ألعاب ذات طابع تنافسى ونكهة دينية وجو درامى .

واجهت قبرص وفينيقيا المتحدتان القوات البحرية للملك المصرى خفرع Hofhra (= أبريس ٥٨٨ - ٥٧٠ ق.م .) فى معركة وفشلتا أمامه . ومهد هذا الإنتصار المصرى الطريق لخلف هذا الملك المصرى أمازيس الثانى (٥٧٠-٥٢٥ ق.م .) أن يحتل قبرص ٥٧٠/ ٥٦ ق.م. وفى ظل الإحتلال المصرى إحتفظ الملوك القبارصة بإستقلالهم طالما يدفعون الجزية لأمازيس، الذى قدم الهدايا والقرابين للمعابد القبرصية كما يقول ديودوروس الصقلى (I:68) . وقدم كذلك القرابين للمعابد الإغريقية سواء فى الجزر أو فى الأراضى القارية مثل معبد هيرا فى ساموس، حيث قدم تماثيل خشبية صغيرة تصوره هو شخصياً كما جاء عند هيرودوتوس (II:182) . ومما لا شك فيه أن سلوك الفرعون المصرى قد فتح الطريق أمام التأثير على الفن الإغريقى والقبرصى آنذاك، ولو أن هذا التأثير ملموس من قبل ذلك التاريخ، إلا أنه قد أعطاه دفعة جديدة و أبعاداً لم يسبق لها مثيل، ولا سيما أنها تتم بلقاء مباشر لا عن طريق الفينيقيين وفنونهم كما حدث فى الفترات السابقة . وفى قبر سلاميس رقم ٨٠ المؤرخ بأواخر القرن السادس ق.م نجد الجدران الداخلية

تشكل قبواً من الكتل الحجرية المربعة ومزينة بزهرة اللوتس . وهناك عثر على تماثيل لبشر يرتدون غطاء الرأس الملكى المصرى . وهناك تمثال لرجل يقف بملامحه الأفريقية الواضحة ويحمل الرمز المصرى أنخ Ankh . عثر على هذا التمثال فى آغيا إيرينى . وهناك نقش عثر عليه فى معبد أبوللون فى كوريون ويحمل كتابة بالهيروغليفية وبالمقطعية القبرصية . لقد بدأ أفراد المجمع المصرى الإلهى القديم يظهر وينتشر فى قبرص، وإن كان الإله بس Bes موجوداً هناك منذ القرن الثانى عشر ق.م .

٦- إيواجوراس بطل المقاومة ضد الفرس

اندلعت الثورة الأيونية ٤٩٩ / ٤٩٨ ق.م .، وعلى الفور عمت قبرص - فيما عدا أماثوس - نزعة مضادة للوجود الفارسي في الجزيرة . وعندما وصلت إلى أسماع القبارصة أنباء إمتداد الثورة إلى كاريا بآسيا الصغرى، وكذا أنباء حرق سارديس عاصمة ليديا، ووصول الأسطول الأيوني إلى كاريا سرت في أوصال إغريق قبرص الحماسة والشجاعة . فتزعم أهل سلاميس أخو الملك المحب والموالي للفرس جورجوس ويدعى اوينسيلوس Onesilos . إستغل الأخير غياب أخيه جورجوس وخلعه عن عرش سلاميس وفر الملك المخلوع وانضم إلى صفوف الفرس، كما حدث مراراً وتكراراً في المدن الإغريقية ولا سيما أثينا . واستطاع أو ينسيلوس أن يوحد كافة ملوك قبرص - فيما عدا ملك أماثوس - وأعلنوا جميعاً الإنضمام للثورة الأيونية، وبينما كان أونيسلوس يحاصر مدينة أماثوس واتته الأنباء عن استعدادت داريوس في كيليكيا لإرسال جيش بقيادة أرتيبيوس Artybios . وسمع كذلك باحتشاد اسطول فينيقي لإخماد التمرد القبرصي . وطلب أونيسلوس العون من الأيونيون فوصلوا في نفس الوقت الذى أرسى فيه الفارسيون مراسي سفنهم عند كارباس . وتم فك الحصار عن أماثوس فدارت المعركة بالقرب من سلاميس . وبينما كان الأسطول الأيوني والجيش القبرصي البرى منتصرين وقتل قائد الجيش الفارسي الغازى، انشق ملك كوريون ويدعى ستاسانور Stasanor وانضم إلى الفرس بجنوده وأسلحته . وتبعه في ذلك قادة العجلات الحربية من سلاميس . وهكذا قتل أونيسلوس وملك سولوى أريستوكيبروس Aristokypros وهو ابن فيلو كيبروس في الإضطرابات التى تلت المعركة ، وعاد الأسطول الأيوني إلى قواعده . وأعاد الفرس الملك جورجوس إلى عرش سلاميس بموافقه أهلها . وظلت سولوى صامدة لمدة خمسة شهور حتى تم إخضاعها .

ووضع داريوس حكاماً للمدن من الأسر المحبة للفرس والموالية لهم، سواء أكانوا إغريقاً أم فينيقيين . وفي تلك الفترة كانت عملة ماريون ولابيثوس تحمل صور هرقل، -ملقرت ومائينة - أنات، وأفروديتي - عشتروت . وكانت أسماء الملوك على العملة تُسك بالفينيقية . وفي كيتيون بدأت أسرة فينيقية محبة للفرس بملك اسمه "بعل ملك" Baalmelek معناها "السيد الملك" . وتلاه أزبعل Azbaal . على أيه حال فإنه بعد الهزيمة القبرصية ٤٩٨ ق.م على يد الفرس انضم القبارصة الفينيقيون بصورة حاسمة إلى صفوف المنتصر والمحتل أى الفرس على حساب مواطنيهم ووطنهم . وفي ضمير الناس أصبح أوينسلوس بطلاً قومياً وموضع إحترام حتى من قبل الأعداء . كان الفرس قد علقوا رأسه على أبواب المدينة، فجاءت نبؤة دلفي تأمر بدفنها وبتكريم مثوى صاحبها . وهكذا صارت قبرص أكثر إلتصاقاً ببلاد الإغريق في مواجهة الفرس الغزاة والفينيقيين المتحالفين معهم والمنتفعين من إحتلالهم للجزيرة .

بعد سقوط كرويسوس (قارون ؟) ملك ساردیس عام ٥٤٦ ق.م . قدم ملوك قبرص خدماتهم وولائهم طواعية للملك الفرس، وساعدوه في حملته الناجحة على كاريا (٥٤٥ ق.م .) وبابيلون (٥٣٨ ق.م .) . وفي عام ٥٢٥ ق.م . فعل القبارصة مافعله الآخرون أي الأيونيون وأهل ساموس والفينيقيون فمدوا جميعاً يد العون لقمبيز في حملته على مصر . ومكافأة لهذه الدول فإن داريوس (٥٢١ - ٤٨٥ ق.م .) وبالتحديد عام ٥٢١ ق م ضم قبرص وفينيقيا وسوريا وفلسطين لإمبراطوريته وتمتعت قبرص بقدر من الإستقلال بما في ذلك سك عملة تحمل صورة ملوك قبرص، الذين سمح لهم أيضاً أن يتبعوا سياسة خارجية مستقلة إلى حد ما . فكان ملك سلاميس إيوإلثون . Euelthon على علاقة طيبة مع ملكة قوريني فيريتمي . Phere time التي عبثا طلبت منه العون العسكري لكي تسترد ابنها أركيسيلاس الثالث . Arkesilas III (٥٣٠ق.م .) . وأهدى هذا الملك نفسه إلى بيت المال الكورنثي في دلفي محرقة بخور . وأهدى هيليكون Helicon بن اكيساس . Akesas في سلاميس عباءة إلى أحد المعابد في دلفي . وهذا كله يعني أنه رغم الإحتلال الفارسي الصهرت قبرص أكثر من ذي قبل في العالم الاغريقي . وعلى أيه حال فإن رموز عملة إيوإلثون الفضية وأوزانها - عام ٥٣٨ ق.م. كانت شرقية الطابع وظهر عليها الكبش الفارسي والرمز أنخ Ankh المصرى وكذا (Kyprion = Ky). وقد تدل هذه العملة على علو شأن إيوإلثون ولكن ليس بالضرورة على سيطرته على كل ملوك قبرص. وفي نفس الوقت كان النحت القبرصي أيونياً تماماً في طرازه . وهذا إما يتجسد في التماثيل القبرصية korai التي تتحلى بالإبتسامة الأيونية والملابس الأرخية وكذا التماثيل التي تصور النساء بحليهم . وتمثال زيوس ذي الصاعقة الذي عثر عليه في كيتيون . وكانت الآنيه الفخارية ذات الرسوم السوداء شائعة في الجزيرة ولدى كل سلالاتها منذ أواسط القرن السادس ق.م .

إن التناقضات الكامنة في التطورات السياسية والحضارية بقبرص تحت الإحتلال الفارسي أدت في النهاية إلى انقسام أهل الجزيرة إلى جزبين أحدهما محب للفرس Persophilos، والثاني محب للاغريقHellenophilos . وكما يرد عند هيرودوتوس فإن الدافع الأكبر إلى كراهية الفرس بالنسبة للحزب الثاني هو أن داريوس قد حول الهدايا المفروضة عليهم إلى جزية ثابتة تدفع له (Herod III 91) . كانت سولوى وماريون وكوريون وباليوبافوس هي أهم المعاقل الإغريقية. بينما كانت كيتيون - المعقل الفينيقي - فيما يبدو غير مناصرة للفرس، كما لم تكن بالضرورة معادية للحزب الإغريقي على الأقل إلى ما بعد ثورة ٤٩٩ ق.م . أماثوس وحدها هي التي كانت تحكمها أسرة إغريقية موالية للفرس علانية . ذلك أن المواقف السياسية لم تكن تحددها العوامل العرقية . وفي سلاميس كان الملك المناصر للفرس جورجوس Gorgos يتبع سياسة سلفه إيوإثلون . ومما لا شك فيه أن إنشاء نظام بوليسي محكم يعكس التأثير الفارسي . وكان التشابه واضحاً بين الملكية الإستبدادية الفارسية وسلطات ملوك قبرص المطلقة . وباستثناء إبداليون الديموقراطية لم يكن ذلك غريباً على سائر دول الشرق المحيطة بالجزيرة ولا سيما الحيثيين والفينيقيين . وربما تسربت بعض مظاهر الديموقراطية إلى سولوى بفضل زيارة سولون هنا. حيث

نـزل هـذا المشـرع الأثينـى علـى الجزيـرة ضيفـاً علـى ملـك سـولوى فيلوكيـبروس Philo - kypros قـرب نهايـة الحكـم المصـرى هنـاك . ولكـن الروايـة الشـائعة تقـول إن فيلوكيـبروس نقـل مدينـة آيبيـا Aepeia إلى مكـان أكـثر ملاءمـة للحيـاة والصحـة العامـة ، أى سـولوى وذلـك بنـاء علـى نصيحـة سـولون الـذى سميـت باسمـه المدينـة الجديـدة . ولكـن هـذه الروايـة الأسـطورية مشـكوك فيهـا لأن سـولوى موجـودة فـى مكانهـا منـذ القـرن الحـادى عشـر ق.م . وتحمـل عملـة سـولوى (٥٠٠ ق.م .) صـور الجورجونـات والجبـار (الصبيـدج) Guttlefish علـى أنهـا تأثـيرات وافـدة مـن أثينـا وإريتريـا .

أسهم الأسطول القبرصى مرغماً بمائة وخمسين سفينة شاركت فى حملة إكسركسيس الإنتقامية ضد أثينا ٤٨٠ ق.م . ويشى ذلك بأن ملوك قبرص قد احتفظوا بأساطيلهم حتى بعد هزيمة ٤٩٨ ق.م . على أساس أنها قوة مضافة إلى الفرس وتحسب لهم . وكان من بين الذين قـادوا هـذه السـفن القبرصيـة فـى حملـة إكسركسيس أمـراء ونبـلاء مثـل بنثيلـوس Penth Ylos بـن ديمونـوس Demonoos مـن بـافوس ، وتيمونـاكس Timonaxبن تيمـاجوراس Timagorasوفيـلاؤن Philaon بـن خرسيس Chersis، وهـو أخـو جورجوس الذى حضر هو نفسه المعركة . كان الأسطول المصرى أيضاً فى المعركة جنبا إلى جنب مع الأسطول القبرصى والفينيقى ..... الخ . وبعد هزيمة الفرس فى سلاميس ٤٨٠ ق.م . وفـى ميكـالى Mykale ٤٧٩ ق.م. صـارت قـبرص تعـامل علـى أنهـا أرض إغريقيـة تحـت الإحتـلال الفارسـى . واتخـذ الإغريـق فـى بلاتايـا Plataia قراراً بتحريرها . وفى ربيع ٤٧٨ ق.م . وصـل إلى قـبرص أسـطول إغريقـى مشـترك بقيـادة ملـك إسبرطه باوسانياس المنتصـر فـى بلاتايـاس وبزعامـة القـائدين الأثينيـين أريستيديس Aristeides وكيمـون Kimon تم تحرير المدن القبرصية التى استسلمت للفرس . ولكن الفرس – بعد مغـادرة الأسـطول الإغريقـى – مالبثوا أن استعادوا سيطرتهم على الجزيرة .

هـاجمت كيتيـون بقيـادة ملكهـا بعـل – ملـك الأول إيداليـون فـى وقـت مـا بـين ٤٧٨ و ٤٧٠ ق.م . وعلمنـا بـأمر هـذا الهجـوم مـن عقـد كتـب علـى لوحـة برنزيـة بـين طبيـب وأخوتـه طرفـاً أول والملك ستاسـيكيبروس Stasikypros والشـعب طرفـاً ثانيـاً وذلـك بشـأن عـلاج الجرحـى . وفـى ٤٧٠ ق.م . استطاع ابـن بعـل – ملـك أى عزبعـل الاسـتيلاء علـى إيداليـون وتحويلهـا إلى حليفـة للفـرس فى نهايـة المطـاف .

لم تك قبرص عضواً فى حلف ديلوس بزعامة أثينا، إلا أنهـا ظلـت هدفـاً مرصـوداً لهـذا الحلف. وبرغـم الهزيمة الساحقة التى ألحقها كيمون بالفرس براً وبحراً عند مصب يوريميدون Eurymedon فـى آسـيا قيالـة قبرص، التى أرغمت مرة أخرى على إرسال خمسة وثمانين سفينة لمساعدة الفرس فى كيليكيـا فحطمهـا كيمـون ٤٦٩/٤٦٨ ق.م . وفى عام ٤٥٩/٤٥٨ ق.م . أرسل الأثينيون والحلفاء إلى قبرص وفينيقيا أسطولاً من مائتى سفينة تحت قيادة خار يتميديس Charitimedes . ومات فى المعركة أثينيون كثيرون من قبيلة إريختيـوس . وبعد أن أبحر هذا الأسطول إلى مصر لمعاولة ملكها إيناروس Inaros فى ثورته ضد الفرس تركت قـبرص مـرة أخـرى بـلا حمايـة وتحـت رحمـة الفـرس . وفيمـا بعـد اسـتطاع كيمـون أن يحـرر مـاريون مـن حكـم الأسـرة المواليـة للفـرس سـاسماى Sasmai وأجلـس علـى عرشـها الملـك

ستاسيؤيكوس Stasioikos وعثر الأثريون هناك على مبنى إغريقى رباعى من طراز الميجارون Megaron الموكينى ومعبد للإلهة أثينة لاشك أنهما من أعمال كيمون .وأثناء حصار كيتيون وملكها عزبعل مات كيمون متاثراً بوباء أو بجرح أثناء الحرب . وأخفى جنوده – وهم يعانون المجاعة – نبأ موته لمدة ثلاثين يوماً . وفي النهاية اضطروا لفك الحصار والعودة إلى سلاميس . وانسحبت القوات الإغريقية من قبرص، وكان ذلك اعلاناً بفشل السياسة الأثينية فى قبرص والشرق الادنى فلما تولى بريكليس الحكم فى أثينا أرسل كالياس Kallias للتفاوض، فعقد إتفاقية ٤٤٩/٤٤٨ ق.م . التى ثبتت الأمور على حالتها الراهنة status quo ووضعت حداً للصراع الأثينى الفارسى . وطبقاً لمعطيات هذه الإتفاقية تركت المدن الإغريقية الواقعة إلى الشرق من فاسيليس Phaselis تحت الحكم الفارسى . وهذا ما ورد عند ديودورس الصقلى (XII 4, 4-5) وهكذا فشلت أثينا فى تحرير قبرص من معاناتها تحت الإحتلال الفارسى .

إن التحالف الفارسى – الفينيقى ضد الدويلات – المدن القبرصية الإغريقية قد تلقى دعماً وقوة جديدة عام ٤٤٧ ق.م . إذ أستبدلت بالأسر الملكية الموالية للفرس – مثل تلك فى سلاميس – أسر أخرى من الفينيقيين . وفى سلاميس قتل عبدمون Abdemon من صور ٤١٥ ق.م ووضعوا حاكما فينيقياً آخر ليجلس فى مكانه على العرش . وكان القتيل هو آخر حاكم فى أسرة كانت قد حلت محل تيوكروس نيكوداموس – لاخاريداس – إيوأنثيس . وفى لابيثوس حكمت أسرة فينيقية وأخرى إغريقية . وكانت عبادة المدينة تضم ملقرت (هرقل) وأنات (عنات) وعشتروت (أفروديتى) والربة أثينة المسلحة .

ثم نشطت عملية بربرية لإفساد كل شيء إغريقى فى سلاميس إبان حكم عبد مون . وهى سياسة معادية للهيللينية تبناها الحزب الفارسى فى قبرص، وانتهى كل ذلك عام ٤١١ ق.م عندما عاد من منفاه الاختيارى إيواجوراس الأول Evogaras سليل أسرة يتوكروس[1] . ولد عام ٤٣٥ ق.م . وكان قد قضى مدة نفيه الإرادى فى سولوى بكيليكيا . وبعد أن حصن سلاميس وبنى أسطولاً عمل على توحيد صفوف كل هؤلاء الملوك القبارصة المتصارعين . وسعى إلى تحويل قبرص إلى مركز متقدم ومحصن للهيللينية فى مواجهة الفرس . وربما كانت جهوده تلك من وحى تعاليم إيسوكراتيس Isokrates وأنتستنيس Antisthenes . ونظراً للصعوبات الجمة التى واجهها داريوس (٤٢٤-٤٠٤ ق.م .) فى مصر وبلاد اليهود والإغريق فإنه اضطر للسكوت على إيواجوراس وغض الطرف عن مساعيه المناهضة، طالما دفع الجزية رغماً عن أنفه . ومن بين الإغريق المغامرين الذين جاءوا للعيش فى سلاميس كان الخطيب أندوكيديس Andokides الذى طرد من أثينا (٤١٥/٤١٤ ق.م.) وهاجر إلى كيتيون ومنها إلى سلاميس وكانت له ممتلكات فى كلتا المدينتين القبرصيتين . وكان هو الذى أقنع إيواجوراس بإرسال الغلال والبرنز للأسطول الأثينى فى ساموس، فأسهم بذلك فى إنتصار أثينا على اسبرطه (سبتمبر ٤١١ ق.م .) فى مرحلة من مراحل الحرب بينهما . وفى عام ٤١٠ ق.م . بإيعاز من أندوكيديس أرسل أيضا إيواجوراس معونة أخرى

(١) Isocr., Evagoras, 49-50

إلى أثينا التى قررت تكريمه فصدر قرار بذلك ٤١٠/٤٠٩ ق.م. بمنح إيواجوراس المواطنة الأثينية الشرفية . وفى عام ٤١١ ق.م . وكان إيواجوراس فيما يبدو ويتفاوض نيابة عن أثينا مع تيسافيرنيس والى ساراديس (٤١٢-٤٠٧ ق.م.) وربما تم توقيع إتفاقية تحالف بين سلاميس وأثينا[1] وكانت مساعي إيواجوراس لتوحيد قبرص تجد معارضة شديدة من بعض الملوك القبارصة، ولا سيما أناكسا جوراس ملك سولوى وحليف الفرس .

ونتعرف على محاولات إيواجوراس فى أن يصبح سيد قبرص برمتها وأن يكون مستقلاً ونداً للملك العظيم فى فارس من العملة الذهبية التى سكها، فهو أول ملك قبرصى يقدم على هذه الخطوة . وكانت هذه العملة تضارع عملات يوبويا ورودس، وحملت رأس هرقل كما أبدعه المثال براكسيتيليس . وحملت أيضاً اسم إيواجوراس بالإغريقية لأول مرة فى قبرص كان ذلك على (وجه وعلى) الوجه الآخر كتب نفس الاسم بخط الكتابة المقطعية القبرصية الأصلية . وفى النهاية على أية حال قرر " الملك العظيم " التدخل لوقف جهود إيواجوراس المعادية للفرس . وأمر والى ساراديس أوتوفراداتيس Autophradates ملك كاريا هيكاتومنوس Hekatomnos أن يجهز قوة عسكرية كبيرة بتكلفة وصلت خمسة عشر ألف تالنت لكى تُشن حملة على قبرص بهدف القضاء على إيواجوراس . وذهبت هذه المحاولة سدىً لأن ملك كاريا خان حليفه واتصل سراً بإيواجوراس . كانت أثينا نفسها قد تحولت إلى سياسة المهادنة والولاء مع الفرس ومع ذلك أرسلت مساعدة إلى الفرس، وهى أسطول مكون من عشرة سفن ثلاثية المجاديف تحت قيادة صديق كونون الثرى الأثينى أريستوفانيس بن نيكوفيموس Nikophemos من سلاميس . وأسر قائد الأسطول الإسبرطى تيليوتياس Teleutias الأسطول القبرصى على مقربة من رودس عام ٣٩٠ ق.م . فقلب بذلك كل الموازين[2] . لجأ إيواجوراس إلى ملك مصر أكوريس Acoris يطلب العون . وكان ملك مصر مرتبطاً بمعاهدة تحالف مع أثينا منذ ٣٩٠ / ٣٨٩ ق.م ، وربما تمت هذه المعاهدة بوساطة إيواجوراس نفسه المهم قدم الملك المصرى عوناً كبيراً لإيواجوراس (٣٨٨ ق.م) وأرسلت أثينا أسطولين . الأول بقيادة تراسيبولوس Thrasybulus ، ولم يصل قط إلى هدفه، لأنه قتل فى أسبيندوس Aspendos. أما الثانى فقد كان تحت قيادة خابرياس Cabrias وضم أكثر من عشرة سفن وقوة كبيرة من الجنود كاملى السلاح hoplites فوصل إلى قبرص عام ٣٨٧ ق.م. وبواسطته تمكن إيواجوراس من السيطرة على معظم قبرص . فسك عملة ذهبية فى كل مدينة قهرها، وكانت تحمل الحرف الأول من اسمه E. ولكن اسبرطه نجحت فى مساعيها للتقارب مع الفرس. وتوقيع معاهدة ٣٨٦ ق.م . وبمقتضاها أصبحت كل مدن أسيا الصغرى والجزر كلازوميناى وقبرص خاضعة من جديد للفرس فهرب خابرياس لاجئاً إلى مصر، وقتل أريستوفانيس ونيكوفيموس، وانفرد الفرس بإيواجوراس الذى أصر فى عناد على الصمود حتى النهاية[3] .

---

(١) Thuc. VIII 87.

(٢) Xenoph. Hell. IV. iii 24.

(٣) [Greek] IEE Vol. Γ2, pp. 156-173.

ونظراً لأن الفرس قد واجهوا مواقف عصيبة فى مصر وكيليكيا وبيسيديا Pisidia وفينيقيا ...... الخ حاول إيواجوراس السيطرة على صور نفسها بل وسائر فينيقيا وكيليكيا. لقد قاد حملة من ستة آلاف محارب وكثيراً من المرتزقة وفرقاً أخرى من الحلفاء تحملهم جميعاً تسعون سفينة، منها سبعون قبرصية والعشرون الباقية من الأسلاب التى أخذها من صور . جمع إيواجوراس أموالاً كثيرة من حكام الشرق الأدنى المناهضين للفرس ومن بينهم الملك آرادوس Aradus . وهكذا قطع إيواجوراس الطريق على الفرس الذين كانوا منغمسين في الحرب لمدة ثلاث سنوات فى مصر أى من ٣٨٥/٣٨٦ ق.م . ومن ثم كان على أرتاكسركسيس Artaxerxes أن يعطى للتعامل مع المسألة القبرصية الأولوية . وبالفعل جهز جيشاً جراراً وأسطولاً ضخماً فى فوكايا Phocaea وكيمى Kyme . أشرف على إعداد هذا الجيش كل من أورونتيس Orontes وتيريبازوس Tiribazos وجلوس Glos . وعبرت القوات الفارسية – وبينهم مرتزقة إغريق –إلى قبرص من أيونيا عبركيليكيا عام ٣٨٥ ق.م . وركز إيواجوراس جهوده على المقاومة البطولية ، والهجمات المضادة الخاطفة فأوقع بالفرس خسائر فادحة . وبينما كان طريق الإمدادات الفارسية متواصلاً وثرياً بالمؤن والأموال، فإن ملك مصر أكوريس هو الوحيد الذى أرسل معونة ضخمة لإيواجوراس تمثلت فى خمسين سفينة . وبذلك أصبح أسطول إيواجوراس حوالى مائتى سفينة. وحاول ان يهاجم الأسطول الفارسى عند إبحاره من سلاميس إلى كيتيون فوقعت الكارثة وهزم القبارصة أواخر عام ٣٨٥ ق.م . بعد ذلك غادر تيريبازوس قبرص إلى بلاط الملك العظيم، وترك أورونتيس ليستكمل الحملة. وهرب إيواجوراس إلى مصر طلباً للعون وتقرب من اسبرطة . متودداً إلى حكامها . وكان قد ترك ابنه بنيتاجوراس Pnytagoras ليباشر شئون الحكم فى قبرص . ولما عاد تيريبازوس بألفى تالنت وبوصفه القائد الأعلى للحملة الفارسية كان إيواجوراس قد عاد من مصر بمال أقل . إذ كان إبن أكوريس نيكتانيبيس الثانى Nectanebis II قد تولى الحكم بعد أبيه (٣٨٣/٣٨٤ ق.م .) . وجد إيواجوراس أن حصار سلاميس أصبح لا يطاق ولا قبل للمدينة باحتماله فقبل عروض السلام وتفاوض مع تيريبازوس . تضمنت شروط السلام تخلى إيواجوراس عن زعامة قبرص الشاملة والقومية، وأن يدفع جزية سنوية للملك العظيم بوصفه تابعاً فى خدمته . وهذا معناه أن سلاميس قد تحولت إلى "ولاية" ضمن ولايات الإمبرطورية الفارسية .

رفض إيواجوراس هذه الشروط المجحفة وبدأ يتفاوض مع أورونتيس، الذى كان قد ألقى القبض على قائده تيريبازوس وأرسله مقيداً بالأصفاد إلى سوسا موجهاً إليه تهمة الخيانة بالإتفاق سراً مع اسبرطه . ولكن جلوس – صهر تير يبازوس – تمرد على أورونتيس وعقد صفقة مع اسبرطه ومصر . ولكن جلوس قتل وخلفه تاخوس Tachos وسار على نفس الدرب ولاقى نفس المصير (٣٨٣ / ٣٨٢ ق.م .) . كان كل ذلك لصالح إيواجوراس الذى استغل الظروف وظل يقاوم فى سلاميس (٣٨٢ – ٣٨٠ ق.م) . واضطر أورونتيس أن يدخل فى معاهدة معه (٣٨٠ ق.م) قبل بمقتضاها القائد القبرصى أن يكون تابعاً للملك أرتا كسركسيس، أى أن يكون ملكاً

تابعاً للملك. مما يعنى تبعية محدودة للتاج الفارسى – أو إستقلالية محدودة – شأنه فى ذلك شأن حكام المدن الإغريقية فى آسيا الصغرى وفق معاهدة ٣٩٥ ق.م.[١]

إن إيواجوراس هكذا قد قدم أنموذجاً رائعاً للبطل الإغريقى مبشراً بعمل أكبر سيقوم به بعد عدة عقود الإسكندر الأكبر. واغتيل البطل القبرصى الأنموذجى ٣٧٤ / ٣٧٣ ق.م. مع ابنه بنيتاجوراس على يد خصى يدعى ثراسيدايوس Thrasydaeus. تحدث ايسوكراتيس عن إيواجوراس على أنه مثال الحق والعدل والشرف والكرم، وأنه البطل الشجاع الذى جمع إلى قدراته العقلية خبرة واسعة بالشرق وشئونه. هذا البطل النادر إغتالته يد الصراعات الداخلية الإغريقية، وكانت الإحتفالات الجنائزية التى أقامها ابنه نيكوكليس عرضاً فائقاً ومتقناً للثقافة الهيللينية القبرصية التى بلغت الذروة فى عصر الفقيد[٢].

إعتلى نيكوكليس العرش بعد أبيه إيواجوراس وأثبتت الأيام أنه أسوأ خلف لخير سلف. فصار يضارع ستراتو من صيدا فى العهر والمجانة. لقد كان أصلاً من أنصار الحزب الفارسى فى قبرص كما يقول ايسوكراتيس (Nicocles 34)، إلا أنه انضم لثورة الولاة الفرس التابعين للملك العظيم، ومات فى السجن ٣٦١ ق.م. مثله فى ذلك مثل ستراتو. وتلاه إيواجوراس الثانى الذى قد يكون الإبن – أو الحفيد – لإيواجوراس الأول البطل الأمثل. كان الحزب المعادى للفرس بزعامة أخيه (؟) بنيتا جوراس بن إيواجوراس الأول ولكن الأخير قتل مع أبيه. وهنا ظهر إيواجوراس الثانى كارهاً للفرس وملتحقاً بالثورة ضدهم والتى اندلعت فى فينيقيا ومصر (٣٥١ ق.م.). كان الجيش الذى أرسله الفرس يتكون من ثمانية آلآف مرتزق فى أربعين سفينة أرسلها إدريوس Idrius بن هيكاتومنوس من الأسرة الحاكمة فى كاريا بناء على أوامر أرتاكسركسيس الثالث أوخوس Ochus (٣٥٩ / ٣٥٨ – ٣٣٨ ق.م.).

قاد الحملة الأثينى فوكيون Phokion ورافقها إيواجوراس الثانى (٣٤٥–٣٤٤ ق.م.) واستطاعت الحملة أن تستولى على سلاميس، واتخذتها نقطة إنطلاق للسيطرة على بقية الجزيرة بعد نهب مزارعها وثرواتها. وتضاعف عدد جنود الغزو بقدوم متطوعين كثيرين من سوريا وكيليكيا طمعاً فى الأسلاب بالغة الثراء والاغواء.

استسلم بنيتاجوراس وأصبح تابعاً لأرتاكسركسيس فحفظ لنفسه العرش. أما إيواجوراس الثانى الذى وشى به بنيتاجوراس فقد هرب من قبرص إلى المنفى. واستطاع أن يكسب رضا الملك الفارسى الذى وهبه مملكة صغيرة فى فينيقيا فأساء حكمها (٣٤٤/٣٤٣ –٣٤٢ ق.م.). فعاد إلى سلاميس حيث أغتيل. ورغم تبعيته للفرس استطاع بنيتاجواس أن يحافظ على الموروث الثقافى

(١) Xenoph. Hell. III iv. 25

(٢) للمزيد من التفاصيل عن إيواجوراس راجع:

[Greek] Spyridakis, passim. Idem, Evagoras I von Salamis, Untersuchungen sur Geschichte des Kyprischen Königs. Stuttgart 1935. 1942, passim

الهيللينـى بقـبرص ولا سـيما مدينـه سـلاميس . وزار ديلـوس بوصفـه " ضيفـاً عامـاً " . Proxenos. وهنـاك قـدم إكليلين من الذهـب. لأحـد المعابد المهم أن ثقافة قـبرص طـوال القـرن الخـامس والرابـع ق.م. كانت بصفـة رئيسـية هيللينيـة رغـم تعرضهـا لموجـات متتاليـة من الغـزو الشـرقى .

فبعـد معـاهدة كالليـاس (٤٤٩/٤٨٠/٤٤٩م) لم تنقطـع الروابـط التجاريـة والثقافيـة بـين الإغريـق والقبارصـة الذيـن فتحوا أسـواق الشـرق لأثينـا . عـرف الفخـار الأتيكـى ذو الرسـوم الحمـراء طريقـه إلى قـبرص وآسـيا الصغـرى حوالى القـرن الخـامس ق.م . واسـتطاع الـذوق الإغريقـى المتنـوع فـى أسـاليبه والغنى فى جماله أن يتغلغـل مـع أسـلوب الحيـاة الإغريقيـة إلى الجزيـرة القبرصيـة، فوجـد تربـة صالحـة وترعـرع طـوال النصـف الأول من القـرن الخـامس ق.م . ففـى تمثـال طينـى نجـد تصويـراً للربـة أثينـة وهـى تلبس الخـوذة والايجيس Aegis وتستعد لتمتطى عربـة عسـكرية ذات أربعـة خيـول كـان هـذا التمثـال مـن بـين القرابـين المقدمـة إلى معبـد أبوللـو ليكيـوس Apollo Lykios فـى ميرسـيناكى Mersinaki بين فونى وسـولوى . ويعـود للقـرن الخـامس ق.م . ومـن بين القرابـين المقدمـة أيضـاً فـى معبـد الربـة أثينـة على قمـة ربـوة فى فونى بقـرة برنزيـة تحـاكى التمثـال المشـهور لمـا يـرون Myron، وتمـاثيل صغـيرة أخـرى للربـة أثينـة لابسـة الخـوذة الكورنثيـة . وامتـدت عبـادة هـذه الربـة إلى وادى سـوليا Solea ، وعندمـا استولى الفينيقيـون على إيـد اليـون (٤٧٠ ق ٠م) دمروا معبـد أثينـة حاميـة المدينـة . وكانت قـد وضعـت فيـه اللوحـة المشـهورة لمـا حوتـه من قواعـد قد تدخـل فى بـاب التكـافل الإجتمـاعى . قـام النحـاتون الإغريق المقيمـون فى قـبرص بصنـع تمـاثيل مثـل تمثـال Kouros (٤٨٠ ق.م.) وبقـى لنا منـه الـرأس فقـط ويذكرنـا بأعمـال النحـت فـى معبـد زيـوس فـى سـهل وعـثر فـى تاماروسـى أوسـلاميس علـى رأس تمثـال برنـزى لأبوللـو (٤٦٠ق.م.) ربمـا يكـون أفضـل الأعمـال الفنيـة فـى قـبرص القـرن الخـامس ق.م. وحملـت النقـود القبرصيـة صـور آلهـة الأوليمبـوس . وهنـاك فينيقـى يدعـى عبـد ساسـوم Abdsasomأهـدى تمثـالا صغـيرا لأبوللـو الآلاسـى Apollo Alasiotas فـى تاماسـوس ٣٧٥ ق.م . وهنـاك فينيقـى آخـر متـأغرق يدعـى مناسـياس Mnaseas أهـدى تمثـالا لأبوللـو هيليتـاس Heleitas Apollo فـى نفـس المدينـة (٣٦٢ق.م).

ومـن بـين الأثينيين الكثيرين الذين توافـدوا على سـلاميس واسـتقروا بهـا نذكـر القـائد البحـرى الشـهير كونـون Konon الـذى اعتبر سـلاميس أثينـا الشـرق وتـزوج قبرصيـة . فبعـد هزيمـة إيجـوس بوتـاموى القاضيـة بالنسـبة لأثينـا (٤٠٥ ق.م .) لجـأ كونـون إلى بـلاط إيواجـوراس . حـاول بالتعـاون مـع مضيفـه إنقـاذ الهيللينيـة، ومـن مسـاعيهما المشـتركة محاولـة فاشـلة لعقـد إتفـاق تحـالف بـين ديونيسـيوس طاغيـة سـراقوصة فـى صقليـة وإفـاجوارس القـبرصى . وكـل مـا نجـم عـن هـذه الجهـود هـو امتنـاع ديونيسـيوس عـن إرسـال سـفن ثلاثيـة المجـاديف إلى اسـبرطة عـام ٣٩٦ / ٣٩٥ ق.م. وفـى النهايـة اسـتطاع كونـون أن يهـزم اسـبرطة وأسـطولها فـى كنيـدوس (٣٩٤ ق.م)، وكـان بقيـادة بيسـاندروس Peisandros. وعـاد كونـون إلى أثينـا منتصـراً فكرمتـه المدينـة هـو وحليفـه إيواجـوراس



شكل رقم (٢٨): رأس إيزيس وعلى رأسها نصف القمر. ومع أن الوجه هادئ وجميل إلا أنـه يعكـس الألم. شـعرها طويـل وفيـه فرق عند منتصف الرأس، ويتدلى على الكتفين عثرت البعثة السويدية على هذا التمثال فى سولوى

وأقيم لهما تمثالان فى الأجورا Agora (السوق العامة) عند سفح الأكروبوليس وإلى جوار تمثال زيوس. وفى عام ٣٩٢ ق.م . ألقى القبض على كونون بعد أن اتهمه الحاكم الفارسى تيريبازوس بالخيانة، وذلك عندما ذهب إلى سارديس فى محاولة لإفشال التقارب الفارسى -الاسبرطى على يد انتالكيداس Antalkidas. ويبدو أن كونون بعد أن أمضى بعض الوقت فى سجون سارديس قد هرب إلى قبرص ليعيش مع أسرته هناك ومات ودفن فى الجزيرة.!

كانت الحياة الفكرية فى قبرص جزءاً عضويا من العالم الإغريقى، وكان النتاج الأدبى بها إغريقيا بكل معانى الكلمة، دون أن يتعارض ذلك مع المؤثرات الشرقية الملموسة التى أعطت لكل ماهو قبرصى نكهة مميزة عن كل ماهو إغريقى . كان التبادل الثقافى بين قبرص وبلاد الاغريق القارية وكذا جزر بحرإيجة متواصلا دون انقطاع، وواكبه التبادل التجارى وما إلى ذلك . كان الإغريق يلجأون إلى قبرص سائحين أو مستقرين أو باحثين عن أعمال وصفقات . وكان القبارصة لا ينقطعون عن كريت ورودس وأثينا وسائر أنحاء بلاد الإغريق . شارك الطرفان فى المسابقات الثقافية والألعاب الرياضية واستشارة مراكز النبؤات ولاسيما فى دلفى وعبادة آلهة الأوليمبوس . وكان القبارصة المقيمون فى بلاد الإغريق يتزوجون فى مقار إقامتهم من إغريقيات. وفعل الإغريق المقيمون فى قبرص نفس الشىء . وفى القرن الرابع ق.م كانت هناك جالية سلامينية Koinon Salaminion تمارس أنشطها المختلفة فى بيريه . وكانت هذه الجالية منظمة ولها سكرتيرها، ووصلتنا وثائق مختلفة عن إدارتها وأنشطها . وكان القبارصة المقيمون فى أثينا يعملون تجاراً او صيارفة أو عبيداً . عمل أحدهم فى فن نحت البرنز وبرع فيه، وكان يدعى ستيباكس Styppax.[1] ووصلتنا وثائق مماثلة عن قبارصة إستقروا فى جزيرة ثيرا وايجينا وديلوس، وبعضهم استقر فى مدن أرجوس وخيوس ورودس وتانا جرا وإبيداوروس ودلفى وغيرها ، وفى العصر البطلمى ازداد عدد الإغريق المقيمين فى قبرص، بعد أن عرف عن ملوك قبرص أنهم يرحبون بالأثينيين المتميزين فى بلادهم . وهذا أمر بدأه إيواجوراس الذى منح أرضا للأثينيين المقيمين فى قبرص . ولذلك وفد على الجزيرة كبار الفنانين والأدباء والشعراء والساسة . وهذا كله معناه أن الرافد الإغريقى الثقافى الذى كان يصب فى الحياة القبرصية منذ القدم كان فى نمو مطرد .

عاش شعراء غنائيون قبارصة فى البلاط الملكى إبان القرن الخامس ق.م. وهذا مانفهمه من الأغنية البيثية الثانية لبنداروس حيث يقول:

αλλοις δε τις ετελεσσεν αλλος ανηρ
ευαχεα βασιλευσιν υμνον, αποιν αρετας.
κελαδεοντι μεν αμφι Κινυραν πολλακις
φαμαι Κυπριων, τον χρυσοχαιτα προφρονως
εφιλασ' 'Απολλον,

---

(1) Plin., N.H., xxx 81.

ιερεα κτιλον 'Αφροδιτας' αγει δε χαρις φιλων
ποινιμος αντι εργων οπιζομενα.

كـــان لــــدى الملـــوك الآخريـــن مغـــن مـــا
يكـــــافئ انتصـــــاراتهم بألحـــــان عذبـــــة
فغالبـــاً مـــاتردد أناشـــيد النصـــر والثنـــاء
علـــى أبطـــال قـــبرص تلـــك الأصـــداء
التـــى تهيـــم حـــول اســـم كينـــيراس
كـــــاهن أفروديتـــــــى المحبـــــوب
الـــذى شـــغف أبوللـــو ذهبـــى الشـــعر حبـــاً
فهنـاك شـعور عميـق بواجـب الإمتنـان وراء هـذه المدائـح
التـــى تكـــافئ بالـــبر والـــورع الأعمـــال الجيـــدة.

وكانت ملحمة "الأرجونوتيكا" للشاعر كليون Kleon من كوريون (القرن الرابع ق.م.) هـى مصـدر ملحمة أبو للونيوس الرودسى بنفس العنوان وهو من كبار شعراء الأسكندرية.[1] ومع أنه لايعرف سوى كاتب تراجيدى واحد قبرصى هو ديونيســيوس، وعرفنـا أيضـا مغنيـاً قبرصيـاً يغنـى بمصاحبـة القيثـارة يدعـى كريتـون Kriton، ولكن من المؤكد ان الغناء والرقص والتراجيديا والكوميديا كانت من الفنون المزدهرة فى سـلاميس وسولوى وغيرهما.

وكتـب سـوباتروس Sopatros مـن بـافوس عـدة كوميديـات فهـو مـن كتـاب الملهـاة الشـعبية فليـاكون Phlyakon، عـاش فيمـا ين القـرن الرابـع والثـالث ق.م.

إنه مؤلف أشـعار سـاخرة وروايـات دراميـة شـعبية إزدهـر فـى وقـت مـا بـين عصـر الإسـكندر الأكـبر وبطليموس الثانى. بقيت لنا منه عدة شذرات فـى الشـذرة رقـم ١٩ يذكـر شـيبرون Thibron الـذى أعـدم هاربالوس Harpalus عام ٣٢٤ق.م ويستنتج من شذرة رقم ١ و ٢٤ أن سوباتروس عاش فى الإسـكندرية بعض الوقت. ووصلتنا له أربعة عشر عنواناً ثلاثة منها فيما يبدو تكون ثلاثيـة وهـى: "بـاكخيس" Bakchis، "خطاب باكخيس"، "زفـاف بـاكخيس". وهـى عنـاوين تذكرنـا بمثيـلات لهـا عنـد بلاوتـوس شـاعر الكوميديـا الرومانية. ومن عناوين سوباتروس كذلك: "هيبولتيوس"، "نيكويا" أو الرحلة العالم السفلى"، أوريسـتيس" وهـى فيما يرجح معارضات ساخرة لبعض التراجعيديات القديمـة ولـه عنـوان آخـر هـو" فتيـات جالاتيـا" Galatai وليس "الغاليات" (= الفرنسيات) كما هو شائع ووصلتنا منها شذرة مكونة من إثنـى عشـر بيتـاً (رقـم ٦)[2]. ومـن العنـاوين الأخـرى المنسـوبة لسـوباتروس Siphlai, Knidia, Phake, Physiologos,

---

(١) CGF 192 ff.
Cf. T.B.L. Webster, Hellenistic Poetry and Art. London 1964.
[Greek] Albin Lesky, p. 1019.

(٢) أحمد عتمان، الأدب الإغريقى، ص٤٥٣- ٥٠٦.



شكل رقم (٢٩): رأس ابوللو المعروف باسم تشاتزورت Chatsworth وهو تمثال نحاسي يؤرخ بـ ٤٦٠ ق.م حين كانت قبرص على صلة وثيقة بأتينا. ويمكن أن يقارن هذا التمثال بالأعمال الأولى لفيدياس أعظم نحاتي الإغريق طراً. وهو محفوظ بالمتحف البريطاني



سكل رقم (٣٠) : الإلهة أثينة تمتطى صهوة عربة تجرها أربعة خيول. هذا العمل المركب والمتقن من صنع فنانى قبرص فى منتصف القرن الخامس ق.م وهو يعكس تأثيرات بلاد اليونان القارية والسمات المحلية القبرصية وهو محفوظ بالمتحف، البحر المتوسط فى إستوكهلم.

Euthyboulotheobrotos . والعنوان الأخير الطويل والمركب يذكرنا بنزعة أريستوفانية معروفة في تكوين مثل هذه التعبيرات[١] .

وفي كوريون عاش الشاعر الايامبي هيرمياس Hermeias الذى هاجم الفلاسفة الرواقين واعتبرهم من المنافقين وسمى زينون مؤسس مدرستهم بأنه (فينيقى)[٢] .

ومن أشهر المؤرخين القبارصة كليارخوس Clearchos (حوالى ٣٤٠-٢٥٠ ق.م.) من سولوى . وهو فيلسوف مشائى من تلاميذ أرسطو . كان غزير الإنتاج وعرف فقط من خلال النقول عنه، لأن أعماله فقدت . ومن العناوين التى وصلتنا منه نذكر مايلى :

"فى أساليب الحياة" وليس "فى السير" : - "Peri Bion"

"فى فنون الحب" - Erotica.

"الأمثال، عن المائيات" - Paroimiai, peri ton ensydron.

"عن الأحجيات" أو "فى الألغاز" - Peri griphon.

"فى ما إكتشف رياضياً فى محاورة "الجمهورية" لأفلاطون

- Peri ton en te Beatonos Πολιτεια Mathematiko euremenon.

"وفى التربية" - Peri Paideias

"عن الهياكل" (أو المومياوات؟" - Peri Skeleton

"عن النوم" - Peri hypnou.

"فى الصداقة" - Peri Philias:

"مديح أفلاطون" - Platonos Enkomion

ومن مؤرخى قبرص المرموقين أريستوس Aristos من سلاميس، وأسكلبياديس القبرصى (أوائل القرن الثانى ق.م .) ، وقيل إنهما معا كتبا "تاريخ الاسكندر الأكبر Ta peri Alexandrou. وكتب أسكلبياديس "تاريخ قبرص وفينيقيا" Peri kyprou kai phoinikes ومن كتاب الروايات الأسطورية التاريخية نذكر ديميتريوس من سلاميس وبسايون Paion من سلاميس أيضاً، وهيرميسياناكس Hermesianax القبرصى، وكسينونون Xenophon القبرصى والاسكندر البافى (من بافوس) وديموخاريس Demochares من سولوى (القرن ٤-٣ ق.م) الذى لا يعرف عنه الشئ الكثير. وقيل إنه مؤرخ وقيل كذلك أنه شاعر كوميدى.

---

(١) أحمد عتمان، الأدب الإغريقى، ص٣٣٢- ٣٧٠.
نفس المؤلف (ترجمة): "السحب" لأريستوفانيس. سلسلة من المسرح العالمى الكويتية عدد ٢١٥ (أغسطس ١٩٨٧) المقدمة.

(٢) عن نصوص كليارخوس من سولوى راجع:
[Greek]: Hatzioannou, Vol. ς pp. 137- 156.

وكتب الخطيب – الفقيه زينون من كيتيون تعليقات على كسينوفون وليسياس وديموستنيس وكان يوديموس Eudemos القبرصي (ت ٣٥٢ ق.م .) تلميذا محبوبا لدى أرسطو، الذى أهداه مؤلفه "في الروح" Peripsyches وكان نيكانور Nikanor القبرصي (القرن الرابع – الثالث ق.م) فيلسوفا أبيقوريا على صلة وثيقة بأبيقور نفسه في أثينا ، وكان ملحدا كما ذكر كليمنت السكندرى (Protrep . 20-21 II) وفي قبرص عاش بيثون Python. ابن أريستوكراتيس Aristokrates من خيتروى في أوائل القرن الثاني ق م وكان من أتباع الأبيقورية . وعاش ديوسكوريديس Dioskourides القبرصي فيما بين (٣٢٠-٢٣٠ ق.م.) وكان من أتباع الفيلسوف الشكاك تيمون Timon من فليوس Phlious. أما عن الطب القبرصي فيمثله كل من سينيسيس Syennesis (حوالى القرن الرابع ق.م.) وديا جوراس Diayoras (أواخر القرن الثالث ق.م.) . والآخير هو الذى كتب تعليقات على أبى قراط (هيبوكراتيس) أبى الطب الإغريقي . في كيتيون عاش كل من أبوللودوروس وزينون سالف الذكر الخطيب والفقيه والطبيب والذى أسس مدرسة طبية في كينيون وعاش بعض الوقت في الأسكندرية . وكان أبوللونيوس Apollonius من كيتيون في خدمة بطليموس التاسع الزمار (القرن الأول ق.م .) والد كليوباترا السابعة . وكتب عن "المفاصل" Peri arthron . ومن تينيدوس جاء فايداس Phaidas بن داماساجوراس Damassagoras، وعاش في القرن الرابع والثالث ق.م ومات في باليو بافوس .

٧- قبرص البطلمية

كان أهم مايربط الاسكندر الأكبر بقبرص هو معرفة أهلها بالشرق الأوسط، وتوافر خبراء لديها بما يجرى هناك، ولاسيما مايتصل بالاستراتيجية السياسية والاقتصادية. فالقبارصة يعرفون جيرانهم معرفة جيدة ولاسيما الفينيقيين، الذين كان لايمكن اخضاعهم بقوة السلاح وحدها دون الخبرة القبرصية. ولقد قال بلوتارخوس (Alex.I6) إن زينون من كيتيون (٣٣٥-٢٦٣ق.م.) مؤسس المدرسة الرواقية قال إن الاسكندر هو الوحيد الذى حقق الدولة الحلم، لأنه صالح أبناء البشر مع بعضهم البعض. وفى ظل هذه الدولة اختلطت، الأجناس فصادق بعضهم بعضا وتزاوجوا وتصاهروا وانصهروا فى بوتقة الإخاء والتعايش. وخرج بذلك على تعاليم أستاذه الفيلسوف والمعلم الأول أرسطو، الذى كان ينادى بمعاملة الإغريق على نحو خاص وعلى أنهم قادة العالم. هذا مع أن تواريخ الميلاد الخاصة بكل من زينون والاسكندر الأكبر (٣٥٦-٣٢٣ ق.م.) تجعلنا نستبعد تأثير الأول على الثانى. والأرجح أن زينون قد أعجب بإنجازات الإسكندر، الأكبر إذ كان كل منهما يحلم بالحكومة الكونية[1]. كما كان مشروع إيواجوراس الحضارى قد مهد الطريق على مستوى محلى فى قبرص وإن لم يخل من إيحاءات خارجية. ومن المرجح أن إيواجوراس قد اتبع تعاليم أنتيسثنيس Antisthenes (٤٤٥-٣٦٠ ق.م.) مؤسس المدرسة الكلبية. كما عمل بفحوى ونصائح إيسوكراتيس السياسية، مما يؤكد الإرتباط الإيدبولوجى بين قبرص وبلاد الإغريق، ويوضح دور قبرص فى الوصول بتجربة نظام دولة -المدينة Polis إلى مرحلة النضج. وبعد فتوحات الاسكندر الأكبر أفادت قبرص أهل العصر الهيللنستي، حيث صارت مناجمها تستغل لصالحهم بعد أن صار الشرق الأدنى والأوسط حول البحر المتوسط أشبه بدولة موحدة.

أبقى الاسكندر الأكبر ملوك قبرص على عروأ Ôåã ÝÚÏåã Í لفاء له. ومن الممكن تفهم ذلك، لأنهم جميعا كانوا يعتقدون أن جدهم المشترك هو زيوس. ولعل السيف الذى أرسله ملك كيتيون الفينيقى بومياثون Pumiathon له مغزى عميق يفوق بكثير أهميته المادية الرمزية. وأهم من ذلك السيف العباءة التى قام بصنعها هيليكون Helikon نساج قبرص الشهير، وأهدتها إلى الاسكندر الأكبر جزيرة رودس.

وبعد موت الاسكندر الأكبر عام ٣٢٣ق.م. إستعاد ملوك قبرص سك عملتهم بعد إنقطاع طويل يعود إلى ٣٣٣ق.م. إذ سك بومياثون عملة ذهبية من قيمة نصف ستاتر Stater. وسك نيكوكريون عملة فضية - ذهبية. أما نيكوكليس من بافوس فسك عملة فضية بقيمة ستاترين. وهذا يؤكد أن خضوع ملوك قبرص للاسكندر الأكبر لم يكن خالصاً كما يظن المؤرخون غالباً.

بعد الإنتصار الساحق الذى حققه الاسكندر الأكبر فى إيسوس ٣٣٣ق.م. غيّر ملوك قبرص موقفهم. فبعد أن كانوا يتعاونون مع داريوس ويقدمون له السفن الحربية بأطقمها من البحارة، شرعوا يستقبلون وفوداً

---

[1] طارق مصطفى رضوان، دراسة فنية لسيرة الاسكندر الأكبر عند بلوتارخوس. رسالة ماجستير. كلية الآداب، جامعة القاهرة ١٩٩١.

وراجع:

M.H. Fish, "Alexander and the Stoics" AJPh LVIII (1937) pp. 123-157.

مقدونية مؤيدة – ومعارضة – للاسكندر الأكبر. بل إنهم بدأوا طواعية في وضع أساطيلهم المدربة تدريباً عالياً تحت إمرته. وهو أسطول لا يقل قوة عن أسطول الفينيقيين ويتكون من سفن خماسية المجاديف، التي تمثل أهم إختراعات العالم القديم في الحروب البحرية. وبعد أن فتح الاسكندر الأكبر معظم فينيقيا، أرسل ملوك قبرص مائة وخمسين سفينة إلى صيدا لمساعدته. وعندئذ بدأ الزعيم المقدوني يتحقق من أهمية قبرص ÇáÇÓÊÑÇÊíÌíÉ في السيطرة على الشرق الأوسط، ولاسيما صور وبقية فينيقيا تمهيداً لغزو مصر.

وبالاسهام النشط من قبل بنيتاجوراس من سلاميس وأندروكليس من أماثوس وباسيكراتيس من سولوى تم حصار صيدا تحت قيادة أندروماخوس، الذى حاصر الجانب الشمالى للميناء، فى حين حاصرت كل القوات القادمة من فينيقيا ورودس وليكيا وكيليكيا الجانب الجنوبى.

ونجح الحصار برغم فقدان سفينة بنيتاجوراس خماسية المجاديف، وكذا قوات أندروكليس وباسيكراتيس اللذين أسرع نحوهما الاسكندر الأكبر نفسه لإنقاذهما. وتبدو أهمية المساعدة القبرصية للاسكندر الأكبر من حجم الهبات والمكافآت التى خلعها عليهم بعد إكتمال النصر. لقد منح بنيتاجوراس مدينة تاماسوس بمناجمها بعد نزعها من ممتلكات كيتيون. وكان ملك المدينة الأخيرة الفينيقى بومياثون قد إشتراها من الملك المفلس باسيكيبروس، الذى إكتفى أيام الحرب بإرسال سيف هدية للاسكندر الأكبر! لقد أعيد الملوك الذين وقفوا إلى جانب الاسكندر الأكبر إلى عروشهم وإعتبرهم حلفاءه، وإن كان قد فرض عليهم سك عملة تحمل إسمه.

عاد الاسكندر الأكبر إلى صور (ربيع ٣٣١ق.م.) وكان قد أتم فتح مصر وزار معبد آمون– زيوس فى سيوة حيث سماه الكهنة هناك "إبن الإله"، وأرسل الاسكندر الأكبر مائة سفينة قبرصية وكريتية صوب بحرايجة وكريت لإجهاض إستعدادات ملك إسبرطة آجيس Agis التى تستهدف إستثارة بلاد الإغريق ضده. وفى صور قدم الاسكندر القرابين للمقرت، وإنهمك فى أعمال الإدارة والتنظيم، ودعا ملوك قبرص لتمويل مهرجانا للفنون. وأصبح نيكوكريون من سلاميس– خليفة بنيتاجوراس الذى ربما كان قد قتل فى صور– هو المسئول عن إنتاج وإخراج المهرجان Choregos ولاسيما فرقة ثيسالوس Thessalos صديق الاسكندر الأكبر. فى حين تولى باسيكراتيس مسئولية الفرقة الخاصة بالممثل الأيثنى التراجيدى أثينودوروس Athenodoros الذى فاز بالجائزة الأولى. ولم يعوض خيبة أمل الاسكندر الأكبر لفشل صديقه ثيسالوس سوى البذخ العاطفى والثراء الفنى للمسابقات والإقبال الجماهيرى عليها[1].

ولقد إصطحب نفراً غير الاسكندر الأكبر قليل من خبراء قبرص فى الشرقيات فى رحلة إلى الهند. كان ستاسانور Stasanor –أمير من سولوى– الأداة الفعالة فى البنية الإدارية التى أقامها الاسكندر الأكبر فى فارس. ولعب دوراً بارزاً فى ترتيب أمور آريا Areia (٣٢٩/ ٣٢٨ق.م.) فعينه الاسكندر الأكبر والياً عليها. ولعب نفس الدور فى درانجيانا Drangiana فضمها الاسكندر الأكبر إلى ولايته (٣٢٨/٣٢٧ق.م.). وفى عام ٣٢١ق.م. ضمت إليه كذلك باكتيريا وسوجديانى Sogdiane. وفى نفس العام منح ستساندر Stasander (أخوه؟) ولاية آريا ودرانجيانا. وقاد كل من نيكوكليس بن باسيكراتيس مـــــــن

(١) Plut., Alex., 29.

سولوى ونيثافون Nithaphon بن بنيتاجوراس من سلاميس السفن ضمن رحلة نيارخوس[1] إلى نهر الهند Indus ٣٢٦ق.م. وقام هيّرو Hiero من سولوى برحلة حول الجزيرة العربية حتى الخليج الفاصل بين العرب والفرس، وعند وصوله إلى عدن إنتابه الخوف وعاد أدراجه إلى الوراء ليقول إن بلاد العرب أكبر من الهند، وفي عام ٣٢٣/٣٢٤ق.م. إستطاعت سفن قبرص نقل القوات إلى ثابسوس Thapsus لبناء أسطول الفرات تمهيداً للوصول إلى الهند.

وفي العصر الهيللينستي إشتهر من بين خلفاء الاسكندر الأكبر نيكوكليس من بافوس (٣٢٥-٣٠٩ق.م.) وهو إبن تيمارخوس Timarchos (٣٥٠-٣٢٥ق.م.) وهو الذى أسس بافوس الجديدة Nea Paphos وكان ملكاً محافظا ظل يتمسك بالكتابة المقطعية القبرصية القديمة ولم يتبن الأبجدية الإغريقية إلا في وقت متأخر جداً، إستطاع أن يقود أسرته وهي من سلالة كينيراس Kinyrades إلى إستعادة السلطة من جديد بعد موت الاسكندر الأكبر، الذى لم يكن مؤيداً لهذه الأسرة بسبب إرتباطها بعبادة أفروديتي وإحتكارها لوظائف الكهنة في معبدها، وبرغم إخلاصه لبطليموس كان نيكوكليس ينزع إلى الإستقلال عن مصر، فسك إسمه على ظهر العملة الفضية من فئة الأربع دراخمات (٣٢٠ق.م.)، ولقد سك إسمه بحروف دقيقة جداً في وسط خصلات لبدة الأسد المتدلية من جلد الأسد الإغريقية، رداء هرقل، أدخل نيكوكليس عبادة هيرا إلى جانب أفروديتي وجعلها نداً لها، كما بنى معبداً لأرتميس أجروتيرا (= راعية الصيد) Artemis Agrotera في بافوس الجديدة الساحلية التى أصبحت مقراً لعرشه وعاصمة لملكه السياسي والثقافي والإقتصادى، وإن ظلت بافوس القديمة مركزاً دينيا رئيسياً، وهكذا إستطاع أن يخرج عن النطاق الضيق الذى كانت تسير فيه الأسرة التي ينتمى إليها أى سلالة كينيراس.

في عام ٣٢١ق.م. إستطاع بطليموس أن يضمن تحالف نيكوكريون من سلاميس وباسيكراتيس من سولوى ونيكلوكليس من بافوس وأندروكليس من أماثوس، ومن ثم أبحر أسطولهم المكون من ٢٠٠ سفينة في حملة ضد برديكّاس، Perdiccas، الذى كان قد أرسل قوة صغيرة لحماية المدينة الموالية له ماريون (؟)، والتى حاصرها هؤلاء الملوك، وفي خريف ٣٢١ ق.م. مر أنتيجونوس بقبرص في طريقه إلى تريباراديسوس (Triparadeisos = الجنة الثلاثية) من أجل إعادة توزيع الولايات بعد موت برديكّاس، حيث تعامل الأمير المقدوني حاكم ليديا كليتوس Kleitos نيابة عن القائد المقدوني أنتيباتروس Antipatros (٣٩٧-٣١٩ ق.م.) مع قواته الموجودة في الجزيرة.

وفي عام ٣١٨ق.م. إستطاع أحد خلفاء الاسكندر إيومينيس Eumenes (٣٦٢-٣١٦ ق.م.)- الموالى للأسرة المقدونية الملكية- أن يوظف كل إمكانات آسيا الصغرى وفينيقيا لإمداد جيشه في قبرص، أعدمه أنتيجونوس (٣١٧/٣١٦ق.م.) وشن حملة شعواء لضم قبرص إلى ممتلكاته بعد إنتزاعها من البطالمة، عقد أنتيجونوس- عن طريق مبعوثه أجيسلاوس- معاهدات تحالف مع لابيثوس وماريون وكيرينيا وكيتيون، أما بقية

---

[1] كان نيارخوس من كريت صديقاً للاسكندر الأكبر، وهو الذى أبحر بالأسطول حول شبه الجزيرة الهندية إلى مصب نهر دجلة، وكتب وصفاً لهذه الرحلة (قبل عام ٣١٢ ق.م). وتضمن هذا الوصف معلومات قيمة عن الهند أفاد منها سترابون وأريانوس. من المحتمل أن يكون نيارخوس قد لاقى حتفه في موقعة غزة عام ٣١٢ ق.م.

الملوك فى المدن الأخرى فكانوا متحالفين مع البطالمة. ومن بين المدن التى تحالفت مع أنتيجونوس كانت لابيثوس وكيتيون تحت حكم فينيقى وإن كان أهلها يتحدثون الإغريقية.

أرسل بطليموس الأول سوتير (المنقذ) أخاه مينيلاؤس على رأس قوة كبيرة قوامها ثلاثة عشر ألف رجل على ظهر مائة سفينة إنضمت إلى أسطول سيليوكوس، الذى كان قد وصل تواً من البحر الإيجى. وتم الإستيلاء على المدن القبرصية المعادية للبطالمة وإحتل سيليوكوس نفسه كيرينيا ولابثيوس. حتى أماثوس إضطرت إلى تسليم بعض الرهائن. وتم الإستيلاء على كيتيون بعد قتل ملكها الفينيقى بومياثون، الذى إتصل سراً بأنتيجونوس. وأحرقت معابد المدينة (٣١٢ق.م.). وعوقب كل من براكسيبوس Praxippos الثانى ملك لابيثوس وثيميسون Themison ملك كيرينيا- وهو الذى كان أرسطو قد أهداه كتابه "فى الحث على الفلسفة"[1] Protreptikcos. وكذا ملك ماريون ستاسيؤيكوس Stasioekos الثانى، حيث سويت مدينته بالأرض فهاجر أهلها المكان إلى بافوس[2]. صودرت كل المدن وسلمت إلى نيكوكريون المعين قائداً عاماً أو والياً على قبرص، وتركت قيادة الجيش البطلمى فى قبرص فى يد مينيلاؤس. وبدأ عصر جديد بالنسبة لكيتيون.

فمنذ عام ٣١١/٣١٢ق.م. أصبحت كيتيون مدينة إغريقية، حيث أن المنتصر وهو نيكوكريون من سلاميس له علاقات وثيقة بالثقافة الإغريقية، وخلد ذكراه مؤلفون كثيرون ونقوش كثيرة.

ولكنه مات ميتة مأساوية إذ عاقبه بطليموس بعد أن إكتشف تآمره مع أنتيجونوس، فأرسل قائدين من رجاله لإغتياله، ولكنه قرر الإنتحار ومنح هذه الفرصة. فلما علمت زوجته بإنتحاره- وتدعى أكسيوثيا Axiothea- قتلت كل بناتها العذروات وأقنعت أخوات زوجها بالإنتحار معها. ففعل أزواجهن نفس الشىء بعد أن أحرقوا القصر. وفى الآونة الأخيرة تم العثور على بقايا هذه المحرقة فى سلاميس. ورويت روايات كثيرة فيما بعد عن البذخ الأسطورى فى قصر نيكوكريون ملك سلاميس وعن إنغماسه فى أسلوب الحياة الإغريقية المترفة مما يشى بعداوته لأسلوب الحياة الفينيقية.

واتبع أندروكليس من أماثوس نفس هذا الأسلوب فى الحياة ونفس السياسة والثقافة التى سنّها نيكوكريون فى سلاميس. فأهدى تاجاً ذهبياً (٣١٥-٣١٠ق.م.)، وأهدى تمثالاً (لإبنه) إلى أفروديتى القبرصية Aphrodite Kypria فى ديلوس كما جاء فى النقش على قاعدة التمثال.

وفى عام ٣٠٧ ق.م. وبعد تحرير أثينا من الطاغية ديميتريوس الفاليرى عميل الزعيم المقدونى كاساندر Kassander (٣٥٨-٢٩٧ ق.م.) -مؤسس كاساندريا وثيسالونيكى- (٣٠٧ق.م.) أعلن عن حملة لإحتلال قبرص كنقطة إنطلاق إلى آسيا الصغرى. وبالفعل عبر ديميتريوس إلى كارباس بقوة كبيرة تشمل سبعة سفن فينيقية سباعية المجاديف وثلاثين سفينة أثينية رباعية المجاديف وتحت قيادة ميدياس Medias. استولى على أورانيا Ourania وكارباسيا وسار فى إتجاه سلاميس. ودارت المعركة على بعد

---

(١) [Greek] Albin Lesky, pp. 767 ff., 811.

(٢) عن الحفريات فى نيابافوس، راجع:

Wiktor A.Daszewski, "Nea Paphos Excavations 1995" Polish Archeology in the Mediterranean VII (Warsaw 1996). pp. 91-99.



شكل رقم (٣١) : هذه الراس التي يصورها الفنان القبرصي بهذا التمثال تذكرنا بنهاية نيكوكريون آخر ملوك سلاميس. فكما يقول ديودوروس الصقلي انتحر نيكوكريون مع جميع أفراد اسرته في نهاية القرن الرابع ق.م. حتى لايأسره بطليموس. وقد عثر على هذا التمثال عام ١٩٦٦م مع أربعة رؤوس اخرى تحت بقايا كومة الحرق فى مقبرة نيكوكريون

خمسة أميال منها وهزمت قوات مينيلاؤس الضخمة (١٢ ألف رجل)، قتل منهم ألف وأسر ثلاثة آلاف أرسلوا إلى أنتيجونوس في سوريا. ولكن معدات ديميتريوس الضخمة فشلت في حصارها لسلاميس بفضل مقاومتها العنيدة. وجاء أسطول بطليموس ليساعد مينيلاؤس وضم هذا الأسطول ١٤٠ سفينة -بعضها قبرصي- إنضم إليه في بافوس. وصاحبت الأسطول ٢٠٠ سفينة نقل وبلغ عدد رجال الأسطول عشرة آلاف. ولكن ديميتريوس هزم الأسطول البطلمي قبالة كيتيون وأسر منهم ثمانية آلاف من بينهم مينيلاؤس نفسه، وأحد أبناء بطليموس (٣٠٦ق.م.)، فتصرف معهم ديميتريوس بنبالة وكرم شديدين. وطوال الإثني عشر عاماً (٣٠٦-٢٩٤ق.م.) التي حكم ديميتريوس أثنائها قبرص كانت الجزيرة بالنسبة له ولإبنه ديميتريوس الفاتح المركز الرئيسي لإمدادات السفن والحروب. وبعد هزيمة أنتيجونوس وموته في إيبسوس Ipsus ٣٠١ق.م. حكم ديميتريوس قبرص منعزلاً في مقره بسلاميس، حيث استدعى أمه لتقيم معه وتدعى ستراتونيكي Stratonike.

ولكن تورط ديميتريوس المتزايد في شئون مقدونيا وبلاد الإغريق ورطه في سلسة متتالية من الهزيمة والفشل في معارك مختلفة، ولاسيما في إفيسوس وميليتوس وكيليكيا مما أعطى الفرصة لبطليموس لكي يعيد إحتلال قبرص والذى كان قد قدم إبنته له زوجة ٢٩٩/٢٩٢ق.م. عامل بطليموس أسرة ديميتريوس بكل الكرم. وحكم البطالمة قبرص من عام ٢٩٤ حتى ٥٨ق.م. ومن ٤٨/٤٧- ٣١ق.م. وإتخذوا من الجزيرة نقطة حصينة متقدمة للدفاع عن مصر.

لم يكن هناك مفر من أن تتورط قبرص في الصراعات البطلمية الداخلية. ففي عام ٢٧٧ق.م. قتل بطليموس الثاني فيلادلفوس (٢٨٥-٢٤٦ق.م.) أخاه غير الشقيق (إبن بطليموس الأول المنقذ سوتير)، وذلك لأنه حرض القبارصة على التمرد[1] . ويتجلى إهتمام بطليموس فيلادلفوس بقبرص بإعتبارها مركزاً لبناء السفن من التمثال الذى أقامه للمهندس البحرى بيرجوتيليس Pyrgoteles بن زؤيس Zoes في باليوبافوس. وكان بريتيوس Pritios المهندس المتخصص أيضاً في بناء السفن نشطاً في نياباقوس. وفي الواقع كان توافر أخشاب بناء السفن في منطقة بافوس وقربها من مصر سببين وجيهين لنقل العاصمة من سلاميس إلى بافوس في أوائل القرن الثاني ق.م. وتتجلى ذروة حالة الأمن وشيوع السلام في قبرص البطلمية إبان حكم الملكين الأولين سوتير وفيلادلفوس من حقيقة تأسيس مالا يقل عن ثلاثة مدن بإسم أرسينوى Arsinoc. واحدة على الساحل الشرقي، والثانية جنوب سلاميس، والثالثة على الساحل الجنوبي الغربي، فيما بين بافوس القديمة والجديدة. وهذه المدن أسست لتخليد إسم زوجة - وأخت - بطليموس الثاني، والتي عبدت إلهة مثله حوالي عام ٢٧٢/٢٧١ق.م. وإعتبرت صورة أخرى لأفروديتي أو نایاس Naias أى "عروس النهر" أو "عروس البحر" في خيتروى. وأقيمت لها طقوس العبادة رسمياً تحت إشراف كاهن يدعى كانيفوروس Kanephoros مما يذكرنا بأعياد وطقوس الباناثينايا الفخمة والتي كان عذروات أثينا أثنائها يحملن آنية أو سلات من الفضة والذهب وبها كل متطلبات الطقوس في معابد شيدت في كافة أنحاء قبرص. وسكت عملة ذهبية من فئة الثمانية دراخمات لتخليد عملية تألية أرسينوى.

---

(١) Paus., I. 7.1

وفى الحرب السورية الثالثة التى أشعلها بطليموس الثالث إيوإرجيتيس (فاعل الخير) الأول (حوالى ٢٤٥ق.م.) ضد الملكة لاؤديكى Laodike من المرجح أن قبرص كانت القاعدة الرئيسية لإنطلاق الهجوم العسكرى. وفى عام ٢٣٨ق.م. كانت قبرص من المناطق الرئيسية التى أمدت مصر بالقمح إبان المجاعة التى وقعت فيها بسبب الجفاف.

ومنذ حكم بطليموس الرابع فيلوباتور "المحب لأبيه" (٢٢١-٢٠٣ق.م.) فصاعداً زاد دور قبرص العسكرى فى النزاعات البطلمية الداخلية، وكذا شئونهم الخارجية مما استوجب تأسيس نظام إدارى عسكرى محكم تحت تصرف قائد عسكرى Strategos قدير، مما شكل سابقة لنظام الحكم الرومانى والبيزنطى فى قبرص. كان أول قائد- حاكم فى قبرص البطلمية هو بيلوبس بيلوبوس Pelops Pelopos المقدونى (٢١٧-٢٠٩ق.م. تقريباً).

جاءت قبرص مع ممتلكات مصرية أخرى فى آسيا الصغرى وجنوب سوريا من نصيب أنطيوخوس الثالث العظيم ملك سوريا فى إتفاقية توزيع الغنائم بينه وبين فيليب الخامس المقدونى عام ٢٠٢ق.م.. ولكن أنطيوخوس فشل فى السيطرة على قبرص ١٩٦ق.م. ثم جاء خلفه أنطيوخوس الرابع إبيفانيس فاتخذ موقفاً مغايراً ومناصراً لبطليموس السادس فيلوميتور (= المحب لأمه) ضد أخيه بطليموس الثامن (أو السابع) إيو إرجيتيس (فاعل الخير) الثانى فيسكون Physkon، وبذلك نجح أنطيوخوس الرابع فى السيطرة على قبرص عام ١٦٨ق.م. بمساندة الخائن حاكم قبرص بطليموس ماكرون Makron، بيد أن أنطيوخوس أجبر على إخلاء قبرص ومصر من قواته العسكرية بتدخل سريع من روما، التى أصبحت الآن القوة الكبرى فى الحوض الشرقى للبحر المتوسط، وأقام بعض الوقت وفد رومانى فى قبرص للإشراف على جلاء قوات أنطيوخوس تماماً. وعندما إنفصمت عرى الحكم المشترك للأخوين بطليموس ١٦٤ق.م. لجأ فيلوميتور إلى روما ليدافع عن قضيته، ومن هناك إنتقل إلى قبرص التى إحتفظ بها ضمن مملكته فى مصر وبموافقة مبدئية من روما، من أواسط ١٦٣ حتى ١٥٥ق.م..

صار فيسكون ١٦٢ق.م. ملكاً على قورينى (الشحات) فى ليبيا مطالباً- دون جدوى - بضم قبرص إلى مملكته، وتطلع الأخوان إلى روما إستجداءً للعون، حتى إن فيسكون فكر فى توريث روما كافة مملكته.

وإكتشفت مؤامرة فاشلة دبرها ديميتريوس الأول سوتير من سوريا بهدف الإستيلاء على قبرص ١٥٥ق.م. بالإتفاق سراً مع حاكمها أرخياس الذى خان سيده وولى نعمته ملك مصر فيلوميتور. شجعت تلك الملابسات فيسكون على أن يعاود محاولاته السيطرة على قبرص بمساعدة روما، التى زارها وألقى خطبة فى مجلس الشيوخ حركت المشاعر هناك، ولاسيما عندما عرض عليهم ندوب الجروح الغائرة التى أصابه بها عملاء أخيه. ولكنه ما أن وطأت قدمه قبرص حتى أسرته قوات أخيه، الذى تصالح معه وأرسله حاكماً على قورينى على أن يظل هو حاكماً على مصر وقبرص. ودام الحال هكذا حتى موته ١٤٦/١٤٥ق.م. وكان قد إستعاد رضا روما عنه.

وسانده كاتو الرقيب بخطبة عصماء ومؤثرة، وقدمت له كريت معونة لا بأس بها. كان لفيلوميتور وأسرته شعبية ملموسة فى قبرص. وهذا ماتشهد به النقوش المسكوكة على العملة الفضية القبرصية من فئة الأربع دراخمات. ويشهد بذلك أيضاً أنه أدخل إلى الاسكندرية سك هذه العملة التى تحمل علامة PA.

والحاكم الثانى فى قبرص البطلمية هو بوليكراتيس Polykrates بن مناسياديس Mnasiades وهو من أرجوس (حوالى ٢٠٣/٢٠٢-١٩٧ق.م.). وكان هو نفسه الكاهن الأعظم فى الجزيرة وأضيف إليه لقب أرخون Archon وجدير الذكر أنه فى العصر البيزنطى تكرر الجمع بين اللقبين: القائد العسكرى Strategos والحاكم Archon. وكانت العملة التى سكت فى قبرص تحت حكم بوليكراتيس فضية من فئة الأربع دراخمات وتحمل النقش" بطليموس الملك" Basileos Ptolemaiou وتعنى بطليموس الخامس إبيفانيس (الظاهر). وكانت هذه العملة هى العملة البطلمية الرئيسية المستخدمة فى مصر حتى نهاية العصر البطلمى.

كان الحاكم - القائد يقيم فى سلاميس، وكان فى العادة من أفراد الأسرة البطلمية. وفيما بعد بطليموس إيو إرجيتيس (فاعل الخير) الثانى (١٤٦-١١٦ق.م.) كان من قادة الأسطول (nauarches). وكان مساعده هو "نائب القائد"، وكان المدير الرئيسى للمناجم. أما السكرتيران grammateis فكانا يشرفان على الأسطول والمشاة، ولاسيما فى أواخر العصر البطلمى، حيث كان النظام الإدارى فى قبرص قد تطور وبلغ قدراً كبيراً من الإكتمال.

بعد موت بطليموس الثامن (١١٦ق.م.) عاد من قبرص إلى الإسكندرية إبنه بطليموس التاسع سوتير الثانى لاثيروس Lathyros. كان الراحل قد أنجبه من كليوباترا الثالثة وعينه حاكماً- قائداً Strategos على قبرص عدة سنوات. وهاهو يعود من هناك ليجلس على العرش مع أمه. واضطرت أخته - زوجته كليوباترا الرابعة (وكان قد هجرها بأوامر من أمه ليتزوج أخته الأصغر كليوباترا سيليسنى) أن تهرب إلى قبرص حيث حشدت جيشاً إنتقلت به إلى سوريا، وأهدته إلى زوجها الجديد الملك أنطيوخوس التاسع كيزيكينوس Kyzikenos. أما الاسكندر بن كليوباترا الثالثة الأصغر، الذى كانت قد أرسلته حاكماً- قائداً على قبرص فى نهاية ١١٦ق.م. فإنه منذ ١١٤/١١٣ق.م. إعتبر نفسه ملكاً على الجزيرة. وسك فى مسكاتها الثلاث عملاته الخاصة وعين مربيه هيلينوس حاكماً قائداً. وعندما غادر الاسكندر قبرص متجهاً إلى الإسكندرية ١٠٨/١٠٧ق.م. ليتولى حكم مصر مع أمه بوصفه بطليموس العاشر الاسكندر الأول، فإن سوتير الثانى الذى طاردته جماهير الإسكندرية هرب إلى قبرص، ومنها إلى سوريا. ولكنه عاد إلى الجزيرة ١٠٦/١٠٥ق.م. وأستطاع أن يكسب ولاء كل القوات هناك فيما عدا القائدين اليهوديين أنانياس Ananias وشيلكياس Chelkias. وفى عام ١٠٤ق.م. أبحر الاسكندر من قبرص إلى جنوب سوريا لمؤازرة كيزيكينوس ضد أنطيوخوس جريبوس ملك دمشق والاسكندر يانايوس Iannaeus ملك فلسطين. وكانت كليوباترا الثالثة تساندهما. عاد سوتير الثانى إلى قبرص ١٠٢ق.م. وقدم إبنته زوجة للاسكندر فيما بعد ١٠١ق.م. ثم أرسل فى عام ٩٥ق.م. قوات لمساعدة ديميتريوس إيوكايروس Eukairos فى سوريا. والأخير هو أحد أبناء جريبوس المطالبين بالعرش. وبوصف سوتير حليفاً للرومان فى صراعهم ضد القراصنة إستدعى ليحكم مصر

٨٨ق.م. بدلاً من الاسكندر الأول الذى هرب إلى قبرص، وهناك قتل على يد القائد البحرى خايرياس Chaireas ولم يسجل عصر سوتير الثانى فى قبرص على العملات إلا نادراً، ربما بسبب فترات غيابه الطويلة عن الجزيرة. بينما سجلت فترة حكم الاسكندر الأول على العملات الفضية من فئة الأربع دراخمات على نحو متكامل. مات سوتير الثانى عام ٨٠ ق.م. وفى الواقع إن مصدرنا عن مانعرف حول قبرص فيما بين ٨٨-٨٠ق.م. هو بلوتارخوس وأبيانوس[1].

من كتابات هذين المؤرخين عرفنا أن ليكينيوس لوكوللوس L. Licinius Lucullus مبعوث سلا Sulla جاء إلى قبرص ٨٦/٨٧ق.م. سعياً للحصول على سفن تسند حرب روما ضد ميثريداتيس. ولكن مساعيه لم تحقق كثيراً من النجاح. ومرد ذلك أن الأسطول القبرصى والقوات البرية قد أنهكت بسبب النزاعات البطلمية الداخلية. كما أن أهالى مصر الأصليين بدأوا يتذمرون ضد البطالمة، فإستنفدت مقاومتهم الكثير من الجهد العسكرى. ولملء هذا الفراغ عرض سوتير الثانى ولأول مرة تحت الحكم البطلمى مناصب سياسية عليا على القبارصة. وفى عصره ولنفس السبب ظهر إتحاد القبارصة Koinon Kyprion الذى أسس للإشراف على عبادة ملوك الأسرة البطلمية، وربما لأهداف أخرى. وتحت لواء هذا الإتحاد إنضوت جماعات أخرى فرعية مثل "جماعة ديونيسوس". وصارت بافوس هى العاصمة منذ القرن الثانى ق.م.. وتمتعت بمجلس نيابى boule ومجلس شعبى demos وجمناسيون Gymnasion وهو معهد للتدريب الرياضى والتعليم التربوى، وما إلى ذلك من مؤسسات المدن الإغريقية التقليدية.

فى العصر البطلمى كان الفينيقيون لايزالون يحتكرون تجارة قبرص ومناصب الإدارة والكهنوت. وفى عام ٢٧٤/٢٧٥ق.م. كان ياثان بعل Yathan Baal هو الحاكم الفعلى. أما كاهن بطليموس سيد الملوك فهو عبد- عشترت Abd-ashtart بن جير عشتارت. وفى عام ١٣٨-١٣٣ق.م. نجح اليهود فى الحصول على دعم روما لممارسة طقوسهم الدينية فى كل بلدان شرق البحر المتوسط بما فى ذلك قبرص.

ولقد قوطعت سنوات الاستقرار والسلام ١٤٦-١٣٠ق.م. بمناوشات الحروب الأهلية بين فيسكون وزوجته الأولى كليوباترا الثانية (أرملة فيلوميتور). فهرب فيسكون إلى قبرص مع زوجته الثانية كليوباترا الثالثة (بنت كليوباترا الثانية) وممفيتيس Memphites (إبنه من كليوباترا الثانية). وفى قبرص قتل الأخير مع إبن آخر لفيسكون بأمر والدهما شخصياً نظراً لخوفه من وجود منافسين له فى الحكم وإنتقاما من زوجتيه. وإنتصر فيسكون ١٢٩ق.م. وسرعان ماتصالح مع كليوباترا الثانية ١٢٤ ق.م. وساد السلام حتى ١١٦ق.م.. وبفقدان البطالمة الكثير من ممتلكاتهم فى بحرايجة إكتسبت قبرص أهمية متزايدة بوصفها قاعدة بحرية متقدمة لمصر. ودليل ذلك زيادة سلطات حاكم قبرص ومهامه، التى شملت ميادين شتى من الشئون الادارية والقضائية إلى الاسطول الذى كان يواجه تهديدات قراصنة كيليكيا. وإزدادت أهمية قبرص بعد أن إنهارت قوة رودس البحرية خط الدفاع الأول أمامهم. ولقد أضيف لقب Autokrator للحاكم- القائد البطلمى فى قبرص، حيث تمتع به كروكوس Krokos (١٣١/١٣٠- ١٢٤ق.م.) وثيودوروس (١٢٤-١١٨ ق.م.). وقسمـــــــــت

---

(١) Plut., Lucullus. III 1-2
Appianus, Bell. Mithr. 56.

القوات الإغريقية غير القبرصية – أى المرتزقة – إلى فرق سميت Koina وتوصف بجنسية جنودها فيقال مثلا "فرقة الكريتيين "Koinon Kreton" وهكذا، "فرقة الطراقيين"، و "فرقة الآخيين" الخ وإستقرت معظم هذه القوات في سلاميس وبافوس.

ولقد صار التدخل الرومانى فى مصر البطلمية شيئاً متكرراً منذ بدايات القرن الأول ق.م.[١] وسرى نفس الشيئ على قبرص البطلمية بطبيعة الحال. فبعد موت سوتير الثانى فى الاسكندرية (٨٠ ق.م.) تم تعيين ولديه المقيمين في سوريا خليفتين له وملكين على مصر وقبرص بالتوالى. إذ أصبح الأول هو بطليموس الثانى عشر الزمار Auletes نوثوس Nothos أو ديونيسوس الجديد Dionysos Neou، ملكا على مصر. أما الثانى فهو بطليموس ملك قبرص. وهكذا تم تقسيم المملكة البطلمية – وهذا ما وافق ميول روما وأهدافها الإستراتيجية – حتى إنه قيل أن الاسكندر الثانى – إبن الاسكندر الأول الذى أخذه سلاً إلى روما وقبل أن تغتاله العامة فى الاسكندرية – ترك وصية يورث فيها مملكته بما فيها قبرص إلى الشعب الرومانى. وعلى الرغم من أنه فى قانون ٥٩ ق.م. الذى إستصدره يوليوس قيصر للإعتراف بالزمار حليفاً لروما لم تذكر قبرص، إلا أن رجل قيصر وتابعه الأمين ذلك السياسى المغامر والموهوب نقيب العامة كلوديوس بولكير Clodius P. Pulcher قد إستصدر قانونا آخر فى العام االتالى سمى nefaria، به تحولت قبرص إلى ولاية رومانية على ان تلحق بكيليكيا الولاية الرومانية منذ ١٠٣ ق.م. وأن تصادر خزانتها الملكية لصالح تطهير البحر من القراصنة. فاضطر كاتو الرقيب Porcus Cato .M بوصفه حاكما مالياً quaestor فى محل الحاكم القضائى praetor إلى تنفيذ هذا الضم رغم أنفه. أما ملك قبرص الهزيل بطليموس فقد رفض عرض كاتو بتعيينه "الكاهن الأعظم" فى معبد أفروديتى البافية فى حالة استسلامه لروما فى هدوء، وبدلاً من ذلك إنتحر. وقبل الزمار ضياع قبرص من مملكته ولم يحرك ساكناً. وعندما طرده السكندريون الغاضبون لجأ إلى روما وطلب العون. وعقد مزاد علنى لبيع خزانة الملك بسبعة آلاف تالنت أخذها الحاكم المالى الأمين إلى روما ٥٨ق.م.. ولعل فى ذلك مايجسد إنتقام قبرص الصامت وهى المقهورة من قاهرها، كما يقول سينيكا الفيلسوف[٢] . وفيما بين ٥٨ و ٤٨ق.م. صارت قبرص ولاية رومانية ضمن ولاية كيليكيا. ومر بها بومبى الأكبر بعد هزيمته فى فرسالوس (٤٨ ق.م.) وفى طريقه إلى مصر حيث قتل بمجرد وصوله إلى أرض النيل ولحقه يوليوس قيصر إلى هناك.

وبوصول يوليوس قيصر إلى الإسكندرية وتحالفه مع كليوباترا السابعة – عشيقته. أصبحت مصر تحت قبضته أى منذ ٤٨ق.م.. وكان هذا العاهل الرومانى بالأساس يخطط لمنح قبرص إلى الطفلين الصغيرين أبناء بطليموس الزمار أى أرسينوى وبطليموس الرابع عشر، على أن تكون ولاية مصر لكليوباترا السابعة وبطليموس

(١) أبراهيم نصحى، تاريخ مصر فى عصر البطالمة، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الثانية، الجزء الأول، (١٩٦٠) ص١٩٦- ١٩٩، ٢٥٧ ومايليه، وصفحات متفرقة أخرى.
عبد اللطيف أحمد على، مصر والامبراطورية الرومانية فى ضوء الأوراق البردية. دار النهضة العربية ١٩٧٤، فى أماكن متفرقة.

(٢) Seneca, Ad Marciam de Consol., xx5.

الثالث عشر وذلك طبقاً لوصية الزمار نفسه. ولكن أرسينوى تآمرت ضد قيصر وكليوباترا فأعيدت كليوباترا إلى عرش مصر (٢٧ مارس ٤٧ق.م.) وأنجب قيصر منها إبنه الذى أطلق عليه السكندريون إسم قيصرون ٢٨/٧/٤٧ق.م. وعادت قبرص إلى العرش البطلمى. ولقد تم تخليد هذه الذكرى على عملات سكت فى بافوس وعليها نقش لكليوباترا تحمل إبنها قيصرون بين ذراعيها. وكان سيرابيون هو الحاكم - القائد الذى عينته كليوباترا على قبرص حتى قتله أنطونيوس بعد إنتصاره فى معركة فيليبى ٤٢ق.م. عقاباً له، لأنه قدم سفناً إلى جايوس كاسيوس أحد قتلة يوليوس قيصر (والذى عندما كان فى قبرص تراسل مع شيشرون عام ٤١ق.م.). المهم أن أنطونيوس فيما بعد أهدى قبرص إلى كليوباترا. يقول بلوتارخوس فى وصف موكب النصر وتوزيع هدايا الأرض على يد أنطونيوس عام ٣٤ ق.م.: "لأنه (أى أنطونيوس) بعد أن ملأ الجمباسيون (بالاسكندرية) بجمهور غفير ووضع على منصة فضية عرشين أحدهما له والآخر لكليوباترا وضع عروشاً أخرى أصغر حجماً لأبنائه وأعلن مايلى:

أولا: أن كليوباترا ملكة على مصر وقبرص على أن يشاركها العرش الملكى قيصرون"[١]

كان نيكوكراتيس Nikokrates القبرصى يملك أكبر وأشهر مكتبات العالم القديم حتى عصره، إذ ضمت مكتبة سولوى العامة والتى كان يديرها أبوللونيوس أما أونيساندروس Onesandros (أو أوناساندروس Onasandros) إبن ناوسيكراتيس Nausikrates من مدينة بافوس، فقد عينه بطليموس لاثيروس (١٤١- ٨١ ق.م.) على رأس مكتبة الإسكندرية. وكان إسم قبرص قد إرتبط بمكتبة الإسكندرية من قبل لأن بطليموس الثامن إيو إرجيتيس (فاعل الخير) الثانى كان قد إضطهد كل أصدقاء وأتباع فيلوميتور وكان من بينهم أريستارخوس الساموثراكى أحد الفقهاء الهومريين مكتبة الإسكندرية وأستاذ فيسكون، فلجأ إلى قبرص وأقام فيها حتى مات ١٤٤ق.م.[٢] ولاننسى المؤرخ القبرصى أريستوس Aristos ٢٠٠-١٥٠ ق.م الذى أفاد منه كل من كتب عن الاسكندر الأكبر بعده.

---

(١) Plut., Antonios. LIV 3-6.

وعن تفاصيل هذا الموضوع راجع:

أحمد عتمان، كليوباترا وأنطونيوس، دراسة فى فن بلوتارخوس وشكسبير وشوقى. الطبعة الثانية، أيجيتوس ١٩٩٠، ص٤٩ - ١٢٥.

(٢) عن أريستوس أنظر:

[Greek] Hatzioannou, Vol. Γ Part A, pp. 326-329

وقارن أحمد عتمان، الأدب الإغريقى ٤٥٣ ومايليها. ولنفس المؤلف. "عالم الكتب والمكتبات فى العصر الإغريقى الرومانى"، مجلة "البيان" الكويتية عدد ١٦٧ (فبراير ١٩٨٠) ص٨٤-٩٨. ولنفس المؤلف، "مكتبة الاسكندرية ودورها الحضارى فى حفظ التراث الكلاسيكى وإنعاش الدراسات الأدبية " مجلة "البيان" الكويتية عدد ١٧٦ (نوفمبر ١٩٨٠) ص٨٠-١٩٥.

يقول سترابون (القرن الأول ق.م.) أن قبرص تتقدم كافة الجزر الإغريقية في الفضيلة، ولكن سترابون في شرحه لهذه الفقرة ركز على الجوانب الاقتصادية والموقع الجغرافي[٣] ، ولكن كلامه على أية حال يؤكد الحقيقة المستقرة الآن، وفحواها أن قبرص جزء عضوى من العالم الهيللينى وثقافته، دون أن يتعارض ذلك مع بعض التوجهات الشرقية ، ولعل ذلك مايجعلنا نعود إلى عبارة وردت عند في "المستجيرات" (بيت ٢٨٨-٢٨٩)، حيث أنه يذكر القبرصيات بين الأجنبيات ، وأسيء فهم هذه الفقرة كثيراً وسبق لنا أن تناولنا هذه القضية في بحث عن "الأجانب في التراجيديا الإغريقية"[١] .

هناك الكثير مما يثبت أن هيللينية قبرص لم تنقطع ، فمنذ إندماجها في العالم الإغريقي عند بداياته وقد لعبت قبرص دوراً رائداً في هذا العالم على المستوى الإقتصادى والسياسي والثقافي ، فإشتركت قبرص في الإحتفالات والمهرجانات القومية الهيللينية (Panhellenic) مثل الدورات الرياضية ولاسيما الأوليمبية وأعياد الباناثينايا ، ونعرف الكثير عن أسماء القبارصة المنتصرين في الألعاب الأوليمبية! Olympionika وأيضاً أسماء" المراقبين" theoroi أى المسئولين القبارصة الذين يستقبلون الوفود التى تزور مختلف المدن الاغريقية إستعداداً لتنظيم الدورات الأوليمبية وغيرها ، وهذه الوفود نفسها كان يطلق عليها theoroi ، كان الرياضيون القبارصة وغيرهم من المشاركين في مثل تلك الدورات يتلقون تدريباتهم في الجمناسيون gymnasion ومبانى المسرح والإستاد المنتشرة في مدن قبرص، ولاسيما في سلاميس وسولوى ولابيثوس وأرسينوى وكوريون ، ولقد تم مؤخراً إكتشاف جمناسيون سلاميس ،

كما تم إكتشاف معبد أبوللو هيلاتيس Apollo Hylates أى "حامي الغابات"في بافوس الجديدة ، إن هذا المعبد المنحوت في الصخر يتكون من قاعتين في مستوى تحت الأرض ، وإن الجمع بين أبوللو وهيلاتيس في معبد واحد له مغزى سياسي ، فالحاكم يريد بهذا الجمع أن يعكس طبيعة النحت الإغريقي المعاصر والظاهر على عملة نيكوكليس الفضية حيث يجلس فيها أبوللو على صرة الأرض Omphalos على الوجه، في حين تظهر أفروديتي بولياس Aphrodite Polias أى "حارسة المدنية" على ظهر العملة في وضع بروفيل ، على أن الجمع بين أبوللو وأفروديتي له جذور عريقة في الديانة والسياسة القبرصيتين ، أما معبد زيوس في سلاميس فهو من الطراز الكورنثى ، أما معبد أبوللو – هيلاتيس في كوريون فظل يتمتع بالحيوية والنشاط من العصر الأرخى حتى العصر الروماني ،

وعلى قمة تل كافيزين بالقرب من نيقوسيا هناك كهف كان يستخدم معبداً في طقوس ريفية تقام لإحدى العرائس الأسطورية Nymphaion ، وتم العثور هناك على آنية مهداة لها تعود للقرن الثالث ق.م. وظلت آلهة مصر والملوك البطالمة مستمرة في قبرص ، وكشفت الحفريات عن معابد لسرابيس وإيزيس وأوزيريس وآمون وهاربوكراتيس ، وكان الحاكم – القائد هو الكاهن الأعظم في عبادة ملوك البطالمة ،

Strabo, XIV 684, 6. 5

Cf. Ahmed Etman, "Foreigners in Greek Tragedy". Proceedings of the XIIth Congress of the International Comparative Literature Association, Munich 1988 (Published 1990) Vol. 2 pp. 546-552.

ولقد ازدهر النحت في قبرص الهيللنسينية – البطلمية وعمل بعض النحاتين القبارصة في دلفي. نذكر منهم كالليكليس Kallikles وهيستيايوس Histiaios وهما من سلاميس. وبعضهم عاش في ليندوس برودس. وكان الطراز السكندرى والبرجامينى هما الشائعان آنذاك بعد أن توارت الطرز الأثينية. ومن أفضل أعمال النحت القبرصية التمثال الرخامى لأرتميس من كيتيون ويعود للقرن الثانى ق.م. وهناك رأس امرأة من الحجر الجيرى من أرسوس Arsos ويذكرنا برؤوس ملكات البطالمة (القرن الثالث ق.م.) وهناك إفريز يصور معركة الأمازونات عثر عليه في سولوى ويعود للقرن الرابع ق.م. أما مقابر لارناكا الملكية فهى تقلد مقابر الإسكندرية. وهى تنم عن ثراء الحياة الدنيا والآخرة أيضاً.

ولعل من المناسب أن نختم حديثنا عن ثقافة قبرص الهيللينية والهيللينستية بالكلام عن مؤسس المدرسة الرواقية زينون Zeno الذى عاش فى كيتيون ٣٣٥-٢٦٣ق.م. كان أبوه تاجراً ويدعى مناسياس Mnaseas. وعمل زينون نفسه في بداية حياته بالتجارة وفى سن الثلاثين تحول إلى الفلسفة. وهناك رواية تقول إنه كان في سفينة تحمل بضاعة من أرجوان فينيقيا فتحه إلى أثينا فغرقت على مقربة من بيريه ونجا وإستقر في أثينا وكان الأثينيون يلقبونه بالفينيقى وهو الذى أسس المدرسة الرواقية فى أثينا حوالى ٣٠١ق.م. لقد بدأ بدراسة فلسفة سقراط عن طريق كتابات كسينوفون ثم إنتقل إلى أنتيسثنيس الشكاك (الكلبى) فدرس هذه الفلسفة مع الميجاريين ديودوروس وكراتيس، وكان للأخير التأثير الأكبر على حياته. بعد ذلك تتلمذ زينون على بوليمون Polemon فى الأكاديمية، وتأثر بكل من ستيلبو Stilpo وكسينوكراتيس Xenokrates.

كان زينون طويل القامة نحيف الجسم شديد سواد الجلد رأسه مائل على كتفه. وكان يرتدى الأقمشة البسيطة الرخيصة، ويقنع فى مأكله بالقليل من الخبز والتين والعسل والقليل من النبيذ. وكان سلوكه سلوك الرجل الوقور، وتبدو على هيأته سمات الجد والإنقباض، ولكنه لم يكن يأنف أن يغشى أحيانا مجالس الأنس والمرح. فإذا سئل فى ذلك أجاب بأن طبيعة الترمس المرارة، فإذا نقع فى الماء مدة طاب مساغا. وكان زينون يؤثر الصمت على الثرثرة في حين كان الأثينيون يميلون إلى أسرة الكلام. يروون أن زينون قال فى ذلك: "إن لنا لسانا واحدا وأذنين، لنعلم أننا ينبغى أن ننصت أكثر مما نتكلم". وكان زينون موجز العبارة، لم يُعن فى كتابته بفصاحة ولا أسلوب. كان بنشأته يميل إلى السليقة ويحتقر التصنع أو التكلف على أن خشونة الطبع وغلظة القول وسط قوم مغرمين بالرشاقة والجمال، لم يكن ليحولا بين زينون وبين التأثير على مستمعيه أبلغ تأثير. أجمع القدماء على أن زينون كان على خلق عظيم، وأن حياته على بساطتها كانت دائما قدوة طيبة ومثالا أخلاقيا عاليا. بلغ هذا الحكيم من قوة الإرادة وطول الصبر وضبط النفس والعفة والسيطرة على الهوى مبلغا أدهش معاصريه، فكان الأثينيون يضربون به المثل قائلين" "أضبط لنفسه من زينون!".

عاش زينون حتى بلغ من العمر ٩٨ سنة. ولما مات رثاه الأثينيون رثاء رسميا، وأصدر أولو الأمر قرارا أعلنوا فيه أنه إستحق تقدير الوطن لخدماته وحثه الشبيبة على الفضيلة والحكمة؛ ولذلك منحوه تاجا من ذهب وقبرا فى مدفن العظماء.

فى سن صغيرة كتب "جمهورية الحكماء (Politeia ton spoudaion)، والتى من بعض الجوانب قدمت التبرير الفكرى لفتوحات الاسكندر الأكبر وهدفه أى الحكومة العالمية والإخاء بين البشر[١] . وبذلك قدم زينون النموذج الذى إحتذاه الرومان وغيرهم من مؤسسى الإمبراطوريات فيما بعد. كانت جمهورية زينون الرواقية يوتوبيا أفلاطونية النزعة والنكهة، وإن كان بها مايتناقض مع أفلاطون ومبادئه فهى تركز على المبادئ الكلبية والافكار الأقدم عن "الحياة وفق الطبيعة" التى يحياها الحكيم الرواقى، وهو ماصار يعرف فيما بعد فى روما (ad naturam vivere) . كانت الآلهة عند زينون كائنات كونية وليست أنثروبومورفية هومرية، إنها الشمس والقمر والنجوم. إنها آلهة تعيش فى عالم واحد مع البشر (Cosmopolis) حيث تشاركهم كل شيء. وهنا نلاحظ تأثير الفلك البابيلونى على زينون. وهذه المبادئ الرواقية تجسد القانون الطبيعى الإلهى والعدالة الكونية، التى جاءت إستجابة أخلاقية للفرد اليائس والمغترب بعد فقدان نظام دولة – المدينة Polis وطغيان القوى الكبرى والضاغطة على الكيانات الصغرى وفى مقدمتها الفرد. فى تلك الظروف لم يعد من هادٍ للبشرية فى هذه المتاهة الحديثة سوى اللجوء للمنطق، الحب، الحرية، الوئام وماشابه ذلك. وجمهورية زينون يحكمها الحكماء المتازون Spoudaioi ويتبعهم الباقون ويعتمدون عليهم. وإن كان بوسع أى واحد من هؤلاء الأفراد العاديين أن يصعد إلى قمة الحكمة مثل هؤلاء الحكماء بالتدريب والتمرين والمثابرة وبممارسة الفضيلة أيضا= فالسعى فى حد ذاته إلى الفضيلة فضيلة.

ولقد ضرب زينون نفسه القدوة التى تحتذى لأنه عاش زاهداً يواصل الليل بالنهار فى دراساته وتأملاته التى إعتبرها رسالة سماوية كلف بأدائها. ولقد ورد عند ديوجينيس لائيرتيوس هذه الأبيات فى وصف زينون

Τον δ' ουτ' αρ' χειμων κρυοεις. ουκ ομβρος απειρων.
Ου φλοξ ηελιοιο δαμαζεται. ου νοσος αινη,
Ουχ' ως τις δημου εναριθμιος, αλλ' ογ' ατειρης
'Αμφι διδασκαλιη τεταται νυκτας τε και ημαρ.

لابرد الشتاء القارس ولا وابل السيل المنهمر على الدوام
ولا شعلة الشمس القائظة ولا المرض العضال
لا شيء يقهره أو ينال من قواه
بل إن جمهرة الناس بلا عدد ودون أن ينفد لها دأب
تزحف إليه وتلتف حول درسه ليل نهار[١]

---

(١) Plut. Alex. 27.

(١) وأنظر Diog. Laert., VII. 27
[Greek] Ahmed Etman, pp. 221, 222, 257, 282, 286.
[Greek] Sarros (Kypriakai Spoudai), pp. 64-77.
[Greek] IEE Vol. E pp. 291-301.
[Greek] Hatzioannou, Vol. ς pp. 87-135.

وعن شذرات زينون راجع:

I.Ab Arnim. Stoicorum veterum fragmenta. collegit Ioannes ab Arnim. Stutgardiae, Teubneri 1964.

ومن بين أتباع زينون لامفر من الإشارة إلى برسيوس Perseus من كيتيون، فهو من أفضل تلاميذه، وكان قد أرسله إلى أنتيجونوس جوناتاس Antigonos Gonatas (٣٢٠-٢٣٩ ق.م.) ملك مقدونيا لكي يقوم على تعليم إبنه وتثقيف شعبه، هذا في قبرص أما خارجها فكان أتباع الرواقية من الكثرة بحيث لا يمكن حصرهم هنا، ونشير فقط إلى بعضهم مثل أمبراطور روما ماركوس أوريليوس (١٦١-١٨٠م)، وكان ديموناكس Demonax (القرن الثانى الميلادى) من أشهر القبارصة الرواقيين وكان صديقاً لإبيكتيتوس Epictetus (٥٠-١٣٨م)، وكان ألحياً وساخراً كان فيلسوفاً كلبيا بالأساس وكتب لوكيانوس سيرته، ومع أنه كان من أسرة ثرية إلا أنه فضل العيش فى زهد، هذا مع أنه تجنب مغالاة بعض الرواقيين إلا أنه صام وامتنع عن الطاعام حتى الموت وهو فى سن المائة تقريباً، أما عبارته "محظوظ ذلك الذى لايخاف ولا يأمل" فلربما كانت مصدر النقش الموجود على قبر كازانتزاكيس فى هيراكليون بكريت "لا أخاف شيئاً لا آمل فى شيئ إنى حر"[١] "

وراجع: عثمان أمين، الفلسفة الرواقية، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الثالثة. القاهرة ١٩٧١. هذا وقد نسبت إلى زينون العناوين التالية:

"الجمهورية"	Πολιτεια
"فى العيش وفق الطبيعة"	Περι του κατα φυσιν βιου.
"فى الانطلاق أو فى طبيعة الإنسان"	Περι ορμης η Περι ανθρωπου φυσεως
"فى الانفعالات" =	Περι παθων. =
فى المسئولية	Περι του καθηκοντος.
"فى القانون"	Περι νομου.
"فى التربية اليونانية"	Περι της ελληνικης παιδειας.
"فى البصر"	Περι οψεως
"فى الكل"	Περι του ολου.
"فى العلامات"	Περι σημειων.
"فيثاغوريات"	Πυθαγορικα
"الكليات"	Καθολικα.
"فى الكلمات"	Περι λεξεων.
"خمسة من المشكلات الهومرية"	Προβληματων ομηρικων πεντε.
"فى شاعرية الاستماع"	Περι ποιητικης ακροασεως
"حلول تقنية"	Τεχνικαι λυσεις
"استجوابان"	Ελεγχοι δυο
"مذكرات"	Απομνημονευματα.
"أخلاقيات كراتيس"	Κρατητος ηθικα.
"بحوث"	Διατριβαι.
"فى فن الهوى"	Περι ερωτικης τεχνης.

(١) راجع أحمد عتمان، "كازنتزاكيس سارق النار المسافر فى عالم الخلود". المجمع الثقافى أبوظبى (أكتوبر ١٩٩٤م) ص ٢-١٥.



شكل رقم (٣٢) . رسون مس كسون (٣٣٤-٢٦٢ ق.م) مؤسس المدرسه الرواقية. تركزت آراود الفلسفيه حول محور الاخلاق. ولكن الندرات المتبقية من أعماله تثبت انه وضع أيضا اسس المنطق والطبيعة لاتباع المدرسه الرواقية. ويقوم جوهر فلسفته على أن الفضيلة تتمتع بالاكتفاء الذاتى ولا تحتاج إلى أى شئ آخر خارج نطاقها. لاقت الرواقية شيوعا طاغيا فى العالم الإغريقى والرومانى، ولها تأثيراتها المستمرة إلى يومنا هذا هذا التمثال النحاسى النصفى يعود للقرن الثانى بعد الميلاد. وهو محفوظ بالمتحف القومى فى نابلى.

ومن أتباع الرواقية كذلك فيلولاوس Philolaus من كيتيون (القرن الأول الميلادى). وأريستو ديموس Aristodemos القبرصى كذلك (القرن الأول- الثانى الميلاديين)"

أما سينيكا الفيلسوف الشاعر الرومانى (٤ ق.م-٦٥م)، فهو الشخصية الثانية من حيث الأهمية بعد زينون فى سجل المدرسة الرواقية ويقول عن مؤسسها القبرصى"

Nos certe sumus qui dicimus et Zenonem et Chrysippum maiora egisse, quam si duxissent exercitus, gessissent honores, leges tulissent. Quas non uni civitati, sed toti humano generi tulerunt. Quid est ergo, quare tale otium non conveniat viro bono, per quod futura saecula ordinet nec apud paucos contionetur, sed apud omnis omnium gentium 5 homines, quique sunt quique erunt? Ad summam quaero, an ex praeceptis suis vixerint Cleanthes et Chrysippus et Zenon. Non[1] dubie respondebis sic illos vixisse, quemadmodum dixerant esse vivendum.

"نحن بالفعل الذين نقول إن كلاً من زينون وخريسيبوس حققا إنجازات أكبر مما لو كانا قد قادا الجيوش أو تقلدا المناصب أو سنا التشريعات. لأن السنة التى سناها لم تك لدولة ما بعينها، وإنما للبشرية أجمعين. ولذا فلماذا لايكون وقت الفراغ ملائماً للرجل الفاضل، فمن خلاله يستطيع أن يهيمن على الأجيال القادمة ويوجهها ويخاطب ليس فقط القلة المحدودة حوله بل أيضاً كل البشر فى سائر الأمم الموجودة الآن والتى ستأتى من بعد ؟ باختصار شديد اسألك: هل عاش كل من كليانثيس وخريسيبوس وزينون وفق التعاليم التى نادوا بها ؟ وبدون شك ستجيب أنه بالفعل عاشوا على النهج الذى قالوا إنه من الواجب إتباعه فى الحياه".

وورد عند سينيكا أيضاً مايلى:

Unum fuisse Homero servum, tres Platoni, nullum Zenoni, a quo coepit Stoicorum rigida ac virilis sapientia, satis constat.

"من الشائع أن هوميروس لم يمتلك سوى عبد واحد، وكان لأفلاطون ثلاثة، أما زينون مؤسس المدرسة الرواقية الصارمة والرجولية فلم يكن لديه ولا عبد واحد"[1]

---

(١) عن سينيكا والرواقية أنظر المراجع الواردة فى: [Greek] Euman, pp. 1-20

ويركز الدكتور عثمان أمين على تأثير زينون فى الفلاسفة العرب والمسلمين ويشير إلى ماحفظه الشهرستان من حكم وأمثال كثيرة منسوبة الزينون. فقد ذكر الشهرستانى حكما كثيرة أثرت عن زينون، وهى تلائم ما نعرفه من أخلاقه ... ونورد هنا بعضها: رأى زينون فتى على شاطئ البحر محزونا يتلهف على الدنيا، فقال له: "يافتى، ما يلهفك على الدنيا؟ لو كنت فى غاية الغنى، وأنت راكب فى لجة البحر، قد إنكسرت السفينة وأشرفت على الغرق، كانت غاية مطلوبك النجاة ويفوت كل ما فى يدك؟" قال: نعم؛ قال "لو كنت ملكا على الدنيا، وأحاط بك من يريد قتلك، كان مرادك النجاة من يده؟" قال: نعم؛ قال: "فأنت الغنى وأنت الملك الآن"، وقيل لزينون "أى الملوك أفضل: ملك اليونانيين أم ملك الفرس؟" قال: "من ملك شهوته وغضبه"، ونعى إليه إبنه فقال: "ما ذهب ذلك على، إنما ولدت ولدا يموت وما ولدت ولدا لا يموت!"، وقيل له ومان لا يقتنى إلا قوت يومه: "إن الملك يبغضك" فقال: "وكيف يحب الملك من هو أغنى منه؟"[1].

---

(1) عثمان أمين، سبقت الإشارة إليه، ص

٨- قبرص الرومانية

في معركة أكتيوم ٣١ق.م. هزمت كليوباترا السابعة وإنتحرت بعد ذلك مع عشيقها وحليفها وزوجها أنطونيوس، وتحولت مصر إلى ولاية رومانية Provincia • وسرى نفس الشيئ على قبرص والتى كانت مثل مصر خاضعة للنفوذ الرومانى قبل ذلك بوقت طويل • ومن الحكام الرومان الذين باشروا بعض المسئوليات فى قبرص قبل ضمها إلى الممتلكات الرومانية رسمياً: كورنيليوس إذ كان قنصلاً وحاكماً على كيليكيا وفى عام ٥٣ ق.م تلقى تحية القائد المنتصر imperator وكان معادياً ليولويس قيصر وأعدم بعد موقعة فرسالوس ٤٨ ق.م. لينتولوس سبنثر P. Cornelius Lentulus Spinther فمكث فى قبرص من ٥٦-٥٣ق.م. وآبيوس كلاديوس بولكر Appius Claudius Pulcher وكان قنصلاً ثم حاكماً على كيليكيا ووصل إلى منصب الرقيب Censor ومات عام ٤٨ ق.م. وأقام فى قبرص من ٥٣-٥١ق.م. • وشيشرون M. Tullius Cicero أشهر رجالات عصره فى الأدب والسياسة وهو الذى جاء قبرص ٥١-٥٠ق.م. ثم جايوس كويليوس C. Coelius[1] (٥٠ ق.م.).

وبعد أن أصبحت قبرص ولاية رومانية، وفى التنظيم الإدارى الذى أدخله الامبراطور أوغسطس وقسم الولايات بينه وبين مجلس الشيوخ عام ٢٧ق.م. جاءت قبرص - مع كيليكيا - من بين الولايات التابعة لأوغسطس - مثل مصر - ولكنها بعد عام ٢٢ق.م. ضمت إلى الولايات التابعة لمجلس الشيوخ •

وإذا عدنا إلى شيشرون وكتاباته عن قبرص سنجد أن هذا المفكر والسياسى قد حاول أثناء حكمه فى الجزيرة أن يصلح ما أفسده سابقوه، وأن يحارب الإستغلال والإبتزاز، لاسيما ماتم على يد كل من سكابتيوس M. Scaptius وماتينيوس P. Matinius وهما من أتباع وأعوان ماركوس بروتوس M. Brutus وهذا مايذكرنا بما فعله شيشرون فى صقلية وخطبه ضد فيريس • وحتى كاتو الأوتيكى (الأصغر) إستغل زيارته لقبرص مع بروتوس لكى يبنى علاقة إستثمار مالى وتجارى مربحة هناك • وبعد عودته إلى روما ٥٦ق.م. حصل بروتوس على قرض كبير لصالح أهل سلاميس القبرصية ضد قانون جابينيوس الذى يحرم الديون على الأجانب فى روما • المهم أنه فى رحلة لاحقة لشيشرون فى قبرص إستطاع أن يخلص الجزيرة من شرور سكابتيوس "ذلك الرجل الذى كان وجوده يؤذى ذلك الشعب اللطيف أى القبارصة" • إستطاع شيشرون أن يطرده وأن يخفض نسبة الأرباح على الديون • وشيشرون هو الذى أوصى جايوس سكستيليوس روفوس C. Sextilius Rufus - أول حاكم مالى quaestor فى قبرص - أن يعامل أهل الجزيرة بالحسنى وأن يولى عناية خاصة بمدينة بافوس • أسدى شيشرون تلك النصيحة له وهو فى طريقه[2] لتسلم عمله فى قبرص وحثه على إلتزام المبادئ وإدخال الإصلاحات •

أحمد عتمان، الأدب اللاتينى ودوره الحضارى حتى نهاية العصر الذهبى، الطبعة الثانية، دار المعارف ١٩٩٥، فى أماكن متفرقة.

Cicero, Ad. Fam, XIII 48; Ad Att., V 21, VI, 1, 5-7; ii 7-3.

قبعت قبرص ثلاثة قرون فى ظل الحكم الرومانى في هدوء وسكينة رغم حدوث بعض الازدهار فى بعض الفترات، إعتبرت قبرص مجرد أرض مفتوحة وأهلها "أعداءً مستسلمين" تحولوا إلى "دافعى الضرائب أو الجزية". لم تمنح أية مدينة قبرصية حقوق المواطنة الرومانية Civitas وكان أعضاء المجالس النيابية boulai يعينون من بين الموظفين العموميين السابقين ولمدى الحياة، والذى يعينهم هو الرقيب الرومانى Censor، ويرأسها الحاكم archon المنتخب سنوياً من بين الأعضاء، وفي الواقع كان هذا المنصب يشغله إثنان طبقاً لثنائية المناصب، وهو نموذج رومانى إستمر حتى العصور البيزنطية، كان يعاون هذين الحاكمين حاكمان ماليان quaestores ومراقبان على الشئون العامة agoranomoi = aediles، وكان فى سلاميس مجلس شيوخ (gerousia = senatus)، ولدينا الآن قائمة بـ ٥٩ بروقنصل Proconsul عملوا فى قبرص، إبتداءً من ٥٨ق.م. إلى أوائل القرن الثالث الميلادى، وتمتع البروقنصل فى قبرص بمسئوليات واسعة، شملت الشئون القضائية "وحق السيف" ius gladii أى وحق الإعدام، وكانوا بمثابة مبعوثين من قبل مجلس الشيوخ الرومانى والامبراطور، وهذا المبعوث - البروقنصل كان يختار من طبقة مجلس الشيوخ، أما مساعدوهم مثل الحكام الماليين quaestores والنواب أو المندوبون legati فكانوا يحلون محل البروقنصل أحياناً، ونعرف أسماء ثمانية من المندوبين و ١٤ من الحكام الماليين الذين عملوا فى قبرص.

وبزيادة سلطات الامبراطور على حساب مهام مجلس الشيوخ عين مراقب عام أو مندوب سامى procurator على قبرص، وكان أول من تقلد هذا المنصب ستاتيليوس أبولليناريوس Statilius T. Apollinarius الذى شملت مسئولياته بيسيديا Pisia وكيليكيا وبامفيليا وقبرص، وممن تقلدوا هذا المنصب هو جلاوكوس Fl Glaucus بروقنصل قبرص حوالى ١٨٠-٢٢٠م، وكان باتروكليس Patrocles بن بوئثوس (Boethos) ممن شغلوا هذا المنصب في عصر هادريان (١١٧-١٣٨م)، ويبدو أنه لم يتمتع إلا ببعض المهام المحلية فيما يتصل بالجمناسيون في سلاميس والأرض العامة ager publicus فى هذه المدينة، حيث كانت ممتلكات نيكوكريون قد صودرت على يد البطالمة، ثم على يد الرومان مرة أخرى، فوزعت على قدامى المحاربين وواضعى اليد والمشترين، وكان هناك أيضاً "مراقب" على المعادن مثل مناجم النحاس فى سولوى، وكان المراقب هناك هو الذى سمح لجالينوس طبيب الاسكندرية الأشهر عام ١٦٦م بزيارتها.

وبصفة عامة يمكن القول بأن قبرص تحت الحكم الرومانى ظلت محتفظة بطابعها الإغريقى القديم، بما فى ذلك الأسماء والمدن الإثنى عشر التى قسمت إليها الجزيرة منذ القدم، والحياة الريفية القائمة على الممتلكات الزراعية الصغيرة، وهذا الموقف الرومانى من قبرص الإغريقية يتواءم مع موقفهم العام تجاه الحضارة الإغريقية التى حظيت لديهم بكل إحترام وتبجيل، وفى قبرص الرومانية تشكلت الطبقة الوسطى من المجتمع القبرصى البسيط، أى من المزارعين وأصحاب الممتلكات الزراعية الصغيرة "وبروليتاريا" المدن، ولاسيما فى سلاميس، وأصحاب المقاولات فى قرى المناجم، والخزافون فى الريف، وأسفل هذه الطبقة يوجد عدد غفير من العبيد الذين كانوا يعملون فى المناجم، وبعضهم جمع الثروات وإشترى نفسه وحريته وصار من العتقاء الأغنياء.

وواءمت الأوليجاركية القبرصية أى القلة الحاكمة نفسها مع نظام الحكم الرومانى، وهذا مانلمسه فى قسم الولاء لتيبيريوس عند صعوده للعرش ١٤م، وعثر على نص هذا القسم على نقش بالقرب من باليوبافوس،

وجاء فيه "نقسم بإلهتنا أفروديتي عند رأس البر، علداؤنا، وإلهنا أبوللو هيلاتيس وإلهنا أبوللو من كيرينيا، وآلهتنا المنقذة ديوسكوروى، والموقد العام Hestia للجزيرة كلها. نقسم فى المجلس النيابى وبآلهة وإلهات آبائنا آلهة، كل الجزيرة، وبسليل أفروديتي (فينوس) قيصر أوغسطس، وبروما الخالدة، وبالآلهة والإلهات الآخرين. نقسم نحن أنفسنا وأبناؤنا أن نخلص الولاء لتيبريوس قيصر أوغسطس، وأن نعبده... وأن يكون أصدقاؤنا وأعداؤنا هم أصدقاؤه وأعداؤه... وأن نخلص الولاء لأبنائه من دمه، ولهم وحدهم مع الآلهة الآخرين"[1].

ومع أن أوغسطس فى حياته رفض التأليه، إلا أن القبارصة مثل بقية سكان ولايات الشرق قد عبدوه بالفعل كما سبق لهم أن عبدوا الملوك البطالمة، الذين هم بدورهم كانوا قد رسّخوا هذا التقليد الشرقي، أى عبادة الحاكم.[2] ومن ثم نجد فى قبرص "أغسطس زيوس قيصر" Augustus Zeus Caesar وليفيا "الإلهة أفروديتي الجديدة" Livia thea nea Aphrodite. معبد الامبراطور ترايانوس على أنه "أبوللو قيصر" Apollo Caesar فى معبد أبوللو هيلاتيس فى كوريون.

لقد جرت محاولات "ترويم" قبرص، وهذا ماتدل عليه الإكتشافات الأثرية الحديثة فى كاتو بافوس، حيث عثر على قصر رومانى زينت أرضه بفسيفساء تستقى مشاهدها من أسطورة ليدا وديونيسوس ومارسياس. وفى كاتو بافوس أيضاً تم إكتشاف "بيت هرقل" الذى يعود للقرن الثانى الميلادى وتزين أرضه فسيفساء رائعة الجمال. ومن مظاهر الترويم إعادة بناء مسرح كوريون عام ٢٠٠م وإقامة مسرح دائرى Amphitheatron فى سلاميس لمبارزات المجالدين gladiatores. وفى سلاميس أيضاً وفى القرن الثالث الميلادى أعيد بناء المسرح، الذى كان قد بناه بانكليس فيرانيانوس Pancles Veranianus إبان القرن الأول الميلادى، لتقدم فيه المعارك البحرية وليسع خمسة عشر ألف متفرج. ولقد تلقى سيرفيوس سولبيكيوس بانكليس تكريمات خاصة فى قبرص بفضل إقامته لمسرح ومسرح دائرى وحمام رومانى فى سلاميس. وظهرت هذه التكريمات على نقوش قبرصية كثيرة. لقد كان بانكليس راعية للفنون والآداب والمسابقات المسرحية، كما كان رئيس الجمناسيون وحكماً فى المباريات agonothetes طوال عمره. ومنح هبات دائمة لتوفير زيت الزيتون للجمناسيون والألعاب والمهرجانات، وأقام أصدقاؤه التماثيل تخليداً لذكراه.

كان نيكولاوس المحب لقيصر Philocaesar فى كارباسيا عام ٤٦/٤٧م هو الكاهن الأعظم المشرف على تأليه الأباطرة tes Athanasias ton Sebaston. وفى كيتى Kiti حمل تيبيريوس كلاوديوس نيكوبولينوس هيبارخوس Ti. Claudius Nicopolinus Hipparchos لقب الكاهن الأعظم للأباطرة ومجلس الشيوخ المقدس طوال عمره. وتمتع تيبيريوس كلاوديوس مناسياس Mnasieas بلقب الكاهن الأعظم للأباطرة وروما أواسط القرن الأول الميلادى.

وعلى نقيض ماحدث فى آسيا – أى إختفاء عبادة روما بعد ظهور عبادة الأباطرة – ظلت هذه العبادة موجودة ومقترنة بعبادة الأباطرة حتى أواخر القرن الأول الميلادى. ولدينا قرائن على ذلك من كوريون

---

(١) أنظر RS L (1960) pp. 75-76

(٢) أحمد عتمان، الأدب اللاتينى، ودوره الحضارى، العصر الفضى، الطبعة الأولى، أبجيتوس ١٩٩٠ ص٦٩-٩١.

وكيتيون وسلاميس. وفي باليوبافوس توجد عائلتان مسيطرتان على العبادة والحياة الدينية لعدة أجيال. ففي عام ١٤/١٥م خدم تيبيريوس كلاوديوس رودوكليس Rhodocles بن رودوكليس بوصفه الكاهن الأعظم بقبرص كلها في عبادة الإله أوغسطس قيصر. وفي عام ١٨/١٩م كان نفس الرجل – باسم ستاسيكراتيس Stasikrates – هو الحكم في المباريات agonothetes. أما كلاوديا رودوكليا أفاريون Claudia Rhodocleia Appharion فقد جمعت في شخصها بين العائلتين رودوكليس وتيوكروس. وكانت كلاوديا أوميديوس بانتاوخوس C. Ummidius Pantauchus الكاهنة الأعظم لديميتر في قبرص كلها تحت حكم كلاوديوس (٤١-٥٤م) ونيرون (٥٦-٦٨م) ودوميتيانوس (٨١-٩٦م). وفي عام ٣٥م كان أمينتور Amyntor من بافوس الكاهن الأعظم مدى الحياة لسلامة عائلة أوغسطس بوصفه خليفة بلوس Plous الفيلسوف الكاهن الأعظم مدى الحياة للإله الامبراطور قيصر أوغسطس، الذى تم الإحتفال بانتصاره في أكتيوم ٣١ق.م. بإقامة مباريات رياضية وسباق خيول في لابيثوس.

وفي بافوس ١٨م أنشئت دورة رياضية مقدسة تعقد كل خمس سنوات، وهي قبرصية قومية أى لكل القبارصة وتكريماً لجرمانيكوس ابن أخ الامبراطور تيبيريوس أى نيرون كلاوديوس دروسرس جرمانيكوس. وأقيمت ألعاب أخرى للإمبراطور نيرون (٥٤-٦٨م) في نهاية حكمه. ولو أننا لا نعرف الإله الذى أقيمت من أجله هذه الألعاب التى كانت تقام كل خمس سنوات في كيتيون من منتصف القرن الأول الميلادى. وأهدت نياباقوس معبداً فيما بين ١٩٦ و ١٩٨م إلى سيفيروس S. Severus (١٩٣-٢١١م) وكراكللا (٢١١-٢١٣م). ويبدو أن عبادة يوليا أوغسطا Iulia Augusta أى ليفيا في كيتيون كانت عبادة رسمية. إذ وصل إلينا تمثال لها مع بعض الشذرات من كوريون. وفي المدينة الأخيرة هناك معبد لأبوللو هيلاتيس يعود إلى ٦٥/٦٦م أى في حكم نيرون، الذى كان من أشد المجذوبين لهذا الإله وموسيقاه. وفي عام ٦٤/٦٥م وعن طريق مبعوثه كوينتوس يوليوس كوردوس البروقنصل أعيد بناء مسرح هذه المدينة الذى بنى فيها أيضاً معبد للعرائس بيمفايوم Nymphaeum أوائل القرن الأول الميلادى. وربما أعيد بناؤه في عصر ترايانوس (٩٨-١١٧م) بعد الزلزال المدمر الذى أتى عليه ٧٦م. وهناك نقش يقول نصه مامعناه:

"بناه الكاهن الأعظم الأمبراطور"، وقد يشير هذا النقش إلى ترايانوس نفسه. أما المرحلة الثالثة في المعبد فتعود للقرن الثالث الميلادى، وتشمل قاعة كبيرة بأرضية هندسية ملونة. وبعد التدمير الناجم عن زلزال ٣٧٠م ثم إعادة بنائه على أسس جديدة مما يشكل علامة واضحة على بداية العصر المسيحى الصافي ٤١٠م، ويمتد هذا العصر حتى ٦٥٠م. وتعود السوق الرومانية Forum في كوريون إلى عصر أسرة سيفيروس (١٩٣-٢٣٥م)، ودمرت في زلزال ٣٧٠م وأعيد بناؤها على هيئة بازيليكا مسيحية مبكرة.[1]

وفي العصر الرومانى ظلت اللغة الإغريقية هي اللغة الرسمية في قبرص حتى إن البروقنصل كان يصدر قراراته بالإغريقية. وكذلك صدرت كل الوثائق الرسمية القانونية والمحفوظة في سجلات المدن (bibliophylakia). حتى نقوش الأباطرة كانت باللغة الإغريقية مثل النقش الموجود على مذبح أهداه

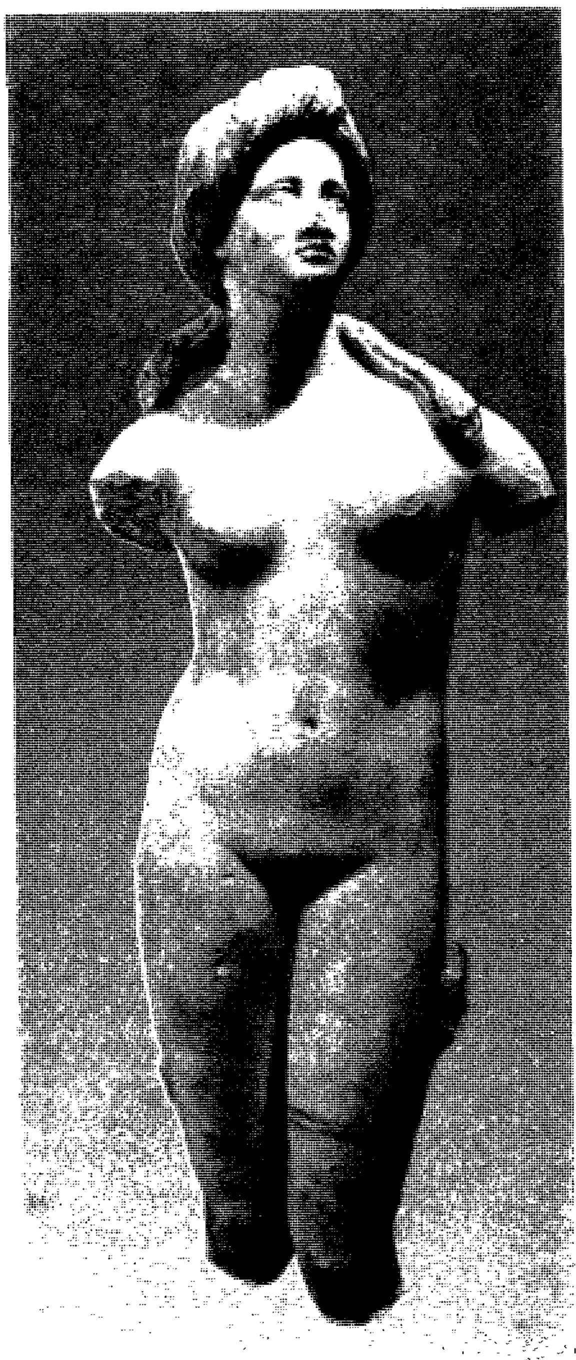
Kyrris, op. cit., pp. 146-159.

الامبراطور تيتوس (٧٩-٨١م) ودوميتيانوس (٨١-٩٦م) إلى الإلهة أفروديتي البافية. بيد أن اللغة اللاتينية كانت تستخدم في علامات الطرق أثناء بنائها. كما ظهرت علامات مزدوجة اللغة من القرن الثاني والثالث الميلاديين، وحتى حكم قسطنطين الأكبر (٣٠٦-٣٣٧م)، الذى فرض اللاتينية في كل الوثائق الرسمية. وكانت هذه اللغة تستخدم قبل عصره في قبرص في شواهد القبور التي بنيت للجنود الرومان. وإستخدمت كذلك في الإهداءات التي قدمها المواطنون الرومان والرسميون المقيمون في مدن مثل باليابافوس ونيابافوس وسلاميس. ووجدت اللاتينية أيضاً على قواعد التماثيل المهداة من القبارصة إلى الأباطرة والمباني العامة التي مول بناءها الأباطرة، مثل مسرح نيرون في كوريون، وإن كانت اللغتان تتجاوران في مثل هذه الحالات غالباً. ويقال إن الحي القومي القبرصي الإغريقي قد نما في العصر الروماني، فتم إحياء إتحاد القبارصة Koinon Kyprion حوالى ٣٠/٢٩ ق.م. وكان الهدف المعلن من إحيائه هو تقديم الثناء للحاكم (الأرخون) في سلاميس وهو موسخوس (Moschos) بن موسخوس. وبعد ذلك لوحظ أن رعاة هذه الجماعة أغدقوا الهدايا على الجزيرة كلها. على سبيل المثال كان باتروكليس وأبوللونيا من بافوس (أوائل القرن الثاني الميلادى (مؤسسّي معبد الحظ Tychaeon، وكانا الكهنة مدى الحياة للربة Fortuna. وفي العام ١٩م. هنأ أعضاء اتحاد القبارصة رودوكليس البافي -الكاهن الأعظم سابقاً في الاقاليم لعبادة أغسطس - على أنه خدم حكما للمباريات. agonothetes في أول دورة ألعاب قومية قبرصية تقام في الجزيرة تكريماً لنيرون كلاوديوس دروسوس جرمانيكوس (أخو الامبراطور تيبيريوس ١٤-٣٧م). وعقدت هذه الدورة للألعاب القبرصية القومية في العاصمة بافوس، وارتبطت بفكرة الولاء لروما. وهكذا يمكن القول بأن الحكم الروماني دعم وحدة الجزيرة سياسياً وثقافياً. ويتجسد ذلك في التمثال الذى أقيم للإمبرطور هادريان (١١٧-١٣٧م) في أثينا عام ١٢٨م. فاللذان أقاماه هما مبعوثان، أحدهما هو جايوس يوليوس روفوس C.Iulius Rufus من أسرة بافية عريقة. والثاني هو كلياجينيس Kleagenes بين كلياجينيس، وهو رياضي بارز من سلاميس. وقامت اتحاد القبارصة بوظيفة أخرى ساهمت في وحدة الجزيرة، وهي الإشراف على سك النقود لاسيما في بافوس وتحمّل هذه العملة النقش "اتحاد القبارصة Koinon Kyprion داخل إكليل الغار، فهي تحتفي بألعاب ومهرجانات الجزيرة.

وفي نقش من أوائل القرن الثالث الميلادى عثر عليه في لابيثوس نعلم أن ليونتيخوس Leontichus المواطن الروماني كان فاعل خير للمدنية، فهو والد قنصل الجزيرة كلاوديوس ليونتيخوس الإلليرى Illyrius (أواسط القرن الثالث الميلادى)، وأعاد بناء أسوار لابيثوس وبنى تحصينات فاليريان في أثينا لصد الغزاة من القوط ٢٣٥م. وشغل منصب البروقنصل في آخايا تحصينات. إنه يمثل حالة نادرة لقبرصي قح يحظى بمثل هذا الشرف والمناصب الرفيعة في الامبراطورية الرومانية.



شكل رقم (٣٠): عملة قبرصية من العصر الروماني عليها عبارة "إتحاد القبارصة" "Κοινον Κυπριων".



شكل رقم (٣٤) : تمثال من المرمر لافروديتى. عثر عليه فى سولوى ويؤرخ بالقرن الأول ق.م.



شكل رقم (٣٥): إله الحب إيروس يمتطى ظهر كبش. ويعكس هذا التمثال الرشاقة والطبيعة . وداعت مثل هذه التماثيل فى قبرص حيث أن عبادة أفرودىسى تتواءم مع هذا الجو الرعوى السائد فى الجزيرة.



شكل رقم (٣٦) : إيروس نائما، تمثال من المرمر عثر عليه فى بافوس. ويعود للقرن الاول الميلادى. ومحفوظ بمتحف قبرص



شكل رقم (٣٧) : تمثال من الحجر الجيري لشاب رياضي يتأهب لقذف الكرة. عثر عليه في حلبة معبد أبوللو في كوريون ويعود للعصر الروماني. وهو محفوظ بمتحف قبرص



شكل رقم (٣٨): إناء عثر عليه في ماريوت ويصور ايروس لاعبا رياضيا. فهو تاهب للقفز. محفوظ في متحف شرص

وفى قبرص الرومانية تألق باكخيوس Bacchius من تريفون Tryphon من بافوس، وهو مدرس أفلاطونى قام بتعليم ماركوس أوريليوس. وهناك ديميتريوس من سلاميس الرياضى الشهير فى أوائل القرن الثالث الميلادى، والذى فاز بالجائزة الأولى فى الألعاب التى نظمت فى كل من أنازاربوس Anazarbus وطرسوس Tarsus وأنطاكية وأزمير، بالاضافة إلى انجازاته الرياضية فى سلاميس نفسها مسقط رأسه. وهناك موسيقيان قبرصيان من ذوى الصيت والشهرة العالمية، وهما يوفيموس Euphemus عازف الفلوت المنفرد Pythaules والجماعى Choraules. والثانى هو أيليوس آيليانوس P. Aelius Aelianus من سلاميس وهو عازف فلوت منفرد. ذاع صيته عندما عزف فى روما ونابلى ونيكوبوليس وأزمير وأثينا ونيميا وأرجوس. وعاش فى قبرص منذ نهاية القرن الأول الميلادى وأواسط القرن الثانى الميلادى ديموناكتاس Demonaktas القبرصى وإن كان لوكيانوس لم يذكر بالضبط مسقط رأسه إلا أنه أخبرنا بأن ديموناكتاس الفيلسوف القبرصى سقراط وديوجينيس الكلبى وأريستيبوس من المدرسة القورينية (الرواقية).

وتنم المبانى العامة والخاصة فى نيابافوس عن شيوع ذوق فنى رفيع وثراء واضح فى قبرص البرومانية. إذ نلاحظ ذلك فى الأوديون والسوق العامة ومعبد أسكليبوس والمسرح وعدد من الفيلات الرومانية التى زينت أرضيتها بفسيفساء متعددة الالوان، والتى تصور بعض المشاهد من الاساطير الاغريقية. وفى "دار ديونيسوس" ذى العشرين قاعة تصطف حول فنائين وتزينه فسيفساء مأخوذة من حياة ديونيسوس الأسطورية. وربما كان هذا المبنى الفخم هو البرايتوريوم Praetorium أو قصر الحاكم الرومانى فى القرن الثالث الميلادى. ولكنه ظل يستخدم حتى القرن الخامس الميلادى. وفى هذه الفترة تم تصوير مشهد الحمام الأول للطفل أخيلليس بطل الأبطال الإغريق فى "الالياذة". وربما تم تجديد هذا المشهد بعد زلزال عام ٣٧٠م الذى أتى على بافوس وكوريون.

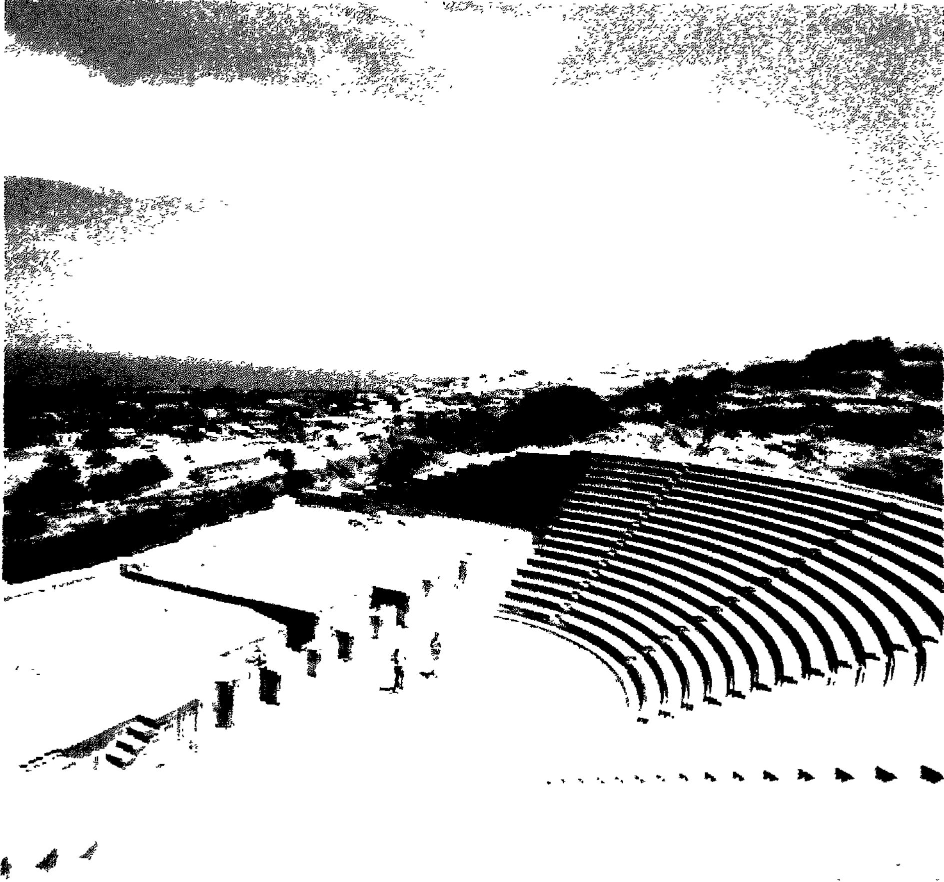
أقام اليهود فى قبرص، كما أقاموا فى كريت وبلاد الإغريق وآسيا الصغرى وقورينى، منذ أواسط القرن الثانى قبل الميلاد. وكان ذلك بمساعدة روما وحليفها المعادى للهيللينية أى الأسرة الهاسمونية والكاهن المكابى الأعلى لجيروسالم (المقدس). إستغل اليهود النزاعات البطلمية الداخلية واستطاعت الأسرة الإيدومية Idumaean – نصف اليهودية ونصف البنطية – أن تمزج الهيللينية باليهودية، وأن تضيق الخناق على قبرص، حيث باع أوغسطس عام ١٢ق.م. إلى هيرود الأكبر إمتياز استغلال مناجم النحاس فى الجزيرة على أن يكون نصف الدخل للإمبراطور.[1] وبرغم أن اليهود لم يكونوا على خلاف مع القبارصة قبل عام ١١٥م، وبرغم أن قبرص لم تكن ضالعة فى حركة المقاومة المسيحية ضد روما فى مصر وقورينى ٦٦-٧٠م والتى حققت بعض النجاح فى بدايتها إلا أنها لم تسلم من عواقبها.

وكانت هناك حركة مماثلة فى بلاد مابين النهرين وفلسطين، بدأت بالنزاع بين رجل إغريقى وآخر يهودى، وأيد الملك البارثى خسرويس Chosroes هذه الحركة . وطالت حركات التمرد اليهودية فى قبرص فى عصر أرتميون Artemion الكثيرين من الإغريق والرومان ودمروا سلاميس. إنفجر اليهود فى غضب

(١) عن موقف مماثل لليهود مع كليوباترا راجع:
أحمد عتمان، كليوباترا وأنطونيوس، ص١٧٣-١٧٩.



شكل رقم (٣٩) : المدخل (بروبيليا) الشرقى للجمناسيون فى سلاميس، وهو مبنى فى العصر الرومانى.



سكل رقم (٤٠) : مسرح سولوى المنحوت فى الصخر، والذى إكتشف عام ١٩٢٩م.



شكل رقم (٤١) : مسرح سلاميس بعد ترميمه، وكان قد بنى فى نهاية القرن الأول ق.م. ودمره زلزال وقع فى القرن الرابع الميلادى، وكان يسع لخمسة عشر ألف متفرج.



شكل رقم (٤٢) : فسيفساء عثر عليه فى حمام Sudatoruim (الساونا) الجنوبى فى جمناسيون سلاميس .



سكل رقم (٤٣) . فسيفساء من دار ديونيسوس في المنطقة الاثرية في بافوس، وتحكي اسطورة بيراموس وتيسبي.



شكل رقم (٤٤): فسيفساء من دار ديونيوس في كاتو بافوس، وتعود للقرن الثالث الميلادي. وتحكي أسطورة ديونيسوس وآكمي (= الذروة)

وحشى كما كانوا قد فعلوا فى مصر. ومع ذلك فإن الرقم الذى يرد عند ديوكاسيوس[٢] للضحايا وهو أربعة وعشرون ألفاً ربما يكون مبالغة. ومع ذلك فهو يدل على ضخامة عدد القتلى فى مدينة مثل سلاميس ذات الكثافة السكانية آنذاك، وكما يستنتج من مرفق المياه Aqueduct الذى بناه نيرون هناك. ويشير هذا الرقم كذلك إلى ضخامة عدد اليهود المقيمين فى سلاميس آنذاك. وبلغ من خطورة حركة التمرد اليهودية أن جاء الجيش الإمبرطورى من بارثيا وبانونيا وغيرهما لإخمادها.

إن إعادة بناء الجزء المتهدم من الجمناسيون فى سلاميس على يد ترايانوس ١١٦/١١٧م، والتمثال الذى أقيم لهادريان فى نفس المدينة ١٣٠م، كل ذلك لابد من ربطه بمساعدة الأباطرة لسلاميس بعد الدمار الذى لحق بها ١١٥/١١٦م. ولقد تشجعت المدينة بهذا الإهتمام الإمبرطورى وطالبت بأن تكون المدينة - الأم Metropolis لكل قبرص. جاء ذلك فى النقوش التى حفرت على التماثيل المقامة ١٢٣م. وربما كانت زيارة هادريان لسلاميس (ولابيثوس) هى الدافع لإقامة التماثيل له فى المدينة. لقد كان فى طريقه إلى أنطاكية حيث مكث فيما بين يونية ١٢٩ وربيع ١٣٠م. كان ترايانوس قد زار سلاميس أيضاً ١١٣م وهو فى طريقه إلى سوريا والحرب البارثية. ومع ذلك فإن زيارة هذين العاهلين الرومانيين لسلاميس تأتى على النقيض من زيارة تيتوس ٦٩م لبافوس، وهو أيضاً فى طريقه إلى سوريا. لقد استولى الأخير على خزانة معبد أفرديتى فى بافوس وتنبأ له كاهن المعبد سوستراتوس بمستقبل عظيم! وربما كان اللقب فلافيا Flavia الذى خُلع على بافوس مكافأة من فسباسيان لسوستراتوس ونبؤته، والتى ربما ساعدت فى صعود الأسرة للعرش. وكانت بافوس من ناحية قد تعرضت لهزة أرضية عام ٧٧ أو ٧٨م. وتعود علاقة بافوس بالعائلة الامبراطورية إلى ١٥م عندما أعيد بناؤها تحت اسم أوغسطا Augusta، أى مدينة أوغسطس. وأعيد بناء معبدها الشهي.ر ويظهر ذلك على العملات التى سكها اتحاد القبارصة فى مقرها الرئيسى باليوبافوس، وهو نفس مقر الإمبراطور كاراكالا (٢١١-٢١٧م) عند قدومه إلى قبرص.

لقد أفادت قبرص من السلام الرومانى Pax Romana. وظهر ذلك بصفة واضحة فى نيابافوس العاصمة منذ القرن الأول قبل الميلاد. وفى صيف ٤٦م وقع أكبرحدث فى تاريخ قبرص، حيث التقى فى نيابافوس كل من القديس بولس Paulus والقديس برنابا Barnabas والقديس مارك ابن أخيه. وثلاثتهم يهود متأغرقون ويعيشون فى الشتات، اجتمعوا مع البروقنصل سيرجيوس باولوس Sergius Paulus وانتهى اجتماعهم بتحول الأخير إلى المسيحية بعد وقوع معجزة القديس بولس التى بها قضى على إعتراضات الساحر اليهودى القديس بار جيسوس عليماس Bar Jesus Elymas المتنبئ وصاحب مدرسة للتنبؤ بجوار معبد أفروديتى فى باليابافوس[١].

(٢) Dio Cassius, LXVIII, 2, 2-3.

(١) C.P.Kyrris, "St. Barnabas and St. Paul in Cyprus" Stasinos, Πρακτ. Α' Παδκυπρ. Συνεδρ. Ελλγν. Πολιτ. 21-23 Δεκ. 1973, σ. 97-125. Λευκωσια 1974.

هكذا سجلت قبرص أول انتصارات الديانة الجديدة في الطبقة العليا الحاكمة فـي الإمبراطوريـة الرومانيـة. حدث ذلك في نهاية أول بعثة تبشيرية منظمة خارج جيروسالم، مما يفتح عصراً جديداً للتبشير بالمسيحية لدى كافة الشعوب. أما السوابق غير المنظمة لدخول المسيحية إلى قبرص فنشير من بينها إلى الموعظة التى ألقاهـا "التلاميـذ" بعد عام ٣٣م بقليل في قبرص. وفي نفس العام قام بعض المبشرين – من أصول قبرصيـة – بتعليم المسـيحية فـي أنطاكية.

لقد بدأ الرسل الثلاثة بيهود قبرص، ثم توسعوا بدعوتهم لتشمل الوثنيين. ورويداً رويداً انتشرت المسيحية في قبرص. وكانت الزيارة الثانية التى قام بها برنابا ومارك أكثر فعالية وخصوبـة، برغـم ردة الفعـل الشرسـة مـن قبل اليهود المحليين، والتى أدت في النهاية إلى استشهاد برنابا في سلاميس. وتلـك كـانت اللبنـة الأولى فـي بنـاء الكنيسة الرسولية القبرصية. والتى مع الزمن صارت المؤسسة القومية المعبرة عن المجتمـع القـبرصي الإغريقـي منـذ ذلك التاريخ وإلى يومنا هذا. وهى التى أوجدت همزة الوصل بين العالم المسيحى والعـالم الإغريقـي. ومـن حيـث الشكل والمضمون فإن الديانة الجديدة واءمت نفسها مع ما كان سائداً قبلها فـي قـبرص. ومـن ثـم نجـد تواصـلا ثقافياً للقومية الفبرصية داخل هذه الديانة نفسها، برغـم حـدوث إنقـلاب جـذرى عقـائدى واكبـه صـراع عنيـف واضطهاد مرير.

ويتجلى الموقف تماما في اللغة. إذ بقيت المقطعية القبرصية المحلية مستخدمة حتى حوالى القرن الثـالث قبـل الميلاد. ثم سادت العامية الإغريقية Koine وهى لغة العصر الهيللنستى والتى حوالى ٥٠ق.م. وبشكـل حاسـم وبعد صراع طويل حلتْ نهائياً محل اللهجة القبرصية القديمة. وهكذا ارتبطت قبرص أكثر فأكثر بالعـالم الاغريقـي الأوسع. ومن اللغة العامية الهيللنستية في قبرص Koine تطورت اللغة القبرصية اليونانية في العصـور البيزنطيـة والوسطى حتى العصر الحديث. وفي يومنا هذا تتمتع اليونانية القبرصية بنكهة مميزة، وسمـات وخصـائص قـاصرة على قبرص. فهى تحمل آثار التراث اللغـوى الطويـل الممتـد مـن آلاف السـنين قبـل الميـلاد ويجمـع بـين الفينيقيـة والمصرية القديمة ولغة العصر الموكينى إلى جانب الخلفية المسيحية المختلطة بالهيللينية[1].

الباب الثانى

قبرص فى العصر البيزنطى والقرون الوسطى

"... Insulam Cyprum quae est inter Graecos et Saracenos"
(Willibald)

".... جزيرة قبرص الواقعة بين الروم والشرقيين"

(ويللىبالد)

"... Κυπριοι μεθοριοι της τε Ρωμαικης και της των Σαρακηνων εξουσιας".

(Νικολαος Μυστικος)

"... القبارصة على الحدود بين الدولة الرومية ودولة الشرقيين"

(من رسالة نيقولا ميستيقوس إلى الخليفة)

١- قبرص البيزنطية

كانت الفترة الرومانية بالنسبة لقبرص فترة إزدهار، وهذا مما يفهم من الآثار الرومانية المكتشفة فى الجزيرة، سواء فى سلاميس وكوريون ولابيثوس أو غيرها مثل مجارى المياه العذبة الممتدة من كيثريا إلى سلاميس والتى بناها سبتيميوس سيفيروس. كانت قبرص بالنسبة لروما نقطة إرتكازية ومنصة وثب لحملات الجيش الرومانى فى الشرق الأدنى. ومع ذلك ظلت قبرص آمنة من الهجمات الخارجية. وثبت الآن أن قبرص لم تتعرض للغزو القوطى (٢٦٨/٢٦٩م) الذى كان قد طال بلاد الإغريق وجزر الكيكلاديس وكريت ورودس. وكان أهم مانجم عنه الحكم الرومانى فى قبرص هو الإنتقال إلى العصر البيزنطى من خلال تحول الامبراطورية الرومانية تدريجياً إلى الهيللينية بعد إنتقال العاصمة من روما إلى القسطنطينية.

وهذا ماحدث فى قبرص وبقية الولايات الشرقية، حتى أعلن قسطنطين الأكبر المسيحية ديانة رسمية للإمبراطورية. وهكذا نجحت الامبراطورية الرومانية فى الجمع بين الهيللينية والمسيحية فى قبرص وبلاد الإغريق. ولم يأخذ قسطنطين موقفاً معادياً من القبارصة الذين أمدوا خصمه ليكينيوس Licinius بمساعدة بحرية أثناء الحرب الأهلية التى إنتهت بهزيمة ليكينيوس ٣٢٤م. بل إن قسطنطين وأمه هيلينا بدأ يظهرهان إهتماماً كبيراً بالجزيرة، التى منذ دستور دقلديانوس عام ٢٩٣م أصبحت تابعة للبرايتور حاكم الشرق Praefectus Praetorio Orientis ومقره فى أنطاكية.

منذ ٣٣١م صارت قبرص ضمن الكومية الشرقية أو بلاط الشرق Comes Orientis[1] جنباً إلى جنب مع طراقيا وبونطوس ومصر وليبيا. وفيما بين ٣٦٥-٣٨٦م إنفصلت ليبيا ومصر ليكونا دوقية Diocese[2] أى منطقة إدارية مستقلة بينما ظلت قبرص ضمن دوقية الشرق، التى شملت مابين النهرين وسوريا وفلسطين وفينيقيا وكيليكيا وإيساوريا Isauria وبلاد العرب. وبعد ذلك أنشأ جوستنيان كوايستورية أصغر quaestura exercitus لها سلطة على مويسيا (=صربيا وأراضى شاسعة حولها) وسكيثيا وجزر بحرإيجة وكاريا وقبرص، بحيث يصبح من السهل إرسال إمدادات عسكرية إلى الحدود الطراقية. وكان حاكم قبرص حتى عام ٦٤٩م يحمل لقب القنصل Consularis أو Praeses vir clatissimus (باليونانية Hypatikos) تعينه الـ الكومية الشرقية أو الامبراطور أو بتوصية منه. وكان أول "حاكم بيزنطى فى قبرص" فى حدود مانعلم هو أنتيستيوس سابينوس Antistius Sabinus.

---

[1] كلمة comes فى اللغة اللاتينية الكلاسيكية تعنى "الرفيق" أو "المرافق" أو "المربى"، ولكنها فى العصور التالية معان جديدة مثل "الحاشية" وماشابه من ألقاب تطلق على الشخص الذى يرافق الحاكم أو الامبراطور ويتولى بعض المسئوليات. راجع وسام عبد العزيز فرج، "الألقاب والمناصب الحكومية فى بيزنطة بين الاستمرارية والانقطاع"، الكتاب السنوى الثالث للجمعية المصرية للدراسات اليونانية والرومانية (القاهرة ١٩٧٩) ص١١ – ٥١.

[2] كلمة diocese اللاتينية جاءت من أصل يونانى هو διοικησισ (dioikesis) بمعنى "الادارة" وقارن الحاشية السابقة.

شكل رقم (٤٥) : خريطة قبرص فى العصور الوسطى والحديثة

وتتوافق الأهمية العسكرية لقبرص مع دورها السياسي والكنسي. فمنذ عصر قسطنطين أقيمت مستعمرة لقوات مختارة ربما في تيلليريا Tillyria. وأخمد العصيان الذي قام به الحاكم كالوكايروس على يد ابن أخ الامبراطور دلماتيوس Dalmatius (٣٣٢-٣٣٣م). وفي عصر جوستين الثاني Justin II عام ٥٧٨م تم توزيع ٣٣٥٠ مستوطن أرمني في كل أنحاء قبرص بوصفهم حراساً وأصحاب ملكيات صغيرة. وفي عصر جوستنيان الأعظم قامت زوجته ثيودورا - من أصل قبرصي يوناني فيما يقال - بتعيين أسقف إديسا Edessa وهو يعقوب بوردانا Jacob Burdana المؤمن بالطبيعة الواحدة للمسيح مراقباً على آسيا الصغرى وردوس وقبرص... الخ، مما يدل على وجود فكرة الطبيعة الواحدة للمسيح في قبرص آنذاك أى ٥٤٢م ومايعليها.

تعرضت قبرص في تلك الفترة لسلسلة من الزلازل عام ٣٣٢ و ٣٤٢م فسويت سلاميس بالأرض وأعيد بناؤها على رقعة أوسع وحملت أسماً جديداً هو قسطانطيا Constantia، وحلت محل بافوس عاصمة لقبرص. ومنذ عام ٣٤٦م أصبحت مقر أسقف قبرص ورئيس أساقفة الجزيرة أى أصبحت المدينة - الأم Metropolis. وبعد هذه السلسلة من الزلازل إستعادت قبرص قوتها، وبدأت بناء السفن من جديد عام ٣٥٤م، وشهدت إزدهاراً في أواخر القرن الرابع وأوائل الخامس الميلاديين. وبنيت عدة مباني بازيليكا بالغة الفخامة ورائعة الزخرفة في طول الجزيرة وعرضها.

نأتي للحديث عن الزيارات التى قامت بها الامبراطورة هيلينا Helena Flavia Iulia أم الامبراطور قسطنطين العظيم التى يقال إنها إكتشفت مقبرة في جيروسالم السيد المسيح وبعض قطع الخشب الذى صنع منه الصليب الأصلي لقبرص في طريقها إلى الأراضي المقدسة في فلسطين، أو في طريق العودة من هناك لقد أسفرت هذه الزيارات - كما هو معروف في التراث القبرصي والفلسطيني - عن بناء عدة كنائس وأديرة زينتها قطع من الصليب المقدس. وعاد إلى قبرص الكثيرون من سكانها المهاجرين، وقد كان الجفاف والمجاعة وشرور أخرى قد إضطرتهم للخروج منها. ومع هؤلاء جاء نفر غير قليل من اليونانيين، الذين كان لهم أثر ملموس في تطوير الكتابة اليونانية، كما يظهر من نقوش مابعد الزيارة الثانية ٣٢٧م.

وورد في بعض المصادر أن هيلينا عندما زارت قبرص وجدتها مأهولة، لا مهجورة كما يرد في بعض المصادر الأخرى. بل إن الدراسات التاريخية والأثرية الحديثة تثبت أن قبرص كانت مزدهرة في أوائل القرن الرابع الميلادى، وظل الإزدهار مطرداً حتى وقوع زلازل ٣٣٢ و ٣٤٢م. وربما حدث بعض الإنقطاع في مسيرة الإزدهار بسبب هذه الزلازل، وما تسببت فيه من جفاف ومجاعة. لقد كانت قبرص محطة رئيسية للمسافرين إلى الأراضي المسيحية المقدسة في فلسطين، ولاسيما للقادمين من الشمال والشمال الغربي. ومن ثم فإن زيارات هيلينا لقبرص ربما تكون حقيقة تاريخية وليست من وحي الخيال الشعبي كما يظن البعض. ولكن هذه الزيارات بالقطع ليست كما يصورها التراث الشعبي السائد، والذى يذهب إلى حد أن قطعا من أخشاب الصليب الأصلي المقدس نفسه موجودة في قبرص. نشأت هذه الرواية في الغرب الأوروبي منذ أواخر القرن الرابع الميلادى وتمثل جزءً من

الهالة القدسية شبه الأسطورية التى تلف الامبراطورة - الأم هيلينا التى بزغت من الظلام الوثنى بنور المسيحية فى إبريل ٣٢٦م، وذهبت إلى الأراضى المقدسة لبناء بازيليكا. وليس هناك قط ما يمنع الإعتقاد بأن هيلينا قامت فعلاً ببناء بعض المبانى المسيحية فى قبرص إمتداداً لسياستها العامة ونزعتها المعهودة، وأثناء زياراتها الروتينية للجزيرة.

وقد يكون من المنطقى - كما يقول كيريس[1] - أن نفترض أنه بعد إنعقاد مجمع نيقايا حاول القبارصة أن يدعموا إستقلالهم الكنسى المبنى على الشرائع الكنسية Canons المتفق عليها إبان القرن الرابع والخامس والسادس الميلادية. فإستغلوا الصراع بين الأسقف يوستاثيوس Eustathius أسقف أنطاكية والامبراطور قنسطنطين، بعد إهانة الأسقف هيلينا أثناء زيارتها للشرق ٣٢٦-٣٢٧م. وإنتهى الأمر بنفى يوستاثيوس وخلعه. وكان يوسيبيوس Eusebius(٢٦٠-٣٤٠م) أسقف قيصرية فى فلسطين ويوسيبيوس أسقف نيقوميديا (فى بيثينيا بآسيا الصغرى) قد إتهماه بإتباع مبادئ السكندرى و Origenism (١٨٥-٢٥٤م). ولقد إنتهز القبارصة هذه الفرصة لتلفيق أو تزويق زيارات هيلينا لقبرص، وجعلوا منها الموضوع الرئيسى أو المرتكز المحورى للتراث الكنسى القبرصى. فبذلك أظهروا تقربهم للإمبراطور وأمه التى أحدثت طفرة كبيرة فى مسار المسيحية.

كانت قبرص فى مايو ٣٢٥م قد أرسلت وفداً كبيراً إلى المجمع المسكونى الأول فى نيقايا. وشهد هذا المجمع نقاشاً حاداً حول العقيدة المسيحية. وكان إسهام الأسقف سبيريدون Spyridon من تريميثوس Tremithus فعالاً فى صياغة الوثيقة العقائدية المعلنة فى المجمع. كان هذا الإسهام الفعال هو نقطة البداية فى تثبيت إرتباط قبرص بالأرثوذوكسية إرتباطاً وثيقاً إلى يومنا هذا. وإذا أضفنا إلى ذلك دور قبرص فى الحرب ضد ليكينيوس (٣١٤ أو ٣١٦م) وزيارات هيلينا للجزيرة إستطعنا أن ندحض فرية أن قبرص كانت خالية من السكان قبل عام ٣٢٦م.

ومن أهم نتائج المجمع المسكونى الأول فى نيقايا أنه دعم الوضع المتروبولى للإدارة الكنسية فى قبرص على أساس إستقلالها. وجاء فى البند (Canon) السادس ما يثبت ويؤكد السلطة القضائية للكنائس المتروبولية فى كل من الإسكندرية وروما وأنطاكية، بحيث يغطى نفوذها مجالات أوسع مما كان لها من قبل. وأخذ القبارصة ذلك البند على أنه يدعم إستقلالية كنيستهم برغم مزاعم كل من كنيسة أنطاكية وسوريا وكيليكيا وما بين النهرين بالسيطرة عليها. وكان على كنيسة قبرص أن تبدأ حملة قوية وطويلة ضد هذه المزاعم. وفى عام ٣٤٣-٣٤٤م أرسلت قبرص وفداً كبيراً إلى مجمع ساردیكا Sardica. وكان الوفد يضم إثنى عشر أسقفاً بينهم سبيريدون وتريفيلليوس Triphyllius من ليدرا - ليقوسيا. كان موقف الوفد الكنسى القبرصى الرسمى هو تأييد أثاناسيوس السكندرى والكرسى الأسقفى (الأبرشى) فى روما وكونستانس Constans (رومانيا؟) - وكان نفوذهم يمتد فى الغرب إبتداء من ميلانو- وذلك ضد آريوس الذى كان يتمتع بتأييد

[1] Kyrris, op. cit., p. 162.

قسطنطيوس الثانى Constantius II ، ولقد وقع الوفد القبرصى الكنسى وحده من بين الكنائس الشرقية المتروبولية قرار هذا المجمع ، وفى هذه المناسبة تم تأكيد وضع روما فى المقدمة للمرة الثانية ، ذلك أنه قد حدث من قبل عام ٣٤١م فى مجمع أنطاكية أن عرض الأمر لأول مرة ورفض ، وكان هذا المجمع الأخير قد مال ناحية المبادئ الآرية نسبة إلى آريوس Arius ، وهو من أصل ليبى وعاش فيما بين ٢٦٠ و ٣٣٦م أدين فى مجمع نيقيا ٣٢٥م لمبادئه التى تدعو للهرطقة ثم برئ عام ٣٣٥م بفضل دفاع يوسيبيوس أسقف نيقوميديا، وكانت الكنيسة القبرصية قد شرعت فى إقتحام معركتها الطويلة من أجل الإستقلال عن أنطاكية ولصالح الأرثوذوكسية .

قرب هذا الموقف قبرص من المسيحية الغربية لا الشرقية ، وكان إنتصار كونستانس والأورثوذوكسية فى ساردينيا إنتصاراً للقبارصة أيضاً، الذين لم يملكوا إلا الموافقة على رسالة الأساقفة الغربيين بالمجمع والموجهة إلى كونستانتيوس تطالبه بمنع أى تدخل من السلطات المدنية فى شئون الكنيسة ، وهذا موضوع شائك يشغل الحياة العامة قبرص منذ ذلك الحين وإلى يومنا هذا ، وإن كان الأمر لايقتصر على قبرص ولا حتى على المسيحية وحدها .

ومن الواضح أن أنصار المذهب المونوفيستى (أى مبدأ الطبيعة الواحدة للمسيح) والذين سموا أكيفالوى Akephaloi كانوا من أصل قبرصى ، وظل هؤلاء موجودين فى قبرص حتى حكم قسطنطين الرابع بوجاناتوس Pogonatus (٦٦٨-٦٨٥م) ، وإلا فمن أين خطاب رئيس أساقفة قسطانطيا أركاديوس الثانى ضد زعيم هذه الطائفة الأكيفالوى؟ بل إنه كان قد حدث عام ٥٣٣م وما يليه أن احتل أحد زعماء هذا المذهب المونوفيستى كرسى كنيسة قسطانطيا وتعنى فيلوكسينوس أسقف دوليخى (زليخة؟) Dolikhe (دولوك Duluk) فى سوريا .

ذلك أنه أى فيلوكسينوس-وأخرين- كان قد تحول إلى الأورثوذوكسية ٥٣٢م وكوفئ على ذلك بتعيينه أسقف قبرص ثم رئيس الأساقفة بها بعد فترة وجيزة ، وشارك فيلوكسينوس أسقف قسطانطيا فى تنصيب سيفيروس بطريرك أنطاكية ٥١٢م ، ومع ذلك فمن المحتمل أن فيلوكسينوس لم يتخل تماماً عن أفكاره المونوفيستية السابقة، وأنه شجع هذا الإتجاه خفية فى قبرص ، ولقد فسرت فسيفساء ثيوتوكوس Theotokos فى ماندرولا Mandrola فى معبد دير باناغيا لاثرالكومى Panagia Lathrankomi فى كاناكاريا Kanakaria بأنها تعبر عن التعاليم اللاهوتية الخالكيدونية الرسمية المبنية على أساس ثنائية طبيعة المسيح المتحدة فى طبيعة واحدة، وهى الصيغة التى قبل بها مجمع القسطنطينية عام ٥٣٦م ، وإعتبرت هذه الصيغة منذ عام ٥٤٣م الإجابة القبرصية، أورد الفعل على تعاليم باراديوس Baradeus المونوفيستية .

تورد الروايات الشعبية القبرصية "رؤيا" حدثت عام ٤٨٨م ذلك أن رئيس الأساقفة أنثيميوس Anthemius قدم مخطوطاً لأعمال القديس مارك أو القديس ماثيو Matthew المكتشف فى مقبرة القديس برنابا Barnabas إلى امبراطور بيزنطة زينون، الذى فى المقابل خلع عليه وعلى خلفائه إمتيازات إمبراطورية، كان يرتدى فى المناسبات الرسمية عباءة إمبراطورية حمراء وأن يحمل

صولجاناً إمبراطورياً وأن يوقع بالحبر الأحمر . وكان ذلك بمثابة تأكيد رسمي لإستقلالية الكنيسة القبرصية، القائمة على أساس رسولي . وكانت تلك علاقة خارقة في تاريخ الكنيسة القبرصية التي إتسع نفوذها وإمتد سلطانها وزاد دورها في التطورات الحضارية والسياسية والشئون الدينية والدنيوية . وبالتدخل الإعجازي للقديس برنابا ثبت أن كنيسة قبرص رسولية على قدم المساواة مع كنيسة أنطاكية .

ومن أهم الذين جلسوا على كرسي الأسقفية في قسطانطيا إيبفانيوس Epiphanius (٣١٠-٤٠٣م) . المولود في إليوثيروبوليس Eleutheropolis في فلسطين كان أديباً ومفكراً كبيراً أسهم إسهاماً ملموساً في الجدل اللاهوتي الدائر آنذاك . ونظم مجمعاً في قسطانطيا لإدانة أوريجين Origen بناءً على طلب من ثيوفيلوس Theophilus السكندري ٤٠١م . ووجه هجوماً عنيفاً ضد القديس خريسوستوموس Chrysostomos في القنسطنطينية، التي بها ربما كان قد شارك في المجمع المسكوني الثاني عام ٣٨١م وتركها بسرعة متجهاً إلى روما للمشاركة في مجمع آخر محلي . إتخذ إيبفانيوس المجمع الثاني وقراراته أساساً للعقيدة التي بنى عليها "عقيدته" ووضعها في نهاية كتابه (Ankyrotos 374) . = "بلا مرسى" وتقوم عقيدته أساساً على مقررات مجمع نيقايا التي أكملها وحسنها بإضافة كلمات وعبارات من الإنجيل، ومن كتب التراث . ولقد قدمت هذه "العقيدة" في المجمع الثاني بالقنسطنطينية إما على لسان إيبفانيوس نفسه، أو على لسان الأساقفة القبارصة الآخرين المشاركين في المجمع بعد رحيله هو إلى روما . المهم أن "عقيدة" إيبفانيوس رئيس أساقفة قبرص قد لاقت كل إحترام عند كافة المشاركين في المجمع . ولعل في ذلك خير دليل على أنه كان فقيها لاهوتياً فريداً، استطاع أن يحقق للكنيسة القبرصية مكانة مرموقة في محافل المجمع المسكوني . مات على ظهر السفينة التي كانت تنقله من القنسطنطينية إلى قبرص وعلى مسافة قريبة من الساحل ولقد بنيت كنيسة - بازيليكا تكريماً له في قسطانطيا ويحتفلون به كل عام حتى الآن في ١٢ مايو .

كانت علاقات إيبفانيوس واسعة مع الرهبان ورؤساء الأديرة والقساوسة والمطارنة وحتى بسطاء المسيحيين في بلاد العرب وآسيا الصغرى وسوريا وفينيقيا ومصر وفلسطين وما بين النهرين وغيرها . وتبادل إيبفانيوس مع كل هؤلاء الرسائل في أمور الدين والدنيا ووصلتنا هذه الكتابات في مؤلفه Ankyrotos = بلا مرسى" سالف الذكر الموجه لأهل بامفيليا عام ٣٧٤م، وباناريون "Panarion" (٣٧٥م) الموجه للرهبان في سوريا ٣٧٦م والذى عرف على أنه "صندوق الطب" لعلاج ثمانين مبدأ هيرطقيا . وكان يكره مزج الثقافة الهيللينية الوثنية بالمسيحية ويكره الأيقونات ولذلك عارض أتباع أوريجين مكاريوس على حد سواء . وإمتدت رحلات إيبفانيوس زماناً ومكاناً عريضين عبر العالم المسيحي وخاصة المعارك المظفرة ضد الهرطقة، ولاسيما في مواجهة أتباع أوريجين وآريوس . كان يتقن خمس لغات منها اللغة العربية على الأرجح وهذا أمر طبيعي بالنسبة لرجل ولد وترعرع في فلسطين وسافر في أنحاء بلاد العرب ومنها مصر . مما خلع على شخصيته قدرا" كبيراً من

الجاذبية على المستوى الدولى، وهذا ماساعد قبرص فى مطالبها ضد مزاعم أنطاكية، كانت صداقة إيبفانيوس مع أثاناسيوس رئيس الكنيسة السكندرية ذات أهمية خاصة، ولاسيما فى مواجهة ميليتيوس Meletius الأنطاكى، ولقد أيدا معا غريم الأخير باولينوس Paulinus ووضع هذا الصراع قبرص فى المعسكر الكنسى السكندرى الرومانى ضد أنطاكية، التى كانت طموحاتها تتعارض أيضاً مع كنيسة جيروسالم الصاعدة، وساعد كل ذلك على ترسيخ إستقلالية قبرص فى وقت كانت فيه الكثير من الأسقفيات الإقليمية قد إبتلعتها الكنائس المتروبولية، والتى بدأ بعضها يتطور ليتحول فيما بعد إلى بطريركيات عام ٤٥١م. جاء ذلك فى ظل النزعة السائدة نحو معاملة الكنيسة وكأنها دولة ذات مؤسسات ولاسيما فيما بين ٣٦٥ و ٣٨٦م.

فى تلك الأثناء ظلت قبرص جزءً من دوقية الشرق، جنباً إلى جنب مع بلاد العرب وما بين النهرين وفلسطين وفينيقيا وسوريا وكيليكيا وإيساروريا، وذلك يعنى أنها فصلت عن دوقية مصر التى ضمت ليبيا.

وأسهمت مشاركة إيبفانيوس فى مجمع روما ٣٨٢م فى رفض ودحض أراء البابا داماسوس Damasus (٣٦٦-٣٨٤م) من "أعمال" المجمع المسكونى الثانى فى القنسطنطينية عام ٣٨١م الذى يشير إلى أنطاكية، ولم يمنع هذا الموقف الأساقفة القبارصة من التوقيع على الجزء الخاص بالتعاليم فى "أعمال" المجمع التى فى بندها الثانى (Canon) أيدت إستقلالية قبرص بالإعتراف بكل الكنائس المتروبولية أى المستقلة، كانت علاقات إيبفانيوس بالرهبان والنساك فى مصر وسوريا وشمال أفريقيا وغرب آسيا قد ساعدت على تبادل الأفكار بين القارات الثلاث عبر قبرص[1] . ومنذ ذلك التاريخ إكتسبت الكنيسة القبرصية قوة متزايدة ونفوذاً مطرداً، وهذا ماسيظهر جلياً فى العصور التالية إبان الحملات العربية واللوسينيانية والبندقية والعثمانية، كان إسهام الكنيسة القبرصية فى المجامع المسكونية نشطاً ولصالح الأورثوذوكسية المستقرة، وهو أمر يمكن تبريره بروح المحافظة التى تحلى بها القبارصة وهم يخوضون صراعاً مريراً من أجل الحفاظ على هويتهم القومية وإستقلالهم الكنسى، الذى فهم ضمناً فى مجمع نيقايا ٣٢٥م واعترف به رسمياً فى المجمع الثالث فى إفيسوس ٤٣١م، فى مواجهة مزاعم أسقف أنطاكية الذى طالب بوضعها تحت إدارته بسبب خضوع قبرص رسمياً وسياسياً للإمبراطورية الرومانية البيزنطية ويحكمها حاكم - قائد (dux strategos Comes) مقره فى أنطاكية، وفى عام ٤١٥م نصح إنوسنست الأول Innocent I من روما القبارصة أن يخضعوا لأنطاكية فقاوموا ذلك الإتجاه بشدة وإصرار. ولم يؤثر تشكيل البطريركية فى المجمع المسكونى فى خالكيدون ٤٥١م على وضع قبرص التى إقتطعت من دوقية آسيا على أنها كنيسة مستقلة، كما حدث من قبل فى مجمع نيقايا ٣٢٥م والقنسطنطينية ٣٨١م. وصدر قرار فى

---

(١) عن إيبفانيوس راجع:

[Greek] Hatzioannou, Vol. Γ Part A, pp. 360-365
[Greek] A. A. Vasiliev (Athens 1973) p. 316.

مجمع إفيسوس ٤٣١م ينتصر لرأى القبارصة المطالبين بإستقلالية كنيستهم فى مواجهة مزاعم أنطاكية، وتم ذلك النصر بفضل تعاون كيرلس السكندرى وإيفانيوس الذى لعب دوراً رئيسياً، وفى ذلك الحين كادت أن تكون الكنيسة القبرصية أشبه بالبطريركية،

وبالنسبة للمراسلات حول مشكلة الطبيعة الواحدة للمسيح ودور قبرص فيها تقول أفريل كاميرون

> "It is interesting to see that Cyprus seems to emerge as central to this network of correspondence and polemical exchange, with bishop Arcadius of Constantia the sender and recipient of a number of important letters on the subject of Monothelitism..."
>
> "مما تشير الإنتباه أن نرى قبرص وقد برزت فيما يبدو مركزاً محورياً فى هذه الشبكة من المراسلات والجادلات المتبادلة مع أسقف قنسطانطيا أركاديوس المرسل والمتلقى لعدد من هذه الرسائل المهمة حول موضوع "الإلهية" وحدانية الإرادة الإلهية"[1] ،

سببت الغنوصية والهرطقة الكثير من المتاعب فى قبرص، لاسيما فى سلاميس أوائل القرن الخامس الميلادى، وفى عام ٦٢٦م إستخدم الامبراطور هرقليوس Heraklius قبرص مكاناً لتجربة دينية ثبت فشلها فى النهاية، لقد حاول الصلح والتوفيق بين الأورثوذوكسية والمونوفيستية من خلال بث تعاليم جديدة أطلق عليها إسم Monotheletism أى وحدانية الإرادة الإلهية وقد حاول إجتذاب رئيس أساقفة قنسطانطيا أركاديوس (٦٢٥/٦٢٢ - ٦٤١/٦٤٢م)، وكان لنجاح هذه التجربة فى قبرص كفيلاً بتعميمها فى سائر الامبراطورية، أما فشلها فى النهاية فيعود إلى تغلغل الروح الأورثوذوكسية المحافظة فى نفوس أبناء الجزيرة وضمائرهم، ووفقاً لنصائح أركاديوس فإن الرجل الكريم الورع، فاحش الثراء ومالك السفن الفاسق، التاجر صاحب الأراضى الشاسعة فى قنسطانطيا، ويدعى فيلينتولوس Philentoulos بن أوليمبيوس Olympius أسس مستشفى ضخماً وبيتاً للفقراء وداراً للضيافة بالقرب من دير برنابا فى الجزء الغربى من المدينة، وعندما

---

(١) **Averil Cameron, "The Eastern Provinces in the 7th century A.D. Hellenism and the Emergence of Islam". Actes du colloque de Strasbourg 25-27. Octobre 1989. Université des Sciences Humaines de Strasbourg. Travaux du Centre de et al Grèce Antiques, p. 294.**
Recherche sur le Proche- Orient

وقارن **G. Huxley, "Why did the Byzantine Empire not fall to the Arabs?" Inaugural Lecture, Gennadius Library, American School of Classical Studies. Athens 1986.**

P. Ioannou, La legislation Imperiale et la Christianisation de l' Empire Romain 311-476 Or. Chr. Anal. 1972.

وراجع أيضاً وسام فرج عبد العزيز، الزواج الرابع للامبراطور ليو السادس (٨٦٦-٩١٦م): الأبعاد الدينية والدلالة السياسية. دار المعرفة الجامعية الاسكندرية ١٩٨١، ص٥٠، ٧٣، ٨٢

مات حوالى ٦٤٢/٦٤١م - وهو تاريخ موت أركاديوس أيضاً - إختلف على مصيره بعد الموت قساوسة وأساقفة قبرص، وإجتمعوا للحوار حول ما إذا كان ينبغى دفنه أم لا ، إلى المشهد الأخير من مسرحية سوموكليس "أياس" والجدل الطويل بين أوديسيوس وأجاممنون حول دفن أياس الذى حاول ذبح القادة الإغريقية عند أسوار طروادة[١] وهو مايعود بالذاكرة.

رأى البعض ضرورة تكريم فيلينتولوس بالدفن، إذ يكفى أنه كان محباً للإنسانية ، ورأى البعض الآخر أنه مذنب أثيم لا يحق له الدفن ، ولم ينته الجدل إلا عندما إنبرى رئيس أحد الأديرة وهو كايوموس Kaioumos، الذى كان ويعيش فى كهف بالقرب من قسطانطيا ، وكان قد عاش من قبل لفترة طويلة فى كليسما Klysma فى خليج القديس أنطونيوس على البحر الأحمر ، فقال للمتجادلين إن روح فيلينتولوس ينبغى ألا تذهب إلى الجنة ولا تدخل الجحيم، وينبغى أن تبقى فى المنطقة العازلة بينهما ، وهذا ما يذكرنا بالتراث اللاتينى المسيحى، وبالتحديد فكرة Limbus puerorum الواردة فى "الكوميديا الإلهية" لدانته أو الأعراف فى التراث الإسلامى[٢]

كانت الحياة فى الأديرة هى محور النشاط الثقافى فى العصر البيزنطى، مما ترك أثراً بارزاً فى العصور التالية وفى تكوين قبرص الثقافى بصفة عامة، ولاسيما فيما يتصل بالفنون كالعمارة والرسم ، فالايقونات والرسوم الجدارية فى باناغيا تيس أسينو Panagia tes Asinou وفاغيوس نيكولاوس تيس ستيجيس Agios Nicolaos tes Stegis وأغيا ماريا تو أراكا Agia Maria tou Araka والقديس جون لامباديستيس John Lampadhistes ، وأغيا ترياس Agia Trias فى خريسوستوموس، وغيرها فى سلسلة الجبال الوسطى كل هذه الكنائس والأديرة تقدم أفضل الأمثلة على الفن البيزنطى المنطلق أساساً من العاصمة الامبراطورية القنسطنطينية والممتزج بالعناصر القبرصية المحلية ، ولقد مارس الكهنة والرهبان فى هذه الأديرة نشاطاً ونفوذاً واسعين فى كافة مجالات الدين والدنيا وجمعوا ثروة طائلة من الأموال والمخطوطات، وتم إنتخاب الأساقفة منهم فى معظم الأحوال[٣] .

---

(١) **[Greek] Ahmed Etman, pp. 72-3, 74 n.6, 76, 84, 124, 140, 151, 157, 166, 170, 176, 178, 181, 189, 239.**

وقارن: أحمد عتمان، الأدب الاغريقى، ص ٢٩٠-٢٩١.

(٢) سبق لنا أن تناولنا هذه النقطة فى البحث التالى (تحت النشر):

Ahmed Etman, "The Other World in Greek, Arabic and Italian Tradition. Some Aspects of the Oral and Written Acculturation". Le seminaire Maroco- Italien II (UNESCO) sur les aspects de la circulation du savoir en Mediterranée du XI au XIVe siècle. Rabat 6-8 Juin 1994.

(٣) عن الحياة الثقافية فى قبرص البيزنطية راجع:

P. Charanis, Church and State in the Later Roman Empire. Thess- aloniki 1974.
C.N. Constantinidis, Higher Education in Byzantium in the thirteenth & early Fourteenth Centuries (1204 - ca. 1310). Nicosia Cyprus Research Centre 1982.
J. Haldon Byzantium in the seventh century. Combridge 1990.
[Greek] Herbert Hunger (Athens 1987) pp. 233, 260, 375, 385, 387, 395, 403.
[Greek] A.A. Vasiliev (Athens 1973) pp. 276-7, 316, et passim Kyrris, op. cit., pp. 203 ff.

٢- الحكم العربي - الرومي المشترك

تحدثت الروايات التاريخية عن خوف الخليفة عمر بن الخطاب من البحر، وأنه كان لا يحب أن يفصل الماء بينه وبين جنوده، ولما استاذنه معاوية بن أبي سفيان في فتح قبرص وقال مرغباً ومسهلاً أمر الغزوة البحرية "يا أمير المؤمنين أن "الشام قرية يسمع أهلها نباح كلاب الروم وصياح ديوكهم، وهم تلقاء ساحل من سواحل حمص"[١] .

وإلى الشام ولم يأذن له عمر، فكرر الطلب في عهد عثمان بن عفان (٢٤-٣٦هـ/٦٤٤-٦٥٦م)، وسمح له بشروط ذكرها الطبرى[٢] وهى كالاتى "لاتنتخب الناس، ولا تقرع بينهم، خيّرهم فمن إختار الغزو طائعاً فاحمله وأعنه". ويقرن البلاذرى[٣] موافقة عثمان بأخذ امرأته معه إذا ركب البحر .

حشد معاوية أساطيله وقواته في ميناء عكا، بعد أن جلب بحارة مدربين وسفناً من مصر ومدن الشام الساحلية وأشترك في الحمالة مشاهير الدولة الإسلامية مثل أبو ذر الغفارى وعبادة بن الصامت وغيرهما . شاركت سفن مصر بقيادة عبد الله بن أبي سرح، وكان ملاحوها من أهل الإسكندرية الخبراء بشئون البحر . وقد أسندت القيادة العامة للأسطول في تلك الحملة إلى عبد الله بن الجاسى . .

ويقول الدكتور سعيد عاشور: "وتبلغ المسافة بين الطرف الشمالى للجزيرة، وبين سواحل الشام بالقرب من مدينة اللاذقية حوالى ٥٢ ميلا جغرافياً . بينما تبلغ المسافة بين السواحل الشمالية للجزيرة، وسواحل قيليقية (كيليكيا) في آسيا الصغرى حوالى ٣٥ ميلا جغرافيا، أى أن الجزيرة بهذا تكون في موقع متوسط بين الدولة الإسلامية، والامبراطورية البيزنطية" .

فمن العوامل الواضحة التى شجعت معاوية بن أبي سفيان على غزوه لقبرص قربها لبلاد الشام، بالرغم من خوف عمر بن الخطاب على المسلمين، لأنهم لم يركبوا "بحر الروم قبلها" على حد قول البلاذرى . ونظراً لإدراك معاوية أهمية وخطورة موقع الجزيرة بالنسبة للدولة الإسلامية عاد فكرر طلبه بغزوها في عهد عثمان بن عفان فكتب إليه "يعلمه قربها وسهولة الأمر فيها" فأذن له، ولكن بشروط ذكرها الطبرى سبقت الإشارة إليها .

وعندما أعد معاوية عدته خرجت الحملة الإسلامية بقيادته من عكا لغزو قبرص سنة (٢٨هـ) ٦٤٨م، بعد أن شاركت فيها مصر بعدد من أهل الإسكندرية العارفين بشئون البحر تحت قيادة عبد الله بن سعد بن أبي سرح . وأسندت قيادة السفن في تلك الحملة الإسلامية البحرية الأولى لعبد الله بن قيس الجاسى . وبدأ الإقبال على هذه الغزوة أشد مما كان يتصوره عثمان، وحسبنا أنه إشترك فيها نفر كبير من الصحابة منهم أبو ذر

---

(١) الطبرى، تاريخ الرسل والملوك، جـ٥، ص٥١- ٥٢.

(٢) نفس المصدر، جـ٤ ص٢٦.

(٣) البلاذرى، فتوح البلدان ص١٥٧.

الغفارى، وعبادة بن الصامت وزوجته أم حرام، وأبو الدرداء، وشداد بن أوس ... كما أن معاوية إصطحب معه أخته فاختته".

وإختلف المؤرخون فى تقرير سفن الأسطول الإسلامى فى تلك الغزوة. فقدرها بعضهم من الإغريق بسبعمائة سفينة، وقدرها لانج بمائة وسبع عشرة، على حين ذهب هل Hill إلى القول بأنها كانت مكونة من ألف وسبعمائة قطعة[1] . أما المصادر الإسلامية فلم تتعرض لمشكلة العدد فى ذلك الأسطول الإسلامى الأول بكلمة واحدة. ويبدو أن مارددته المراجع السابقة مبنى على ماعرف من أعداد السفن فى بعض الحملات الاسلامية على القسطنطينية فيما بعد. نجح فى النزول على شواطئها الشمالية الشرقية ثم أرسل إلى أهلها من يخبرهم بأنه لم يأت طائعا أو معتدياً وإنما للإتفاق معهم على صيغة تؤمن مصالح كل من المسلمين والقبارصة، فرفضوا الدخول معه فى مفاوضات وإعتصموا بأسوار عاصمتهم قنسطانطيا Constantia فحاصرها وسقطت فى يده وإستولى على كثير من كنوزها وأهلها. وقيل إن معاوية كان فى حيرة عندما رفض القبارصة التفاوض ولم يدر عندئذ ماينبغى أن يفعل فى مثل ذلك الموقف من حروب البحار؛ حتى أشار عليه أهل الأسكندرية بالنزول إلى البر، فوافق على ذلك. ولم يلبث أن حاصر المسلمون مدينة قنسطانطيا بالشاطئ الشرقى وإستولوا عليها. ثم نزل جنود الحملة بعد ذلك وإنتشروا فى مختلف الجهات المجاورة "فقتلوا خلقا كثيرا وسبوا سبايا كثيرة وغنموا مالا جزيلا" على قول ابن كثير[2] . وعندئذ أذعن أهل الجزيرة وأرسل أرخونها (= الحاكم الرومى) يطلب الصلح، فصالحه معاوية على شروط خلاصتها؛ أن يدفع القبارصة جزية سنوية للمسلمين مقدارها سبعة آلاف دينار، على أن يدفعوا مثلها للدولة البيزنطية ولا يمنعهم المسلمون عن ذلك. أى أن المسلمين لم يهتموا بأن يكونوا سادة الجزيرة وحدهم، بل قبلوا أن تكون مناصفة بينهم وبين الروم. كذلك إشترط المسلمون على القبارصة أن يخبروهم بما سوف يتجهز به الروم للإغارة على البلاد الإسلامية حتى يحتاطوا ويأخذوا عدتهم.

ومن هذا الشرط الأخير يتضح لنا أن المسلمين أدركوا أهمية موقع الجزيرة بالنسبة لممتلكاتهم فى الشام، وخافوا أن يتخذها أعداؤهم قاعدة للهجوم عليهم. وإشترط المسلمون فضلا عن ذلك أن تكون قبرص طريق المسلمين إلى البلاد البيزنطية، ومعنى هذا الشرط - الذى إنفرد بذكره إبن الأثير[3] - أن المسلمين أرادوا أن يجعلوا من قبرص قاعدة للهجوم على بلاد الدولة البيزنطية فيما بعد، وهذا يتفق فى الواقع مع ما أشار إليه ابن خرداذ[4] به من دأب الأساطيل الإسلامية على التجمع بجزيرة قبرص كلما تأهبت للغزو فى بلاد الدولة البيزنطية. وأخيراً اشترط العرب على القبارصة عدم تقديم أية معونة إلى أعدائهم.

---

(١) Hill, op. cit., Vol. I p. 284.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، جـ ٧ ص ١٥٣

(٣) ابن الأثير، الكامل فى التاريخ جـ٣ ص٧٤.

(٤) ابن خردذابة، المسالك والممالك ص٢٥٥.

ثم رحل معاوية عن قبرص في شيء من السرعة لسماعه - فيما قيل- بأن حملة بيزنطية من قبل الامبراطور قنسطانس الثاني (وهو المسمى أيضاً قنسطنطين الثالث ٦٤١-٦٦٨م) تقترب من الجزيرة. وهو سبب معقول. ولعل الأرجح في جلاء معاوية السريع يتمثل في الفتنة التي أخذت تدب في جوف الدولة الإسلامية نفسها عندئذ، وإحساس معاوية بضرورة وجوده في مقر ولايته بالشام. ومهما كان الأمر، فالمعروف أن المسلمين خرجوا مسرعين من قبرص. وروى أن أم حرام بنت ملحان زوجة عبادة بن الصامت سقطت عن ظهر بغلتها الراكضة فاندق عنقها ودفنت بالجزيرة. وما زال قبرها حتى العصر الحاضر - ببلدة هاله سلطان تكي - يعظمه مسلمو قبرص ويسمونه قبر المرأة الصالحة. ولعل هذا القبر هو أصل القصة التي جعلت لإبنة أبي بكر قبرا في قبرص[1] .

إمتد الوجود العربي في قبرص أكثر من ثلاثة قرون (٦٤٩-٩٦٣/٩٦٤م). وكانت الحملة الأولى على قبرص بقيادة معاوية بن أبي سفيان الذى حاصر العاصمة قنسطانطيا وحطم جزءً كبيراً منها ووقع الآلاف بين قتيل وأسير. وعندما وصل الأسطول البيزنطي -كما يرد في بعض المصادر- عاد العرب أدراجهم إلى الوراء، وتم الإتفاق على وضع خاص لقبرص. وجل مصادرنا عن هذه الفترة عربية ومجمل ماتنقله لنا هذه المصادر أن قبرص وضعت في حالة من الحياد وتحت سلطة مشتركة Con dominium بين بيزنطة والعرب المسلمين. فلما نقض القبارصة هذا الإتفاق ٦٥٣/٦٥٤م

---

(١) عن حملة معاوية على قبرص بإعتبارها الحملة العربية البحرية الأولى راجع:

سعيد عبد الفتاح عاشور، أوربا العصور الوسطى. الجزء الأول: التاريخ السياسي. مكتبة الأنجلو المصرية. الطبعة السادسة ١٩٧٥، ص ١٣٢ -١٣٣.

نفس المؤلف: قبرس والحروب الصليبية. بحث في تاريخ العصور الوسطى. مكتبة النهضة المصرية. القاهرة ١٩٥٧ ص٤ ومايليها.

سيدة اسماعيل الكاشف: الوليد بن عبد الملك ٨٦-٩٦هـ (٧٠٥-٧١٥م). المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ١٩٦٣، ص ١٥١ ومايليها

وراجع مايلي: ابراهيم أحمد العدوى، الأمويون والبيزنطيون - البحر الأبيض المتوسط بحيرة اسلامية. مكتبة الأنجلو المصرية. القاهرة ١٩٥٣.

أحمد عبد الكريم سليمان، المسلمون والبيزنطيون في شرق البحر المتوسط فيما بين القرنين الثالث والسادس هـ/ التاسع والثاني عشر الميلادى الجزء الأول، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٨٢.

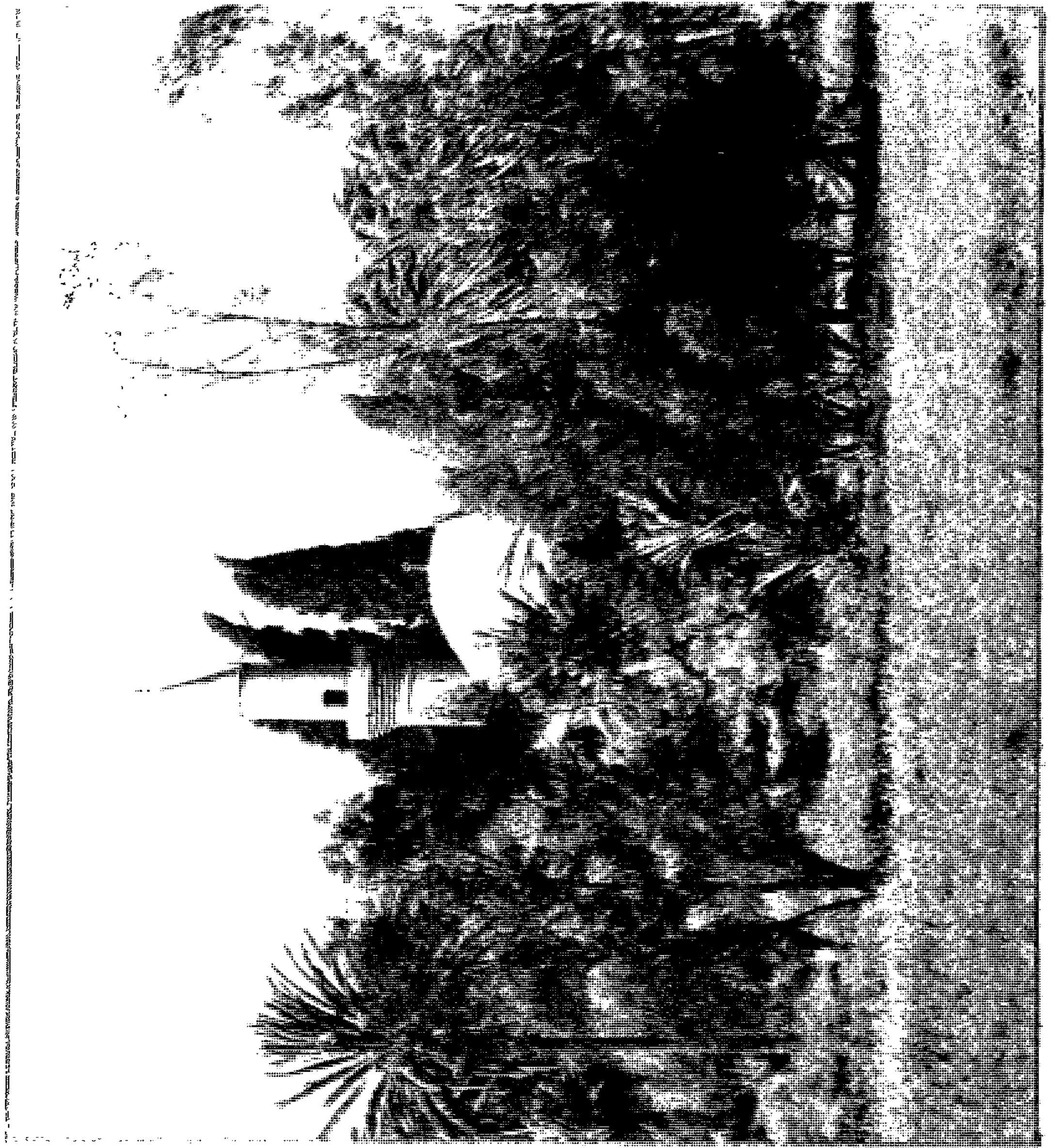
أحمد مختار العبادى - السيد عبد العزيز سالم، تاريخ البحرية الاسلامية في مصر والشام. دار الأحد (البحيرى أخوان) بيروت - لبنان ١٩٧٢.

أرشيبا لدلويس (ترجمة أحمد محمد عيسى)، القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط (٥٠٠-١١٠٠م). مراجعة وتقديم محمد شفيق غربال. مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثانية. القاهرة ١٩٦٠.

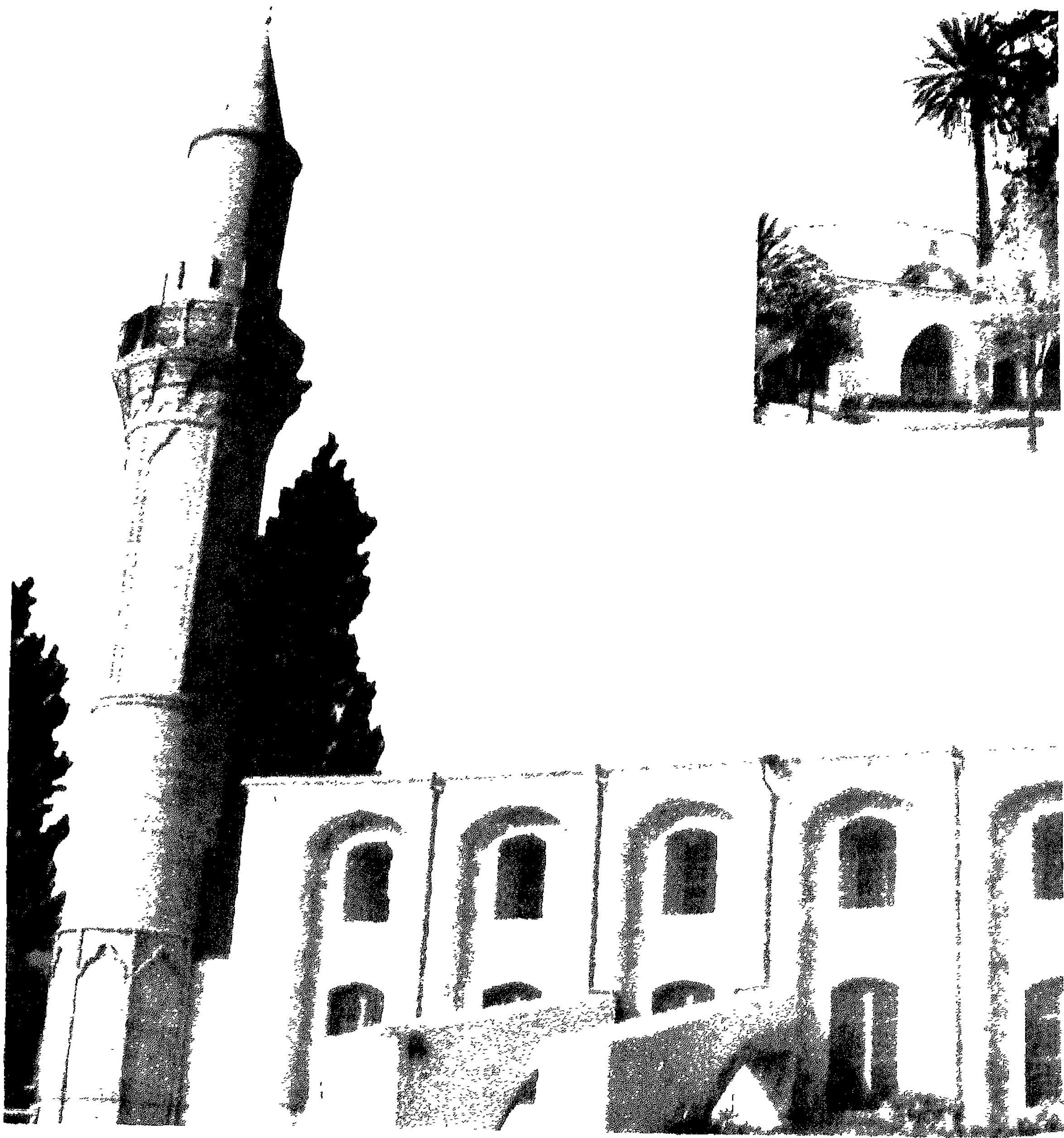
وأنظر مقالنا المنشور في الأهرام المسائي" (الأحد ١٢/١/١٩٩١) بعنوان: "سفينة الصحراء في مواجهة الأساطيل البحرية". وراجع كذلك وجهة النظر اليونانية في المرجع التالي:

[Greek] IEE Vol. H. pp. 354-361 et passim.

وأنظر: [Greek] Vasiliev, pp. 264 ff.



شكل رقم (٤٦) · مسجد هالة سلطان تكي (أم حرام)



شكل رقم (٤٧) : منظر آخر لمسجد هالة سلطان تيكى (أم حرام)
مسجد فى لماسول القديمة.



شكل رقم (٤٨): كنيسة آغيا صوفيا من العمارة اللوسينيانية في نيقوسيا وقد تحول إلى مسجد بعد الغزو العثماني عام ١٥٧١.

شنت حملة عربية أخرى على الجزيرة إنتهت بتدمير قنسطانطيا وبافوس. وفى المدينة الأخيرة وضعت حامية عربية وإن كانت هناك مصادر عربية تضع هذه الحامية فى لابيثوس. وإضطر القبارصة لحمل ممتلكاتهم وأمتعتهم والهرب إلى أعالى الجبال حيث أسسوا مدناً جديدة فيما بعد.

وفى الواقع كانت الحملة العربية الثانية ٦٥٣م. أوسع من الأولى وكانت تستهدف فتح الطريق أمام الإستيلاء على القسطنطينية نفسها.

ولايزال الجدل دائراً حول تاريخ عقد الإتفاقية بين القبارصة والعرب حول وضع الجزيرة، هل هو ٦٤٨/٦٤٩م أم ٦٨٨م، أم أى وقت آخر. ولا نعرف بالضبط الملابسات التى تمت فيها الإتفاقية. وبالطبع فإن دراسة العلاقة بين العرب وبيزنطة بصفة عامة سوف تلقى الضوء على المشكلة. ولوحظ أن المصادر العربية والبيزنطية على حد سواء تخلط الوقائع والتواريخ، إلا أنها جميعاً تتفق فى أن توقيع الإتفاقية قد تم بعد الحملة العربية الأولى فى أوائل صيف ٦٤٩م وكانت هذه أولى حملة عربية بحرية. وكان إشتراك مصر بقوة بحرية ضمن هذه الحملة التى ضمت ١٧٠٠ سفينة قادها معاوية بنفسه ينم عن أن المبادرة بشن الحملة كانت مصرية، وإن كان معاوية هو صاحب القرار التنفيذى. وكانت قبرص قد إستخدمت عام ٦٤٦م نقطة إنطلاق للهجوم البيزنطى على الإسكندرية. ولربما كانت هذه الحقيقة هى الذريعة المباشرة لشن حملة عربية على قبرص بعد ذلك التاريخ بثلاثة أعوام. وقد يكون إشتراك حاكم مصر فى حملة معاوية رداً على قبرص والقائد البيزنطى مانويل Manuel الذى كان على رأس الهجوم على الإسكندرية.

أما معاوية وإلى الشام منذ ٦٣٩/٦٤٠م فقد قدر أهمية قبرص الإستراتيجية حيث أن هذه الجزيرة إستخدمت من قبل نقطة الإنطلاق للهجوم على سوريا منذ عام ٦٤٦م. ولكن طلبه من الخليفة عمر بشن الحملة البحرية على قبرص كان قد قدم قبل عام ٦٤٤م آخر سنة فى حكم عمر بن الخطاب (٦٣٤-٦٤٤م)، أى قبل تولى معاوية الحكم. وكانت إجابة عمر بالنفى لعدم وثوقه بالبحر. ولعل فى هذا ما يشير إلى إدراك معاوية المبكر بالأهمية الإستراتيجية لموقع قبرص من ناحية ولتملك قوة بحرية، من ناحية أخرى.

وتقدم معاوية بطلب ثان للخليفة عثمان بن عفان ٦٤٤م، وحدد الهدف بدقة وهو غزو قبرص القريبة من ساحل سوريا مما يسهل الإستيلاء عليها. وجاء رد عثمان بن عفان تكراراً لما سبق أن رد به عمر بن الخطاب. وأعاد معاوية طلبه فى ٧ أكتوبر ٦٤٧- ٢٤ سبتمبر ٦٤٨م (٢٧ هجرية) وركز فى طلبه على سهولة عبور البحر إلى قبرص. فسمح له عثمان بن عفان بالحملة البحرية وأشار عليه باصطحاب زوجته وزوجات جنوده. وعبر معاوية من عكا بعدد كبير من السفن فى يوم ٦٤٨/٩/٢٥م (=٢٨ هجرية) - ٦٤٩/٩/١٣م بعد إنتهاء فصل المطر (ربيع - صيف ٦٤٩م). وهناك مصادر أخرى تجعل التاريخ ٦٤٩/٩/١٤م - ٦٥٠/٩/١٣م أى ٢٩ هجرية.

إكتمل دخول العرب إلى قبرص عام ٦٥٣م بحصار بافوس والاستيلاء عليها. وهناك إستقرت حامية عربية قوامها إثنا عشر ألف رجل وبنى لهم مسجد هناك. ثم تم زيادة عدد أفراد الحامية ببعض

القوات من بعلبك، الذين أقيمت لهم مدينة أخرى خاصة بهم وبنى لهم كذلك مسجدهم الخاص. ومن المحتمل أن يكون اسم الخليج الصغير (ثمانية أميال إلى الشمال الغربى من بافوس) مآء Maa هو الإسم العربى الذى إكتسبه آنذاك وإستخدم لتوفير إمدادات الماء للعرب وهناك نقوش عربية تم إكتشافها فى كاتوبافوس وتعود للقرون من السابع إلى التاسع الميلادية.

وكان هدف معاوية من إحضار الموالى السوريين من بعلبك كحامية هو أن يوطن فى قبرص حرفيين ومهنيين ذوى ثقافة بيزنطية وقدرات تقنية، وهكذا تتوافر إمكانات صناعة بناء السفن للأسطول العربى الوليد. وجاء الإستيلاء على قبرص مشجعاً فى هذا الإتجاه، لأن الجزيرة غنية بالأخشاب الصالحة لبناء السفن ولها تاريخ عريق فى هذه الصناعة. كان العرب فى أمس الحاجة لأسطول قوى يمكنهم من تدمير القواعد البحرية البيزنطية تمهيداً للسيطرة على القسطنطينية هدفهم النهائى.

ومع أن حملة ٦٥٣م كانت مظفرة، إلا أنه ليس من المستبعد أن تكون قد إنتهت بتثبيت حالة الحياد السابقة أو السلطة المشتركة بين بيزنطة والعرب. وهو ما تأكد فى معاهدة ٦٨٨م، وقبل القبارصة بتلك الشروط بعد أن يئسوا من عجز بيزنطة. ومع ذلك ينبغى أن نضع فى الإعتبار العون المالى الذى قدمته بيزنطة لقبرص لإعادة بناء قسطانطيا بعد عام ٦٥٣م. مما يشى بوجود بيزنطى فى الجزيرة. ثم إن المدينة العربية فى ليمينيوتيسا Limeniotissa وخريسوبوليتيسا، Chrysopolitirssa كانت تجاور منطقة ساراندا كولونيس Sarandcolones (الأربعون عموداً؟) أى القلعة البيزنطية مما يوحى بتجاور القطاعين - العربى والرومى - بعد ٦٥٣م. فهى إذن "سلطة مشتركة" أو "سيادة مشتركة" على الشعب القبرصى، ولكنها "مواطنة عامة" وليس "تقسيم أراضى". وكانت حرية الحركة بين أرجاء الجزيرة مكفولة للجميع.

وفى سبيل مواجهة الخطر العربى على قبرص شرعت السلطات البيزنطية فى بناء سلسلة من القلاع والحصون بالمناطق الحساسة مثل بافوس (حصن ساراندا كولونيس (أو الأربعون عموداً) الذى بنى ٦٤٩-٦٥٦م. وحصن البنتاداكتيلوس Pentadaktylos (الخمس أصابع) وقلعة سانت هيلاريون وكيرينيوتيسا وكيرينيا وبوّفافينتو Buffavento والقنطرة Kantara (وهو إسم عربى؟). ثم طبق نظام الثيمة thema، وهو يرجع إلى أصول شرقية وورومانية متأخرة، وغالباً مايسرى على المناطق الحدودية.[1] وصد الأسطول الدانوبى البيزنطى - المكلف بحماية جزر بحرايجه وساحل آسيا الصغرى - الهجمات العربية بقيادة قائد السفن الكارافيسيانى أى كارافى (carabisianoi)، فهو إسم مشتق من karabos (السفينة) التى ظهرت أول ما ظهرت فى قبرص. مما يؤكد أهمية قبرص البحرية ومنذ القدم فى العصر البيزنطى. كان الجيشان البيزنطيان الموجودان فى آسيا الصغرى، أى الثيمة الأناضولية والثيمة الأرمينية مسئولين عن حماية حدود الامبراطورية الشرقية فى آسيا الصغرى وفى مواجهة التحصينات العربية القوية والممتدة من الجزء العربى فى قبرص إلى رودس وجيوش أزمير وشبه جزيرة كيزيكوس. وإستعان الجيشان البيزنطيان المذكوران بقوات بيزنطية أخرى فى بيثينيا وحول أزمير، وكانت قيادة الحرب للأسطول الكارافيسيانى من سفن كارافى. الذى كان قد شيد فيما بين

---

(١) راجع: طارق منصور، الجيش فى الإمبراطورية البيزنطية من بداية القرن السابع إلى نهاية القرن التاسع الميلادى، رسالة ماجستير (مجلة الآداب بنها ١٩٩٣) ص٢٠٣-٢٧٣.

٦٤٥ و ٦٧٣م، فهو فعل بيزنطي على التهديد العربي للقنسطنطينية. ولم تثبت قيادة الأسطول الكارافيسياني كفاءتها فيما بين ٧١٠ و ٧٣٢م وحلت محلها قيادة السفن الكيبيريوتية (kibyiurhaeotai) الكارافيسياني، وهي أيضاً وثيقة الصلة بقبرص. وفيما بين ٦٥٣و ٦٧٠م و ٦٨٠م و ٦٨٨م أقام العرب مستوطنات حربية في بعض مناطق الصراع في قبرص مثل بازيليكا ليمينيوتيسا في مواجهة قلعة الأربعين عموداً.

وقد قيل إنه عند قيام الحملة العربية الأولى على قبرص لم تك هذه الجزيرة مستقلة، أي لم يحكمها أرخون قبرصي، ولم يك القبارصة سوى تابعين يدفعون الضرائب للبيزنطيين. ولايبدو هذا الزعم صحيحاً، لأن أرخون قبرصي كان يحكم الجزيرة شأنها في ذلك شأن أية ولاية بيزنطية أخرى، كما كانت له مهام إدارية معروفة. وتقول المصادر العربية إن قبرص التي كانت خاضعة للروم وتدفع لهم الضريبة صاروا بعد الفتح العربي يدفعونها لدولة الروم وللمسلمين معاً، وذلك بعد توقيع معاهدة بين الطرفين، ولعل إستخدام لفظ "الدينار" في الإتفاقية يشير إلى عصر عبد الملك الذي إتبع سياسة تعريب العملة حوالي ٦٩٦/٦٩٧م، أو قبل ذلك بحد أقصى ٦٩٢م. وكانت هذه العملات في الأصل تقليداً للعملات البيزنطية، ومع ذلك فلربما وقعت المصادر العربية في الخلط الزمني بإستخدامها لفظ "الدينار" لأن المعادة وقعت ٦٤٩م أو على الأكثر ٦٥٣م.

بعد أن حاصر العرب العاصمة قنسطانطيا وإستولوا عليها طلب الحاكم القبرصي الأرخون الإستسلام، بعد أن أيقن أنه لامفر من ذلك. فالعرب في قوة متزايدة وإنتصارات وفتوحات متتالية في المناطق المحيطة بقبرص. وكانت بعض هذه الفتوحات بمثابة تمهيد للحملة البحرية على قبرص. المهم أن الفاتح العربي فرض شروط الإستسلام التالية: أن يدفع القبارصة له ٧٢٠٠ (أو ٧٠٠٠) دينار سنوياً، وهو مبلغ يعادل ماكانوا يدفعونه من قبل لبيزنطة. فكان على القبارصة أن يدفعوا ضريبتين، لأن الفاتحين من المسلمين تعهدوا للبيزنطيين بعدم الحيلولة دون دفع القبارصة للضريبة المعتادة للروم. وتعهد المسلمون الفاتحون كذلك بعدم التدخل في أية عمليات عسكرية داخل قبرص قد تنجم عن غزو خارجي. وكان على القبارصة أن يحيطوا العرب علماً بتحركات الأعداء - أي الروم. وكان على القبارصة أيضاً أن ينقلوا المعلومات عن موقف العرب في قبرص إلى الروم. وتعهد العرب ألا يفرضوا على القبارصة أعباءً إضافية في حالة قيام العرب بالإستعداد لشن حملات بحرية أخرى، فلن يكون القبارصة ملزمين بتقديم العون لهم ولا لأعدائهم. والشرط الأخير هو ضرب من التقنين الرسمي لوضع سائد فعلاً. فإذا كانت المعاهدة قد وقعت في عام ٦٤٩م، فإن هذا الشرط قد أضيف لاحقاً فيما يبدو وبناءً على أحداث وقعت بالفعل. وربما وقعت تجاوزات فوضع هذا الشرط علاجاً لها. ووفقاً لما يرد في المصادر العربية كان هذا الشرط ينم عن رغبة العرب في معاملة القبارصة على قدم المساواة. ولكن العرب لم يترددوا في عقابهم عندما ساعدوا هيميريوس عام ٩١١م.

أما عن مظاهر تعرض سكان الجزيرة للأذى خلال الصراع البحري بين العرب والروم، فتبدو واضحة في رسالة البطريرك نيقولا مستيقوس Nicholas Mysticus (٩٠١-٩٠٧م) إلى

الخليفة العباسي المقتدر بالله ٣٠٠-٣٢٠هـ/ ٩١٢-٩٣٢م. ويتضح من هذه الرسالة أن قائد الأسطول البيزنطي هميريوس Himerius قاد حملة بحرية ضد جزيرة قبرص، وقتل جنوده بعض سكانها من المسلمين سنة (٢٩٨-٢٩٩هـ/ ٩١٠-٩١١م). وفي سنة (٢٩٩هـ/٩١١م شن أمير البحر دمنانة (دميان Demian) أمير طرطوس المسلم إغارة إنتقامية على جزيرة قبرص حيث قتل عددا من سكانها المسيحيين، ودمر ممتلكاتهم، كما حمل معه عددا من الأسرى والسبايا من سكانها وعاد بهم إلى بلاد الشام. وقد أشار المسعودي في حوادث سنة ٢٩٩هـ/ ٩١١م إلى إغارة دميانة (دميان Damian) على الجزيرة، وأرجع سببها إلى نقض أهلها للعهد الذي كان بينهم وبين المسلمين فيقول: "وقد كانوا نقضوا العهد الذي كان في صدر الإسلام أن لا يعينوا الروم على المسلمين ولا المسلمين على الروم، وأن خراجه نصفه للمسلمين ونصفه للروم"[1] . ومعنى ذلك أن المسلمين إعتبروا إغارة هميريوس على الجزيرة في العام السابق، وموقف سكانها منهم، محاولة من جانب البيزنطيين لتغيير وضعية الجزيرة، ولذلك قاموا بتلك الإغارة البحرية المدمرة التي إستمرت أربعة أشهر.

وقد ردت الامبراطورية البيزنطية على ذلك بإرسال سفارة إلى بلاط الخلافة العباسية في بغداد حملت رسالة من البطريرك نيقولا (= نيكولاوس) مستيقوس - بصفته رئيسا لمجلس الوصاية على الامبراطور القاصر قسطنطين السابع بورفيروجينيتوس Constantine Porphyrogenitus VII (٣٠١-٣٤٨هـ/ ٩١٣-٩٥٩م) إلى الخليفة العباسي المقتدر بالله، إحتج فيها على تلك الإغارة العنيفة التي إستهدفت الإنتقام من سكان قبرص المسيحيين. وكان من بين أعضاء هذه السفارة القديس ديمتريانوس St. Demetrianus أحد أساقفة الكنيسة القبرصية، الذي ذهب إلى بغداد يشرح حقيقة وأبعاد الأذى الذي تعرض له سكان قبرص المسيحيين على يد دمنانه (دميان) وجنوده، والذي إعتبرته بيزنطة إنتهاكا لما جاء في هدنة سنة (٦٩هـ/ ٦٨٨-٦٨٩م) بين البيزنطيين والمسلمين.

كانت مهمة البعثة البيزنطية التي ترأسها ديمتريانوس إلى بغداد ناجحة، إذ أمر الخليفة بعودة الأسرى القبارصة إلى بلادهم في أواخر سنة ٣٠١ أو أوائل سنة ٣٠٢هـ (٩١٣ أو ٩١٤م). وربما تكمن أهمية هذه الرسالة التي أرسلها البطريرك مستيقوس إلى الخليفة العباسي في أنها حددت المستقبل السياسي لجزيرة قبرص لفترة طويلة من الزمن. إذ يتضح منها أن إتفاقية سنة (٦٩هـ/ ٦٨٨-٦٨٩م) أكدت على الوضع القائم بالجزيرة، كما أشارت إلى أن سكان الجزيرة يجب عليهم ألا ينحازوا إلى أي جانب في الصراع الدائر بين العرب والروم، وأن عليهم أن يهبوا لنجدة إخوانهم القبارصة، مسيحيين كانوا أم مسلمين إذا ماتعرضوا للأذى والعدوان. وفي دفاعه عن أهل قبرص المسيحيين ذكر نيقولا مستيقوس أن اللوم يجب ألا يوجه إليهم على ما إرتكبه قائد الأسطول البيزنطي هيمريوس من أذى بحق سكان الجزيرة من المسلمين، لأن القبارصة المسيحيين كانوا لا يملكون القوة ولا السلاح لمنعه. وقد إستند البطريرك نيقولا مستيقوس على أن سكان الجزيرة من مسيحيين

---

(١) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، جـ٢ ص٥٥٠.

ومسلمين لم يكن من حقهم الإحتفاظ بقوات نظامية، كما لم تكن على أرض قبرص أية قوات عسكرية تابعة للامبراطورية البيزنطية أو للدولة الإسلامية. ومن المحتمل أن وضع الجزيرة منزوعة السلاح كان من بين الشروط الواردة في بنود هدنة سنة (٦٩هـ/ ٦٨٨-٦٨٩م)، التي لم يصلنا نصها بالكامل.

يعطينا بطريرك القسطنطينية ميستيقوس في خطابه الذى وجهه للخليفة العباسي المقتدر (٩٠٨-٩٣٢م) والذى حرره عام (٩١٣/٩١٤م) بوصفه وصياً على الامبراطور الصغير تقريراً عن قبرص ووضعها المحايد أو "السيادة المشتركة". ويقول إن هذا الوضع سائد منذ ثلاثمائة عام قبل عصره. وجاء في نص الرسالة:[١]

> "και νησος μικρου ετη τριακοσια, εξ ου υποφορος ουσα υμιν εγεγονει, και κατα μηδεν οφθεισα της υπηκοου ταξεως μεταβαλλομενης μηδε καινοτομησασα περι τους φορους μηδε περι την αλλην δουλειαν, οσην Σαρακηνοις δουλευειν εχρην, μηδ' ολως κατ' εγκλησιν επαγοντων αιτιαν φερουσα, εκ μονης απονοιας ανδρος εξηρημωται ...."

وهذا الرقم "٣٠٠" يقربنا من عصر معاوية (٦٦١-٦٨٠م)، وهو مايتفق مع ماذكره هشام بن عمار الدمشقي وفحواه أن الحملات العربية تكررت على قبرص حتى خلافة معاوية الذى توصل إلى عقد إتفاقية دائمة مع القبارصة تقضى بأن يدفعوا الجزية. ويمكن أن يفهم من هذه المصادر أن تاريخ المعاهدة العربية القبرصية يقع فيما بين ٦٦١-٦٨٠م. وقد يفهم من هذه المصادر أن معاوية توصل إلى هذه الإتفاقية قبل أن يتبوأ كرسي الخلافة أى حوالى ٦٥٣م. وربما يكون هذا الإتفاق بمثابة إعادة تأكيد للإتفاقية السابقة ٦٤٩م، والتى ربما لم تدخل حيز التنفيذ حتى ذلك الحين. ولعل ورود الأنباء باقتراب الأسطول البيزنطى من قبرص بقيادة كاكوريزوس Kakoorrizos قد جعل معوية يهرب وينسحب إلى الخلف. وطبقاً للمصادر السورية فإن معاوية أو أحد قادته - أبو الأعور- عاد بالأسطول السورى إلى قبرص بخمسمائة سفينة عام ٦٥٣م. ليس لأن القبارصة قد نقضوا إتفاقية ٦٤٩م - كما تقول المصادر العربية- بل في إطار المشروع العربى الإسلامي الذى يستهدف التمهيد للإستيلاء على القسطنطينية، ولاسيما بعد إستسلام جزيرة أرادوس Arados أكبر موقع بشمال فينيقيا في ربيع ٦٥٠م، الذى نجم عنه سقوط رودس ٦٥٤م وكوس وغيرها.

---

(١) **Kyrris, op. cit., p. 184 ff.**

قارن محمود سعيد عمران، نيقولا ميستيقوس وعلاقة الامبراطورية البيزنطية بالقوى الاسلامية من خلال مراسلاته. دار النهضة العربية. بيروت ١٩٨٠، ص ١٠ ومايليها وأماكن متفرقة أخرى.

ويرد في المصادر العربية أنه بين عام ٦٥٣م و ٦٨٠م كانت قبرص في أيدي العرب على أساس السيادة المشتركة، ولكن الباحث القبرصي كيريس يقول إنه وصلت إلينا بعض العملات من عصر قنسطنطين الثالث ٦٤٢-٦٦٨م وقنسطنطين الرابع (٦٦٨-٦٨٥م) تشير إلى نوع من السيادة البيزنطية على قبرص، ويلاحظ أنه بعد الحملتين العربيتين بين ٦٤٩ و ٦٥٣م عانت الجزيرة من عدم سيولة العملة، وإضطر الناجون من الأزمة الإقتصادية الإعتماد على العملة النحاسية المحلية، وفي عام ٦٥٩م عرض العرب شروط إتفاقية فيها الكثير من التنازلات، وفي عام ٦٧٨/ ٦٧٩م هُزم الأسطول العربي أمام أسوار القنسطنطينية، مما غير في موازين القوى في الحوض الشرقي للبحر المتوسط، وفي المعاهدة التي عقدت بين العرب وبيزنطة لا يرد ذكر لقبرص، ولكن يستشف أن مركزهم بهذه الجزيرة قد ضعف ومالت كفة السيادة المشتركة ناحية بيزنطة، وعندما صدق الخليفة يزيد (٦٨٠-٦٨٥م) على المعاهدة (٦٨٠/٦٨١م) إستتبع ذلك إنسحاب الحاميات العربية من رودس وقبرص، ومن المدهش أنه في عام ٦٨٨م وفقاً لثيوفانيس طلب الخليفة عبد الملك بن مروان (٦٨٥-٧٠٥م) تجديد إتفاقية ٦٥٩م، وكان يفكر في المعاهدة التي وقعها كل من معاوية وقنسطنطين الرابع عام ٦٧٨م والتي لم يرد فيها أي ذكر لقبرص، وربما كانت تحوي روح إتفاقية ٦٥٣م، أي فرض هذه المعاهدة على القبارصة[1].

يقول د. عبد الرحمن عبد الغني أن البحر المتوسط كان مجالا لصراع بحري طويل بين العالم الإسلامي والامبراطورية البيزنطية، هذا فضلا عن أن هذا الصراع - خلال الإطار الزمني الذي نتحدث عنه - لم يحسم لصالح أي من الطرفين برغم حرص كل منهما على إقرار سيادته في تلك الجزيرة ذات الموقع الإستراتيجي المهم، ولعل هذا مما يضفي أهمية على دراسة وضعية الجزيرة إبان مرحلة حاسمة من مراحل هذا الصراع.

ولعل في الأهمية الإستراتيجية العسكرية والتجارية لقبرص بالنسبة للسيطرة على حركة التجارة الدولية وخطوط الإتصال في عالم البحر المتوسط ما يضفي على هذه الرسالة طابعاً خاصاً، من أهم المعالم في هذا الصدد ماترتب على المعاهدات التي عقدها أهل الجزيرة مع المسلمين -وخاصة

---

(١) Karris, op. cit., p. 184 ff. وعن صورة العرب في المصادر البيزنطية

K. Karapli, "Speeches of Arab Leaders to their Warriors according to Byzantine Texts". Greaco - Arabica V (Athens 1993) pp. 233-242.

N.A. Koutrakou, "The Image of the Arabs in Middle. Byzantine Politics. A study in the Enemy Principle (3th- 10th centuries)". Graeco - Arabica V (Athens 1993) pp. 213-224.

E. Jeffreys, "The image of the Arabs in Byzantine Literature". Major Papers of the 7th International Byzantine Congress. New Rochelle 1986, pp. 305-323.

W.Kaegi, "Initial Byzantine reactions to the Arab conquests" Church History 38 (1969) pp. 139-149.

المعاهدة التى عقدها وإلى الشام معاوية بن أبى سفيان مع أهل الجزيرة سنة (٢٨هـ/٦٤٨م)، والتى إتفقت فى بعض بنودها مع معاهدة أخرى تالية عقدها الخليفة عبد الملك بن مروان مع الامبراطور البيزنطى جستنيان الثانى سنة ٦٩هـ/ ٦٨٨-٦٨٩م. وما ترتب على تلك المعاهدة من وضعية خاصة بالنسبة لنفوذ كل من القطبين البيزنطى والإسلامى. وهذه الوضعية الخاصة كتب لها الديمومة والإستمرار على الرغم من الصراعات البحرية التى دارت بين القوتين فيما بعد، وحتى سقوط الجزيرة فى أيدى الامبراطور البيزنطى نقفور فوقاس سنة (٣٥٥هـ/٩٦٥م)[1] .

وبعد ذلك نجح عبد الملك فى سنة ٦٩هـ/ ٦٨٨-٦٨٩م فى تجديد معاهدة السلام، التى سبق لمعاوية أن عقدها مع قسطنطين الرابع سنة (٣٦هـ/ ٦٥٧م). والتى جاء من ضمن بنودها الآتى: تحديد مقدار المال الذى يدفعه الخليفة الأموى سنويا إلى الامبراطورية البيزنطية بمقدار ثلاثمائة وخمس وستين فرسا أصيلا بالإضافة إلى نصف الجزية المحصلة من أرمينيا وأيبيريا، وفى نظير ذلك تعهد الامبراطور جستنيان الثانى بسحب ١٢٠٠٠ من جماعة المردة[2] من جبال لبنان إلى آسيا الصغرى.

ظلت قبرص -منذ عقد هذه المعاهدة سنة (٦٩هـ/ ٦٨٨-٦٨٩م) وحتى سنة ٣٥٤هـ/٩٦٥م (عندما نجحت بيزنطة فى عهد الأسرة المقدونية فى إعادة سيادتها الكاملة عليها) - تحت ظل نوع من الحكم المشترك للبيزنطيين والمسلمين. والحق أن إستمرار هذا الوضع الفريد للجزيرة فى الصراع البيزنطى الإسلامى لأمر يثير الإهتمام ويبرر طرح هذه الفترة الزمنية من تاريخ الجزيرة على بساط البحث[3] .

أشار أرشيبالد لويس Archibald Lewis إلى هذه المعاهدة بقوله: "وتحدد معاهدة سنة ٦٨٩م المعقودة بين القسطنطينية ودمشق، مقدار الإتاوة السنوية التى يدفعها الخليفة (عبد الملك بن مروان) للحكومة البيزنطية وقدرها ٥٠٠٠ رطل من الذهب، و ٣٦٥ أسيرا و ٣٦٥حصانا، وفى نظير تلك يتعهد جستنيان الثانى سحب ١٢٠٠٠٠ من جنوده "المردة" من جبال لبنان للإقامة فى آسيا الصغرى. وإتفق كذلك على أن يكون دخل قبرص مناصفة بينهما"[4] .

---

(١) عبد الرحمن محمد عبد الغنى، "قبرص بين السيادة الاسلامية والبيزنطية (٦٩-٣٥٥هـ = ٦٨٨-٩٦٥م) المجلة العربية للعلوم الانسانية العدد ١٥ السنة ١٣ (جامعة الكويت ربيع ١٩٩٥) ص ٥٨-٩١.

وقارن:

A.I. Dikigoropoulos, Cyprus between Greeks and Saracens A.D. 647-969. Ph.D. Thesis Oxford 1961.

Idem: "The Political Status of Cyprus A.D. 648-965". RDAC 1940-1948. (1958) pp. 101-102, 110 ff.

(٢) يسمى المردة أيضاً الجراجمة، راجع: سيدة اسماعيل الكاشف، سبقت الاشارة إليه، ص ١٦٦-١٦٨.

(٣) راجع مقال عبد الرحمن محمد عبد الغنى، حاشية رقم ٢١.

(٤) أرشيبالديس لويس: سبقت الاشارة إليه، ص٩٩.

كان العرب قد واجهوا أزمات متتالية منها طاعون تفشى فى سوريا ٦٨٤-٦٨٥م، مع قلاقل داخلية. وقام المردة فى لبنان، الموالون لبيزنطة، بهجمات تدميرية متكررة ضد القوات العربية. وفى تلك الأثناء تزايدت القوة البيزنطية العسكرية، وتجلى ذلك فى توغلها السريع داخل أراضى أرمينيا وآسيا الصغرى وفلسطين. وإستمرت المفاوضات بين العرب وبيزنطة فيما بين ٦٨٧ و ٦٨٨م ووقعت الإتفاقية عام ٦٨٨م، فى النهاية. وجاءت شروطها أشد وطأة على العرب من معاهدة ٦٧٨م. فلقد فرض جوستنيان الثانى شروطه وقبلها عبد الملك بن مروان. كانت هذه الشروط تقضى بأن يدفع العرب ٣٦٥ ألف قطعة من العملة الذهبية سنوياً، وأن يسلموا ٣٦٥ عبداً و ٣٦٥ حصاناً من النوع العربى الأصيل. ولكن الإتفاقية نصت على أن يقتسم الطرفان الدخول من قبرص وأرمينيا وإيبيريا (جورجيا). وجاء فى المعاهدة كذلك النص على إنسحاب إثنى عشر ألف من المردة فى لبنان.

ويعلق الباحث القبرصى كيريس على شروط هذه الإتفاقية قائلا إن عدد إثنى عشر الف من المردة هو بالضبط عدد أفراد الحامية العربية - السورية فى قبرص، والتى تم سحبها عام ٦٨٠م. ويبدو أن هذا الشرط كان يستهدف إستعادة التوازن المفقود بسبب إنسحاب هذه الحامية فى عصر يزيد، الذى كان يتصرف فى إطار نكسة ٦٧٧/٦٧٨م ويقدم التنازلات الملائمة. ومن الجانب البيزنطى كانت الموافقة على سحب الإثنى عشر ألف من المردة فى لبنان عام ٦٨٨م تستهدف إظهار حسن النية.[1]

والمعروف أن القديس قسطنطين قد زار الجزيرة فى عهد باسيل الأول المقدونى (٨٦٧-٨٨٦م) وخلال تلك السنوات لم تكن الجزيرة خاضعة للحكم البيزنطى. وهذه الإشارة على جانب كبير من الأهمية، لأنها تعكس مرة أخرى الوضع الذى تعارف عليه الطرفان العربى والرومى للجزيرة أى إقتسام السيادة بين الامبراطورية البيزنطية والدولة الإسلامية. ويرى الأستاذ جنكنز Jenkins أن المسلمين كانوا يمثلون الأقلية. كما كانوا يميلون إلى التجمع والإستقرار مع بعضهم البعض. ويشبه وضع المسلمين فى ذلك الوقت بأوضاع أقليات غسلامية، مثل تلك الموجودة فى قبرص وألبانيا اليوم، ومثلما يفعل "الألبان فى بلاد اليونان فى وقتنا الحاضر". ولا يرى جنكنز أى دلائل تشير إلى وجود مناطق كان الإستقرار فيها مقصوراً على المسلمين، أو تم طرد المسيحيين منها[2]. والمرجح أن إستقرار سكان الجزيرة من المسلمين بدأ منذ الغزو الأول للمسلمين لها زمن معاوية بن أبى سفيان، كما شجع وضع قبرص التجارى أعدادا من المسلمين للإقامة فيها.

---

(١) Kyrris, op. cit., pp. 176 ff.

(٢) R. Jenkins, "Cyprus between Byzantium and Islam", Studies presented to D.M. Robinson. Washington University (1953) pp. 1011

D. Pingree, "The Byzantine Version of the *Toledan Tables* The word of George Lapithes?". Dumbarton oaks papers xxx (1976) pp. 86-132.

وراجع مقال عبد الرحمن محمد عبد الغنى، حاشية رقم ٢١

ويبدو أنه قد تم الإتفاق بين الطرفين على نزع سلاح قبرص، وأطلقت يد القسطنطينية لتبدأ عمليات إعادة البناء والتشييد والتحصين في عصر قسطنطين الرابع (٦٦٨-٦٨٥م) وجوستنيان الثاني (٦٨٥-٦٩٥م)، مما يدل على أن السيادة على قبرص كانت بيزنطية خالصة، ثم عادوا لإقتسام السيادة أواخر القرن السابع وأوائل الثامن الميلاديين.

وبالمثل يدخل بند إقتسام الطرفين للدخول من الولايات الثلاث الحدودية -ومنها قبرص- في لعبة التوازن الإقتصادي والعسكري بين بيزنطة والعرب. أما النص على مد العمل بمعاهدة ٦٧٨م بين عبد الملك وجوستنيان الثاني وورود إسم قبرص في هذا السياق فلم يأت مصادفة، إذ كانت قبرص بمثابة ورقة في لعبة الصراع الإستراتيجي. وفي مقابل سحب الإثنى عشر ألف من المردة في لبنان تم الإعتراف بسيادة بيزنطة على أرمينيا.

المهم هو أن هناك فروقاً واضحة بين شروط ٦٨٨م وشروط ٦٥٣م، برغم أن المعاهدتين تلتقيان في الخطوط العريضة وفي المبادئ العامة لحفظ التوازن. والأهم بالنسبة لقبرص هو المحافظة على وضع الحياد أو السيادة المشتركة. وتم تصديق بيزنطة رسمياً على بند أن تدفع قبرص للعرب "جزية" تساوي ماتدفعه لبيزنطة. وإمتد هذا البند ليشمل أرمينيا وأيبيريا، ومع أن المعاهدة الجديدة ٦٨٨م قد فرضت على القبارصة فرضاً، إلا أنهم لم يوقعوا عليها. ويفهم من المعاهدة أن قبرص كانت بعد حتى الآن ولاية بيزنطية، فلم يكن العرب يسيطرون على كامل تراب الجزيرة. وفي نفس الوقت تجود الإشارة إلى أن الوجود العربي العسكري لم ينقطع عن الجزيرة، حتى بعد سحب الحامية من بافوس عام ٦٨٠م. وبعد هذا الإنسحاب هدم القبارصة المساجد في المدينة أو المستوطنة العربية في كاتوبافوس، ولو أن بعض المصادر العربية تتحدث عن لابيثوس[١].

يقول د. عبد الرحمن عبد الغني "ومن المرجح أن تلك الهدنة قد نصت على ضرورة قيام الأمويين بسحب القوة العسكرية المؤلفة من ١٢ ألف جندي التي كان معاوية قد أقامها في ليبثوس (هكذا) والتي قد مضى على وجودها هناك أكثر من ثلاثة عقود. فالامبراطورية البيزنطية التي خرجت منتصرة بعد حصار المسلمين لعاصمتها حرصت على إزالة وجود المسلمين العسكري في الجزيرة، وضغطت على الأمويين لتحقيق ذلك. وبالفعل نجد أن يزيد بن معاوية الذي خلف أباه بعد عقد الهدنة بفترة وجيزة قد نفذ المطلب البيزنطي الخاص بسحب القوة العسكرية الإسلامية من الجزيرة[٢].

هناك بين الباحثين من يعتقد أن معاهدة ٦٨٨م قسمت الجزيرة إلى شطرين أحدهما عربي والآخر بيزنطي. وبعد أربع سنوات من ذلك التاريخ نقل جوستنيان الثاني عدداً كبيراً من القبارصة إلى كيزيكوس مع رئيس أساقفتهم. وهناك إستخدموا بحارة في الأسطول الامبراطوري مع المحافظة

(١) لازال الجدل دائراً حول هذه النقطة، قارن ما أورده عبد الرحمن محمد عبد الغني (سبقت الاشارة إليه، ص ٦٩) مع **Kyrris, op. cit., pp. 176 ff.**

(٢) عبد الرحمن محمد عبد الغني، سبقت الاشارة إليه، ص٦٩.

علـى إسـتقلالية كنيسـتهم، أمـا بقيـة السـكان أو معظمهـم فقـد إقتـادهم العـرب أسـرى إلى سـوريا، وإنتهـت هـذه المحنـة بإتفـاق القوتـين الكـبيرين العـرب وبيزنطـة عـام ٦٩٨م أو ٧٠٥م علـى أن يعيـد كـل طرف من لديه من القبارصة إلى وطنهم، وعلى إعادة التأكيد على إتفاقية ٦٨٨م. ومنـذ ذلـك التـاريخ حمل أسقف قبرص لقب "أسقف جوستينيانا وكـل قـبرص" إحياءً وتخليداً للمدينـة التى إستقبلت القبارصـة فـى منفاهم على بحر مرمرة Hellespont حيـث عاشـوا عـدة سـنين، وبعـد عـودة القبارصـة المهجريـن إلى وطنهـم شـرع الامـبراطور تيبيريوس الثـانى أو جوسـتينيان الثـانى سـراً فـى إعـادة تنظيـم الهيكـل الإدارى والدفـاعى لقـبرص، أو علـى الأقـل القطـاع البـيزنطى منهـا والـذى مـن الآن فصـاعداً صـارت الثيمـة الكيبيريوتيـة Kibyrrhaeotic thema هـى محـور هـذا الهيكـل بعـد أن حـل محـل أسـطول الكارافيسـيانية وكـانت معظـم الأطقـم أو كلهـم مـن آسـيا الصغـرى، ولاسـيما بعـد الإنتصـار الكـاسح الـذى حققـه ليـو الثـالث Leo III علـى العـرب ٧١٧/٧١٨م، وممـا لاشـك فيـه إن هـذه القـوات هـى التـى جلبـت معهـا مـن آسـيا الصغـرى الفولكلـور الأكريتـى Akritic، الـذى لا يـزال حيـاً فـى قـبرص إلى يومنـا هذا.

وتكـررت الحمـلات العربيـة علـى قـبرص فـى أعـوام ٧٤٣ و ٧٤٧ و ٧٧٣ و ٧٩٠ و ٨٠٦م. فـزاد إرتبـاط القبارصـة ببيزنطة وبالهويـة القبرصيـة اليونانيـة، وتجلـى ذلـك فى المجامع المسـكونية التـى شـارك فيهـا القبارصـة كما تجلى فى إزدياد نفوذ الكنيسـة القبرصيـة فـى الأمـور الدنيويـة، ولقـد كـانت حملـة ٨٠٦م رداً على نقض الامـبراطور البـيزنطى فوكـاس نيكوفـوروس= نقفـور إتفاقيـة مـع العـرب تمنـع بيزنطـة مـن إعـادة بنـاء التحصينـات التـى دمرتهـا الحمـلات السـابقة، ومـن بـين الأسـرى الكثـيرين الذيـن أخـذوا فـى هـذه الحملـة الأسـقف نفسـه، وإزدادت كثافـة حركـة إنتقـال السـكان مـن المـدن السـاحلية إلى الجبـال، وبرغـم مشـاكل قـبرص قدمـت ملجـأ آمنـاً لمسـيحى فلسـطين وسـوريا وأورثوذوكـس بيزنطـة الهـاربين مـن الإضطهـاد فـى حـرب الإيقونـات.

كـان تهجـير القبارصـة عـام ٦٩٢م هـو السـبب الرئيسـى فـى إحـداث خلـل فـى التـوازن بـين بيزنطـة والعـرب فـى قـبرص، وأخـذ العـرب المسـلمون المقيمـون فـى قـبرص مـع القبارصـة إلى كـيزيكوس بإعتبـارهم أسـرى أو أنهـم كـانوا ممـن بقـوا بعـد إنسـحاب الحاميـة العربيـة ٦٨٠م، وتحولـوا للحيـاة المدنيـة وإرتبطـوا بالحيـاة المحليـة فـى قـبرص، كـان هـدف بيزنطـة مـن التهجـير هـو حرمـان عبـد الملـك مـن الجزيـة التـى يدفعهـا السـكان للدولـة الإسـلامية، ومـن ثـم فـإن التهجـير يعـد إخـلالاً بشـرط مـن شـروط المعـاهدة بـين الطرفـين، وقيـل إن مـن أسـباب التهجـير الرغبـة فـى تدعيـم الدفـاع عـن المنطقـة التـى هجـروا إليهـا، والمسـاعدة فـى تقويـة الأسـطول البـيزنطى، وأهـم مـن هـذا وذاك كـان الهـدف هـو أن يتحـول القبارصـة فـى مقرهـم الجديـد إلى أتبـاع مخلصـين لبيزنطـة، ورفـض جوسـتنيان الثـانى إحتجـاج الخليفـة، ووقـع تحـرش عسـكرى ٦٩٢م وإنتهـى الموقـف بـأن قـام الخليفـة بتهجـير مـاتبقى مـن السـكان إلى سـوريا مسـتهدفاً بذلـك الحيلولـة دون السـيطرة الكاملـة لبيزنطـة علـى قـبرص، ومـع ذلـك فـإن المسـألة برمتهـا غـير واضحـة المعـالم وتحتـاج إلى مزيـد مـن الـدرس.

وبعد عدة سنوات أى ٦٩٩/٦٩٨م أو ٧٠٥م ثبت أن تهجير القبارصة من وطنهم عاد بعواقب وخيمة تبلغ حد الكارثة على بيزنطة، ربما لأن جوستنيان الثانى تقرب إلى الوليد (٧٠٥-٧١٥م) فى أثناء حكمه للمرة الثانية - (٧٠٥-٧١١م) متفاوض مع الخليفة -سواء عبد الملك (٦٨٥-٧٠٥م) أو الوليد (٧٠٥-٧١٥م)- حول إعادة القبارصة المهجرين من قبل الطرفين. ووافق الخليفة وبدأ هو أولاً بإعادة القبارصة المهجرين من سوريا، وأعادت بيزنطة المهجرين لديها بما فيهم العرب. المسلمين ممن كانوا مقيمين فى قبرص.

وإستمر الوضع الحيادى لقبرص، وتأكد للقبارصة أن بيزنطة غير قادرة على حمايتهم بسبب الحروب الداخلية التى مزقت أوصالها. ورفع عبد الملك قيمة الجزية التى تدفعها قبرص ألف دينار إضافية، وجاء الخليفة عمر بن عبد العزيز فألغى هذه الزيادة، وأعادها هشام بن عبد الملك. وظلت هكذا حتى عصر الخليفة أبو جعفر المنصور الذى أحيا شروط معاوية.

ولا نعرف بالضبط كيف تحولت قبرص مرة أخرى فى نهاية القرن التاسع الميلادى إلى حالة الحياد والسيادة المشتركة، التى أنشأتها معاهدة ٦٥٣م وأيدتها معاهدة ٦٨٨م. ففى عام ٩١٢م و ٩١٤م إكتسحت حملة عربية قبرص، وأسرت الكثيرين وأخذتهم إلى بغداد. وأعلن أن هذا الهجوم العربى جاء عقاباً للقبارصة، الذين كانوا قد أيدوا قائد الأسطول البيزنطى هيميريوس Himerius أثناء حملاته التى انطلقت من قبرص على سوريا وكيليكيا وكريت وغيرها فيما بين ٩٠٠ و ٩١٢م. وهذه الحملات البيزنطية كانت بدورها رداً على حملات عربية سابقة، أدت إلى سيطرة العرب على الحوض الشرقى للبحر المتوسط. ونزل العرب إلى قبرص عام ٩٠٤م وأقاموا حامية فى بافوس كجزء من مستوطنة عربية محدودة هناك. وكان الامبراطور ليو السادس Leo VI ٩٠١م قد نقل إلى القسطنطينية جثمان القديس لازاروس Lazaros[1] من لارناكا ليدفن فى الكنيسة التى كانت تشيد له هناك. وفى قبرص تعاون هيميريوس مع حاكمها ليون سيمباتيكيس Leon Symbatikes ضد العرب فى الجزيرة، وللتجسس على عرب سوريا وكيليكيا. وكل ذلك يرسم صورة لقبرص آنذاك وفيها نفوذ بيزنطى قوى سياسى وعسكرى ودينى، جنباً إلى جنب مع وجود نفوذ عربى مماثل. إذن الحالة العامة هى الحياد الذى فرض على الجزيرة، وإن كان البيزنطيون ينقضونه بين الحين والحين.

وعندما إجتاح أمير البحر العربى داميان Damian قبرص عام ٩١٣/٩١٢م سافر أسقف كيثريا ديميتريانوس إلى بغداد، لينقذ حياة الأسرى من رعاياه. وفى بغداد دافع عن براءة الروم جميعاً، ولا سيما القبارصة وتبنى الحجج نفسها التى ساقها بطريرك القسطنطينية (نيكول ميستيقوس) فى رسالة أرسلها إلى الخليفة بوصفه الوصى على الامبراطور القاصر فى أغسطس ٩١٣م. قال ميستيقوس إن القبارصة غير مسئولين عن هجمات هيميريوس، ومن ثم فإن حملات داميان التأديبية

---

[1] عن القديس لازاروس راجع: [Greek] Hunger, p. 233 f.

فى غير موضعها بل وتنقض حياد قبرص المتفق عليه منذ قرون. وعلى العرب أن يتصفوا القبارصة وهم من رعاياهم الذين ظلمهم داميان المسيحى المرتد والمسلم غير الصالح! وقال ميستيقوس إن القبارصة لم يستطيعوا مقاومة هيميريوس وأنشطته الحربية وميوله، ولكنهم ليسوا مشاركين فيها. إنهم يعيشون على الحدود الفاصلة بين بيزنطة والإسلام دون التورط فى سياسة أى منهما. وهم يدفعون الضرائب للطرفين ويستقبلون حكاماً من الطرفين، ولكنهم لا يشاركون فى أعمال العنف من جانب أى منهما. كان إعتمادهم على العرب أكثر من إعتمادهم على بيزنطة. وهذا الخطاب يمثل عذاب القبارصة بسبب وقوع جزيرتهم على الحدود بين الشرق والغرب ولقد سبق لنا أن اقتطعنا جزءً منه[1].

تلك كانت حجج ميستيقوس فى بغداد ومن هذا السياق نفهم أن النفوذ البيزنطى فى قبرص بدأ ينحسر، وإقتصر على إرسال الحكام وإستقبال الضرائب. ووفق حالة الحياد لم يشارك القبارصة فى النشاط العسكرى البيزنطى فى قبرص. ولقد شدد ميستيقوس -وكذا بطريرك القسطنطينية- على ضرورة تطبيق حالة الحياد على قبرص بدقة كما جاءت فى المعاهدات السابقة. ولقد نجحت البعثة القبرصية إلى بغداد فى إطلاق سراح الأسرى. وبعد ذلك تم إعلان الإعتراف بأسقف كيثريا "معلماً وقائداً للشعب كافة". فتطلع الناس إليه بوصفه المخلص الحقيقى لقبرص، ولكنه مات بعد ذلك بوقت قصير عن عمر طويل. ولم يتم تحرير قبرص إلا بعد موته بخمسين عاماً عندما قام فوكاس نيكوفوروس الامبراطور البيزنطى ٩٦٣/٩٦٤م -فى أثناء حملته على كيليكيا- بإعادة فتح قبرص وتحطيم حالة الحياد.

إن علاقة القبارصة اليونانيين بالعرب كانت تتأثر بملابسات الصراع بين العرب وبيزنطة. لقد حطم القبارصة المساجد فى كاتوبافوس، مما يشى بوجود جومن العداوة والشكوك وهذا ما ساد القرن السابع الميلادى حتى عام ٦٨٨م، ويناقض جوالود والصداقة فى أوائل القرن الثامن الميلادى. وربما كان تدمير المساجد قد تم بأمر قائد القلعة البيزنطية "الأربعون عموداً "والتى تواجه المساجد والمستوطنة العربية، ومن ثم فهى فصل من فصول الصراع الطويل بين العرب والروم.

ولقد أطلق ويلليبالد Willibald عبارة صارت مثلاً إذ قال "جزيرة قبرص الواقعة بين الروم والشرقيين" "Insulam Cyprum quae est inter Greacos et.......Saracenos".

وهو مايتفق تماماً مع ما جاء فى خطاب ميستيقوس للخليفة العباسى الفقى اليونانى، وفى أوائل القرن الثامن الميلادى لم يكن القبارصة مسلحين، لأن السلام كان سائداً وحلت الصداقة بين الروم والشرقيين. حتى إن الخليفة عمر (٧١٥-٧٢٠م) قد ألغى الزيادة التى طرأت على الضريبة أو الجزية كما كان قد قرر الخليفة عبد الملك. وربما يشير كل ذلك إلى أن التعايش السلمى بين العرب والروم كان قد ترسخ، فعاش كل فريق منهم فى قبرص فى مقاطعات أو كانتونات منفصلة. وهذا ما يشير إليه ابن حوقل حيث يؤكد وجود إدارتين

---

(1) [Greek] Hatzioannou, Vol. ς pp, 157-170.

منفصلتين مدنية وعسكرية، ولكل منها قوانينها الخاصة. وقال ابن حوقل مامعناه أن السلطات الإسلامية قد سرت بوجود المسيحيين تحت حمايتهم، وكان المسيحيون يتصرفون معهم بوصفهم إخوانهم في الوطن.

ويقول إبن حوقل كذلك إن الجزيرة قد قسمت إلى نصفين، أحدهما للبيزنطيين والآخر للعرب. وقال المسعودى إن القبارصة كانوا تعهدوا بالتزام الحياد بين المتصارعين أى الروم والمسلمين، ودفعوا نصف الضريبة للمسلمين ونصفها الآخر للروم. وورد عند المسعودى أيضاً أن القبارصة -مسيحيين ومسلمين- كانوا ملزمين بالتآزر للدفاع عن الجزيرة فى حالة حدوث هجوم خارجى، وأن هذه الإتفاقية بين الطرفين تعود إلى أوائل الإسلام.

تأكدت حالة الحياد والسيادة المشتركة أكثر من مرة وبأكثر من إتفاقية. وفى عام ٧٢٣م يقول ويلليبالد:

" Sedebant inter Graecos et Saracenos et intermes fuerunt, quia pax maxima fuit et conciliatio inter Saracenos et Graecos" .

"إن القبارصة كانوا يقيمون بين الروم والشرقيين وكانوا وسطاء لأن أقصى درجات السلام والمصالحة كانا سائدين بين الشرقيين والروم".

كان القبارصة يرسلون الضريبة بإنتظام إلى الخليفة. ولعل إكتشاف عملات عربية كثيرة فى قبرص من أوائل القرن الثامن يشير إلى تزايد حجم التجارة بين قبرص والعالم العربى. وعندما نقض القبارصة الإتفاقية شن العرب عليهم حملات تأديبية كما حدث عام ٧٢٦ و ٧٤٣ ، ٧٤٧، ٧٧٣، ٧٩٠، ٨٠٦ و ٩١١/٩١٢م.

وقد تعود تلك الحملات إلى محاولات بيزنطة لإثبات وجودها العسكرى فى قبرص، وهذا ما يتناقض مع الإتفاقيات الموثقة بين الطرفين. وربما أغرى إنتصار ليو الثالث الكاسح (٧١٧-٧٤١م) على العرب الذين حاصروا القسطنطينية فى سبتمبر ٧١٧/٧١٨م، بإعادة تسليح الجزيرة، أو على الأقل تسليح الجزء اليونانى منها. وكان ليو الثالث شخصية قوية ولا يمكن أن يفوت هذه الفرصة. وربما حاول التدخل فى قبرص عام ٧٢٦م لوقف حركة عبادة الإيقونات القبرصية التى أعلنت عن نفسها بعد قراره بالوقوف ضد الأيقونات. ومما لاشك فيه أن تدخله هذا قد إعتبر نقضاً للإتفاقية مع العرب.

وربما كانت حملة ٧٤٣م العربية على صلة بإتحاد القبارصة وتحالفهم مع عابد الإيقونات أرتافاسدوس، الذى ثار على قسطنطين الخامس مما يثير شكوك ومخاوف العرب، لأن هذا قد أظهر تورطاً قبرصياً فى السياسة البيزنطية. وعزل قسطنطين الخامس أرتافاسدوس عام ٧٤٣م وأمر اليزيد بعودة القبارصة المهجرين ٧٤٤م لأنه إعتبر فشل أنصار الأيقونات وإنتصار محطمى الأيقونات فى قبرص دليلاً على عودة الجزيرة إلى حالتها الطبيعية أى الحياد[1] .

---

[1] عن حرب الايقونات فى العالم المسيحى بإعتبارها صدى للتأثير الحضارى العربى راجع:

حسنين محمد ربيع، دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية، دار النهضة العربية. القاهرة ١٩٨٦م ص١٠٢-١٥٥

وسام عبد العزيز فرج - جوزيف نسيم يوسف، العلاقات بين الامبراطورية البيزنطية والدولة الأموية حتى منتصف القرن الثامن الميلادى. الهيئة العامة للكتاب، الاسكندرية ١٩٨١ ص٣٣٣- ٤٠١.

J.F. Aldridge, The Cross and and its cult in an Age of Iconoclasm, Ph.D. Ohio State University 1993, passim

يقول إبن هانئ الأندلسي القرن الرابع الهجرى:

قد كانت الروم محذوراً كتائبها ... وتدنى البلاد على شحط وتبعيد
وشاغبوا اليمّ ألفى حجة كَمَلاً ... وهم فوارس قارياته السود
فاليوم قد طُمست فيه مسالكهم ... من كل لاحب نهج الفلك مقصود
لو كنت سائلهم في اليمّ ماعرفوا ... شفع السفائن من عُفر الملاحيد

ويصف أبو تمام (القرن الثالث الهجرى) هزيمة تيوفيل (Theophilos) أمام خالد بن يزيد الشيباني فيقول:

كأن بلاد الروم عُمت بصيحة ... فضمت حشاها أورغا وسطها الشعب
بصاغرة القصوى وطمين واقترى ... بلاد قريطاميس وابلك السكب

وواضح أن صاغرة (Sangarius) وطحين وقريطاميس هي مواقع رومية في آسيا الصغرى والأناضول.

أما عن البحترى في القرن الثالث الهجرى فيصف معركة بحرية ويقول:

يسوقون أسطولاً كأن سفينه ... سحائب صيف من جهام وممطر
كأن ضجيج البحر بين رماحهم ... إذا إختلفت ترجيع عود مجرجر
تُقارب من زحفيهم، فكأنما ... تؤلّف من أعناق وحش منفر
فما رمت حتى أجلت الحرب عن طُلى ... مقطعة فيهم وهام مطّير
على حين لا نقع يطوحه الصبا ... ولا أرض تُلفى للصريع المقطر

ويضيف أبو محمد التيمي سقوط إحدى القلاع الرومية فيقول: (القرن الثاني الهجرى).

هوت هرقلة لما أن رأت عجبا ... حوائما ترتمى بالنفط والقار
كأن نيراننا في جنب قلعتهم ... مصبغات على أرسان قصار

كانت هناك في قبرص دائماً حركة مناهضة لمحطمي الأيقونات، وسجلت بعض الأحداث العنيفة عام ٧٥٤، ٧٨٧ و ٨١٥ وغيرها، ولكن دون أن تصل إلى حد نقض الإتفاقيات المعقودة مع العرب، وشن هارون الرشيد حملة على قبرص عام ٨٠٦م عقب نقض القبارصة للإتفاق بالتورط في عمليات تجسس لصالح الأسطول البيزنطي وإمداده بالعون، وكانت الامبراطورة إيرين Irene قد أرسلت هذا الأسطول ٧٩٠م لصد العرب وأسطولهم الذى أبحر إلى قبرص، وقد ساعد على ذلك وجود ست أساقفة قبارصة في المجمع المسكونى السابع ٧٨٧م الذى رأسه البطريرك تاراسيوس وهو أيضاً قبرصى (٧٨٤-٨٠٦م)، والأخير هو الذى دعا إلى إنعقاد هذا المجمع بايعاز من البطريرك الأسبق للقنسطنطينية وهو قبرصى أيضاً ويدعى أناجنوستيس باولوس Paulus Anagnostes

(٧٨٠-٧٨٤م)، والذى كان من محطمى الأيقونات المترددين، لأنه فيما يبدو كان يعبدها سراً، بيد أن موقف هذين البطريركين القبرصيين فى مجمع ٧٨٧م ليس دليلاً على الحالة الدينية فى قبرص آنذاك، على أية حال كان الإتجاه الغالب هو عبادة الأيقونات مع وجود بعض الاستثناءات، ومرد ذلك هو أن القبارصة بطبعهم محافظون، كما أن بيزنطة ليست مطلقة اليدين فى قبرص[1].

وعلى الجانب الآخر واصلت الكنيسة القبرصية نشاطها الدينى والدنيوى دون إنقطاع طيلة وجود الحكم العربى الإسلامى فى قبرص، ولاحظ الباحثون أنه لم تحدث فجوات، كبيرة أو لم تحدث فجوات على الإطلاق، فى تتابع الأساقفة فى كل الكنائس القبرصية وحتى الصغيرة منها، ومما هو جدير بالذكر أن سلسلة من كبار الكتاب الكنسيين قد ظهرت فى قبرص فى تلك الفترة، وهم الذى قاموا بالحفاظ على التراث الإغريقى وإحيائه، وكذا التراث المسيحى منذ ظهوره فى قبرص، فإلى جانب إبيفانيوس - سالف الذكر - فى القرن الرابع عاش تريفيليوس Triphyllios أسقف ليدرا Ledra (نيقوسيا) وفيلو Philo من كارباسيا Karpasia وهو تلميذ إبيفانيوس ومؤلف "تاريخ الكنيسة" - المفقود الآن- و "تعقيب على أغنية الأغانى"..... الخ.

وفى قبرص إبان القرن الخامس الميلادى ظهر المؤلف "سير القديسين" والتى بقى لنا منها ثلاثة سير، وهى تلك الخاصة بالقديس برنابا وهرقليديوس Heraclaidios وأفكسيقيوس Avxivios. وفى القرن السادس الميلادى عاش الراهب الكسندر فى قنسطانطيا وهو مؤلف "التراتيل الدينية" Sermons والتى وصلتنا منها إثنتان، الأولى عن الصليب المقدس، والثانية "فى الثناء على القديس برنابا "Laus Sancti Barnabae". ومن أشهر كتاب القرنين السادس والسابع الميلاديين الجغرافى جورج القبرصى المولود فى لابيثوس والذى كتب "وصف العالم الرومانى" Descriptio orbis Romani والذى وصل الينا منه جزء صغير.

وفى القرن السابع إزدهر نوع من الأدب الدينى فى قبرص له نكهة فولكلورية وصياغة عامية وأسلوب عفوى وتلقائى. فى هذا الأدب لا نجد أثراً لصراع الطبقات، كما أنه لايستغرقه الحديث عن قاع المجتمع. ولقد حفظ لنا بعضاً من هذا الأدب الشفوى القبرصى الأشهر جون ألمزجيفر John the Almsgiver بطريرك الأسكندرية (٦١٠-٦١٩م) فى مؤلفه "حياة القديس تيخو "(Tycho) أسقف أماثوس. وحفظ لنا جزءً آخر من هذا الأدب ليونتيوس Leontios أسقف نابلى، الذى كتب "سيرة القديس جون ألمزجيفر"، وسيرة القديس سيمون Symeon المجنون السورى، و "أنشودة فى تأييد الأيقونات المقدسة" التى ألقيت فى المجمع المسكونى السابع ٧٨٧م.

وكتب رئيس الأساقفة أركاديوس Arcadius "سير القديسين" و "مدائح". وربما كتب أحد تلاميذه أو مريديه "سيرة فيلينتولوس" Philentolos إبن أوليمبيوس والتى طرحت فيها لأول

---

(١) عن موقف الكنيسة الأورثوذوكسية القبرصية من حرب الأيقونات أنظر:
[Greek] A.N. Mitsidou (Nicosia 1989), passim

مرة فكرة المكان الفاصل بين نار الجحيم وجنة النعيم (أو الأعراف Limbus) كما أسلفنا[١] ، وكتب الأسقف ثيودوروس من بافوس "الثناء على القديس سبيريدون" ، وكتب الأسقف ثيودوروس من تريميثوس Tremithos – الذى مثل قبرص فى المجمع المسكونى السادس– "سيرة القديس جون خريسوستوموس Chrysostomos ، وفى نفس القرن كتب مؤلف قبرصى مجهول مقيم فى القسطنطينية "سيرة القديس ثيرابون" Therapon، والذى كان قد أخذت بقاياه إلى القسطنطينية عند تهجير القبارصة (٦٩١/٦٩٢– ٦٩٨ أو ٧٠٥م)،

وفى منتصف القرن الثامن الميلادى كتب الراهب القبرصى جيورجيوس مؤلفاً معروفاً للجميع وهو "موعظة فى الأيقونات" ، وهى دفاع عن عبادة الأيقونات، وتهاجم الداعين إلى تحطيمها ، وفى المجمع المحطّم للأيقونات عام ٧٥٤م أدين جيورجيوس ، وفى المجمع المسكونى السابع الداعى للحفاظ على الأيقونات وتقديسها (٧٨٧م) إقترح رئيس الأساقفة القبرصى فى قسطانطيا حلاً تصالحياً توفيقياً وهو: إجلال الأيقونات لا عبادتها ، ورد هذا المجمع الإعتبار لجيورجيوس ، أما العمل الوحيد الباقى من القرن العاشر فهو "سيرة القديس ديميتريانوس" وهو ينبوع لا ينضب معينة من المعلومات التاريخية والثقافية ،

وعندما إستعادت بيزنطة السيطرة على قبرص من العرب بدأت مرحلة جديدة بالنسبة للمجتمع اليونانى القبرصى. فمع أن المصاعب الداخلية والخارجية لم تتوقف إلا أن آفاقاً جديدة للثقافة اليونانية القبرصية بدأت تلوح فى الأفق. أعيد بناء الهيكل الإدارى. ومع أن سلطات كثيرة للكنيسة قد ألغيت فإن الدولة شجعت بناء أديرة جديدة فى أماكن حساسة يمكن الدفاع عنها فوق قمم الجبال أو حتى على الساحل، مما يدخل فى النظام الأمنى الأوسع الذى تبنته الإمبراطورية. ولعب القبارصة دوراً بارزاً فى هذه الخطة الأمنية، وإن شاركتهم الجاليات الأخرى فى ذلك، ولاسيما الأرمن والمارون والألبان.

من الأديرة التى بنيت فى تلك الآونة (القرن الحادى عشر والثانى عشر الميلاديين) نذكر:

أ– على سلسلة الجبال الوسطى: ماخيراس Makhairas، فورفيوتيسا Phorviotissa، خريسورروياتيسا Chryssoroyiatissa، ترؤوديتيسا Trooditissa، كيكوس Kykkos، نيوفيتوس Neophytos.

ب– على السلسلة الجنوبية والساحل: كاثارون Katharon، كرينيوتيسا Kriniotissa، هيلاريون Hilarion، كيرينيا kerynia، مقار (أرمنى) Makar، قنطرة (إسم عربى) Kanara، خريسوستوموس Chrysostomos.

جـ– على رأس البر الجنوبى الشرقى: أندرو Andrew نيقولا Nicholas, أ.خ.

---

[١] راجع أعلاه

ومن مشاهير تلك الفترة نيوفيتوس Neophytos مؤسس الدير المعروف بإسمه. وهو مؤلف غزير الإنتاج، إذ كتب "تعليقا" على الكتاب المقدس" و "رسائل" و "دراسات لاهوتية" و "دراسات عن الأديرة" و "البعث" إلخ. وتتضمن كتابات نيوفيتوس كنزاً من المعلومات التاريخية المرتبطة بسيرته الذاتية. وعندما شرع ١١٧٦م فى كتابة "الأحاديث" (Homilies) و "مدائح القديسين". اعتبر آنذاك جريئاً، ونظر إليه المحيطون به فى دهشة. يذكر نيوفيتوس سقوط القسطنطينية فى أيدى الصليبيين ١٢٠٤م، ويصف رد فعل القبارصة الذى لم يختلف كثيراً عن رد فعل سائر سكان الإمبراطورية، ويعتبر نيوفيتوس سقوط القسطنطينية بمثابة عقاب وفاق للأخطاء التى إرتكبتها القسطنطينية "الزانية". (tes pornes poleos)، لأنها بالغت فى الإسراف والشطط والقوة الغاشمة والرفاه والرخاء والإسترخاء، ويقول: "لقد إحتفينا بها بوصفها ملكة المدائن ولكن الله إعتبرها مومساً قذرة... وأولئك الملوك الذين إرتكبوا البغاء معها وقفوا على مبعدة يتفرجون على عذاباتها، والنار تصعد من أنقاضها، يبكون ويولولون".

وفى مكان آخر عبر عن قنوت الناس من سقوط القسطنطينية، وأظهروا ولاءهم لإمبراطورية نيقايا. ومن ناحيته أظهر نيوفيتوس اليأس إلى أقصى حد من عدم القدرة على إشعال روح المقاومة ضد الصليبيين وذلك بسبب إهمال العاصمة للولايات. وكانت تقديراته وتحليلاته لسقوط قبرص فى يد ريتشارد قلب الأسد، ومصير الجزيرة المظلم منذ ذلك التاريخ (١١٩١م) ؟؟؟ص٨٠ حيث إقتطعت الجزيرة من سياقها القومى والثقافى، كانت هذه التحليلات تمس شغاف القلوب لهفاً على القبارصة اليونان ووطنهم. هذا مع أن نيوفيتوس إعتبر هذا الغزو اللاتينى مرحلة إنتقالية، ولكنه أدرك "وحشية هذا الإغتصاب"، وسمى الصليبيين "لصوصاً" وقارنهم بالشيطان صلاح الدين الأيوبى قاهر الصليبيين، صفوة القول إن نيوفيتوس يمثل آخر حلقات السلسلة المجيدة من مشاهير البيزنطيين، ولذلك تحتل كتاباته مكانة هامة فى تاريخ قبرص.

وكان رئيس الأساقفة نيكولاوس (نيقولا) لاوس موزالون (١١٠٧-١١١٥م) من بين مشاهير البيزنطيين أيضاً. لقد أصبح فى وقت لاحق "بطريرك مسكونى". ومع أنه لم يكن قبرصياً فى الأصل، إلا أنه لعب دوراً أساسياً فى تاريخ تلك الفترة. فلقد وقف فى وجه القائد يوماثيوس فيلوكاليس Eumathios Philokales لظلمه وطغيانه وكبته للشعب. وعرفنا ذلك من قصيدة نظمها بعد إعتزاله ولقد صارت مصدراً تاريخياً مهماً.

كما إشتهر فى ذلك الوقت رئيس الأساقفة يوأنيس كريتيكوس (الكريتى) Ioannes Kretikos (١١٥٢-١١٧٤م)، كان التعليم فى قبرص قاصراً على مدارس تشرف عليها الكنيسة، أما الراغبون فى المزيد من التعليم فكانوا يقصدون القسطنطينية. وتلك حال جيورجيوس جريجوريوس Georgius Gregorius القبرصى الذى صار "بطريرك مسكونى" (١٢٨٣-

١٢٨٩م)، وهو من مشاهير العالم البيزنطي في مجال الآداب، ولكنه على أية حال ينتمي للفترة الثانية من السيطرة اللاتينية[١] .

ومن أبرز المتغيرات على إدارة قبرص في منتصف القرن الحادى عشر نقل العاصمة من قنسطالطيا إلى ليفكوسيا في السهل الأوسط، وكانت قد أصبحت منذ فترة مركزاً للحياة اليونانية على المستوى الإجتماعي والثقافي، ولكن الأسقفية ظلت كما هي في قنسطالطيا حتى أواسط القرن الثالث عشر الميلادى، وكانت قد توسعت في إتجاه الجنوب، وصارت تعرف منطقة التجمع الجديدة هذه منذ القرن السابع الميلادى بإسم أموخوستوس Amoch oustos (أو فاماجوستا Famagusta في العصر اللاتيني)،

ولقد أملى فكرة نقل العاصمة الدافع الأمنى الداخلي والخارجي، فلقد حدثت فجوات أمنية كثيرة، على سبيل المثال حركات العصيان التي قام بها الكاتابان ثيوفيلوس إروتيكوس Theophilos Erotikos ١٠٤٢م والدوق رابسوماتيس Rhapsomates ١٠٩٢م، والقائد الذى سحق حركات العصيان والتمرد هو مانويل فوتو ميتيس Manuel Vutumites، وهو الذى لعب الدور الرئيسي في بناء دير كيكوس،

ولعبت قبرص دوراً حيوياً في التصدى للغزوات الصليبية التي هددت الامبراطورية البيزنطية، إذ كانت قبرص نقطة الإنطلاق والإتصال بالنسبة للطرفين البيزنطي والصليبي، وثبت خلالها أن هيلينية قبرص تعتمد كثيراً على بقاء القنسطنطينية التي تهددها الأخطار بصورة متزايدة[٢] ،

---

١ راجع أعلاه

٢ للمزيد عن تاريخ قبرص في العصور البيزنطية والوسيطة راجع:

[Greek] Chrsanthou K. (Nicosia 1967), passim.

[Greek] Hatzioannou, Vol. ς passim

[Greek] Hatzedemetriou, pp. 129-162

وسام فرج عبد العزيز – جوزيف نسيم يوسف، سبقت الاشارة إليه، ٢٩-١١٧ وأماكن متفرقة.



شكل رقم (٤٩) : القديس نيوفيتوس فى رسم جدارى فى إنجليسترا ويعود إلى عام ١١٨٣م

٣- الحكم الإفرنجي - اللاتيني والحروب الصليبية

في عام ١١٠٤م وبالقرب من طرابلس لبنان تلقى حاكم لبنان إعانات من قبرص وكيليكيا في حربه ضد القائد الصليبي بوهيمون Bohemond. وفي عام ١١١٥م كان حاكم بيروت المسلم - بعد هزيمته على يد الملك بالدوين الأول من جيروسالم - قد هرب إلى قبرص وسلم نفسه لسلطاتها. وبعد ذلك بحوالي إثنى عشر عاماً شنت البندقية حملة على قبرص عقاباً لها على تمنعها عن منح إمتيازات بحرية وتجارية للبنادقة، في حين وتم الإعتراف بهذه الإمتيازات بالنسبة لأهل الشرق البيزنطي. وفي تلك الأثناء وصل إلى قبرص لاجئاً سيميون بطريرك جيروسالم مصطحباً قساوسته، وذلك عشية الحملة الصليبية الأولى أي عام ١٠٩٧م. ومات سيميون في قبرص ١٠٩٩م. وفي الفترة ١٠٩٩-١١٠٠م حاول القائد الصليبي ريموند الرابع من جيل Saint Gills حاكم اللاذقية (Lattakia)، بالإشتراك مع الحاكم البيزنطي. أن واستخدم عمالاً من القبارصة في محاولته لبناء معسكر ريموند عام ١١٤٨م. وعانت قبرص الويلات أثناء الحروب الصليبية[١]، وذلك على يد طرفي هذا الصراع الطويل. وتحالف هذا العدوان البشري مع سلسلة ممتدة من الكوارث الطبيعية ولاسيما الزلازل على زيادة حجم المعاناة وزيادة الطين بلة. وفي عام ١١٩١م فتح ريتشارد قلب الأسد قبرص وبدأت حقبة جديدة ومريرة في تاريخ قبرص.

تحولت قبرص إلى ورقة يلعب بها ريتشارد قلب الأسد في معترك السياسة وميادين القتال، وبعد أن فشل في إستبدال نصف فلاندرز Flanders بنصف الجزيرة، باع الجزيرة، كلها الفرسان الرهبان أو الداوية[٢] Knights Templars عام ١١٩٢م وفرسان تمبلارز هما طبقة من الفرسان تتكون أساساً من تسعة إحترفوا حماية حجاج بيت المقدس بموافقة ملكها بالدوين حتى أنهم أقاموا في ركن من قصره وبجوار المعبد Temple، ومن هنا إسمهم "فرسان المعبد". وقويت شوكتهم واتسعت سلطتهم على حساب الملك نفسه بل وعلى حساب المسيحية حيث أنهم عاثوا في الأرض فساداً وارتكبوا كل منكر من السرقة إلى الإغتصاب. وبعد معركة عام ١١٨٧م أعدم صلاح الدين جميع من وقع منهم في الأسر وقد بلغ عددهم المائتين ليجعل منهم مثلاً وعبرة. وقامت ثورة دموية في نيقوسيا وتزعمها راهب يوناني من أقارب إسحق كومينوس I.Comninus احتجاجاً على نبع الجزيرة لهذه الشرذمة من الفاسقين وتعد هذه الثورة المجهضة من أنصع صفحات المقاومة الوطنية ضد الإحتلال الأجنبي في تاريخ قبرص كله.

وبعد هذه الثورة أعيدت الجزيرة إلى ريتشارد قلب الأسد الذى سمح لجي دى لوسينيان Guy de Lusignan كونت حيفا (Joppa) وعسقلان ونائب ملك المملكة اللاتينية في بيت المقدس أن يشتـــــــرى

---

(١) عن الحروب الصليبية بصفة عامة وتأثيرها على قبرص راجع:
سعيد عبد الفتاح عاشور، قبرص والحروب الصليبية، في أماكن متفرقة.
قاسم عبده قاسم، ماهية الحروب الصليبية: الايديولوجية - الدوافع - النتائج. عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية. القاهرة ١٩٩٣.

(٢) راجع نبيلة ابراهيم، فرق الرهبان الفرسان في بلاد الشام في القرنين ١٢ و١٣م. القاهرة ١٩٩٤.

الجزيرة من فرسان تمبلارز وهى أسرة اقطاعية حكم أحد فروعها قبرص من ١١٩٢ إلى ١٤٨٩م وكانت هذه الأسرة تحكم بيت المقدس أيضاً[١] . وكان النظام الإقطاعى الذى أسسه جى دى كوسينيان فى قبرص يتخذ من القادمين الجدد -أى الصليبيين- ركائزه الأساسية . وجاء معظمهم من الدول الصليبية وبعضهم من الدول المجاورة، أى من اللاتين والسوريان والأرمن وغيرهم . لقد وهبهم لوسينيان الأراضى الشاسعة التى تركها أصحابها من اليونان القبارصة، حيث إضطروا إلى هجر هذه الأراضى إلى الجبال . وهكذا تلقت الطبقة الوسطى من اليونان القبارصة ضربة قاصمة بقدوم برجوازيين أوربيين صليبيين . حيث حصل هؤلاء على إمتيازات ضخمة وتحول القبارصة اليونان إلى عبيد وخدم لهؤلاء السادة الأوروبيين الإقطاعيين القادمين مع الحملات الصليبية .

وهكذا يمكن القول بصفة عامة إن فترة الحكم الإفرنجى أو اللوسينيانى كانت فترة عصيبة بالنسبة لقبرص . إنها فترة إستغلال مجحف وكبت مسرف لليونانيين القبارصة أهل الجزيرة الأصليين . وكتب عليهم أن يدخلوا مرحلة صراع جديدة وحرب صامتة تستهدف الحفاظ على هويتهم الوطنية، الدينية والثقافية، فى وجه السادة الجدد المتغطرسين قليلى العدد كثيرى العدة شديدى البأس والطغيان .

لقد أصبحت قبرص ملاذاً ومستقراً لمختلف طوابير العسكر الوافدة من الأراضى المقدسة وأرمينيا وأنطاكية وعكا وغيرها منذ عام ١٢٠٤م، أى أثناء الحملة الصليبية الرابعة والتى شارك فيها ملك قبرص أماريلك . ولكنه فى النهاية إنسحب من تلك الحرب، ووقع معاهدة مع السلطان المالك ١٢٠٥م تمتد لست سنوات . فتسبب فى معاناة أشد وأنكى للشعب اليونانى القبرصى، إذ دعم نظام الحكم اللاتينى فى الجزيرة .

كان أماريلك (١١٩٤-١٢٠٥م) هو أول ملك لوسينيانى متوج فى قبرص . ومن خلال زواجه كان له حق التاج الملكى فى بيت المقدس . وعبثاً حاول الامبراطور أليكسيوس الثالث فى القسطنطينية أن يحصل على عون البابا إينوسنت عام ١٢٠١م فى سبيل إسترداد قبرص على أن يقدم المدد للحملات الصليبية . وتحت ضغوط باباوية شديدة شرع أماريلك فى إتباع سياسة تقضى بإخضاع الكنيسة الأورثوذوكسية القبرصية للكنيسة اللاتينية المؤسسة حديثاً فى قبرص، أى أن يقضى على إستقلالية الكنيسة القبرصية، مما يحرم الشعب اليونانى القبرصى من قيادته الطبيعية والتقليدية . ومن ثم نستطيع أن نفهم السبب وراء إندلاع المقاومة وحروب العصابات التى قادها كاناكيس Kanakis، الذى وصل به الأمر إلى حد أنه إختطف أسرة أماريلك نفسها، ولم يطلق سراحها إلا بعد أن تدخل ملك أرمينيا ليو الثانى . وأجهضت هذه الحركة الوطنية، وأخمد هذا التمرد الذى فشل فى تحقيق أهدافه، وإن نجح فى تأكيد الهوية القومية لقبرص . وهى تضاف إلى ثورة ١١٩٢م ضمن سلسلة أحداث المقاومة الوطنية القبرصية للإحتلال الأجنبى . وفى المقابل حدث نوع من تعاون مع الإحتلال من قبل القسم الأكبر من الطبقات العليا القبرصية، التى حفاظاً على مصالحها تواءمت مع النظام الجديد .

---

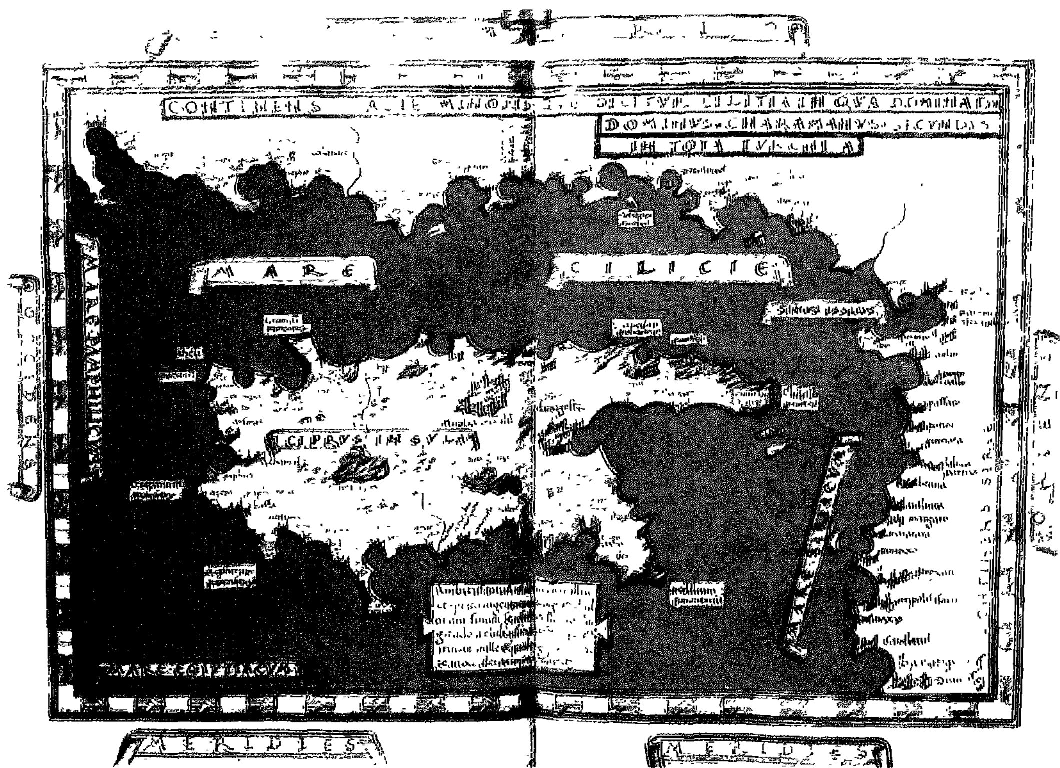
(١) [Greek] Christophidou, (Nicosia 1992) pp. 203-250 Beraud, op. cit., pp. 26-42

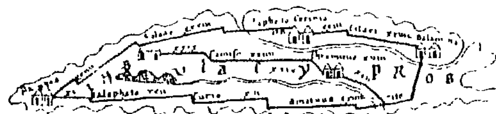
وهكذا فإن عدداً من اليونان القبارصة، الذين خدموا في البلاط الملكي اللوسينياني قد أبدعوا تراثاً من الرسائل الدبلوماسية باللغة اليونانية مع سلطان إيكونيوم Iconium (١٢١٤-١٢١٦م). هؤلاء هم الذين واصلوا التقاليد البيزنطية حيث قام نبلاء الأقاليم ببناء كنائس جديدة وتزيين القديمة. فهم الذين وفروا الأموال اللازمة لتشييد كنيسة باناغيا تو أراكوس Panagia tou Arakos في لاجوديرا Lagoudera ١١٩٢م. وفي تلك الآونة لم يكن قد بدأ بعد إضطهاد الأورثوذوكسية على نحو منظم. وكان هاج الأول Hugh I (١٢٠٥-١٢١٨م) هو الذى إحتل بعض موانئ آسيا الصغرى، وحصن القلعة البيزنطية في كيرينيا بهدف حماية شمال قبرص في مواجهة الأطماع التركية. ولقد حافظ على طرق المواصلات مع أوروبا الحليف الطبيعي لمملكته في قبرص، لمواجهة أى عصيان شعبي وطني.

وفي عهد هنرى الأول (١٢١٨-١٢٥٣م) كانت هناك بوادر للهيجان الشعبي إثر القرارات التعسفية التي إتخذتها الطبقة اللاتينية الحاكمة في قبرص ١٢٢١م و ١٢٢٢م، أى في مجمع فاماجوستا. وكانت فحوى هذه القرارات تتلخص في تقليل عدد الأسقفيات الأورثوذوكسية من ١٤ إلى ٤، أى إلى نفس عدد الأسقفيات اللاتينية التي أسست أخيراً في قبرص. وتقرر كذلك تقليص الإختصاصات القضائية للكنيسة القبرصية اليونانية. أما تقليل الأسقفيات فتم تنفيذه بعدم تعيين أسقف جديد لكل كنيسة يموت أسقفها. وإستمر الحال هكذا حتى عام ١٢٦٠م. وكان لكل تلك الإجراءات أبلغ الأثر في نفوس القبارصة اليونان المضطهدين، الذين ظلوا محافظين على صلاتهم الوثيقة بالمجمع البطريركي في نيقوسيا منذ عام ١٢٠٤م. وكان رد فعل اللاتين عنيفاً، حيث أمر رئيس أساقفتهم في كنيسة نيقوسيا، وهو يوستورج دى مونتاجي Eustorge de Montaigu بحرق ثلاثين راهباً أورثوذوكسياً في دير القنطرة بوصفهم من الهراطقة، لأنهم رفضوا قبول التعاليم اللاتينية. وقع هذا الحادث الأليم في ١٩ مايو ١٢٣١م ولم يتحرك سوى جرمانوس الثاني بطريرك القسطنطينية، الذى قدم إعتراضاً رسمياً للبابا جريجورى التاسع.

وزار قبرص عام الراهب الكبير Hesychastes العزوف عن الدنيويات جريجورى من سيناء (١٢٨٠-١٣٤٦م). وقضى القديس ساباس Sabbas الأصغر عدة سنوات من العشرينيات في القرن الرابع عشر في الجزيرة، فلاقى الترحاب من اليونان القبارصة والازدراء منه اللاتين. ولقد ساعد كل ذلك على تدعيم الأورثوذوكسية في قبرص، وقوى شوكة المجتمع اليوناني وحصّنه ضد محاولات إذابته في المجتمع الجديد الوافد على قبرص. لقد إشتدت روح المحافظة وإستمرت عدة قرون. وقامت حركات تمرد متوالية ضد، وسقط الضحايا الذين سماهم بطريرك القسطنطينية كالليستوس الأول عام ١٣٥٩م "الشهداء".

غزا المماليك قبرص عام ١٤٢٦م، وأعلنوا أنهم جاءوا ليعاقبوا القراصنة القبارصة الذين إعتدوا على أرض السلطان وممتلكاته. وقد جاء في "الإلمام" للنويرى (٩٤ ب) مايلي: (كما قيل - والله أعلم - أن بطرس، صاحب قبرص أمنه الله ، لما ولى الملك بعد هلاك أبيه ريوك، أرسل إلى السلطان الملك الناصر حسن يسأله أن يرسم له بالتوجه إلى بلد صور - بساحل الشام - ليجلس على عمود بها كعادة كل من تملك قبرص، (٩٥ أ) لأنه لا يتم له ملكها - بزعمهم - إلا بالجلوس على ذلك العمود أو مكان مختص بجلوس الملك فيه، فيتم له بذلك الملك ويصح له نفاذ حكمه في رعيته. فاحتقره السلطان، ومنعه الدخول إلى بلد صور، فكان ذلك - والله أعلم - سبباً لغزوه الاسكندرية - المرجان).





Cypern nach der Tabula Peutingeriana

شكل رقم (٥٠) . خريطتان قديمتان لقبرص الأولى تنسب إلى كلاوديوس بطلميوس الجغرافي الأشهر من مخطوط مارتيللوس جرمانوس Martelus Germanus (فلورنسة ١٤٨٠م) والثانية تعرف باسم بتنجر Peutinger وتعود للقرن الثالث عشر الميلادي.

"وقارن ٩٥ب و ٩٦ب و ٩٧ أ و ٩٨ أ و ١٠٣ب) وقد أورد ابن بطوطة والنويرى قائمة بأجناس المراكب التى هاجمت الاسكندرية فيقول النويرى (١٢٣ أ): (أتاها - يعنى الاسكندرية - مراكب حربية مجمعة من أجناس مختلفة قيل إن البنادقة أتت معه إليها فى أربعة عشر غرابا، والجنوية فى غرابين، والروادسة فى عشرة غربان، والفرنسيسيين فى خمسة غربان، والباقى من جزيرة قبرص". والمشاهد أن ابن إياس يأخذ عن صاحب "الإلمام" - أو عن آخر نقل عنه -، ونص ابن إياس يتفق وما ورد فى "الإلمام" إلا فيما يختص بعدد غربان البنادقة - المترجمان.

أما عن مدة هذه الغزوة القبرصية للاسكندرية فيقول النويرى (١١٠ م): (جاء فى "الإلمام": (١١٠أ)... وكانت مدة إقامة الفرنج من حين أتوا إلى الاسكندرية وظفروا بها إلى آخر من سافر منهم ثمانية أيام، وذلك أنهم أتوها يوم الخميس حادى عشرين المحرم سنة سبع وستين وسبعمائة وسافر آخرهم يوم الخميس الثامن والعشرين من الشهر المذكور. وكان سبب إقامتهم تلك الأيام لينظروا من البحر من يأتى من النجدة من مصر. فلما عاينوا وهم بمراكبهم العساكر أقبلت كالجراد المنتشر يقدمها الأمير الأتابكى يلبغا الخاسكى، سافروا... إلخ، (أنظر أيضاً فى رحيلهم لوحة ١٨٦أ).[1]

وكان المماليك عام ١٤٢٥م قد أخضعوا فاماجوستا وحكامها من جنوه، وهم الذين يتعاونون الآن مع المماليك فى حملتهم على قبرص كلها. أسر المماليك الكثيرين من القبارصة، بل وأسروا الملك نفسه. عندئذ ثار الفلاحون فى كل أنحاء الجزيرة ونهبوا منازل الأغنياء ومزارعهم، وعينوا قائداً لكل مدينة، وإختاروا ملكاً فى ليفكونيكو Lefkoniko هو أليكسيس Alexis، وكان يعمل فى بلاط الملك، وكان فى الأصل من سكان كاتوميليا Katomilia. فلما تولى الحكم قتل عدة نبلاء وأسس جيشاً. وقامت ثورة إنتهت بإعدامه فى نيقوسيا ١٢ مايو ١٤٢٧م.

ولقد كتب المؤرخ القبرصى ليونتيوس ماخيراس Leontios Makhaeras (حوالى ١٣٥٠-١٤٥٠م) كان أبوه على علاقة طيبة مع الأسرة اللوتينيانية وهو ومن ثم نشأ موالياً للحكم اللوسينيانى ويجيد اللغة الفرنسية وكان شاهد عيان للأحداث التى يكتب عنها. وغلبته نزعته الطبقية على حساب الحس الوطنى. ومن ثم كان لا يتعاطف مع ثورة الفلاحين ووصفهم بأنهم قرويون ذئاب. وكان متحمسا لعودة الملك المأسور لدى المماليك عندما عاد فى ١٤٢٧/٥/١٥م بعد دفع فدية كبيرة وجزية سنوية للمماليك. تبدأ تواريخ "Chronicle" ماخيراس بزيارة القديسة هيلينيا بقبرص وتنتهى بصعود جون الثانى إلى عرش قبرص ١٤٣٢م ويتركز الحديث فى هذه التواريخ بصفة خاصمة على الأعوام ١٣٥٩-١٤٣٢م[2].

كان جون الثالى (١٤٣٢-١٤٥٨م) هو ابن الملك جانوس وكان مخنثاً ولا أخلاقياً، دون أن يتعارض

---

(١) راجع عبد العزيز سالم، تاريخ الاسكندرية وحضارتها فى العصر الاسلامى. الطبعة الثانية. الاسكندرية ١٩٦٩م ص٣٠٩-٣١٨. والنويرى، صورة عن وقعة الاسكندرية... (الاسكندرية ١٩٦٩م).

(٢) R.M. Dawkins, Leontios Makhairas Recital concerning the sweet land of Cyprus entitled: Chronicle, Vol. II Oxford 1932

ذلك مع كونه ذكياً. ولكن الشئون الدينية كانت على مايرام، لأن الملكة جاءت من أصل يونانى، وهى هيلينا باليولوجينا Helena Paliaelogina (١٤٤٢-١٤٥٨م). وهى بنت كليوبا مالاتستا Cleopa Malatesta وتيودور الثانى باليولوجوس Theodore II Palaelogos سيد موريا Morea (المورة؟). وبوصفها وصية على العرش إستطاعت هيلينا باليولوجينا أن تدعم قوة الكنيسة اليونانية، وأن توقف حركة الإضطهاد ضد أتباعها، وأن تبطل "الختم القبرصى" Bulla Cypria المتبع منذ ١٢٦٠م. وأشعلت هيلينا باليولوجينا جذوة النشاط والحياة فى الكنيسة الأورثوذوكسية وأهمها دير مانجانا Mangana فى نيقوسيا وهو الدير الذى لجأ إليه رهبان القسطنطينية بعد سقوطها فى أيدى العثمانيين ١٤٥٣م. وكان على هيلينا باليولوجينا أن تواجه خصماً خطيراً، إنه المبعوث البابوى أندريا دى بيرا Andrea de Pera الدومينيكانى، الذى كان يملك حق إستخدام القوة لإرغام الأساقفة اليونان على إعلان ولائهم للكنيسة اللاتينية ويدينوا الأورثوذوكسية، وذلك تطبيقاً لقرارات المجمع الكنسى فى فلورنسه.

وكان لهيلينا باليولوجينا عدو آخر هو جاليسيوس دى مونتوليف Galesius de Montolif المرشح البابوى لرئاسة الأسقفية اللاتينية. وكانت هيلينا باليولوجينا تسعى بكل وسيلة لتعيين يونانى لهذا المنصب ونجحت فى طرد مونتوليف من قبرص عام ١٤٤٧م. وعندما ماتت فى ١٤٥٨/٤/١١م دفنت فى الدير الدومينيكانى على غير رغبتها، حيث كانت قد أوصت بدفن جثمانها فى دير مانجانا.

فى عام ١٣٨٨م تحالف جيمس الأول (١٣٨٢-١٣٩٨م) مع خمسة دول إفرنجية هى رومانيا وبيرا Pera وليسبوس وخيوس ورودس. وامتد التحالف بموجب الإتفاقية إلى عشر سنوات، وكان هدفه هو إغلاق البحر الإيجى أمام الترك العثمانيين وحصرهم فى آسيا الصغرى. ولكن هذا التحالف لم يصمد طويلاً، وهكذا إنفردت تركيا بكل دولة منها على حدة، فأخذت كل منها تصارع من أجل البقاء وقدمت الكثير من التنازلات.

وارتكب جيمس الثانى (١٤٦٤-١٤٧٣م) خطأً فادحاً بقبوله الزواج من "بنت فينيسا" أى البندقية، وتدعى أيكاترين كورنارو Aikaterine Cornaro، عام ١٤٧١م. لقد كلف هذا الخطأ القبارصة اليونان الشيئ الكثير، فبعد تقليص نفوذ جنوة فى قبرص أصبح للبندقية اليد العليا فى الجزيرة، ولاسيما بعد سقوط فاماجوستا ١٤٦٤م. ومات جيمس الثانى عام ١٤٧٣م ربما مقتولاً بسم دسه له عملاء البندقية. ثم مات إبنه الصغير جيمس الثالث ١٤٧٤م وأصبحت سلطة كاترين على الجزيرة إسمية فقط. وإعتبرت شارلوت -نصف اليونانية- نفسها ملكة على قبرص. وكانت مزاعمها تلك حبراً على ورق، وظل الأمر كذلك حتى ماتت ١٤٧٨م. وكانت قبل ذلك بعامين قد تنازلت عن ملكها لدوق سافوى. وفى عام ١٤٨٩م قررت البندقية أن تخلع قناع "الحماية" وتستبدل به قناع "الإحتلال"، فأعلنت سيادتها المباشرة على قبرص، وأرغمت كاترين أن تتنازل لأمها فهى "بنت البندقية"، وأن تترك ملكها وتنسحب وتعيش فى سلام بمنفاها الإختيارى فى أسولو Asolo، ولكنها من هناك حافظت على صلتها الحميمة بقبرص.

فمن هناك أيدت -عبثاً- إنتخاب بابا سيميون Papasymeon أسقفاً يونانياً لفاماجوستا، بدلاً من أندرياس الذى دفع رشوة كبيرة للسلطات الحاكمة وفاز بالإنتخابات. وثبت بالتجربة أن الإحتلال البندقى لم

يكن بالنسبة لقبرص أفضل من الإحتلال الإفرنجي اللوسينياني إمتد هذا الإحتلال من ١٤٨٩-١٥٧٠م، وواجه القبارصة اليونان أثنائه الكثير من المشكلات، وعانوا من شظف العيش في جزيرتهم الخصبة المهملة. فتدهورت التجارة الداخلية والخارجية والزراعة ونظم التعليم والصحة العامة، وأظلمت المراكز الثقافية التقليدية. وتناقص عدد السكان بسبب الفقر والحاجة، وإجتاحت الجزيرة أوبئة شتى في ظل إهمال الشئون الصحية، فلم يعمل بالجزيرة آنذاك سوى سبعة أطباء. هاجر الكثيرون من قبرص إلى البندقية، وجاء ذلك على نقيض ماحدث في القرنين الثالث عشر والرابع عشر، حيث كانت قبرص تجذب الكثيرين من البيزنطيين والأوروبيين، أما القبارصة اليونان الذين هاجروا إلى البندقية فقد كانوا من العمال المهرة والنابهين في مجالات شتى، ولذا برزت منهم عدة شخصيات. وبعد ١٥٧١م عاد بعضهم إلى الوطن محملاً بثمار النهضة الأيطالية من كتب وهدايا وإيقونات للكنائس والأديرة والبيوتات.

وفي تلك الأثناء أصبح التهديد التركي بالنسبة لقبرص واقعاً ملموساً ومخيفاً، وتولت البندقية أمر الدفاع عنها. وازدادت الخطورة بعد إحتلال الترك لرودس عام ١٥٢٢م. ولم يسمح البنادقة للقبارصة بالإنخراط في صفوف العسكر إلا الموالين هم Francomati، وفي عام ١٥٦٢م وصف برناردو ساجريدو Bernardo Sagredo الحالة بأن الفوضى كانت متفشية على نحو مزعج للغاية، القضاة فاسدون، ويشجعون على ظلم الطبقات الدنيا، وبلغ الأمر إلى حد أنه كان يخشى من وقوع تذمر عام. خفر السواحل كانوا من رجال الجاليات الأجنبية نهاراً ومن الموالين للاحتلال ليلاً فصاروا عبئاً لا يحتمل، لأن السلطات سمحت للكثيرين منهم بأن يشتروا مدة خدمتهم فيتحررون منها. وهو نظام يشبه "البدلية" التي كانت موجودة في مصر في القرن التاسع عشر.

وكان الميل العام للتخلص من الخدمة العسكرية يعكس اليأس المتزايد من النظام الحاكم. وبالفعل اندلع تذمر عام بالجزيرة ١٥٦٢م تزعمه جيمس دياسورينوس ديداسكالوس James Diassorinos Didaskalos، وكان مدرساً وأديباً وابن عم فويفود Voivode أو Voievode وهو من المناصب المدنية والعسكرية العليا في دول البلقان مولدافيا جيمس فاسيليكوس James Vassilikos. لقد افتتح مدرسة وعمل طبيباً في نيقوسيا، وأشعل الحماس في نفوس القبارصة لإعادة إحياء تراثهم الهيلليني القومي. وانضم إليه الكابتن ميجادوكاس Megadukas (أو Megaducus) بفرسانه الألفين. وانضم إليه كذلك بعض النبلاء من الفرنسيين المتأغرقين أو الكارهين للبندقية، وأقام دياسورينوس علاقات خفية مع العثمانيين. فلما إكتشفت مؤامرته ألقي القبض عليه في بافوس وأعدم في نيقوسيا أغسطس ١٥٦٢م، ولاقى ميجادوكاس نفس المصير وأخذت هذه الثورة كما أخذت ثورات قبرصية سابقة ضد الاحتلال. وحتى سبتمبر ١٥٦٣م كانت البندقية لا تزال مشغولة بتوابع هذه الثورة، وفي نهاية المطاف قبلت البندقية بمبدأ انخراط القبارصة اليونان في الخدمة العسكرية، فبلغ عددهم حوالي الخمسة آلاف عشية الغزو التركي.

وفي الفترة الأخيرة من الحكم البندقي في قبرص لوحظ تضاؤل دور الكنيسة اللاتينية، التي هجرها أساقفتها ومكثوا في إيطاليا وقتاً أطول مما قضوه في قبرص. وكان الأساقفة اليونان القبارصة هم الذين يقومون بالصلاة والشعائر في تلك الكنائس اللاتينية المهجورة. ولكي نفهم العلاقة بين الكنيسة اليونانية القومية والكنيسة اللاتينية في قبرص علينا أن نعود بالذاكرة إلى الوراء قليلاً. فقد كانت علامة فارقة في التاريخ

الكنسى القبرصى صدور "الختم القبرصى Bulla Cypria عن البابا ألكسندر الرابع ١٢٦٠م. وبموجبها تقرر أن ينقل قصر رئيس الأساقفة من قسطانطيا (أرسينوى - أموخوستوس) إلى سوليا Solea، حتى تكون تحت سيطرة وإدارة رئيس الأساقفة اللاتين فى نيقوسيا. وبذلك صارت أسقفية قنسطانطيا -أموخوستوس مجرد أسقفية محلية ومقراً مؤقتاً لأسقف ريزوكارباسو Rhizokarpasso، وكان انتخاب أى أسقف يونانى يخضع للموافقة والتصديق من قبل الأسقف اللاتينى فى الأبرشية، وعليه أن يقسم أمامه قسم الولاء. وواكبت هذه الاجراءات التعسفية -وغيرها- ضد الكنيسة اليونانية الحملة الصليبية السابعة (١٢٤٨-١٢٥٤م)، وكذا إقامة لويس التاسع فى قبرص وهو فى طريقه إلى شن حملته على مصر ١٢٤٨م.

وأسهم فى المعركة الدينية اللاهوتى الدومينيكانى توماس الأكوينى (١٢٢٥-١٢٧٤م) ففى رسالته "عن الملكية" (De Regno)، التى أهداها إلى الملك هاج الثانى (١٢٥٣-١٢٦٧م)، قدم له آيات الشكر والتكريم لما قدمه من خدمات للنظام الدومينيكانى فى قبرص. وكان هاج الثانى هو أول ملك لوسينيانى -إفرنجى يدفن فى كنيسة القديس دومينيك فى نيقوسيا، مما يعكس العلاقات الوثيقة بين الأسرة الملكية اللوسينيانية النظام الدومينيكانى فى ذلك الوقت. وفى مؤلفاته إحتفظ توماس الأكوينى بالفكرة التقليدية عن الحاكم المستبد المتمتع بالقدرة على ضبط النفس.

أما عن دور قبرص فى الحروب الصليبية يقول د. سعيد عاشور فى كتابه "قبرص والحروب الصليبية" مايلى: "من المعروف أن كلا من البيزنطيين والصليبيين وقف من صاحبه موقفاً يغلب عليه العداء منذ وصول الحملة الصليبية الأولى إلى الشرق. فالمتاعب والمصاعب التى لاقاها رجال تلك الحملة فى طريقهم إلى بلاد الشام عبر أراضى الدولة البيزنطية فى البلقان وآسيا الصغرى، بالإضافة إلى ماوجدوه من كره ظاهر فى القسطنطينية نفسها، كل ذلك جعلهم -كما جعل أوربا كذلك- يقولون إن الدولة البيزنطية هى السبب فى جميع المصائب والكوارث التى إبتليت بها تلك الحملة والحملات الصليبية التالية"[١]

ولا مغالاة فى القول بأن دخول قبرص دائرة الحرب الصليبية من طريق الفتح جعلها أهم ما تمخضت عنه الحملة الصليبية الثالثة من النتائج لا فى تاريخ قبرص والحروب الصليبية فحسب، بل فى تاريخ الشرق بوجه عام، فالشرق اللاتينى الذى كاد صلاح الدين يلقى به فى غياهب البحر الأبيض، كتب له أن يولد مرة أخرى وسط الأمواج المحيطة بشواطئ الجزيرة القبرصية. ذلك أن قبرص أصبحت بعد فتحها مركزاً دائماً لتموين البقايا الصليبية بالشرق، كما أصبحت محوراً لكثير من الحركات الصليبية من الشرق والغرب عدة قرون. ووضحت تلك الناحية للصليبيين أثناء حصار عكا (سنة ١١٩٠-١١٩١م)، أى قبل إتمام فتح قبرص، إذ ألفوها موئلا قريبا وواسطة للإتصال بينهم وبين الغرب. ولا عجب بعد ذلك إذ فرح الصليبيون أيما فرح بإستيلاء ريتشارد قلب الأسد على قبرص، لأنها صارت "قوة للفرنج". ومصداق ذلك كله وصف السرور الذى شمل الصليبيين عندما وصل ريتشارد إلى عكا بفضل إستيلائه على قبرص.

---

[١] سعيد عبد الفتاح عاشور، قبرص والحروب الصليبية، ص٢١.

أما أهمية ذلك فى تاريخ قبرص نفسها فهو أن الجزيرة لم تدخل دائرة الحروب الصليبية فحسب، بل دخلت دائرة الحياة السياسية الغربية كذلك. على أن الأمر بدأ هنا بنقمة مشوبة، إذ باتت الجزيرة تحت إقطاعية لاتينية كاثوليكية، وهذه جعلت كل همها إشباع مصالحها الخاصة، على حين ظل عامة القبارصة من اليونان يعتبرون هؤلاء الحكام غرباء عنهم دخلاء بينهم. وأما أهمية فتح قبرص للملك ريتشارد، فالواضح أولا أنه لم يقدم على تلك العملية الحربية الباهظة تحقيقاً لجزء من برنامجه الصليبى، وإنما هى الظروف والملابسات التى شاءت أن يكون له الفضل فى إسداء تلك الخدمة للصليبيين عامة ولمملكة بيت المقدس الصليبية خاصة[١] .

منذ بداية المسيحية وحتى الحروب الصليبية لعبت قبرص دوراً مهماً على طريق الحج إلى الأراضى المقدسة. فكانت هى نقطة الإنطلاق كما كانت الملجأ للمضطهدين والمطرودين من آسيا وأفريقيا. وعشية الحملة الصليبية الأولى عام ١٠٩٧م هرب إلى قبرص بطريرك الأرثوذكس فى بيت المقدس سيمون وقساوسته وكهنته. ومن قبرص أرسلوا المساعدات والمؤن للصليبيين عبر أنطاكية. فلما تبين لهم أن هذه المساعدات غير كافية، ولاسيما عندما إنتشرت المجاعة بين الصليبيين إنتقل تاتيكيوس Taticius ممثل الامبراطور أليكسيس الأول كومينوس Alexis I.Commenus إلى قبرص عام ١٠٩٨م ليشرف بنفسه على تنظيم عمليات التموين والإبرار على نحو أكفأ من ذى قبل، ولاسيما بالنسبة لأولئك الذين كانوا يحاصرون أنطاكية.

وفى نفس الوقت تقريباً سلمت اللاذقية Lattakia –أقصى ميناء بيزنطى إلى الجنوب– لروبرت النورماندى، ليتولى حكمها نيابة عن الامبراطور أليكسيس الأول. ولكنه كان مستبداً وطاغية لايطاق، فطرده الأهالى وإستدعوا حامية بيزنطية من قبرص. وكان لسيطرة بيزنطة على قبرص عام ١٠٩٨م الفضل فى أنها لعبت دوراً فى الحروب الصليبية. وفى الواقع فإن القبارصة تحت الحكم اللاتينى، وفى غضون الحملات الصليبية أستطاعوا أن يطوروا علاقات جوار طيبة مع جيرانهم المسلمين، تقوم على أساس برجماتى. أى تبادل المنافع فى حين لم ينجحوا تماماً فى ذلك مع المحتلين اللاتين القادمين من العالم الغربى المسيحى، والذين كان لطموحاتهم الطائشة أثر بالغ السوء بالنسبة للحروب الصليبية من جهة، وبالنسبة للقبارصة من جهة أخرى. حيث تسببوا فى مصائب جمة، فلقد إنتهت الحملة الصليبية الرابعة بنتائج وخيمة العواقب على الأراضى المقدسة وقبرص. كانت القسطنطينية أضعف من أن تحمى سوريا أو تنقذ فلسطين وقبرص. وبموت أماريلك ١٢٠٥م ضاعت بيت المقدس، وأنهالت على قبرص أمواج متتالية من أهل الأراضى المقدسة وأرمينيا وأنطاكية وعكا وغيرها ممن شردتهم الحرب.

وفى الحملة الصليبية الخامسة ١٢١٨م كانت قبرص هى نقطة التجمع. وكان ملكها هاج الأول على وشك الإشتراك فى الحملة، لو لم يختطفه الموت فى ١٠ يناير ١٢١٨م. ولكن قبرص هى التى وفرت المؤن والإمدادات للسفن. وكانت مصر طوال الحروب الصليبية هى مفتاح الأمان بالنسبة لبيت المقدس والقسطنطينية وقبرص. وفى عام ١٢٢٠م أغرقت القوات المصرية وأسرت كل السفن الصليبية بالقرب من ليماسول. وفى عام ١٢٤٨م وصل لويس التاسع مع كوكبة من أمراء فرنسا إلى مصر عبر قبرص. إذ كانت قبرص هى نقطة

---

(١) نفس المرجع، فى أماكن متفرقة.

الإنطلاق فى حملته الصليبية على مصر، وكان يستهدف التضليل والتمويه على خطوته القادمة بعد تمركزه فى قبرص. وهناك إستقبل لويس التاسع وفوداً من معظم الدول المجاورة، بما فى ذلك مبعوث زعيم منغوليا الذى جاء برسالة فحواها أنه يعتبر لويس التاسع واحداً من أتباعه!

يعالج د. جوزيف نسيم يوسف هذه الحملة فى كتابه *"العدوان الصليبى على مصر. هزيمة لويس التاسع فى المنصورة وفارسكور"* وجاء فيه:

"عندما وصل الصليبيون قبرص شعروا بأنهم فى ديارهم مع بنى عشيرتهم، وبأنهم ليسوا غرباء فى هذه الجزيرة، التى كانت وقتئذ تحت حكم أسرة لوسنيان اللاتينية المسيحية، فكانت من ثم دولة صديقة لهم. وقد تلقى هنرى الأول لوسنيان ملك الجزيرة لويس التاسع ورجاله بالترحاب فى عاصمة ملكه الأفقوسية Nicosia، وشاركه شعبه والموارنة، وممثلو الداوية والأسبتارية الذين كانوا بالجزيرة فى الترحيب بالجيش الصليبى والملك الفرنسى.

إطمأنت الحملة الفرنسية للإقامة فى قبرص، وأمضت زهاء ثمانية أشهر بها (سبتمبر ١٢٤٨- مايو ١٢٤٩م) قبل تحركها صوب الديار المصرية. وقد أمدتنا الأصول الغربية بمعلومات متفرقة حول هذه الفترة الطويلة التى أمضاها الصليبيون بالجزيرة. ولعل أهم حادثة وقعت خلالها هى تلك التى إنفرد بذكرها المؤرخ الغربى المعاصر غليوم دى نانجى؛ إذ ذكر أن الصليبيين ألقوا القبض على بعض الأشخاص كان قد أرسلهم سلطان مصر الصالح أيوب لدس السم للويس التاسع وقواد جيشه حتى يتخلص منهم. وإن عدم تعرض باقى مراجع الحملة، شرقية كانت أم غربية، إلى هذه الحادثة الخطيرة يدفعنا إلى الشك فى صحتها. ولو كانت هذه المؤامرة قد دبرت فعلا، لوجدنا الصليبيين الذين إشتركوا فى الحملة وكتبوا عنها، أمثال جوانفيل وجوفروا دى بلييه والملك لويس نفسه، يبالغون فى وصفها ويهولون من أمرها.

وفى فترة إقامة لويس التاسع بقبرص، وفدت إليه هناك أيضا الامبراطورة مارى زوجة بلدوين الثانى إمبراطور القسطنطينية اللاتينى، وابنة جان دى برين صاحب عكا والملك الأسمى لبيت المقدس، فى طلب العون منه ومن كبار الصليبيين لإقرار مركز زوجها المزعزع فى عاصمة ملكه. ولكنها لم تلق إلا عطفا ووعودا خلابة لم تلبث أن ذهبت أدراج الرياح بعد مغادرتها الجزيرة. ولقد لبثت الحملة الصليبية فى قبرص قرابة ثمانية أشهر على الرغم من رغبة الملك الفرنسى فى التقدم السريع إلى مصر، وذلك نزولا على نصيحة البارونات والقواد بالإنتظار ريثما يلحق به بقية الجيش الذى لم يصل إلى الجزيرة بعد. فإستقر الرأى على تمضية فصل الشتاء فيها وأن تبدأ العمليات الحربية فى الربيع القادم. والواقع أن هذه المدة الطويلة التى قضاها الفرنج فى الجزيرة دون القيام بأى عمل مجد نافع، قد أضرت بالحملة أكثر مما أفادتها"[1]

وشهد حكم هاج الثالث (١٢٦٧-١٢٨٤م) وجون الثانى (١٢٨٤-١٢٨٥م) وهنرى الثانى -المصاب بالصرع- (١٢٨٥-١٣٢٤م) سقوط ممالك سوريا الإفرنجية، وكذا سقوط أهم حصونها وقلاعها ومراكزها التجارية فى أيدى المصريين، فسقطت اللاذقية (١٢٨٧م) وطرابلس (١٢٨٩م) وأخيراً عكا

---

[1] سعيد عبد الفتاح عاشور، الحركة الصليبية، صفحة مشرقة فى تاريخ الجهاد الإسلامى فى العصور الوسطى، جزآن، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الرابعة ١٩٨٦. الجزء الثانى، ص ٨٣١، ومايليها.

١٢٩١م. ومن المفارقات أن صور عام ١٢٨٥م كانت قد شهدت إحتفالات ومهرجانات لمدة أسبوعين بمناسبة تتويج هنرى الثانى ملكاً على بيت المقدس، وقد أسرع لنجدة عكا قبل الهجوم الأخير فى ١٢٩١/٥/١٨م. فلما سقطت عكا إندفعت أمواج جديدة من اللاجئين السوريين واللاتين المهزومين إلى قبرص، التى أصبحت جزيرة مسيحية منعزلة فى بحر الإسلام.

منذ القرن الرابع عشر فصاعداً صار التأثير القبرصى اليونانى على القبارصة اللاتين أقوى وأظهر، ولاسيما بعد أن التف القبارصة اليونان حول كنيستهم يدعمونها بكل الوسائل. فبنوا كاتدرائيات ضخمة وفخمة مثل كاتدرائية سانت جورج فى أموخوستوس -فاماجوستا التى ألحقت بالكاتدرائية الأصغر كاتدرائية سانت سيميون. حدث ذلك فيما بين ١٣٦٠ و ١٣٧٠م. وفى عهد الأسقف يوأنيس مانتزاس Johannes Mantzas بنيت كاتدرائية سانت جورج فى مواجهة الكنيسة اللاتينية سانت بيتر وسانت بول، اللتان بنيتا فيما بين ١٣٥٩ و ١٣٦٩م. ومع ذلك كانت نيقوسيا -عاصمة الدولة وعاصمة الكنيسة اللاتينية- فى صعود مستمر على حساب المدن الأخرى. إن العبارات القاسية التى إستخدمها رئيس الأساقفة اللاتين فى قبرص فيليب دى شامبرلاك Philippe de Chambarlhac عام ١٣٥٠م ضد الزواج المختلط فى الجزيرة يدل على تزايد إقتراب اللاتين من المجتمع القبرصى اليونانى، وهو ما كان يمكن أن يؤدى إلى "هلّنة" اللاتين أى تحويلهم إلى الثقافة الهيللينية والكنسية الأورثوذوكسية. ويمكن القول إنه عند نهاية القرن الرابع عشر الميلادى كانت الأفكار اللاهوتية اللاتينية على وشك التقهقر. وبدأت نزعة نحو مناصرة جريجورى بالاماس Gregory Palamas الراهب، وظهر ذلك فى الفكر والأدب. أما غالبية القبارصة منذ منتصف القرن الرابع عشر فقد كانوا يناهضون بالاماس ويتزعمهم جيورجيوس لابيثيس Georgius Lapithes المولود فى لابيثو الحكيم والمثقف ثقافة واسعة وعريضة، وناظم الأشعار الأخلاقية، ومؤلف المقالات الفلسفية وكتابات فلكية ودينية تتكئ على نماذج لاتينية. ومع ذلك أخذت بآرائه وكتاباته الكنيسة البيزنطية فى القنسطنطينية، وصارت من موادها الثقافية ومخزونها الفكرى حتى عام ١٥٧٦م. ومن أهم مناهضى الفكر الرهبانى رئيس أساقفة سالونيكا ذو الأصول القبرصية، والذى جمع حوله دائرة من المريدين القبارصة ونعنى هياكينثوس Hyacinthus (١٣٤٥-١٣٤٦م). وكان لابيثيس من أصدقاء الملك هاج الرابع (١٣٢٤-١٣٥٨م)[1].

حدث تقارب يونانى -لاتينى إذن فى قبرص إبان أواسط القرن الرابع عشر، مما أدى إلى التقارب مع بيزنطة. وكانت النتيجة أنهم إستولوا على أزمير مؤقتاً، ولكنهم لم يتمكنوا من وقف الزحف التركى. وإستمر التقارب اليونانى - اللاتينى فى الجزيرة إبان حكم بيتر الأول (١٣٥٨-١٣٦٩م)، الذى قام بحملات صليبية ضد الأتراك والمماليك. وفى نهاية المطاف قتل على يد عصابة من أتباعه. ولاقت عشيقته جوانا لاأليماند Joanna L' Allemand الويل بعد موته، ومن ثم نشأت الأغانى الشعبية القبرصية المعروفة بإسم أرودافنوسّا Arodaphnoussa التى نظمت على منوال فنون الأدب الشعبى اللاتينى. وهكذا انعكس التقارب اليونانى- اللاتينى القبرصى فى الفنون الشعبية. كما يظهر فى أغنية "مائة كلمة فى الحب" (Hekatologa) وغيرها. وفى نفس الوقت

---

(١) [Greek] Chrysanthou K., pp. 40-42.

شقت أغانى التروبادور طريقها من أوروبا إلى قبرص وتواءمت مع متطلبات الحياة فى سياق يونانى. ومن الجدير بالذكر أن أغانى التروبادور -كما تدل أحدث الدراسات- من أصل عربى شرقى عبر الأندلس. ومن هنا يمكن فهم السر فى شيوعها بقبرص الأقرب إلى العرب والشرق، وشاعت أغانى رعوية مثل "أغنية المعزة الحمراء" و"أغانى الحداد" Moirologia والتى تحمل سمات شبه واضحة مع الأغنية اللاتينية Erotokrito وآلام المسيح البروفينسالية. المهم أن هناك إختلاطاً ملموساً بين بيزنطة واللاتين والتراث العربى فى قبرص مما يحتاج إلى مزيد من البحث والدرس[1]

(١) [Greek] Hatzedemetriou, pp. 163-223.

[Greek] Hatzioannou, Mesaionike, pp. 358 ff, 366-369.

A. Nicolaou, La Chanson d' Arodaphnoussa des origines franques à la tradition populaire actuelle. Memoire de Maitrise Montpellier 1981-1982.

وعن اللغات واللهجات المستخدمة فى قبرص إبان العصور الوسطى وكذا عن تزاوج اللغة المحلية مع اللغات الوافدة أنظر نفس المرجع السابق ص ١٤١ وما يليها وقارن:

Beraud, op. cit. pp. 27-92. Stephano Lusignan, Description de toute l' isle de Chypre. Bologne 1580.

البـــاب الثالث

الإحتلال العثمانى (١٥٧٠ - ١٨٧٨م)

“Συμφωνως με τους λοιπους αδελφους ημων ελληνας, θελομεν προσπαθησει δια την ελευθεριαν της ειρηνικης ημων παλαι μεν μακαριας ηδη δε τρισαθλιας νησου Κυπρου“

"بالنسبة لإخواننا اليونان الآخرين نريد العون فى سبيل تحرير جزيرتنا المسالمة قبرص، المباركـة والبائسـة أيضـاً" (اعـلان ٧ ديسـمبر ١٨٢١ بتوقيـع سبيريدون من تريميثوس ويوأنيكيوس كيبريانوس)

١- العثمانيون أشد قسوة من اللاتين

يقول الدكتور جلال يحيى فى كتابه "*العالم الاسلامى الحديث والمعاصر*" عن الغزو العثمانى لقبرص:

"أرسلت الدولة العثمانية مندوبا إلى البندقية، يطلب إليها تسليم قبرص، إستناداً إلى الحقوق التاريخية، وذلك فى ٢٧ مارس ١٥٧٠؛ ولكن مجلس شيوخ الجمهورية رفض الطلب العثمانى، وقررت البندقية أن تحارب، وإتصلت بملك إسبانيا، حتى يساعدها فى هذه الحرب. وأخذت فى إعداد وأسطر لها وفى تسليحه، كما أرسلت قوة عسكرية، من بضعة آلاف جندى، لتدعيم الدفاع عن قبرص. وظهر الأسطول الإسبانى، بقيادة أندريا دوريا، فى شهر أبريل ١٥٧٠، عند نابولى؛ ولكنه كان يخشى من تحركات العلج على، الذى كان أسطوله قد إستولى على بنزرت، وقام بتحصينها؛ وكان يرغب فى أن ينال من هذا الأسطول، أو يؤمن على الأقل أمر الدفاع عن القواعد الإسبانية فى وسط البحر المتوسط. وفى ذلك الوقت، وافقت إسبانيا على طلب البابا والبنادقة، بالإشتراك فى عملية محاولة إنقاذ قبرص.

ولقد نزلت القوات العثمانية فى جزيرة قبرص فى شهر يوليو. وفى ٩ سبتمبر سقطت نيقوسيا عاصمتها فى أيدى العثمانيين. وظلت فماجوستا وحدها، وكانت أفضل تحصينا، فى أيدى البنادقة، وكانت بها قوات أكبر، يمكنها أن تقاوم لفترة من الوقت.

وشعرت البندقية بأنها قد أصبحت مهددة بفقد قبرص، وبأن تفقد بالتالى منتجات هذه الجزيرة من القطن والسكر. فطرحت فكرة ضرورة إنقاذ الجزيرة، ولقد رفض فيليب الثانى، فى أول الأمر، إمكانية إشتراك إسبانيا فى هذه العملية؛ وكانت العمليات تسير ضد ثورة الموريسكيين، وتحرم إسبانيا من التفكير فى العمل شرقى البحر المتوسط. ولكن البابا بيوس الخامس إنتهز هذه الفرصة من أجل الدعاية للعالم المسيحى، وضد الخطر الإسلامى، والذى ينتشر فى كل مكان. فوافق فيليب الثانى على الإشتراك فى عملية محاولة إنقاذ قبرص.

ولقد وصل أندريا دوريا ومعه ٥١ سفينة، وبعض سفن البابوية إلى الساحل الشمالى فى جزيرة كريت، فى منتصف شهر سبتمبر ١٥٧٠. وكان ميناء سودا لا يصلح كقاعدة للعمليات؛ ولكن أسطول البندقية كان ينتظر هناك. ثم تقدم الأسطول المشترك شرقاً؛ ولكنه خشى من وقوع مواجهة مع الأسطول العثمانى؛ فإتجه إلى رودس، حتى يبعد الأسطول العثمانى عن قبرص. وكان الأسطول المشترك قوة ضخمة؛ فكان يضم ١٩٠ سفينة حربية، خلاف سفن النقل، ويحمل ١٠٢٠٠ مدفع و ١٦٠٠٠٠ جندى؛ وكان فى وسعه أن يدخل فى معركة. ولكن يبدو أنه كانت هناك خلافات بين القادة. وعلى أى حال فلقد بلغهم أمر الإستيلاء على نيقوسيا، وسيطرة العثمانيين على الجزيرة، فيما عدا مدينة فماجوستا؛ فقرر قادة الأرمادا العودة إلى بلادهم. وكان فصل الخريف قد بدأ فى الظهور، وأصبح البحر غير مأمون. وهكذا تم للدولة العثمانية أمر الإستيلاء على قبرص[1].

---

[1] جلال يحى، العالم الاسلامى الحديث والمعاصر، المكتب الجامعى الحديث، الاسكندرية ١٩٨٢، ص٤٢٩ - ٤٣٠.=

أنعش التدخل العثمانى التركى فى تمرد دياسورينوس -الذى سلف ذكره- الأطماع القديمة فى الجزيرة. ووجد العثمانيون بين القبارصة اليونان عدداً لا بأس به على أتم الإستعداد للتحالف معهم ضد الإحتلال اللاتينى الغاشم، والذى يئن تحت نيره القبارصة. وظهر ذلك فى عدة مناسبات ١٤٦٨/١٤٦٩، ١٤٨٨، ١٥٦٦، ١٥٦٩م. وجاء الضغط العسكرى العثمانى ١٤٨٨م ومايليها بالآمال فى الأفق بالنسبة للقبارصة اليونان الذين كانوا على هامش الحياة (paroikoi) لكى يتحرروا وإضطر البنادقة إلى تخفيض مدة "السخرة" إلى يومين أسبوعياً. وفى أعوام ١٥٦١-١٥٦٦م و ١٥٦٩م ذهبت وفود قبرصية يونانية إلى القسطنطينية ليتناقشوا مع الأتراك فى إمكانية إرسال حملة تركية على قبرص. لقد كان القبارصة اليونان يتطلعون إلى نظام حكم أكثر تسامحاً وأخف وطأة على السكان بحيث يخلصهم من حالة الإستعباد التى فرضها عليهم الإحتلال اللاتينى.

كان الشعب القبرصى اليونانى قد بلغ به السخط على المحتل اللاتينى الذروة من شدة الإستغلال والفساد. وكان من بينهم حوالى خمسون ألف "عبد" على أهبة الإستعداد لمؤازرة الحملة التركية المرتقبة. هكذا كانت الأرض ممهدة للغزو التركى من حيث الجهة الداخلية القبرصية. أما الجبهة الخارجية أى القوى المسيحية المهتمة بقبرص مثل سافوى وأسبانيا والبندقية .... الخ فلقد عملت تركيا على زرع الفرقة فيما بينها. وزاد الطين بلة أن السلطات الحاكمة فى قبرص وقعت فى تناقضات وخلافات شتى. إذ أعطت السلطة الحاكمة أمراً للمديرين المحليين بتحرير العبيد، ولكن الأمر لم ينفذ. وإذا كان القبارصة اليونان قد ساعدوا البنادقة فى الدفاع عن نيقوسيا وفاماجوستا، فإن ذلك قد تم دون حماس وبالتالى دون نتائج ملموسة إلا فى حالات فردية بطولية. وهكذا لم يبق أمام القبارصة اليونان سوى الترحيب بالغزاة الجدد الأتراك. فقدموا لهم المؤن والمعلومات الغزيرة حول أحوال الجزيرة. وسقطت نيقوسيا يوم ٩ سبتمبر ١٥٧٠م فى يد لالا مصطفى باشا، وإستسلمت له القوات الجبلية وعددها خمس وعشرون ألفاً، وسمح لهم بالإحتفاظ بممتلكاتهم الإفرنج، بل وبالخدمة فى سلاح الفرسان التركى Sipahis. وأخذت الطبقة العليا من الفرانكيين والبنادقة يغرون السكان بالإستسلام سلمياً وأسلم عدد كبير من النبلاء.[١] ثم إستسلمت فاماجوستا فى ١٥٧١/٨/١م.

= وقارن كولز (بدل)،- ترجمة عبد الرحمن عبدالله الشيخ، العثمانيون فى أوروبا. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣ ص٨٩ ومايليها. ويقول المؤلف عن الصراع بين العثمانيين والأوروبيين حول السيطرة على البحر المتوسط ودور قبرص فى ذلك "فقد اندلعت الحرب بإستيلاء العثمانيين على قبرص من البنادقة فى سنة ١٥٧٠. إذ فى العام التالى قاد دون جوان صاحب النمسا أسطولاً مسيحياً موحداً أوقع الهزيمة بقوة عثمانية كانت أكبر من تلك التى لاقت الهزيمة فى ليبانتو، وكانت هذه الهزيمة العثمانية بالقرب من فم خليج كورنثة، إلا أن العثمانيين إحتفظوا بقبرص، وأعادوا بناء أسطولهم بسرعة، وأجبروا البندقية على الإنسحاب من الحلف المقدس فى سنة ١٥٧٣ وفتحوا تونس ١٥٧٤". ثم يضيف قوله "وعلى أية حال فبعد سنة ١٥٧٠ (الاستيلاء على قبرص) بدأ مسرح البحر المتوسط يتوارى فى خلفية التاريخ، كما حدث لمسرح البلقان" (ص٩٥)

Jacque Charles- Gaffiot, La France aux pottes de l'Orient. Chypre XII eme- XV eme J.Charles- Gaffiot. Centre Culturel du siecle. Ouvrages collectives sous la direction de Pantheon. Paris 1991.

Beraud, op. cit., pp. 93-128.

وفور سقوط نيقوسيا إتخذ الأتراك إجراءً فورياً يستهدف إسترضاء "الرعية" ، وتمثل هذا الإجراء فى إعفاء الجزيرة من دفع "الجزية" لعام ١٥٧٠م ، وتدخلت الطبقات العليا من اللاتين واللاتين المتأغرقين على حساب الطبقات الدنيا ، وإستطاع علية القوم فى قبرص أن ينفذوا إلى داخل دوائر نظام الحكم الجديد، لكى يقطفوا ثمار أى تجديد بتحويله لصالحهم دون عامة الشعب ، كان المتعاونون مع الأتراك من الذين أسلموا أو الذين ظلوا على المسيحية، وتقلدوا أعلى المناصب الادارية وحاولوا السيطرة على الكنيسة الأورثوذوكسية اليونانية ،

وكان نظام الضرائب العثماني يعد "تقدمياً" بمقاييس عصره ، إعتبرت الأراضى ملكية عامة "ميرى"، وكان بوسع الفلاحين القبارصة أن يتملكوها ويورثوها لأبنائهم، بشرط أن يدفعوا فى البداية مبلغاً من المال "الرسم"، بالإضافة إلى إيجار سنوى ، وهكذا تحول القبارصة إلى مستأجرين للأراضى، فهى ليست فى ملكية أحد منهم بالمعنى الحقيقى للكلمة ، ومع هذا الإجحاف فإن النظام العثمانى كان فى البداية أفضل بكثير من إستغلال اللاتين، الذين كانوا قد حولوا الفلاحين إلى "عبيد" أو "عمال سخرة" ، فجاء النظام العثمانى فحررهم، وسمح لهم بالإنتقال من مكان إلى آخر، ومن الريف إلى المدن ، بيد أن النظام العثمانى الجديد فرض على القبارصة "الخدمة الإجبارية" أو "السخرة" لمدة يوم واحد في الأسبوع للعمل فى مصانع تكرير السكر الحكومية ، ولكن هذه الخدمة الإجبارية ألغيت في نهاية القرن السادس عشر مع تدهور صناعة السكر ، وحل القطن محل قصب السكر إذ كان محصولاً زراعياً رئيسياً كان يصدر إلى أوروبا ، وإنتشر الربا فى قبرص، لأن الفلاحين الذين كان عليهم أن يدفعوا "الجزية" و "الخراج" وغيرها من الرسوم والضرائب، لجأوا إلى المرابين طلباً للقروض بفوائد عالية ، ولكن العثمانيين أعفوا المسنين والمعاقين والنساء والأطفال من الجزية التى كانت تتراوح بين مائة وحدة نقدية تركية akchas للأثرياء وثمانين للطبقة الوسطى وستين لمن هم دون المتوسط ،

صفوة القول إن حال العامة فى قبرص لم تتحسن كثيراً في ظل الحكم العثمانى كما توقع أهالى وكما ظهر فى البداية ، وكان شاغلوا المناصب العسكرية من الفرسان وغيرهم يعملون فى جباية الضرائب والشئون الإدارية الأخرى لصالح المالك العام للأراضى وهى الحكومة العثمانية ، كان هؤلاء من المتعاونين مع المحتل العثمانى سواء أكانوا من القبارصة اليونان أو اللاتين وسواء أسلموا، أو إحتفظوا بدينهم الأقدم المسيحية ، المهم أنهم لم يتخلوا عن جشعهم الموروث وطموحاتهم الشرهة على حساب مصلحة الوطن العليا ، وهذا هو الحال بالنسبة لمعظم الأوطان التى تعرضت للإحتلال الأجنبى مثل مصر وسائر البلدان العربية ودول العالم الثالث كافة ،

حدد "فرمان عثمان" الصادر فى أكتوبر ١٥٧١م وضع طبقة النبلاء اللاتين، وقد صدر بعد زيارة وفد من فاماجوستا للقسطنطينية ، وبموجب هذا الفرمان صار من غير المسموح به إقامة أى مسيحى لاتينى فى قبرص، وحرم عليهم كذلك إمتلاك كنيسة، ولا حتى بيت أو مزرعة ، ولم يعد أمام اللاتين سوى الإختيار بين الأورثوذوكسية والإسلام الديانتين المسموح بهما فى قبرص ، وبعد أن عقد العثمانيون معاهدة سلام مع البنادقة سمح للمسيحيين اللاتين بوجود ما فى الجزيرة، ولاسيما أولئك المنحدرين من أصول بندقية ، وكان لهؤلاء الذين أقاموا فى قبرص صلات وثيقة بالأورثوذوكسية، وشاركوا فى بعض حركات التمرد المحبطة

تباعاً، ولكن هذه المشاركة ذهبت سدى، وبالمثل كان الأمل في كسب التأييد الأوروبي الغربي لصالح قبرص سراباً، وتستوى في ذلك سافوى والبندقية وفرنسا وأسبانيا، وعلى هذا النحو صار الحال في الفترة من ١٥٧٢-١٦٦٨م.

ولقد توالت حركات التمرد القبرصية اليونانية ضد الإحتلال التركي، ويسجل التاريخ هذه الأعوام التي حدثت بها تلك الأحداث التصادمية العنيفة مع الأتراك، ١٥٧٢، ١٥٧٣، ١٥٧٥، ١٥٧٨، ١٥٨٠-١٥٨١، ١٥٩٠، ١٦٠٠، ١٦٠٦، ١٦٠٩، ١٦١٣، ١٦٣٢، ١٦٦٨-١٦٦٩م، وسنتناول بعض هذه الثورات في عجالة، ففي عام ١٦٠٦م تزعم بدروس أفينتانيوس Pedros Aventanius حركة تمرد، وفيما بين ١٦٠٩ و ١٦٢٦م قاد فيتوريوس زيبيتوس Vittorios Zebetos حركة أخرى، وكانت هذه الحركات الثورية تقوم على أساس أن الغرب الأوروبي سيمد لها يد العون، ولكن هذا الأمل كان سراباً أو كما قال أفينتانيوس:

"إن الأتراك الذين عاشوا في هذه المنطقة (قبرص) هم مرتدون (يعني عن المسيحية)، وخائنون renegades لهذا الوطن نفسه، ولا يسمحون عن طيب خاطر بدخول آخرين (مسلمين) قادمين من الخارج".

وفي نفس المعنى يقول داندينى Dandini (١٥٩٦-١٥٩٧م) "هناك إثنا عشر ألفاً أو ثلاثة عشر ألفاً من هؤلاء الأتراك في كل الجزيرة، ومعظمهم من المرتدين الذين تحولوا للإسلام طمعاً في راحة البال أو الهدوء، ومن ثم فليس من الصعب حماية الجزيرة من طغيان الأتراك وإعادة تأسيس المسيحية، لأن هؤلاء المرتدين ما أن يروا جيشاً مسيحياً حتى يسرعوا بخلع العمامة وإرتداء القبعة، وسوف يوجهون على الفور سلاحهم ضد الأتراك".

ومن هذا الصنف نذكر إسمين شهيرين هما ميمى Memi ومصطفى، ولكن هناك صنف آخر هو أولئك اللاتين الذين بقوا في الجزيرة وتقلدوا أعلى المناصب في السلطة التركية، لأنهم كانوا عملاء لهم، ومنهم نذكر كلاوديو كيكيني Claudio Cecchini، لقد إنضم هو وميمى ومصطفى وغيرهم من النبلاء العملاء إلى صفوف سلطة الإحتلال حرصاً على مواصلة تمتعهم بإمتيازاتهم القديمة، أو سعياً إلى كسب إمتيازات جديدة أو الإثنين معاً، بعضهم أسلم، وبعضهم الآخر ظل على المسيحية، المهم أن كثيرين منهم إتصلوا سراً بزعماء الكنيسة اليونانية القبرصية وبدوق سافوى في محاولة لإزاحة الإحتلال التركي عام ١٦٠٠م. ومن مظاهر المقاومة القبرصية أيضاً أن المواطنين اليونانيين كانوا يخفون المناجم وكافة الموارد الطبيعية إدخاراً لها لما بعد التحرير.

في سبتمبر ١٥٧١ كانت الحامية المكلفة بالدفاع عن قبرص لا تزيد عن ١٥٠٠-٢٠٠٠م من الفرسان، ومثلهم من الإنكشارية (المشاة)، بعبارة أخرى فإن الحامية كانت من حيث العدد تتراوح بين ٣٠٠٠ و ٤٠٠٠ رجل، أقام معظمهم في المدن الكبرى مثل نيقوسيا وفاماجوستا وبافوس وليماسول وكيرينيا، لكن قلة منهم أقامت في القرى، وكانت مرتباتهم تدفع من موارد الجزيرة، وقد جاء في كتاب

ستيفانو لوسينيانو (النسخة الفرنسية ١٥٨٠م ص٢٦٢) أن الأتراك الغزاة تركوا في الجزيرة ألفين من الفرسان بخيولهم ومثلهم من المشاة، ليعمروا الجزيرة المهجورة (deserata)٠

وكما أسلفنا إستقبل القبارصة اليونان جنود الحملة التركية على أنهم المحررون للجزيرة من الإحتلال الغاشم وحكم البنادقة الظالم٠ وبالفعل حرر الأتراك سكان الجزيرة من الإقطاع اللاتيني العفن، وأسسوا حكماً إستغلالياً وإستبدادياً من نوع جديد٠ وينطبق على القبارصة القول بأنهم كالمستجيرين من النار بالرمضاء٠ إحتوى الإحتلال التركي الطبقة الحاكمة في العصر اللاتيني وترك لها التمتع بإمتيازاتها القديمة٠ وكان عدد السكان عشية الغزو التركي ١٥٧٠م حوالي ١٧٩ ألف نسمة، ولكنهم تعرضوا للإستنزاف والنضوب على نحو مطرد٠ ولعلاج قلة عدد السكان صدرت ست فرمانات في الفترة من ١٥٧٧/٤/٩-١٥٧٧/٨/٢٢م٠ متلتها فرمانات أخرى في ١٩٨١/١/٥٠ وكلها تستهدف تهجير الأتراك إلى قبرص ولاسيما من الأناضول٠ وفي بعض الحالات كان التهجير إلى قبرص بمثابة نفي للمغضوب عليهم من الأتراك، لأنهم لم يرغبوا في ذلك ولم يقدموا عليه طواعية٠ وحتى عام ١٥٨١م لم يتعد عدد المهجرين بضعة آلاف من المسلمين والمسيحيين الأتراك على حد سواء٠ ومعظمهم من الفلاحين والحرفيين، وإندمج المسيحيون منهم في المجتمع اليوناني القبرصي٠ أما المسلمون القادمون من آسيا الصغرى فتراوح عددهم بين ثمانية وإثنى عشر ألفاً٠ وبالرغم من أنهم تمتعوا بإمتيازات أفضل وأكثر مما ناله المسيحيون القادمون من آسيا الصغرى، إلا أنهم جميعاً إنضموا إلى سائر "الرعية" أي الطبقة العاملة والمنتجة دافعة الضرائب٠ وفي ١٥٧٣/١٥٧٤م صدر فرمان يسمح للفلاحين القبارصة بشراء مافقدوه من ممتلكاتهم الزراعية إبان الغزو التركي (يونية ١٥٧٠- أغسطس ١٥٧١م)٠ وصدر فرمان آخر في أكتوبر ١٥٧١م يعيد لليونان القبارصة كنائسهم وأديرتهم، مما أنعش الحياة الكنسية الأورثوذوكسية منذ عام ١٥٨٥م٠

بعد الغزو مباشرة أعلن الكثيرون من مسيحي قبرص التحول للإسلام، ربما هرباً من الضرائب وطمعاً في الإمتيازات٠ وهذا ما كان قد حدث في آسيا الصغرى من قبل٠ وكان الكثيرون من هؤلاء يتصلون سراً بالكنيسة في القسطنطينية ويؤدون طقوس المسيحية سراً٠ وهذا ما يذكرنا بما حدث في الأندلس وصقلية بعد طرد المسلمي قرأً وعنوة، ن إذ أعلن الكثيرون التحول للمسيحية وعاشوا في بلاط الملوك ومارسوا شعائر الدين الإسلامي سراً٠ بالنسبة لقبرص نضرب مثلاً بمهندس السلطان المعماري الكبير مينار سينان باشا Minar Sinan Pasha، وهو من أصل يوناني مسيحي وطلب من السلطان إستثناء أقاربه من التهجير إلى قبرص٠ وقد كانوا يعيشون في قرى كابادوكيا٠ ومنح السلطان لأقارب سينان باشا هذا الإمتياز، الذي لم ينله الكثيرون من سكان آسيا الصغرى ممن هجروا إلى قبرص٠

كان إعادة تأسيس الكنيسة الأورثوذوكسية في قبرص ١٥٧١م بالفرمان التركي حدثاً مهماً في تاريخ الهيللينية القبرصية٠ وكان أول رئيس للأساقفة القبارصة (سبتمبر- أكتوبر ١٥٧١م) هو في الأغلب أحد أقارب الوزير الكبير محمد صوقللي باشا Mehmed Sokolli Pasha الذي كان من أصل صربي- بوسني٠ ولأنه لم يعرف اليونانية لا قراءة ولا كتابة ولا كلاماً رفضه القبارصة٠ فتولى المنصب تيموثيوس من عكا Timotheos d'Acre، وهو راهب سابق من دير كيكوس Kykkos، وعاش في القسطنطينية في

خدمة البطريركية المسكونية التي أيدته للوصول إلى هـذا المركـز. وكـان المجمـع البطريركـي فـي القسـطنطينية الذى إختار تيموثيـوس رئيسـاً للأسـاقفة فـي قـبرص هـو الـذى قبـل إتحـاد الكنيسـة القبرصيـة مـع البطريركيـة المسكونية، فأنهى بذلك القطيعة التي أوجدتها ورسـختها الفـترة اللاتينيـة فـي تـاريخ قـبرص. نجحـت الكنيسـة القبرصية بقيادة تيموثيوس في أن تستعيد كل أديرتها وممتلكاتها من الأتراك، الذين كانوا قد إستولوا عليها إبان فترة الغزو. تم ذلك عام ١٥٨٥م وبدأت الكنيسة تلعب دورها في الحياة وحتـي فـي النظـام الضريبـي، حيـث كان القس يمثل المسيحيين أمام السلطات، إذ يجمع الضرائب ويدفعها.

لعب التراجمات dragomans دوراً بـارزاً وخطـيراً فـي نظـام الحكـم العثمـاني بقـبرص. كـانوا مـن القبارصة اليونان واللاتين من أبناء الطبقة العليا، تعـاونوا مـع السـلطات الحاكمـة وعملـوا مـترجمين وسـكرتارية وجباة ضرائب ومديرين وما إلى ذلك. كان مركز ترجمانات السراى يكاد يوازى مركز الحكام الأتراك، حيـث لعبوا دور همزة الوصل بين هؤلاء الحكـام والقيادات الكنسـية. مارسـوا هيمنـة كاملـة علـى نظـام الضرائـب والإدارة المالية، ولاسيما الإحصاء ومراجعة الميزانية. ومع أن نفوذ أعيان قبرص هـو الـذى لعـب الـدور الأهـم لدى الباب العالى في تعيين الترجمانات، إلا أنهم كانوا مسئولين مسئولية مباشـرة فـي مهـامهم وتصرفـاتهم أمام السلطان العثماني نفسه. كانت ضرائب المسلمين يجمعها المحصلون، أما ضرائـب المسيحيين يجمعها الترجمانـات، وكان ولاء الترجمان يتوجه وفق أصله العرقي. وهذا ما جعل حياته محفوفة بالمخاطر، مثلـه فـي ذلـك مثـل عليـة القوم والطبقة الحاكمة. ومن أشهر الترجمانات القبارصة بيترو غنيمـي Pietro Guneme، الـذى فـي عـام ١٦٠٨م جرؤ على إقامة علاقات سرية مع سافوى من أجل تحرير قبرص من الإحتلال التركي البغيض. وكـان بذلـك يجارى رئيـس الأسـاقفة خريسـتودولوس (١٦٠٩م). وترجمـان آخـر مشـهور هـو فيديريجو فالارشـي Federigo Vallarci (١٦٢٨-١٦٤٨م) الذى كان مصيره القتل على يد الإنكشارية المتمردين.

قام النظام الإدارى العثماني في قبرص على كاهل طبقة العسكر الأرستقراطية الموالية للسـلطان، وعلـى رأسهم أمير الأمراء Beglerbeg ومهمته الرئيسية إدارة الجزيرة والدفاع عنها. يعاونه رئيـس سـجلات الخزانـة Hazne Jefterdari أو Defter Kehayasi وأمـين التيمـار (الإقطاعيـة) Timar Defterdari. وكانوا جميعاً من الأغاوات والإنكشارية وقائدهم الأعلى أمير الأمراء في حالة غيابه. وكان هناك "رئيس ديوان السـجلات" وديوان أفنديسـي Divovan Afendici والسـكرتير الأول. و"أمـين الدفـتر" Defter Emini أى سكرتير الخزانة ... إلخ. وهم في مجموعهم يشكلون هيكل النظام الإدارى الحكومي.

وكان القرن السابع عشر الميلادى بالنسـبة لقـبرص هـو قـرن النكبـات. فـإلى جـانب شـرور الإحتـلال العثمـاني كـانت هنـاك السـنوات العجـاف بسـبب الجفـاف وهجمـات جحـافل الجـراد (١٦١٠-١٦٣٣م)، وعمليات السطو التي قام بها القراصنة، وكذا وباء الطاعون (١٦٤١م)، فحدثت مجاعات (١٦٤٠م) فانخفض عدد السكان إلى حـوالى خمس وعشـرين ألـف نسمة. عـانت الكنيسـة مـن الخلافـات والنزاعـات الشـخصية والعقائديـة بـين رجالاتهـا، بالإضافـة إلى الخـلاف التقليـدى بـين الكنيسـة اللاتينيـة والكنيسـة اليونانيـة الأورثوذوكسية. وفى كثير من الحالات تم اللجوء إلى بطريركيـة الإسـكندرية والقسـطنطينية لفـض الإشـتباك وحل النزاع.

ولقد أدان مجمع القسطنطينية فى يونيو ١٦٠٠م رئيس الأساقفة أثاناسيوس وقرر خلعه. ولكن الأخير ظل نشطاً ومتعاوناً مع الأتراك ضد خلفه بنيامين، الذى بدوره إتصل بسافوى سراً من أجل التعاون لتحرير قبرص من الإحتلال التركى. ولهذا السبب وجد تأييداً من الطبقة القبرصية الحاكمة سواء اللاتينية أو اليونانية مثل ميمى ومصطفى وكلاوديو كيكينى. حدث ذلك قبل وبعد ١٥٧٠م. فلما جاء رئيس الأساقفة خريستودولوس (١٦٠٦-١٦٤٣م) وهو من نفس الطبقة العليا الحاكمة أصبح الوسيط السرى للإتصال فيما بين الحركات الوطنية السرية من ناحية والقوى الأوروبية الخارجية من ناحية أخرى. وفى عام ١٦٦٨م جمع رئيس الأساقفة القبارصة نيكيفوروس رجال الكنيسة فى نيقوسيا وإتخذ قراراً بإدانة الكالفينية[1] وكان الهدف من هذا القرار هو كسب أوروبا لصالح تحرير قبرص من الاحتلال التركى. والذى قام بصياغة هذا القرار هو هيلاريون سيجالا Hilarion Cigala وهو مفكر لاهوتى قبرصى واسع الثقافة، درس فى إيطاليا، وعمل فى شمال بلاد اليونان، وسجل لنفسه سيرة عملية مشرفة حتى صار رئيس الأساقفة (١٦٧٤-١٦٧٨م) وتوفى عام ١٦٨٢م. وكانت ميوله رومانية لاتينية وهو بذلك يشبه قوزماس مافروديس Kosmas Mavroudes من كيتيون - ليماسول ورئيس الأساقفة (١٦٧٥-١٦٧٩م). وبعد ١٦٧٠م بدأ القبارصة بصفة عامة يتواءمون مع الإحتلال العثمانى من منطلق ضرورة مواصلة الحياة وإتباع النزعة البرجماتية الواقعية.

وفى الواقع حاول الأتراك منذ أواسط القرن السابع عشر الميلادى إدخال بعض الإصلاحات على النظام الإدارى فى قبرص. فبعد إلحاح من رئيس الأساقفة والأساقفة والترجمانات قرر الباب العالى فى ١٦٤١م طرد باشوات فاماجوستا وبافوس، وتخفيض مخصصات باشا نيقوسيا المالية. ويبدو أن السلطان أراد أن يدخل توازناً محسوباً بين سلطات الباشا والترجمانات من ناحية، والكنيسة من ناحيه أخرى. فأمر بأن يعتبر الأسقف حارساً رسمياً وممثلاً للرعية، فأعاد بذلك للكنيسة بعض وظائفها القديمة. وصارت قبرص تحت المسئولية المشتركة للسلطان والوزير الأول بدلاً من إنفراد الآخر بها. ومنذ عام ١٦٧٥م صارت الجزيرة تابعة لقائد الأسطول أى القبودان باشا Kapudan Pasha الذى حكمها عن طريق نائب له. وساءت الأحوال وناءت ظهور الناس فثقل الضرائب الباهظة، فتحول بعضهم إلى الإسلام. وكان التذبذب بين الديانتين دليل الإرهاق والإضطراب. وفى عام ١٦٨٠م فشلت السلطات فى العثور على متعهد بجمع الضرائب. مع أنها كانت مهنة مربحة للغاية وصفقة يتهافت عليها المستثمرون. يقول لويس دى بارى Louis de Barrie - وهو قبرصى إختارته سافوى ليجرى الإتصالات السرية مع رئيس الأساقفة- فى شهادة من عاصر الأحداث:

"كان الأتراك يحرسون الحصون، وأجبر المسيحيون على حراسة التلال والسواحل دون أن يسمح لهم بحمل السلاح. وكانوا يعاقبون بالموت لو ضبطوا مسلحين. ولم يتلق غالبية الأتراك التدريبات العسكرية

---

[1] الكالفينية نسبة إلى جان كالفين Jean Calvin (١٥٠٩-١٥٦٤م) وكان بروتستانتيا ويدعو للاصلاح فى فرنسا وسويسرا. ويستهدف قيام "جمهورية بروتستانتية" يسودها النظام الديموقراطى الكنسى مع التخلص من المراسم والتقاليد البالية والاعتقاد فى القدرية.

الكافية، فهم من المزارعين الذين يعملون بفلاحة الأرض. كان عدد المسيحين يفوق عدد الأتراك بنسبة ٣ إلى ١. فلو إمتلكوا السلاح لأصبحوا قادرين على التخلص من الإحتلال التركي[1].

وفيما بين ١٦٨٠ و ١٦٩٠م إهتزت قبرص بثورة عارمة قام بها محمد أغا بوياغلو Mehmed Agha Boyadjighlou، الذى طالب بالحكم الذاتي والإستقلال لقبرص. وأخمدت هذه الثورة بالعنف، وعانت الجزيرة وشعبها من حرب مريرة. وقبيل إخماد الثورة زار رئيس الأساقفة يعقوب (باكوفوس) القنسطنطينية نيابة عن الرعية المظلومة ودفاعاً عن مصالحها. وفي الواقع تجلى دور رئيس الأساقفة القبارصة في أكثر من مناسبة إبان القرنين السابع عشر والثامن عشر. فزار رئيس الأساقفة جرمانوس الثاني (١٦٩٠-١٧٠٥م) القنسطنطينية نيابة عن الرعية في وقت عصيب، ولم تفلح وساطته لهذا السبب، حيث استحكم الخلاف بين القبارصة أنفسهم. وعزل جرمانوس بقرار من مجمع البطريركية في القنسطنطينية، بناء على إقتراح من وفد قبرص نفسه! وظل الخلاف محتدماً في عهد خلفه أثاناسيوس الثاني البطريرك السابق لأنطاكية.

وفي عام ١٧٣٠م ذهب وفد بزعامة رئيس الأساقفة سيلفيستروس Silvestros للصلاة من أجل تخفيف الضرائب. فألقى القبض عليه مع بعض رجاله وأعيدوا إلى قبرص بوصفهم خارجين على القانون!. وكان فيلوثيوس Philotheos (١٧٣٤-١٧٥٩م) قد درس في القنسطنطينية وأسس مدرسة في نيقوسيا ولارناكا. وأعاد على الباب العالى عرض مطالب الكنيسة القبرصية في وثيقة كاملة، ولم تفسد أعماله وتجهض جهوده سوى دسائس الراهب مكاريوس (١٧٤٤م) وإستولى على منصبه نيوفيتوس Neophytos لبعض الوقت. ولقد كانت فترة حكم أبو بكير باشا (١٧٤٦-١٧٤٨م) زاهية وإستثنائية من بين كل فترات الإحتلال العثماني. فهو الذى بنى عيون الماء (aqueducts) أربيرا- لارناكا التي إنتهت عام ١٧٥٠م. وفي عصر خلفه، وفي عيد الفصح ١٧٥٠م قتل ترجمان السراى خريستوفاكيس Christophakis على يد خاتزياكي Hazibaki ديدبان لارناكا.

بعد الإضطراب الذى وقع عام ١٧٥٢م ذهب وفد ثلاثي أسقفي إلى القنسطنطينية وأقنعوا الوزير الكبير باهر كوزى مصطفى باشا Bahir Kose Mustafa أن يصدر قراراً يثبت المبلغ الإجمالي للخراج والمعاشات والنزول بواحد وعشرين ونصف قرشاً لكل رأس (فرد). وأهم من ذلك طلب الوفد إعتبار الأساقفة حراساً وممثلين للرعية، على أن تكون صلتهم مباشرة مع الباب العالى. وهذه إمتيازات قديمة طلب الوفد في الواقع تجديدها وتأكيدها. وفي عام ١٧٥٥م حدد الوزير الكبير الخراج السنوى للأديرة بأربعة آلاف قرش. وفيما بين ١٧٦٠م و ١٧٦٧م كان مجمل ضرائب قبرص يمثل أعلى مبلغ يحصل من أية ولاية عثمانية أخرى، فقد وصل معدلها إلى مائتى قرش عن كل فرد سنوياً. وفي عام ١٧٦٤م جمع محصل الضرائب خيل عثمان Chil Osman ٣٥٠ ألف قرش زيادة عما هو مطلوب. وكان المعدل هو ٤٤٠٥ قرش عن كل مسيحي و ٢٢٠٥ قرش عن كل تركى مسلم. وبعد تدخل الأساقفة وأعيان الأتراك لدى الوزير الكبير

---

(١) ap. Hill, op. cit., vol. IV p. 59.



شكل رقم (٥١): مسئول تركي كبير يوزع النقود على الفقراء من القبارصة

خفض المعدل إلى ٢٠,٥ قرش عن كل مسيحي، ونصف المبلغ عن كل تركى مسلم. وصدر الأمر لخيل عثمان بإرجاع الزيادة لأصحابها. ولكن الأمر تطور إلى صدام عنيف قتل فيه خيل عثمان وتسعة عشر من أتباعه فى يوم ١٧٦٤/١٠/٢٥م. وفرضت التعويضات على المسئولين عن أعمال العنف وهم من القبارصة اليونان والأتراك، إذ قاد الثورة خليل أغا فألقى القبض عليه وأعدم فى ١٧٦٦/٨/٨م.

وفى عام ١٧٨٥م نقلت تبعية قبرص من الوزير الكبير إلى قائد الأسطول أو قبودان باشا الذى كان بدوره يعين الحاكم. وفى عام ١٧٩٢م كان إجمالى الضرائب المحصلة ٤٠٠ ألف قرش وفى عام ١٨٠٦م بلغت المليون. وقامت عدة إضطرابات، إذ تمرد الانكشارية عام ١٧٩٩م و١٨٠٤م. فأرسلت القسطنطينية تعزيزات عسكرية عام ١٨٠٥م لإخماد العصيان. وعين حاكم جديد هو الحاج حسين، وتراكمت الديون على قبرص ووصلت ماينـاهز ماتياهز المليون والنصف أو المليونين من القروش. وظل الأمر كذلك حتى منتصف القرن التاسع عشر[١]

---

(١) Kyrris, op. cit., pp. 251-300.

٢- قبرص وثورة ١٨٢١م

كان الراهب كيبريانوس (١٨١٠-١٨٢١م) من ماخيرا وعاش في والاشيا Walla chia (١٧٨٣-١٨٠٢م) وساءت علاقته مع الترجمان لامبروس Lambros. فجمع حوله دائرة من الأعيان، ومنهم أبناء عمومته نيكولاس وكيبريانوس وثيوفيلاكتوس وثيسيوس وغيرهم. وفي ١٨١٢م أسس كيبريانوس مدرسة يونانية في نيقوسيا. وجمع كيبريانوس من كل فرد دافع للضريبة حوالى مبلغ ٢٠ قرشاً زيادة، لكي يسدد الديون المتأخرة على قبرص من ثلاثين عاماً. وكان عدد الأفراد دافعي الضرائب هو خمسة عشر ألفاً. ومع ذلك لم يفلح في سداد كل المتأخرات. وإستدعى كيبريانوس نفسه للإستجواب عام ١٨١٥م فيما يتصل بأمواله، ومع أن ساحته قد بُرئته إلا أنه في نهاية المطاف قد أعدم في ١٨٢١/٧/٩م. مع خمسمائة يوناني قبرصي من رجال الكنيسة وزعماء المجتمع لتورطهم في نشاطات الثورة اليونانية القومية ١٨٢١م، الطريق إلى والتي فتحت حرب الإستقلال الطويلة. ومع أن دور قبرص في هذه الحرب القومية لم يتعد إرسال الإمدادات الغذائية والمالية نظراً لبعد الجزيرة عن اليونان، إلا أن الأتراك لم يصفحوا لها ذلك التورط. ولقد حاول ثيوفيلوس وثيسيوس وثيوفيلاكتوس - سالفو الذكر- التحرك نحو مساعدة اليونان عسكرياً، فأحبطت القوات التركية محاولتهم.

وفي تلك الأثناء حاول القبارصة المقيمون في بلاد اليونان وأوروبا الغربية جمع المال لتحرير قبرص، ولتأسيس حملة على قبرص (ولبنان) المحتلة. وذهبت هذه الجهود عبثاً، وذهب كيبريانوس وثيسيوس إلى هيدرا في ١٨٢١/٤/٥م للمشاركة في حرب الإستقلال. وذهب نيكولاس وآخرون إلى روما وباريس. وقاد ثيوفيلاكتوس لجنة قبرصية في رحلة إلى لندن، وتعاون مع قائد سابق في جيش نابليون بونابرت، وهو دي قوتس de Wutz وبريطانيين محبين للهيللينية philhellenes. وإستمرت هذه الجهود حتى ١٨٢٥/١٨٢٤م. وفي عام ١٨٢٨م كان هناك وفد قبرصي من المقيمين باليونان فسلموا إلى قائد الثورة كابوديسترياس Capodistrias نداءً من زعماء الحركة الوطنية القبرصية يطلبون فيه أن تمتد حدود الدولة اليونانية المتفاوض عليها إلى قبرص. وهو مطلب يستبق مائة عام تقريباً تيار "الإتحاد" Enosis المتصل حتى القرن العشرين. ومع أن كابوديسترياس قد ضمن هذا المطلب القبرصي الوطني إحدى الوثائق، إلا أن حلم الإتحاد في ذلك الوقت كان ضرباً من الخيال المسرف في الإبتعاد عن الواقع الملوس. بل نأسف أشد الأسف إذا قلنا إننا في نهاية القرن العشرين نرى هذا الحلم مثالاً ميالاً من ذي قبل. على أن هذا لا يقلل من شأن الكفاح القبرصي الوطني، الذي كان يستهدف "الإتحاد" منذ الشرارة الأولى في حرب الإستقلال اليونانية القومية ١٨٢١م.

وقد قدم الباحث بروتو بسالتيس الكثير من التفاصيل عن دور قبرص في الثورة القومية التحريرية ١٨٢١ ولاسيما فيما يتصل بدور خاراكمبوس ماليس والأخوين نيكولاؤس وثيوفيلوس ثيسيوس وآل إيكونوميديس[١] .

واصل كوتشوك Kucuk نظام حكمه الارهابي بفرض ضرائب فادحة على القبارصة، برغم المساعي الأوروبية لتخفيف الأعباء، ولاسيما تدخل فرنسا. ودخل كوتشوك في نزاع مع والى أو باشا عكا مما دفع السلطان إلى أن يعهد بمهمة الدفاع عن قبرص إلى محمد على والى مصر. فجاءت قواته ومعظمهم من الألبان وأقاموا في قبرص، وارتكبوا الكثير من الحماقات والجرائم، ونهبوا القرى اليونانية والتركية على حد سواء. وإمتدت جرائمهم لتشمل الأوروبيين المقيمين في قبرص (أبريل ١٨٢٢م)، مما إستوجب أن يأمر السلطان بعزل كوتشوك وتعيين سعيد محمد في مكانه (نهاية ١٨٢٢م)، ولم تنسحب القوات المصرية قبل نهاية ١٨٢٩م. أى بعد موقعة نافارينو ١٨٢٧/١٠/٢٠م. ولم يتخل محمد على نهائيا عن قبرص، إلا في ١٨٣٣/٥/٥م. وكانت قبرص وكريت قد قدمتا إلى بريطانيا ١٨٣١-١٨٣٢م رهناً فرفضت بريطانيا.

وقد أوردت الدكتورة زينب عصمت راشد الكثير من التفاصيل في كتابها "كريت تحت الحكم المصرى ١٨٣٠-١٨٤٠م" فيما يتصل بحكم محمد على في كريت والتنظيمات الادارية والاقتصادية والعناية بشئون التعمير والأمن ونشر العدل ورعاية السكان صحياً وثقافياً. ولقد ورد ذكر قبرص كثيراً لصلتها بهذه الأحداث آنذاك ومن أهم تلك الإشارات قول المؤلفة (ص٨٥): "من كل ما تقدم يتضح لنا أن اتصال محمد على وإضطلاعه بشئون الجزيرة (كريت) لم يبدأ بالفرمان السلطاني المشار إليه، وإنما يرجع ذلك إلى عام ١٨٢١م عند إنشغال السلطان على مصير الجزيرة فلجأ إلى محمد على يستعين به فعهد إليه بالنظر في شئون كريت وقبرص[٢].

---

(١) [Greek] Protopsaltis (Athens 1971) pp. 36-78 et passim

وهو الكتاب الذى تتصدره هذه العبارة:

"Συμφωνως με τους λοιπους αδελφους ημων ελληνας, θελομεν προσπαθησει δια την ελευθεριαν της ειρηνικης ημων παλαι μεν μακαριας ηδη δε τρισαθλιας νησου Κυπρου..."

ومعناها "بالنسبة لإخواننا اليونان الآخرين نريد العون في سبيل تحرير جزيرتنا المسالمة قبرص، المباركة والبائسة أيضاً" (اعلان ٦ ديسمبر ١٨٢١ بتوقيع سبيريدون من تريميثوس ويوانيكيوس كيبريانوس رئيس المنشدين في الأسقفية القبرصية).

وراجع: [Greek] Michael G. (Cyprus 1988) passim

(٢) زينب عصمت راشد، كريت تحت الحكم المصرى ١٨٣٠-١٨٤٠، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية. القاهرة ١٩٦٤، ص١، ١٧، ١٨، ٢٨، ٣٣، ٣٥، ٥٣، ٨٥.

نفس المؤلفة: "من تاريخ الحكم المصرى في كريت. فتنة مورنييس Mournies عام ١٨٣٣م" حوليات كلية الآداب جامعة عين شمس. المجلد الثالث (يناير ١٩٥٥، ص١٨١-٢٠٠).

وكان كثيرون من القبارصة الذين شاركوا في حرب الإستقلال اليونانية القومية قد بدأوا يعودون إلى وطنهم قبرص، بوصفهم مواطنين يونان تحميهم روسيا. وشرعت إنجلترا وفرنسا في التدخل لتشجيع العناصر الوطنية في قبرص -سواء من اليونان أو الأتراك- على التمرد. فقامت حركة أليبوتاس Alipotas ١٨٣٠م وقتل الحاكم خليل سعيد في ديسمبر ١٨٣١م. ورد السلطان محمود الثاني (١٨٠٨-١٨٣٩م) ذو الإتجاهات الإصلاحية بمنح قبرص إستقلالاً إقتصادياً، مع إنشاء نظام برلماني يتمثل في إختيار أربعة من أعيان قبرص سنوياً ينضمون للسراى، إلى جانب تكوين لجنة من عشرين عضواً تسمى "لجنة الشئون العامة". أما "المجلس العمومي" فكان بقيادة الأسقف وعضوية أصحاب المراكز السابقة وثلاثة من رجال الكنيسة المتروبوليين وبعض الأعيان. وهذا المجلس هو الذى يعين الأربعة الذين ينضمون للسراى، وهو الذى يختار مندوب قبرصى في القنسطنطينية. وتقرر إنشاء مستشفى للجزام ومدرسة في كل من لارناكا وليماسول على غرار ماتم في نيقوسيا.

كانت هذه إصلاحات تركية ممتازة، ولكنها لم تلبث أن تعطلت في مهدها، بفعل التعقيدات الإدارية والدسائس بين المسئولين. فعندما شرع الحاكم سعيد محمد أغا في جمع الضرائب المتأخرة واجه تمرداً يونانياً وتركياً شب بين الفلاحين في الريف والطبقات الدنيا في المدن في يولية ١٨٣٣م. كان المركز الرئيسى للتمرد في لارناكا - سكالا وكارباس وبافوس. ومن بين زعماء التمرد في سكالا نيكوس -وثيوفيلوس ثيسيوس. وفي كارباس قاد التمرد الراهب يوأنيكيوس لازيمانوس Ioannikios Lazimanos وفي بافوس كان زعيم التمرد هو ياور (غيور) إمام Giaour Imam. شارك في الثورة بعض الألبان في كارباس وسكالا.[1] وساند التمرد في سكالا القنصل الفرنسي ومترجمه لابير G. Lapierre.[2]

تكلف إخماد هذا التمرد مليون قرش، ولقى لازيمانوس وياور إمام أسوأ مصير. ولكن السلطان في القنسطنطينية كان إصلاحياً في رد فعله فأصدر فرمانين، الأول في ١٨٣٤/٤/٢٦م والثاني في ١٨٣٤/٤/٢٢م لتصحيح الأوضاع. وصدر فرمان ثالث ١٨٣٥م بتأسيس نظام دفاعى مستقر للجزيرة وتثبيت قوة عسكرية كافية بها، بدلاً من اللجوء إلى قوات التدخل السريع من خارج قبرص. ولمواجهة وباء ١٨٣٥م وماتبعه من مجاعة لمدة عامين أقيم مستشفى في لارناكا. وذهب وفد قبرص إلى الباب العالى ١٨٣٧م، وطلب أن يحل عثمان محل الحاكم السيد محمد. وكان عثمان قبرصياً معتدلاً، له علاقات طيبة مع القبارصة اليونان. وفي عصره نعمت قبرص بشئ من الهدوء.

وفي ١٨٣٩/١١/٣م أعلن السلطان عبد المجيد "خطة شريف". وهى خطة تستهدف علاج الآثار الجانبية للإصلاحات السابقة. فوضعت نظاماً جديداً لجمع الضرائب، وثبتت النهج الأوروبى في التجنيد،

---

(1) عن هذه الثورة وتلك الشخصيات الوطنية القبرصية راجع:

[Greek] Piggouras, passim.
[Greek] Hatzedemetriou, pp. 254 ff.

(2) عن الثقافة الفرنسية في قبرص منذ بداية حكم الأسرة اللوسينيانية راجع:

Beraud. op. cit., passim.

وسمحت بحرية التصرف في الممتلكات . وأعطت لأبناء المجرمين المذنبين الحق في تملك ممتلكات الآباء، طالما كانوا هم أبرياء . وفشلت هذه الخطة الإصلاحية لأنها تجنبت المساس بمصالح علية القوم وكبار الملاك، ولم تفرض علمانية الدولة القبرصية .

فعادت الأمور إلى سابق عهدها، حتى أن الضرائب على قبرص بلغت ٦,٨١٥,٠٠٠ قرش، فبدأ الناس يفرون هرباً من كابوس الضرائب . هرب البعض من قرية إلى أخرى، أو من الساحل إلى الجبال، لكن كثيرين هربوا إلى الخارج . ووفقاً "لخطة شريف" إنتقلت تبعية قبرص من قائد الأسطول أو قبودان باشا إلى سنجق Sanjak الأرخبيل، فألحقت بباشاليك Pashalik رودس ١٨٤٩م . ولكن هذه الإصلاحات أجهضت أيضاً بعد أن تولى حاكم جديد هو طلعت[1] .

---

(١) Kyrris, op. cit., pp. 284-288.

٣- زيادة النفوذ البريطاني

ومنذ أواسط القرن التاسع عشر بدأت القوى الخارجية تظهر إهتماماً أكبر بقبرص. وفي مقدمة هذه القوى بريطانيا، التي وضعت قبرص في خريطة مصالحها وخططها في الشرق الأوسط والخليج العربي والهند. وكانت لقبرص بصفة خاصة أهمية قصوى لمصالح بريطانيا في فلسطين وسوريا. ولكن ألمانيا وفرنسا لم تتأخرا في إبداء الإهتمام بقبرص. وباندلاع الحرب الكريمية Crimean في ١٨٥٣/١٠/٢٣م بدأت المشاعر القبرصية اليونانية تتجه إلى روسيا وتؤيدها، في حين كانت مشاعر المسلمين القبارصة مع بريطانيا وفرنسا بصفة عامة. وحاول الحاكم التركي أن يحافظ على التوازن بين الإتجاهين فأمر في ١٨٥٤/٥/٨م كل الرعايا من بلاد اليونان القارية -وبعض القبارصة اليونان- بمغادرة قبرص. وأصدر الباب العالي في ١٨٥٥/٥/٧م فرماناً يستبدل بالجزية أو الخراج ضريبة جديدة هي "البدلية" أي "بدل الخدمة العسكرية". يدفعها كل من يرغب في عدم أداء الخدمة العسكرية الإجبارية وهذا ماكان يتبع في مصر إبان القرن التاسع عشر. ويسمح هذا الفرمان لليونانيين القبارصة بالإنخراط في صفوف الجيش حتى رتبة كولونيل (عقيد).

وفي ١٨ فبراير ١٨٥٦م صدرت "خطة خومايون" لتدعيم "خطة شريف" سالفة الذكر. وفيها زاد عدد أعضاء المجلس العمومي من ١٢ الى ١٣ عضواً، ثلاثة يونانيون بما فيهم كبير الأساقفة، والباقون من الأتراك. ويتعامل هذا المجلس مع الضرائب والجمارك والقضايا المدنية فيما عدا الميراث، فهو من إختصاص القاضي بالنسبة للمسلمي،ن والكنيسة بالنسبة للمسيحيين. وشكلت مجالس محلية عددها ١٦ (قائمقا مليك)، يتكون كل واحد منها من الحاكم المحلي أو المدير رئيساً والقاضي وثلاثة مسلمين ومثلهم مسيحيين. وسمح للكنائس بإستخدام الأجراس، بعد أن كان قد منع. وتقرر مبدأ عدم الإكراه في التحول من دين إلى آخر. ولقد حلت هذه الإصلاحات بعض المشكلات، ولكنها لم تنجح تماماً.

وساد حكم عثمان باشا (١٨٥٥-١٨٥٦م) جو التصدي لوباء الجراد والمعاناة من الفساد وسوء الإدارة والضرائب الباهظة والإستغلال الفادح على يد الكيخيا، أي الحاشية الملتفة حوله. فجاء كاني Kani باشا (١٨٥٧-١٨٥٨م) وحاول الإصلاح ولاسيما في مجال الرسوم والمكوس. ولكن خلفه إسحق باشا (١٨٥٨-١٨٥٩م) خفض مبلغاً ضخماً من الديون المتأخرة. بيد أنه كان يجمع ثلث المحاصيل، بدلاً من عشرها لسداد الديون، مما زاد من الأعباء على الفلاحين الذين كانوا يعانون من وباء الجراد.

وفي عام ١٨٥٩م شجعت بريطانيا إدخال زراعة القطن إلى قبرص ودول الشرق الأوسط، مما جلب عدداً كبيراً من المستثمرين الإنجليز إلى قبرص. وفي نفس العام وفي عصر محمد خير الله باشا (١٨٥٩-١٨٦٢م) وقع نزاع واضطراب في ليماسول ولارناكا. واعترض القبارصة اليونان والأتراك على سوء الإدارة، ووصول عدد من الدروز والعرب وغيرهم إلى الجزيرة (١٨٦٠م). ثم طلب نائب القنصل البريطاني ١٨٦١/١٨٦٠م السماح لسفينة حربية بزيارة قبرص لحماية السكان. وفي ١٥ ديسمبر ١٨٦٢م حدث هيجان في لارناكا إثر إختيار الأمير ألبرت البريطاني ملكاً على اليونان. وفي عام ١٨٦٣-١٨٦٤م ضبطت منشورات قادمة من اليونان تدعو إلى التمرد على الإحتلال التركي. وتحسنت الخدمات في قبرص، ولاسيما

الطرق وعادت العملة القبرصية إلى قيمتها السابقة، بعد أن كانت قد إنخفضت إنخفاضاً حاداً فى الأعوام السابقة. وفى عام ١٨٦٤م أسس البنك الامبراطورى العثمانى فرعاً له فى قبرص، وإزداد النفوذ البريطانى فى كافة مجالات الحياة ولاسيما الشئون الإقتصادية.

فى أبريل ١٨٦٨م ضمت قبرص إلى ولاية الدردنيل. وكان مقر الوالى فى تشاناك Chanak. كان الباب العالى هو الذى يعينه. وكان الوالى هو الذى يعين القائمقام، والأخير هو الذى يعين مدير الناحية. أما المختار أى عمدة القرية فينتخب. دام هذا النظام عامين وأربعة شهور، وانتهى إنتمى إلى تركيز كافة السلطات فى أيدى الوالى. ولقد قام الوالى بزيارة قبرص مرتين الأولى فى ١٨٦٨/٥/١٩م ولمدة أربعة أسابيع، والمرة الثانية فى ١٨٧٠م ولمدة أسبوعين. ولم تترك هاتان الزياراتان أثراً كبيراً على شئون الجزيرة سوى القضاء على هجمة من هجمات الجراد. وكانت هذه الهجمة قد بلغت شدتها إلى حد أن تسببت فى مجاعة ونقص فى مواد الأغذية، مما دفع الحكومة إلى أن تصرف الحبوب للناس مجاناً، بل وأعفت الناس من الضرائب لمدة ثلاث سنوات. وهو أمر ظل القبارصة يذكرونه بكل خير، ويرددون حكاياته أثناء فترة الإحتلال البريطانى بالغ السوء فى إستغلاله وفداحة ضرائبه الظالمة. أصلح الحاكم محمد سيد باشا (١٨٦٨-١٨٧١م) إمدادات المياه فى نيقوسيا ولارناكا. وأعاد الأراضى التى كان قد قضى عليها البوار إلى سابق عهدها من الخصب والإنتاج، وأصلح مجارى المياه العذبة التى تروى الحقول. وأكمل تمهيد الطريق سىء الحظ بين نيقوسيا ولارناكا (١٨٧١) والذى كان قد تعطل عدة مرات.

ومع ذلك فقد كان أقوى رجل فى الجزيرة هو القنصل البريطانى ساندويت Sandwith الذى يسنده البنك العثمانى وتؤيده تجارة التصدير الإنجليزية عن طريق سوريا، ولاسيما تجارة القطن. ونجم عن ذلك أن بعض أفراد الجالية الفرنسية فى قبرص تقدموا بطلب إلى نابليون الثالث فى ١٨٦٩/٥/٢٨م لكى يحتل الجزيرة.

كان سوفرونيوس Sophronios (١٨٦٦-١٩٠٠م) هو آخر رئيس أساقفة لقبرص فى العصر العثمانى. ولقد كافأه السلطان عبد العزيز بإصدار "براءة" يعيد فيها تأكيد المزايا القديمة لكنيسة قبرص، ويعترف برئيس الأساقفة وسلطته القضائية على بقية الأساقفة والقساوسة والرهبان، بل على كافة المسيحيين فيما يتصل بالأمور الكنسية والأحوال الشخصية. وفى أواسط عام ١٨٧٠م استطاع وفد مشترك بقيادة سوفرونيوس وبمساعدة الوزير الكبير كيبريش محمد Kibrish Mehmed أن يحصل على حق إعادة بناء قبرص بوصفها "متصرفية" مستقلة كما حدث فى أواسط ١٨٦٦م -أبريل ١٨٦٨م بل حصلوا على. وبعض الإمتيازات الأخرى. ولكن على يد مدحت باشا فى يولية ١٨٧٢م تم إعادة قبرص لتتبع إدارياً والى الدردنيل والجزر. وظل هذا النظام دون تغيير يذكر حتى نهاية العصر العثمانى وبداية الإحتلال البريطانى.

وبينما كانت الفترة العثمانية فى طريقها إلى الزوال كانت التجارة المباشرة بين قبرص وبريطانيا ضئيلة للغاية. كانت الصادرات الرئيسية تذهب إلى روسيا ولاسيما ثمار الخروب. وكانت ملاحات لارناكا تدر دخلاً مستقراً، أما إحتكار النقل البحرى التجارى فكانت تنفرد به الشركة النمساوية للويد (Austrian Lloyd).

وكان محمد فايس Mehmed Veis (مايو ١٨٧٢ - ديسمبر ١٨٧٣م) رجلا متعلماً، ولكنه فاسد يبحث عن مصالحة الشخصية. نقل المكتب التجارى إلى نيقوسيا فى مارس ١٨٧٣م -وبدلاً من لارناكا -لكى يتمكن من حصد أكبر قدر من المكاسب. وإنتشرت جرائم السرقة والنهب والإستغلال على حساب الفقراء والفلاحين البسطاء، الذين عانوا من الأوبئة والجفاف وغلاء الأسعار وإختفاء المواد الغذائية، بل إنخفض إنتاج الخروب نفسه. ولكن تم إكتشاف تمثال أماثوس الضخم Colossus of Amathus. ثم جاء خليفة إبراهيم (٢٨ ديسمبر ١٨٧٣ - مارس ١٨٧٤م)، والذى لم يدم حكمه طويلاً. وخلفه محمد نصيف (١٨٧٤/٣/١٧- ديسمبر ١٨٧٤) ومن بعده رضا. وفى ١٨٧٦/٨/٢٥م قدمت بريطانيا إنذاراً لقاضى ليماسول تطلب فيه حسن معاملة المسيحيين. إذ كانت الحرب الروسية - التركية (١٨٧٧-١٨٧٨م) تبدو فى الأفق، فمنذ إندلاعها جرّت الويلات على قبرص. إذ وقعت حوادث سيئة للمسيحيين فى الجزيرة. وطلبت بريطانيا السماح لسفينة حربية من قواتها أن ترسى مراسيها بالقرب من الجزيرة لحماية السكان. وفى فبراير ١٨٧٨م أعلن سافا باشا والى الأرخبيل الدعوة إلى القبارصة بالإدلاء بشكاواهم ومظالمهم فى إطار السياسة العثمانية العامة لتحسين الأوضاع فى قبرص على أثر الثورة اليونانية القومية ١٨٢١م، وإستجابة للضغوط الأوروبية منذ ١٨٤٠م. ومن بوادر الإصلاح تحسن الظروف الصحية العامة، وإختفاء الأوبئة، والإنتصار على هجمات الجراد وتوافر الأطباء وبناء المستشفيات، وإزدياد عدد السكان من ٦٠ أو ٧٠ ألف نسمة عام ١٨١٥م، إلى ٩٠ ألف عام ١٨٢١م وإلى ٨٤-١٠٠ ألف عام ١٨٢٩م وإلى مايربو على ١٨٥ ألف عام ١٨٨١م. وتوزع عدد السكان آنذاك على النحو التالى:[1]

يونانيون أورثوذوكس	٧٣٫٩٪
أتراك مسلمون	٢٤٫٤٪
آخرون	١٫٧٪

وكانت الفئة الأخيرة كما يلى:

رومان كاثوليك (أوربيون)	١٨٧٥
مارون	٨٣٠
أرمن	١٧٤
بروتستانت	١٧٣
أقباط	٥
يهود	٦٨
ديانات أخرى	١

ونود قبل أن نختم حديثنا عن الإحتلال العثمانى لقبرص أن نشير إلى أن تاريخ الدولة العثمانية يثير جدلاً واسع النطاق فى الدراسات الحضارية والتاريخية فى مصر والعالم العربى. البعض يرى أن الدولة العثمانية

---

(١) عن دور الكنيسة القبرصية فى النظام الضريبى راجع:

[Greek] Dionysiou (Nicosia 1992) passim

كانت سبب تخلف العالم العربى عن مواكبة النهضة الأوروبية الحديثة فالأتراك أقاموا سياجاً حديدياً حول الدول العربية وأسرفوا على إستغلالها وإستنزاف قدراتها وكبت أى حركة للتحرر فيها. فلما ضعفت الدولة العثمانية صارت كالرجل المريض المطروح على فراش الموت مما أسال لعاب الدول الإستعمارية فإنهالت تحتل وتنهب الدول العربية. وهناك البعض الآخر من الدارسين المصريين والعرب ممن يرون أن الدولة العثمانية مفترى عليها لأنها هى التى رافعت عن الإسلام فى وجه الطامعين وهى التى وصلت بقواتها حتى فيينا فى وسط أوروبا[1] .

وبالنسبة لقبرص (واليونان) التى خضعت للإحتلال العثمانى فمهما قيل عن أفضال الدولة العثمانية نرى أنها هى التى نجحت فى تشويه صورة الإسلام لدى القبارصة اليونان المسيحيين (وكذا اليونانيين فى بلاد اليونان القارية) وجعلتهم يخلطون بين الإسلام والعروبة من جهة والتعسف التركى من جهة أخرى.

وهكذا إختلطت فى ذهن المواطن العادى الأمور فصار لايفهم الإسلام بسبب كراهيته للترك وضم إليهم العرب ومهمتنا أن نوضح الحقائق لهذا المواطن.

Kyrris, op. cit, pp. 245-247.

الباب الرابع

الاحتلال البريطاني (١٨٧٨ - ١٩٥٩م)

"Τον δ' ουτ' αρ' χειμων κρυοεις, ουκ ομβρος απειρων,
Ου φλοξ ηελιοιο δαμαζεται, ου νοσος αινη.
Ουχ' ως τις δημου εναριθμιος, αλλ' ογ' ατειρης
'Αμφι διδασκαλιη τεταται νυκτας τε και ημαρ".

(Diog. Laert. VII 27)

"لابرد الشتاء القارس، ولا وابل السيل المنهمر على الدوام
ولا شعلة الشمس القائظة، ولا المرض العضال
لا شئ يقهره أو ينال من قواه.
بل إن جمهرة الناس بلا عدد، ودون أن ينفد لها دأب
ترحف إليه وتلتف حول درسه ليل نهار"
(ديوجينيس لائرتيوس ٧، ٢٧)

١- الخلفية الفكرية

لقد بزغت أهمية قبرص منذ القرن التاسع عشر، بعد أن بدأت الإمبراطورية العثمانية فى التدهور والضعف، مما أثار أطماع بريطانيا للفوز بالسيطرة على الحوض الشرقى للبحر الأبيض كإجراء وقائى تسبق به روسيا، التى كانت تسعى وتمهد للتسلل إلى مشارف المياه الدافئة عن طريق تركيا أو البلقان. ولقد كان إفتتاح قناة السويس سنة ١٨٦٩م عاملا رئيسياً فى تثبيت السيطرة البريطانية على الجزيرة، لوقوعها فى الطريق المؤدى إلى المدخل الشمالى للقناة. وذلك مما يمكن للبحرية البريطانية التحكم المطلق فى الملاحة بين الشرق والغرب عن طريق البحر الأحمر وقناة السويس. وذلك لوجود قاعدة عدن بالقرب من المدخل الجنوبى للبحر الأحمر عند باب المندب. وكان تنازل تركيا لبريطانيا عن جزيرة قبرص نتيجة لعقد اتفاقية دفاعية بين بريطانيا وتركيا عقب إنتهاء الحرب التركية الروسية، وإنعقاد مؤتمر برلين سنة ١٨٧٨م الذى حصلت فيه بريطانيا على حق إحتلال الجزيرة، لمراقبة القناة والدفاع عن الدردنيل. كان هذا التنازل من جانب تركيا مقابل تقديم المعونة اللازمة لها فى حالة محاولة روسيا التقدم عبر الحدود التركية. وظل إحتلال بريطانيا للجزيرة تحت هذه الصفة حتى أعلن رسمياً ضمها إلى مستعمرات التاج عام ١٩١٤[1].

تم عقد "إتفاقية قبرص" سراً فى إطار مؤتمر برلين ٤ يونية ١٨٧٨م بين بريطانيا وتركيا. حيث سلمت الأخيرة قبرص للإحتلال البريطانى، فى مقابل تعهد بريطانيا بحماية الأراضى الآسيوية العثمانية ضد أى هجوم روسى محتمل. وفور تسرب أخبار هذه الإتفاقية إنقضت على قبرص جحافل المنتفعين الشرهين من اليونان وإستانبول والقاهرة، وغيرها طمعاً فى تحقيق مكاسب هائلة بشراء الأراضى الرخيصة، والمتوقع إرتفاع سعرها فى ظل العهد الجديد. وفى ١٢ يوليه ١٨٧٨م سلم الحاكم التركى بإسم الجزيرة مقاليد الأمور القبرصية لنائب الأدميرال الإنجليزى اللورد جون هاى John Hay. فبدأ العهد الجديد المرتقب منذ زمن. ودخلت الجزيرة دائرة الحضارة الأوروبية من جديد، ولو أنها لم تتخلص من الحدود والقيود الموروثة عن الماضى. ومن ثم لم تحدث طفرة فى الحياة السياسية أو الثقافية. ورغم أن البريطانيين رفعوا فى الجزيرة لواء التجديد والتطوير والليبرالية والتقدمية، فإنهم فى الواقع لم يجددوا كثيراً فى التركة العثمانية القانونية والإدارية. كان التخلف الذى عانت منه الجزيرة طوال القرون الأربعة الماضية قد تركت فى النفوس عوامل السلبية وروح مناهضة التغيير.

ووفقاً للإتفاقية السرية بين تركيا وبريطانيا كان على الطرف الثانى أن يدفع للطرف الأول مبلغ ٩١ ألف جنيه سنوياً، وهو مبلغ جمعته بريطانيا من أفراد الشعب القبرصى. وهكذا جاء هذا الإستغلال البريطانى إمتداداً طبيعياً لسلفه التركى. وهو ما ساعد القبارصة على الإفاقة من

---

(١) محمد كمال عبد الحميد، الشرق الأوسط فى الميزان الاستراتيجى. مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الثانية، ١٩٧٢، ص٤٥٢-٤٦١.

إنطباعهم الأولى المتفائل عن الإحتلال البريطاني، حيث رحبوا به وإعتبروه فاتحة عهد جديد يبشر بالإزدهار والحرية والديموقراطية وما إلى ذلك من الشعارات الأوروبية، ومن المفارقات أن القبارصة الأتراك كانوا متشائمين في السنين الأولى من الإحتلال البريطاني، وبمضي الوقت إكتشفوا أنهم لم يخسروا الشيئ الكثير، إذ حفظ لهم النظام الجديد إمتيازاتهم القديمة، بما في ذلك "المحاكم الشرعية" و "الأوقاف"، وذلك وفقاً للاتفاقية التركية -البريطانية السرية عام ١٨٧٨م، حيث إشترط الأتراك على الإنجليز "المحافظة على أوضاع المسلمين وحمايتهم".

كان النظام الادارى البريطاني في قبرص والذى صدر بقرار من الحكومة البريطانية، في ١٤ سبتمبر ١٨٧٨م ذا طابع مركزى خالص، فكان المندوب السامي البريطاني هو منبع كل السلطات، فيما عدا القليل الذى عاد فيه إلى لندن، وتكون "المجلس التشريعي" منه ومن ٤-٨ أعضاء نصفهم من ذوى المناصب الرسمية، وكلهم معينون، ويصدر بتعيينهم قرار ملكي من لندن، أو من المندوب السامي، أما "المجلس التنفيذى" فكان كل أعضائه بالتعيين وفق رغبة المندوب السامي وبتوجيهات من لندن، وكلا المجلسين لا يتمتعان إلا بسلطة إستشارية فقط، وما يصدر عنهما ليس إلا توصيات لا قرارات واجبة التنفيذ، ومبدأ التعيين في هذه المجالس ينهض دليلاً قاطعاً على أن بريطانيا لم تتبع المبادىء الديموقراطية، التى تتشدق بها، في حكم قبرص، وظل الأمر على ما هو عليه حتى نهاية الإحتلال البريطاني في ١٩٥٩م.

ومنذ العام الأول في الاحتلال البريطاني تمكن القبارصة من إجهاض خطة بريطانية لإستقدام مهجرين من مالطة وبعض الدول الإسلامية إلى قبرص، وفي عام ١٨٧٩-١٨٨٠م شنت الصحافة القبرصية اليونانية الوليدة هجوماً شرساً على المندوب السامي البريطاني، لموقفه العدائي من القبارصة اليونان، وظل هذا هو الشعور القومي العام تجاه الإحتلال البريطاني، الذى أحبط توقعات متفائلة لقدوم "حكم أوروبي" مستنير في قبرص، فإكتشف القبارصة أنه لايقل سوءاً عن الإحتلال العثماني، بل قد يتفوق عليه في الشعور بالإستعلاء وحبك الدسائس والمؤامرات.

رحب أسقف كيتيون -لارناكا كيريانوس بالحاكم الإنجليزى الأول السير جارنيت ولسلي Garnet Walseley، ودعا إلى تحقيق "الإتحاد" Enosis مع اليونان في ٢٢ يولية ١٨٧٨م، بيد أن رئيس الأساقفة سوفرونيوس مال إلى الحل التوفيقي والإكتفاء بمجرد التلميح للإتحاد بوصفه أملاً قبرصياً قومياً، جاء ذلك في خطاب الترحيب الذى ألقاه سوفرونيوس في ١٠ أغسطس ١٨٧٨م، وفي هذا الخطاب ركز على ترحيب الشعب بالإدارة الجديدة وتعلقه بالأمل في تحقيق الإنصاف والعدالة والحرية، وفي كل من فاماجوستا وليماسول حظي السير جارنيت بنفس الحفاوة،

وفي الأيام الأولى للإحتلال قدم إلى قبرص كثيرون من مواطنيها المقيمين في القنسطنطينية وآسيا الصغرى ومصر وغيرها، ليشغلوا المناصب المرموقة في الإدارة الجديدة، لأن المواطنين المحليين لم يكونوا صالحين لهذه المناصب.

أما الجالية القبرصية فى مصر، ذات الأعداد الكبيرة من الأثرياء، فقد حافظت على صلاتها الوثيقة بالوطن، وساهمت فى تأسيس المدارس بالقرى القبرصية. وكانوا فى أغلبهم يعلقون آمالاً كبيرة على الحكم البريطانى فى قبرص، إلى درجة أنهم توقعوا تحقيق "الاتحاد" فى وقت قصير. وإكتشف القبارصة بالداخل والخارج أن جزيرتهم لم تك بالنسبة إلى بريطانيا العظمى سوى لؤلؤة تضاف إلى لآلئ التاج الإمبراطورى البريطانى.

وبعد إحتلال مصر ١٨٨٢م وهزيمة ثورة عرابى لم تك بريطانيا مستعدة لإدراج مطلب "الإتحاد" فى جدول التفاوض أو الحوار الدائر بينها وبين اليونان من جهة، ومع القبارصة من جهة أخرى. فلقد أصبح واقعاً ملموساً أن بريطانيا أدركت الأهمية الإستراتيجية لقبرص، بوصفها بوابة آسيا وأفريقيا والطريق إلى الهند. ولم يكن من المعقول أن تسلم بريطانيا قبرص إلى اليونان، خشية أن تفلت منها إلى قوة أوروبية منافسة وآكبر من قدرات اليونان.

ورويداً رويداً تغيرت السياسة البريطانية تجاه تركيا. فبعد أن كانت بريطانيا تعلن أنها إستولت على قبرص لحماية آسيا الصغرى التركية فى مواجهة الأطماع الروسية، هاهى الآن وعلى لسان ونستون تشرشل فى تقرير قدم لوزارة المستعمرات تعلن أن بريطانيا لا يمكن أن تعيد قبرص إلى تركيا. وبالطبع لم يكن القبارصة اليونان ليسمحوا بعودة قبرص إلى تركيا. إذ قامت مظاهرات حرض عليها زعماء الكنيسة فى بدايات القرن العشرين ترفض أية فكرة لعودة قبرص إلى تركيا. وعندما زار ونستون تشرشل فاماجوستا فى أكتوبر ١٩٠٧م إستقبل إستقبالاً شعبياً حافلاً، وقامت مظاهرات تحمل شعارات "الإتحاد". وقدمت إليه مطالب شعبية لتحقيق الديموقراطية. أما أتراك قبرص فكانوا مذبذبين بين تأييد فكرة عودة قبرص لتركيا من ناحية، ومؤازرة مطالب مواطنيهم اليونان فى مطلب "الإتحاد" مع اليونان من ناحية أخرى.

من الظواهر الجديرة بالتسجيل فى أوائل الحكم البريطانى، وفى ظل حرية الديانة تحول الكثيرون من القبارصة المتأسلمون إلى الديانة المسيحية. وواجه هؤلاء مشكلات عدة من قبل الطرفين. بمعنى أنهم من جهة كانوا يخافون عودة قبرص إلى تركيا ومن ثم العقاب المرير، ومن الجهة الأخرى كان موقف رجال الكنيسة اليونانية غير مشجع، لأنهم كانوا يرتابون فى هؤلاء الذين يزعمون أنهم أسلموا ظاهرياً، وكانوا فى السر مسيحيين. ولذلك فإن بعضهم إستقر على الإسلام للأبد إزاء هذا التشدد المسيحى. وفى عام ١٩٠٨م كتب المندوب السامى فى ليماسول رونالد ميتشيل Ronald L.N. Mitchell عن "هرطقة" أصحاب الذمة القطنية والكتانية معاً" Linobambakoi، كما لصق بهم هذا اللقب. أى الذين لا تعرف ما إذا كانوا مسلمين أم مسيحين، ويوائمون أنفسهم للبضاعة الرائجة، سواء أكانت القطن أو الكتان. ومنذ التسعينيات فى القرن التاسع عشر كثفت الكنيسة الكاثوليكية جهودها لإجتذاب هؤلاء المترددين بين الديانات. واقتناصاً للفرصة التى خلقها تعنت الكنيسة الأورثوذوكية القبرصية. ولم يطمئن هؤلاء المترددون ولم يستقروا على المسيحية، إلا بعد ضم قبرص إلى التاج البريطانى (١٩١٤م) وإعلانها

رسمياً مستعمرة بريطانية (١٩٢٥)، وبعد الحرب العالمية الأولى وبازدياد نشاط حركة "الإتحاد" (إنوسيس) حدث إستقطاب طائفي في الجزيرة بتشجيع من الأنجليز، الذين كانوا يخططون للحفاظ على قبرص مستعمرة بريطانية، ولكبح جماح حركة "إنوسيس". ولاتزال بعض الحالات الفردية من الإستقطاب العقائدي موجودة حتى يومنا هذا بعد أن غذاها الغزو التركي في يوليو ١٩٧٤م.

ولعله من المفيد الآن أن نلقي نظرة سريعة على البعد الفكري والخلفية الايديولوجية لهذه التطورات السياسية في قبرص. وفي عصر الإحتلال البريطاني تبرز أمامنا بعض الأسماء، نذكر منها هيرونيموس فارلام Hieronymos M. Vaarlam (١٨٤٩-١٩١٥م). وهو سليل أسرة يونانية كاثوليكية رومانية من كورفو (كيركيرا)، إحدى الجزر السبع في غرب اليونان، والتي كانت ذات روابط وثيقة مع البندقية. كان جده جيرولامو Girolamo قد قدم إلى قبرص وإستقر بها منذ عام ١٧٧٠م. وبفضل توجيهات أمه القبرصية اليونانية ودراساته في جامعة أثينا إجتذبته الأورثوذوكسية والهيللينية فصار عالماً مرموقاً وفقيها نابهاً ومؤلفاً رصيناً يكتب باللغة اليونانية الحديثة والقديمة في أسلوب غاية في النقاء والصفاء. أصدر فيما بين ١٩٠٩-١٩١١م الدورية الأدبية "كوزموس" (Kosmos)، وأسهم في تحرير "كليو" Klio [1] نيا هيميرا Nea Hemera (يوم جديد). والدوريتان الأخيرتان كانتا تصدران في تريستي Triesti، ولقد أسهم في دوريات كثيرة أخرى. وعمل مساعداً لأثاناسيوس ساكيلاريوس A.Sakellarius وهو يجمع المادة الفولكلورية واللغوية لكتابة الرائد "القبرصيات" Kypriaka (أثينا ١٨٥٥-١٨٩١م). ونشر ترجمة لبعض الروايات الإيطالية (١٨٩٢-١٨٩٣م)، وكذا "مراسلاته" مع أساتذته باللهجة اللأتيكية و "إبجرامات"[2].

وترجم أغنية شعبية قبرصية إلى الشعر باللغة الهومرية (١٨٩٥م). ومن مؤلفاته المفقودة "قاموس المترادفات" باليونانية واللاتينية والإنجليزية والفرنسية والإيطالية.

كان إستخدام اللغة اليونانية العامية في الأدب شعراً ونثراً يعد خطيئة لا تغتفر في قبرص (واليونان) حتى الثلاثينيات من القرن العشرين. ولذلك نظم الطبيب والعالم الفنان المبدع والمؤلف المسرحي يوأنيس كاراجيورجياديس Ioannes Karageorgiades (١٨٤٢-١٩٢٨م) من

---

(١) كليو Klio هي ربة التاريخ أي إحدى ربات الفنون موساي Mousai في الأساطير الإغريقية. وعن تاريخ الصحافة القبرصية ١٨٧٨-١٩٦٠ راجع:

[Greek] Lympourides (Nicosia 1973) passim.

(٢) اللهجة الأتيكية هي أرقى مرحلة في تطور اللغة اليونانية القديمة فهي لهجة إزدهرت في أتيكا الإقليم الذي تقع فيه أثينا. ومن ثم فإن اللهجة الأتيكية ترتبط بالقرن الخامس ق.م الذهبي في الحضارة اليونانية. وعلى وجه الخصوص ترتبط هذه اللهجة بقمة النضج في الأدب الإغريقي وسائر فنونه ولاسيما التراجيديا والكوميديا والخطابة والفلسفة والكتابات التاريخية وغيرها. أما الإبجرامة Epigramma فهي فن شعري ارتبط في نشأته بالقبريات أي شواهد القبور، ولكنه صار يستخدم في فنون أدبية أخرى مثل الحكم والأمثال وما إلى ذلك. وهذا الفن الشعري يتميز عن غيره بالإيجاز البديع وإحكام العبارة والنهاية المدببة. أنظر أحمد عتمان، الأدب الإغريقي ص١٠٧-١٨٤، ١٨٥-٣٥٩، ٣٧١-٤٥٢.

نيقوسيا وإن كان قد استقر فى ليماسول مسرحيته "قبرص المستعبدة" (Kypros Doule) بالفصحي المتقعرة، وتعالج بالأساس فترة إحتلال فرسان تمبلارز لقبرص التى سبق أن عالجناها فى هذا الكتاب فإن كانت هذه القصيدة الملحمية والمسرحية تتعرض لتاريخ قبرص كله وجاء فى استهلال الأنشودة الأولى.

أما مينيلاوس إفرنجيديس Menelaos Phrankoudes (١٨٧١-١٩٣١م)، وهو من ليماسول وأسمه المستعار أونيسيلوس Onesillos. فقد كان صحفياً وشاعراً وناقداً ومؤلفاً مبدعاً من ليماسول. وكان صديقاً لنصير العامية وهو يانيس بسيخاريس Iannis Psychanis. تعرف عليه عندما كان يدرس القانون فى باريس.

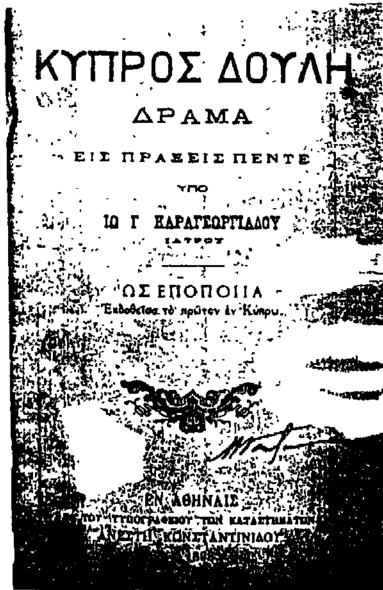
وكان سافاس خريستيس Savas Christes هو الذى أدخل العامية فى لغة القانون ووثائق الحاكم. وفعل أندرياس رولانديس Andreas Rolandis نفس الشيئ بالنسبة للوثائق الزراعية والإدارة المحلية. وشجع سولون ميخائيليديس Solon Michaelides إدخال العامية فى التعليم الإبتدائى. وسار على نفس الدرب فى تشجيع العامية كل من لويزوس فيليبو Loizos Philippou من بافوس، وميليس نيكولا يئديديس Melis Nicolaides من لارناكا، وأنطونيس إنديانوس Antonis Indianos مترجم الحكومة الرسمى، نيكولائيديس وغيرهم.

وكانت هناك دائرتان أدبيتان مهمتان. الأولى إلتفت حول فاسيليس شاعر قبرص القومى ميخائيليديس[1] Vassilis Michaelides (١٨٤٩-١٩١٧م)، وتميل نحو النقد الإجتماعى التقدمى، وأصدرت الدورية "الاداب القبرصية" Kypriaka Grammata (١٩٣٤-١٩٥٦م). أما الدائرة الثانية فالتفت حول ديميتريوس ليبرتيس Demetrius Lebertis (١٨٦٦-١٩٣٧م). وأصدرت الدورية "بافوس" (١٩٣٥-١٩٤٧م)، وكانت هذه الدائرة أكثر تحفظاً. المهم أن عدداً كبيراً من أعضاء الدائرتين كان قد عاش طويلاً فى اليونان ولندن ومصر، مما خلق جواً من التعددية فى الحياة الثقافية القبرصية. ولذا فلا نعدو الحقيقة إذا قلنا إن الأدب القبرصى الحديث والمعاصر يدين بالشيئ الكثير لمصر واليونان ولندن. ولقد بدأ أبناء قبرص يلتحقون بالجامعات الأوروبية، وإزدهرت حركة الأبحاث الأدبية والفقهية والتاريخية والأثرية.

ظهرت تأثيرات التطورات السياسية على الجيل الناشئ من الشعراء والكتاب والصحفيين والمحامين والأطباء والمدرسين، الذين زاد عددهم تحت الإحتلال البريطانى. إذ إزدادت الصلات بين المدن الساحلية القبرصية ومراكز الثقافة الأوروبية. ولوحظ أثر ذلك فى نمط الحياة الجديدة فى كل من لارناكا - سكالا وليماسول. وكانت الطبقة الثرية على إتصال بالثقافة الأوروبية حتى قبل

---

[1] كان قد نشر ديوانه الأول عام ١٨٨٢م بعنوان "القيثارة المريضة" ونشر مجموعة أخرى عام ١٩١١م وكلاهما منشوران فى ليماسول.


ΚΥΠΡΟΣ ΔΟΥΛΗ

ΔΡΑΜΑ

ΕΙΣ ΠΡΑΞΕΙΣ ΠΕΝΤΕ

ΥΠΟ

ΙΩ Γ ΚΑΡΑΓΕΩΡΓΙΑΔΟΥ

ΙΑΤΡΟΥ

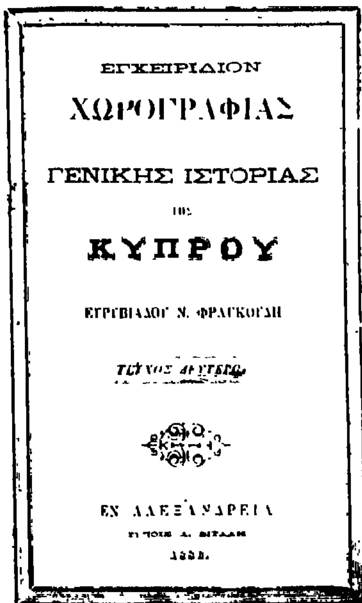
ΩΣ ΕΠΟΠΟΙΙΑ

Ἐκδοθεῖσα τὸ πρῶτον ἐν Κύπρῳ

ΕΝ ΑΘΗΝΑΙΣ

ΤΥΠΟΓΡΑΦΕΙΟΥ ΤΩΝ ΚΑΤΑΣΤΗΜΑΤΩΝ

ΑΝΕΣΤΗ ΚΩΝΣΤΑΝΤΙΝΙΔΟΥ


ΕΓΧΕΙΡΙΔΙΟΝ

ΧΩΡΟΓΡΑΦΙΑΣ

ΓΕΝΙΚΗΣ ΙΣΤΟΡΙΑΣ

ΤΗΣ

ΚΥΠΡΟΥ

ΕΥΡΥΒΙΑΔΟΥ Ν. ΦΡΑΓΚΟΥΔΗ

ΤΕΥΧΟΣ ΔΕΥΤΕΡΟΝ

ΕΝ ΑΛΕΞΑΝΔΡΕΙΑ

ΤΥΠΟΙΣ Α. ΜΙΤΖΑΚΗ

1886

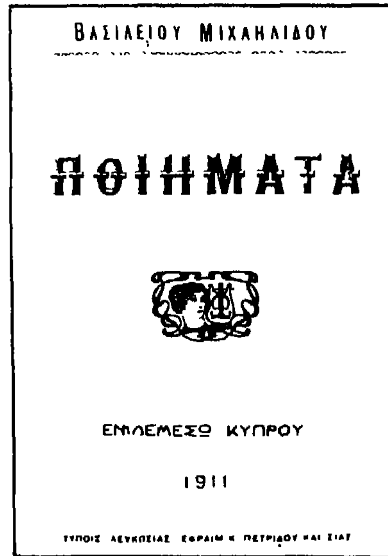


شكل (٥٢): أ- مسرحية كاراجيورجيادیس "قبرص المستعبدة.

ب- مينيلادس فرانكوديس.

جـ- "وصف قبرص وتاريخها العام" تأليف إفريفياديس ن. فرانكوديس. منشور بالاسكندرية ١٨٨٦م





ΒΑΣΙΛΕΙΟΥ ΜΙΧΑΗΛΙΔΟΥ

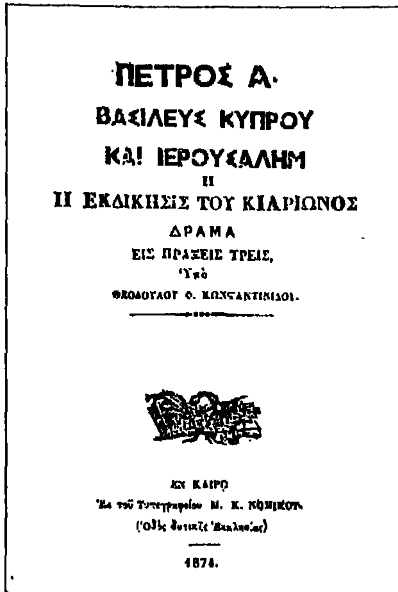
ΠΟΙΗΜΑΤΑ

ΕΝ ΛΕΜΕΣΩ ΚΥΠΡΟΥ

1911

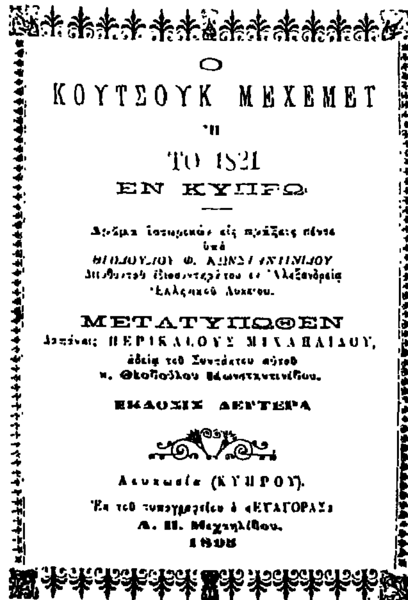
ΤΥΠΟΙΣ ΛΕΥΚΩΣΙΑΣ ΕΦΡΑΙΜ Κ. ΠΕΤΡΙΔΟΥ ΚΑΙ ΣΙΑΣ

شكل رقم (٥٣): فاسيليس ميخائيليديس ومجموعة من أشعاره المنشورة عام ١٩١١ في ليماسول



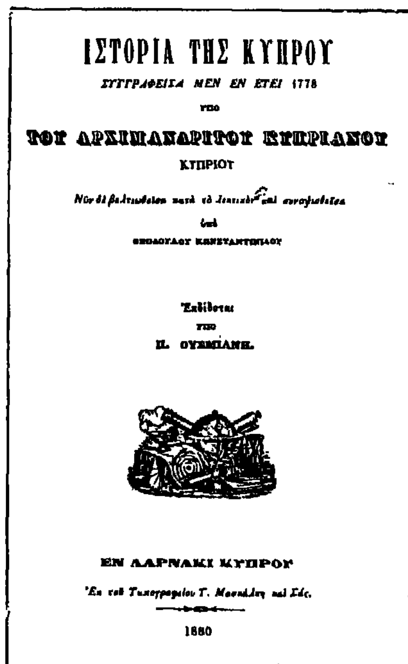
ΠΕΤΡΟΣ Α·
ΒΑΣΙΛΕΥΣ ΚΥΠΡΟΥ
ΚΑΙ ΙΕΡΟΥΣΑΛΗΜ
Η
Η ΕΚΔΙΚΗΣΙΣ ΤΟΥ ΚΙΑΡΙΩΝΟΣ
ΔΡΑΜΑ
ΕΙΣ ΠΡΑΞΕΙΣ ΤΡΕΙΣ,
Ὑπὸ
ΘΕΟΔΟΥΛΟΥ Φ. ΚΩΝΣΤΑΝΤΙΝΙΔΟΥ.

ΕΝ ΚΑΙΡΩ
[illegible] Μ. Κ. ΚΟΜΙΚΟΥ
[illegible]
1874.



Ο
ΚΟΥΤΣΟΥΚ ΜΕΧΕΜΕΤ
Ἢ
ΤΟ 1821
ΕΝ ΚΥΠΡΩ
Δρᾶμα ἱστορικὸν εἰς πράξεις πέντε
ὑπὸ
ΘΕΟΔΟΥΛΟΥ Φ. ΚΩΝΣΤΑΝΤΙΝΙΔΟΥ
[illegible] ἐν Ἀλεξανδρείᾳ
Ἑλληνικοῦ Λυκείου.
ΜΕΤΑΤΥΠΩΘΕΝ
δαπάναις ΠΕΡΙΚΛΕΟΥΣ ΜΙΧΑΗΛΙΔΟΥ,
ἀδείᾳ τοῦ Συγγραφέως αὐτοῦ
κ. Θεοδούλου Κωνσταντινίδου.
ΕΚΔΟΣΙΣ ΔΕΥΤΕΡΑ

Λευκωσία (ΚΥΠΡΟΥ).
Ἐκ τοῦ τυπογραφείου ὁ «ΕΥΑΓΟΡΑΣ»
Α. Π. Μιχαηλίδου.
1898



ΙΣΤΟΡΙΑ ΤΗΣ ΚΥΠΡΟΥ
ΣΥΓΓΡΑΦΕΙΣΑ ΜΕΝ ΕΝ ΕΤΕΙ 1778
ΥΠΟ
ΤΟΥ ΑΡΧΙΜΑΝΔΡΙΤΟΥ ΚΥΠΡΙΑΝΟΥ
ΚΥΠΡΙΟΥ
Νῦν δὲ βελτιωθεῖσα κατὰ τὸ [illegible] καὶ συνοψισθεῖσα
ὑπὸ
ΘΕΟΔΟΥΛΟΥ ΚΩΝΣΤΑΝΤΙΝΙΔΟΥ

Ἐκδίδοται
ΥΠΟ
Π. ΟΥΣΜΙΑΝΗ.

ΕΝ ΛΑΡΝΑΚΙ ΚΥΠΡΟΥ
Ἐκ τοῦ Τυπογραφείου Τ. [illegible]
1880

شكل رقم (٥٤): مؤلفات ثيودولوس قسطنطيديس "بطرس الأول ملك قبرص وبيت المقدس" منشور بالقاهرة ١٨٧٤م و "كوتشوك محمد أو ١٨٢١م في قبرص" منشور بالاسكندرية ١٨٨٨م.

الإحتلال البريطاني فلما جاء الإحتلال إزدادت العلاقات كثافة، وإزدادت فرص تلقى التعليم الأوروبى وفرص الإحتكاك الفكرى، فقبل الإحتلال كانت هناك مراكز ثقافية محيطة بقبرص تجذب الراغبين فى العلم والثقافة، ونعنى الإسكندرية وأزمير والقدس وأثينا وباريس وبيروت وبوخارست والبندقية وإستانبول ومرسيليا ونابلى، أما بعد الإحتلال فقد إحتلت لندن مركز الصدارة بوصفها محطة أنظار القبارصة وكعبة الإستلهام الإبداعى، ويلاحظ أن لارناكا -سكالا وليماسول تفوقتا على نيقوسيا العاصمة طوال الإحتلال العثمانى، وعلى الأقل حتى نصف قرن من بداية الإحتلال البريطانى، وبصفة عامة كانت المدن الساحلية أكثر إستعداداً من غيرها لإستقبال رياح التغيير التى هبت فى أوائل القرن العشرين.

بعد وصول قوات الإحتلال البريطانى إلى لارناكا بوقت قليل ظهرت أول صحيفة قبرصية عام ١٨٧٨م بعنوان "قبرص" (Kypros)، وهى أسبوعية باللغتين اليونانية والتركية ويصدرها المعلم والأديب ثيودولوس ف. قنسطنطينيديس Theodoulos Ph. Constantinides وكان قد قضى عدة سنوات فى لارناكا، وكان قد نشر مسرحية عن الحب فى أزمير عام ١٨٧٣م، ومسرحية عن "بطرس الأول ملك قبرص وبيت المقدس " فى القاهرة ١٨٧٤م، حيث كان يعمل مدير مدرسة بالاسكندرية حتى ١٨٧٨م قبل أن يعود مع الكثيرين من المثقفين القبارصة إلى قبرص سعياً وراء الفرص الجديدة البادية فى الأفق مع بداية الحكم البريطانى، وعندما عاد إلى قبرص أحضر قنسطنطينيديس من مصر معدات وتجهيزات تكفى لإنشاء دار طباعة، رفض المندوب السامى البريطانى أن يمنحه تصريحاً بإصدار جريدة يونانية، فلجأ إلى صديقه الصحفى البريطانى بالمر Palmer، وتوسط به للحصول على هذا التصريح، وتولى بالمر تحرير القسم الإنجليزى فى جريدة "قبرص"، أما مسرحيته "كوشوك محمد أو ١٨٢١ فى قبرص" Kuchuk Mehmed or Cyprus in 1821 فقد طبعت فى الإسكندرية ١٨٨٨م، وبعد ذلك فى نيقوسيا ١٨٩٥م حيث نشروها بريكليس ميخائيليديس Pericles Michaelides، الذى كان بدوره أديباً إمتلك مع إبنه داراً للنشر فى توكليا برومانيا وأسماها "أبوللو"، كانت كتب ميخائيليديس الأبن تطبع هناك قبل العودة إلى قبرص[1] .

ومن المدهش حقاً أن قنسطنطيديس كان قد أسس فى مصر جريدة بعنوان "أفريقيا" Aphrike التى صدرت يوم ١٣ مايو ١٨٧٦. ومع أنها لم تعمر طويلاً إلا أنها فتحت مرحلة جريدة فى الصحافة اليونانية بمصر. وامتلآت هذه الجريدة بمقالات تنبض بالحيوية وبمادة ثرية منتقاة، ولكنها لم تستطع أن تغطى تكاليف النشر والتوزيع[1] .

[Greek] Loizou Vol. B. pp. 132-133

أوجين ميخاليليديس، سجل مصور للصحافة اليونانية فى الديار المصرية (١٨٦٢-١٩٧٢م). الاسكندرية ١٩٧٢م، ص٦٤ (وهو مكتوب باليونانية).

وبعد أن تحولت ملكية جريدة "قبرص" إلى المحرر الإنجليزى بالمر (واستمرت حتى ١٨٨٢م)، لجأ قسطنطينيديس إلى إصدار صحيفة يونانية أسبوعية بعنوان "كيتيون"، وبعد ذلك بعنوان "نيون كيتيون"، وإستمرت حتى ٩ يونية ١٨٨٩ فى لارناكا، ثم فى نيقوسيا بعد ذلك، وإمتدحت هذه الصحيفة الحكم البريطانى، لأنه فتح باب النهوض أمام أوروبا، ولكنها لم تعف السلطات الحاكمة فى قبرص من الإنتقاد المرير وقارنت الإحتلال البريطانى بسلفه الإحتلال العثمانى، واتهمت رجال الكنيسة بالتخلف والجهل والإنتهازية، وعزت التدهور الإدارى المستمر فى قبرص إلى جمود العقلية الاستعمارية لدى سلطات الإحتلال البريطانى.

وفى ليماسول صدرت الأسبوعية اليونانية "أليثيا" (Aletheia = الحقيقة) من ١٨٨٠/١٢/١٠م حتى عام ١٨٩٧م، كان يصدرها المحامى باليولوجوس B.K. Palaeologos، وبعد ذلك تولاها حتى عام ١٩٣١ المثقف التقدمى مينيلاوس إفرنجيديس سالف الذكر، ولكن مجلة "أليثيا" تعرضت للهجوم على صفحات "نيون كيتيون"، لأنها كانت تؤيد إنغماس الكنيسة فى السياسة، وهو نفس الموقف الذى تبنته جريدة أسبوعية صدرت فى لارناكا بعنوان "ستاسينوس" Stasinos من ١٨٨٢/١/١-١٨٨٣/١٢/٢٩م، ومن ١٩٨٤/١/١٣م صار عنوانها "ستاسينوس أو صوت قبرص"، وجدير بالذكر أن ستاسينوس هو الذى تنسب إليه "الملاحم القبرصية كما سبق أن ذكرنا فى الباب الأول، وبعد موت رئيس تحريرها ثيميستوكليس ثيوخاريديس Themistocles Theocharides فى يناير ١٨٨٧م صدرت بعنوان "صوت قبرص" بتحرير ج.نيكوبولوس G.Nikopoulos فى ليقوسيا إبتداءً من ٥ فبراير ١٨٨٧م، بعد ذلك تولاها كيريللوس بافليديس Kyrillos K.Pavlides وغير عنوانها إلى "الصوت الجديد لقبرص".

ومن أدباء تلك الفترة المرموقين ثيميستوكليس ثيوخاريديس سالف الذكر، فهو من أسرة ثرية فى إفريخو Evrycho، تلقى تعليمه فى لارناكا وأثينا وعمل بالزراعة والتجارة فى قبرص ومصر، وعندما إستقر فى ليماسول عمل مدرساً وترقى إلى ناظر مدرسة فى لارناكا، وفى عام ١٨٧٧م نشر فى أثينا مأساة من خمسة فصول بعنوان "بطرس فى مجلس الشيوخ" Petros Synkletikos (ظهرت الطبعة الثانية فى لارناكا ١٩٠٧م) ونالت جائزة أدبية كبيرة فى أثينا عام ١٨٩٥م، ونشر قصائد غنائية فى نيقوسيا ١٨٨٦م، أما أشهر أعماله فهى رواية بعنوان "مشهدان من تاريخ قبرص" (لارناكا ١٨٨١م) وكانت قد نشرت مسلسلة فى "ستاسينوس"، وله ملحمة ذات نكهة هومرية وتحمل عنوان Limnites. ومات عام ١٨٨٦م.

ونشرت بنفس الصحيفة أعمال أدبية أخرى مهمة مثل رواية "بنات المتهم"، تأليف الكاتبة القبرصية التى كانت تقيم فى مرسيليا بفرنسا وتدعى ماريا نيكولائيديس Maria J.Nicolaidou، ونشرت بها أيضاً أشعار ودراسات قانونية وأبحاث إستشراقية للكاتب خريستو بابا دوبولوس Chr. Papadopoulos قاضى محكمة فاماجوستا المهاجر أصلاً من

بيثينيا وإستانبول. وقد كان مؤلفاً غزير الإنتاج. وبصفة عامة يمكن القول أن الصحافة القبرصية في الخمسين سنة من إنشائها -ومن الحكم البريطاني- كانت ثرية في موضوعاتها الأدبية والبحوث الفقهية، مما ينم عن إشتعال جذوة الإبداع لدى القبارصة بعد عام ١٨٧٨م. فلم يكن الأمر قاصراً على الحياة السياسية أو اليومية. ومن الظواهر التي تشد الإنتباه أن حرية الرأى والتعبير كانت مكفولة وسائدة في الجو العام للحياة الفكرية، مما وصل بالوعي الثقافي القبرصي آنذاك إلى مستوى رفيع. وبلغ الإنتاج الأدبي ذروة النضج، وبرز الحس القومي الذي إستطاع أن يتغلب على الحساسيات الطائفية والنزعات الفردية.

ولم يك غريباً إذاً أن تظهر الحاجة الملحة للدوريات المتخصصة. وفي ١٨٨١م أصدر ثيوخاريديس في لارناكا الدورية الأسبوعية "ليرا" Lyra. وهي مخصصة للشعر وظهرت كملحق أدبي لصحيفة "ستاسينوس". ومن ١١ ديسمبر ١٨٨١م وحتى ١٥ يونية ١٨٨٢م أصدر ثيودولوس قنسطنطيديس مؤسس الصحافة القبرصية كما أسلفنا في لارناكا دورية "يوتيربي" (Euterpe)[1] مجلة أدبية ظهرت كملحق. ثم ظهر لـ "يوتيرى" نفسها ملحق بعنوان "كيرافنوس[2] جريدة ساخرة" Keravnos, Ephemeris Satirike من ١٥ يناير ١٨٨٢م وحتى ١٥ أبريل ١٨٨٢م. وكانت كل منهما نصف شهرية.

ثم ظهرت جريدة يونانية إنجليزية تحمل عنوان "هيلينكوس خرونوس" Hellenic Times- Hellenikos Chronos. ومعها ملحق أدبي بعنوان هيليكون Helicon (وهو جبل الإلهام الأدبي باليونان حيث مرتع ربات الفنون).[3] كان رئيس تحريرها هو أونوفريوس ياسونيديس Onofrios Iasonides. كانت الجريدة وملحقها يصدران في لندن ويوزعان بصفة أساسية في أثينا ومراكز الثقافة اليونانية الأخرى خارج قبرص. وفي مايو ١٨٨٤م إتهم ياسونيديس في جريمة جنائية فهرب من قبرص. وعاد هذا المغامر إلى قبرص وأصدر مرة ثانية "هيليكون" دورية شهرية في ليماسول من ١٩١٠-١٩١١م.

إن عدد الصحف والمجلات التي ظهرت في قبرص في الفترة من ١٨٧٨-١٩٣١م ضخم جداً، ويعكس إنطلاقة ثقافية في قبرص إبان بدايات الإحتلال البريطاني. بل إن بعض العائلات أصدرت جرائد ومجلات خاصة بها. وأكبر مثل على ذلك عائلة خورموزيوس Chourmouzios في ليماسول منذ يناير ١٨٨٤م، التي أصدرت صحيفة "سالبينكس (Salpinx) صحيفة الشعب الأسبوعية السياسية الساخرة".

---

(١) يوتيربي Euterpe هي ربة العزف على الفلوت، فهي أحدى ربات الفنون الموساى، قارن حاشية رقم ٢.

(٢) كيرافنوس Keravnos (أو كيراونوس باليونانية القديمة) تعني الصاعقة سلاح زيوس رب الأرباب في الأساطير الاغريقية. ولما كان زيوس يصعق بها كل من يخالف قوانين العدالة الإلهية أو النظم الكونية ومن ثم فالكلمة ترمز للضبط والربط في الحياة والكون.

(٣) الهيليكون Helicon جبل في إقليم بويوتيا ورد في الأساطير أن ربات الفنون الموساى كن يقيمن فوقه. راجع: أحمد عتمان، الأدب الإغريقي، ص١٠٠.

وكان ستيليانوس خورموزيوس بارزاً في عزف الموسيقى البيزنطية، وقضى السنوات الأخيرة من عمره بوصفه "المنشد الأول" Protopsaltes في الكنيسة القبرصية في نيقوسيا حيث توفي في ٢١ يولية ١٩٣٧م في التاسعة والثمانية بعد حياة حافلة، أما ابن عمه أيميليوس خورموزيوس المدير الشهير لجريدة "كاثيميريني" Kathemerini (أي "اليومية") الأثينية فقد كان رئيس تحرير الدورية الماركسية الراديكالية "أفجي" Avghi (أي الفجر)، التي كانت تصدر في ليماسول من أبريل ١٩٢٤- مارس ١٩٢٥م، وقبل أن يهاجر إلى أثينا كان قد نجح في تحقيق الشهرة بوصفه ناقداً أدبياً ماركسياً وصحفياً صاحب مقال.

صدرت صحيفة "إثنوس" (Ethnos) (= الأمة) في ١٧ أغسطس ١٨٩١م، وإستمرت حتى ٢٢ فبراير ١٨٩٣م في لارناكا، وحررها سبيروس جريسبيس Sp. Gryspis وفي الفترة من ٢١ سبتمبر ١٨٩٣-٣١ أغسطس ١٩٣٤م حررها ميسولونجيتيس K.L.Mesolongites بعنوان "نيون إثنوس" (= "الأمة الجديدة").

ولعل أكبر صحيفة قبرصية معمرة هي إليفتريا (الحرية Elevtheria)، إذ إستمرت من ١٩٠٦- ١٩٧٤م، وصدرت لأول مرة في نيقوسيا بتحرير الأخوين كيروس وديموسثينيس ستافرينيديس (Kyros- Demosthenes Stavrinides)، وكان ديموسثينيس أديباً فنشر مجموعة قصصية بعنوان "حكايات قبرصية" ١٨٩٨م وهو في سن التاسعة عشر، ثم درس القانون في أثينا وأسس "إليفتريا" مع أخيه كيروس عام ١٩٠٦م، وفي عام ١٩١٢/١٩١٣م كان ديموسثينس محرر "صدى لندن"، وهي دورية باللغة اليونانية، ثم إنتقل إلى أثينا ١٩١٥م ومارس الصحافة والسياسة وشغل بعض المناصب الرفيعة وأسس "جريدة اليونان اليومية" (Ephemeris tes Hellados)، وأسهم في تحرير "هيستيا" Hestia (= الموقد) التي يملكها قبارصة مقيمون في أثينا، وأسهم في تحرير "القاموس الموسوعي" إليفتروذاكيس قبل أن يعود إلى قبرص ويصبح مديراً لإليفتريا ١٩٣١م، وظل كذلك حتى مات عام ١٩٥٨م، وكانت "إليفثيريا" أكبر صحيفة قبرصية وأكثر الصحف اليونانية جرأة وتشبعاً بفكرة الحرية.

وفي ليماسول يناير- أبريل ١٨٨٨م حرر شاعر قبرص القومي فاسيليس ميخائيليديس Vassilis Michaelides -سالف الذكر- صحيفة نقدية ساخرة بعنوان "ديافولوس" Diavolos (= الشيطان) وفي ليماسول أيضاً من ١ سبتمبر ١٩٠١-١٩ سبتمبر ١٩٠٢م حرر إفرنجيديس مجلة أسبوعية سياسية علمية سماها "ديابلاسيس" Diaplasis، (= التكوين) أما بريكليس ميخائيليديس فقد أصدر في نيقوسيا الأسبوعية التي حملت عنوانا" إسم البطل الإغريقي القبرصي إفاجوراس (= إيواجوراس) سالف الذكر في الباب الاول، واستمرت هذه الدورية من مارس ١٨٩٠ إلى ١٩٠٥م، حين تولاها المحامي ثيوفانيس ثيودوتوس Theophanes Theodotos فسماها "لواء قبرص" Symaia tes Kyprou، ومن بعده تولاها الشاعر الساحر جورج ستافريديس G.Stavrides، ومن بعده نيكولاؤس كاتالانوس الذى غير عنوانها إلى "الحارس القبرصي" Kypriakos Phylax من ٢١ أغسطس ١٩٠٦ إلى عام ١٩٢١م، وعندما نفي كاتالانوس تولاها ك. قسطنطينيديس وأعطاها عنوان "الحارس القبرصي الجديد"، ثم تولاها زوج إبنته فياس ماركيديس Bias Markides.

وظهرت صحيفة أخرى ساخرة بعنوان "راجياس" Ragias فى يناير ١٨٩٨م، وإستمرت حتى ١٩٠٦م، وإقترنت بإسم جورج ستافريديس وكانت تطبع في نيقوسيا • وتوجه النقد المرير على صفحاتها إلى الإحتلال البريطاني والفساد الإجتماعي • وكانت تنظم من أولها إلى آخرها شعراً.

وفي نفس الوقت كانت هناك مجلة فلسفية نصف شهرية بعنوان "زينون" –مؤسس الفلسفة الرواقية الذى تناولناه فى الباب الأول • كانت تصدر فى نيقوسيا وتجمع بين العلم الحديث والنواحى الإقتصادية.

وكان لفاروشا الضاحية اليونانية لمدينة فاماجوستا صحفها الخاصة • ففى الأعوام ١٩٠٧-١٩١١م صدرت الأسبوعية "سلاميس" بتحرير لوكاس زالوميديس Lukas Zaloumides دارس القانون التقدمى • وبمعونة ك.نيكولائيديس • وفيما بين ١٩١٢ و ١٩٢١م صدرت "أموخوستوس" بتحرير زالوميديس • وفى نفس المدينة ١٩١٣/١٩١٤م ظهرت أول صحيفة قبرصية نسائية وعنوانها" هيستياديس": جريدة أدبية نصف شهرية للسيدات".

(Hestiades philologike dekapenthemeros ephemeris ton kyrion)

وجدير بالذكر أن "هيستياديس فى الأساطير اليونانية تعنى كاهنات إلهة الموقد هيستيا حارسة وراعية أهل المنزل فهو اسم له هذا الرمز الأسرى، كانت تديرها بيرسيفونى بابا دوبولو Persephone Papadopoulou (١٨٨٨-١٩٤٩) المدرسة المثقفة التى تتلمذت بعد ذلك على يد الفيلسوف الأشهر برجسون Bergson فى السوربون • ولقد إستدعيت من باريس لترأس "أكاديمية التربية" فى باترا باليونان، حتى موتها • كانت "هيستياديس" تنشر الكثير من ترجمات النصوص الأدبية والمقالات المتخصصة لأشهر فلاسفة أوروبا وأدبائها وعلمائها مثل شوبنهور ونيتشه وبرجسون وغيرهم. ومن مؤلفات برسيقونى بابا دبولو كتاب "ملاحظات تربوية: حركة الإصلاح باليونان وأهم مشكلات المدرسة القبرصية"[1] نيقوسيا ١٩٣٠. وكتاب آخر مهم هو "فلسفة برجسون ١٩٣٩م •

---

(1) [Greek] Chrysanthes Z., (Thessalonike 1972), pp. 35-37.

وعن الثقافة الفرنسية فى قبرص من ١٨٧٨-١٩٧١م أنظر: Beraud, op. cit., pp. 129-184

٢- الإحتلال البريطانى والحرب العالمية الأولى

بعد ظهور البترول فى إيران ودول الخليج بدأت إنجلترا تعطى أهمية متزايدة لوجودها فى قبرص، لحماية مصالحها فى الشرق الأوسط، وتأمين قناة السويس والطريق إلى الهند، وبذلت بريطانيا كل جهد ممكن للحفاظ على قبرص، وعدم وقوعها فى أيدى اليونان وحليفتها الأقوى فرنسا، ولكن فرنسا نفسها لم تكن تحبذ إستقلال قبرص أو ضمها إلى اليونان، بل كانت تفضل ضمها إلى سوريا محميتها القوية آنذاك، وكانت فرنسا بالفعل فى أكتوبر ١٩٠٨م وعلى لسان وزير خارجيتها بيشو Pichou قد أيدت إرجاع قبرص إلى تركيا، عوضاً عن كريت التى خسرتها، وعارضت بريطانيا الإقتراح على أساس أن الباب العالى لن يقبل نقض اتفاقية ١٨٧٨م. وحيث أن غالبية سكان قبرص مسيحيون، فلقد كان فى عودة قبرص لتركيا وزحف الجيوش التركية عليها مخاطر هائلة، وفى عام ١٩١٩م قبلت اليونان مشروع ضم الجزر الإثنى عشر إلى إيطاليا، على أساس أن تبقى رودس فى حوزة إيطاليا طالما بقيت قبرص فى أيدى بريطانيا، وطبقاً لاتفاقية سيفر Sevres (مادة ١١٥-١١٧) المعقودة فى أغسطس ١٩٢٠م نفضت تركيا يدها تماماً من قبرص، وتنازلت عن جميع مطالبها فيها، وتم الإعتراف بضم قبرص إلى بريطانيا من قبل كافة الأطراف الموقعة على المعاهدة.

وفى عام ١٩٢١م وأثناء الإحتفالات بمرور مائة عام على الثورة اليونانية قامت الإضطرابات فى قبرص، طُرد على أثرها إثنان من السياسيين البارزين فى قبرص هما فيليوس زانيتوس Philios Zannetos ونيكسولاؤس كاتالانوس Nicolaos Katalanos، ورد القبارصة اليونان بالدعوة إلى "إجتماع قومى" كوسيلة للمقاومة السلبية ضد الإحتلال البريطانى، وصدرت عدة قرارات عن الإجتماع، من أهمها الإمتناع عن التصويت فى الإنتخابات، وتم تأسيس هيئة سياسية للإشراف على تنفيذ المقاطعة ووقف التعاون مع السلطات البريطانية المحتلة، ومعالجة العواقب الإقتصادية المترتبة على ذلك، وكانت المقاطعة القبرصية اليونانية لإنتخابات ١٩٢١م كاملة، وفى عام ١٩٢٢م أعيدت الإنتخابات، فإنتخب قسان مارونيان حصلا على ١٣٥٠ صوتاً مارونياً، وأصر البريطانيون على إعادة الإنتخابات للمرة الثالثة، وأقنعوا سبعة فلاحين لترشيح أنفسهم!.

إزدادت بريطانيا تشبثاً بقبرص وحاربت فكرة إتحادها مع اليونان، وفى إتفاقية ١٩٢٠/١٢/٢٣م بين إنجلترا وفرنسا تم الاتفاق على "أنه نظراً للموقع الإستراتيجى الخطير والأهمية الجغرافية لقبرص الواقعة خارج خليج الإسكندرونة، فإن الحكومة البريطانية تتعهد بعدم التفاوض بشأن قبرص والتنازل عن الجزيرة دون التفاهم المسبق مع الحكومة الفرنسية".

وبعد قيام الثورة البلشفية فى روسيا (أكتوبر ١٩١٧م) إكتسبت تركيا أهمية خاصة فى سياسات الغرب الرأسمالى، بوصفها خطاً دفاعياً مباشراً ضد هذا النظام الشيوعى الشمولى، حماية

لبقية آسيا ولاسيما الشرق الأوسط ومنابع البترول. وفي ظل تلك الظروف صار من المحال أن تتنازل بريطانيا عن سيطرتها على قبرص. وتكونت في ليماسول حركة ماركسية ثورية كانت لها أجنحة في لارناكا وبافوس. والتفت حولها الطبقات الفقيرة والفئات المطحونة، ولاسيما عندما إشتدت الأزمة الإقتصادية العالمية في أواخر العشرينيات، وإزداد الإستغلال البريطاني قسوة.

ومنذ البداية إتبع البريطانيون في قبرص السياسة التي طبقوها في سائر مستعمراتهم مثل مصر والسودان والهند وباكستان وغيرها، وهي سياسة "فرق تسد". لقد بذروا بذور الصراع في قبرص منذ بداية وصولهم إلى الجزيرة. وهذا ما يلاحظ في التشريع الذي أدخلوه في ٣٠ نوفمبر ١٨٨٢م. حيث أبقوا على "المجلس التشريعي" القبرصي، وجعلوا قراراته بمثابة توصيات وعضويته من ١٨ يعين ٦ منهم بقرار من المندوب السامي البريطاني، وينتخب ١٢ كل خمس سنوات، ٩ ينتخبهم اليونان و٣ ينتخبهم الأتراك، وكل طرف منهما يجرى التصويت بصورة منفصلة عن الآخر. وهكذا وضع الإنجليز مبدأ التقسيم والفصل بين الجانبين القبرصيين، مما كان له آثار بالغة الضرر في التطورات السياسية من الآن فصاعداً. وعواقب وخيمة على بنية المجتمع القبرصي ذى العنصرين اليوناني والتركي وحتى يومنا هذا. ونحن على مشارق نهاية القرن العشرين مازالت الجزيرة تعاني بسبب تلك السياسة.

كان إسهام الشعب القبرصي في السلطة إسمياً وشكلياً فقط، فالحاكم البريطاني يمسك في يديه كل خيوط السلطة والإدارة والتحكم في كل شيئ بالجزيرة. ففي المجلس التشريعي مثلاً كان عدد الأعضاء الإنجليز والأتراك يساوى عدد اليونانيين. وهكذا يضمن الحاكم البريطاني التحكم في قرارات هذا المجلس. ولم يفلح الأعضاء اليونانيون في تمرير تشريعات لصالح الوحدة الوطنية. وحرص الإنجليز على تكريس إمتيازات الجانب التركي. فحتى "الأوقاف" كانت تحت إشراف مندوبين، أحدهما تركي تعينه وزارة الأوقاف التركية في استانبول (حتى ١٩١٤م)، و الثاني إنجليزي يعينه المندوب السامي. ولذا بدأ القبارصة اليونان يتذمرون، ويرسلون الشكاوى والوفود إلى لندن. بل إن الأتراك شاركوا في بعض هذه الوفود، كما حدث عام ١٨٨٨م، حيث كتبت الشكوى المقدمة باليونانية والتركية، وعبرت عن التذمر الشديد من الضريبة التي تحصلها تركيا سنويا. ولكن سرعان ما انسحب الأعضاء الأتراك -القبارصة تحت ضغط من استانبول ولندن. ووصل الوفد اليوناني بزعامة رئيس الأساقفة سوفرونيوس أواسط عام ١٨٨٩م إلى لندن. وإن كان الأتراك فيما بعد (٢ يولية ١٨٨٩م) قد عبروا عن تأييدهم لهذا الوفد والمطالب المشروعة، مع تحفظهم على المطالب الأخرى ويعنون "الإتحاد". أي اتحاد قبرص مع اليونان.

ومن وسائل زرع الفتنة بين الجانبين القبرصيين التي اتبعها الإنجليز أنهم تركوا القبارصة اليونان المتطوعين ينضمون لصفوف الجيش اليوناني في حروب البلقان، ولاسيما الحرب اليونانية التركية ١٨٩٧م وحروب١٩١٩-١٩٢٢م و١٩٤٠-١٩٤١م. وكان هؤلاء المتطوعون

القبارصة في عرف تركيا والأتراك القبارصة "خونة"، ويلاحظ في المقابل أن أحداً من أتراك قبرص لم يتطوع للقتال في صفوف الجيش التركي.

وفي نوفمبر - ديسمبر ١٩١٢م عرضت بريطانيا على اليونان أن تسلمها قبرص* في مقابل أن تعطى بريطانيا قاعدة بحرية في أرجوستولي في جزيرة كيفالونيا غرب اليونان، حينذاك كانت بريطانيا في حاجة ماسة لحماية قواعدها في البحر المتوسط ضد قوة إيطاليا والنمسا المتزايدة، وبعد أن إحتلت إيطاليا الجزر اليونانية الإثنى عشر بحذاء آسيا الصغرى في أبريل ١٩١٢م، وبعد أن سلمت تركيا إلى إيطاليا قوريني (الشحات) وطرابلس الليبيين في نفس العام أصبح لإيطاليا اليد الطولى في "الحلف الثلاثي" - مع ألمانيا والنمسا- وظهرت أطماعها في بحرايجة، الذى كانت معظم جزره اليونانية -مع مقدونيا- قد تحررت من الاحتلال التركي في حرب البلقان، ولكن رد فعل فرنسا جعل ونستون تشرشل يسحب العرض البريطاني في يناير ١٩١٣م، ويرجئ المسألة إلى ما بعد إنتهاء الحرب البلقانية وفي إطار إتفاقية عامة.

وبضم قبرص إلى بريطانيا رسمياً في ١٩١٤/١١/٥م بدا أن بريطانيا صرفت النظر عن الموضوع نهائياً، ولكن مع بداية الحرب ضد ألمانيا وبروز حاجة ملحة إلى عملية عسكرية ضخمة في البلقان وممرات الدردنيل أصبح الدور اليوناني مطلوباً، ومن ثم عادت فكرة عرض قبرص على اليونان لإغرائها بالإشتراك في الحرب، ولاسيما في ظل الصعوبات الحربية التي واجهها الحلفاء في أوائل ١٩١٥م، بل ذهب بعض الوزراء البريطانيين إلى حد التنازل عن قبرص لليونان مع بعض الأراضي في آسيا الصغرى، ولكن القادة العسكريين المشتبكين في القتال، وعلى رأسهم كتشنر Kitchener إعترضوا بشدة على هذه الأفكار، ووجدوا في قبرص قاعدة عسكرية إستراتيجية ضرورية لشن الهجوم على الإمبراطورية العثمانية لا يمكن الإستغناء عنها، يضاف إلى ذلك أن روسيا إعترضت على ضم قبرص إلى اليونان لأن هذا سيحولها إلى قوة ضاربة في شرق البحر المتوسط، ولكن بعد أن توغلت القوات النمساوية والألمانية والبلغارية في صربيا في ١٧ أكتوبر ١٩١٥م فإن الحكومة البريطانية قد أقدمت -برغم كل الإعتراضات- على عرض قبرص على الحكومة اليونانية الملكية برئاسة زائيميس Zaimes، الذى تولى رئاسة الوزارة بعد فينيزيلوس.

في ١٩١٥/١٠/٥ كان هذا العرض السخي في مقابل إشتراك اليونان في الحرب ومساعدة صربيا على صد الهجوم، وبعد عشرة أيام من تقديم العرض رسمياً رفضته الحكومة اليونانية والملك قسطنطين، لأنهما كانا يميلان إلى جانب ألمانيا، كما أنهما كانا يفكران في الحصول على استانبول وطراقيا وأزمير، لا تلك الجزيرة النائية قبرص[1] .

---

(١) وعن تفاصيل هذا العرض راجع:

M. Woodhouse, "The Offer of Cyprus, October 1915" Greece and Great Britain during World War I, First Symposium Organized in Thessaloniki, by the Institute for Balkan Studies and King's College in London 15-17 December 1983. Thessaloniki 1985, pp. 77-97.

بعد عزل الملك قسطنطين فى ديسمبر ١٩١٧م، ودخول اليونان الحرب العالمية الأولى إلى جانب دول التحالف، عاد فينيزيلوس إلى الحكم وعادت الصحافة اليونانية إلى إحياء عرض ١٩١٥م بضم قبرص إلى اليونان، وهكذا نشطت حركة "إنوسيس" من جديد فى قبرص، وترعرعت الآمال فى أن الإتحاد سيتم لا محالة فى نهاية الحرب، وبالفعل تمت مناقشة الموضوع عدة مرات، ففى اتفاقية ١٩١٨/١١/١١م طرحت بريطانيا الموضوع، وأجهضت المحاولة كما أجهضت المحاولات الأخرى، ومرد هذا الفشل هو موقف العسكريين الإستعماريين فى بريطانيا، ودخول أطراف دولية خارجية جديدة مما زاد المشكلة تعقيداً، لقد تنازلت إيطاليا عن الجزر الإثنى عشر لليونان شريطة تنازل بريطانيا أيضاً عن قبرص، وفى مقابل هذا العرض الإيطالى قدمت بريطانيا عرضاً موازياً، ولم يخرج الموضوع عن نطاق الكلام والتصريحات.

وفى اتفاقية سايكس -بيكو (Sykes- Picaud) المعقودة بين إنجلترا وفرنسا كان لا يمكن للأولى أن تتفاوض بشأن قبرص دون موافقة فرنسا، ومن الأراضى التى طالب بها فينيزيلوس فى مذكرته المقدمة إلى مؤتمر السلام ١٩١٨/١١/٣٠م قبرص وإستانبول وآسيا الصغرى وطراقيا وشمال إبيروس، لكن قبرص لم تذكر بالإسم فى مقترحاته ١٩١٩/١١/٣م، بضغط على ما يبدو من العسكريين البريطانيين الإستعماريين الذين عبروا عن مخاوفهم من أن تقع قبرص فى أيدى قوة أخرى أكبر تنافس بريطانيا العظمى، وكان أهم مايشغل فينيزيلوس هو أزمير وما حولها حيث كان يونان آسيا الصغرى يعيشون فى خطر داهم وملموس، أما يونان قبرص فهم فى أمان ويمكنهم الانتظار.

أما بلفور Balfour، صاحب الوعد المشئوم لليهود بوطن قومى فى فلسطين، فقد كان من بين المحبذين للتنازل عن قبرص لليونان، على أية حال فإن فينيزيلوس فى إعلانه المطالب اليونانية أمام مؤتمر العشيرة فى أورساى Quai d'Orsay ٣- ١٩١٩/٢/٦م ذكر إسم قبرص صراحة، ولكن الوفد القبرصى اليونانى إلى باريس صعق فى ربيع ١٩١٩م وأصيب بالإحباط عندما رفض البريطانيون مطلب "الإتحاد"، ولكن للويد جورج Lloyd George فى ١٩١٩/٥/١٣م وأمام مؤتمر الأربعة أعلن عن رغبته فى التنازل عن قبرص لليونان، وشكره فينيزيلوس بحرارة، وقال له إن بريطانيا يمكنها أن تحتفظ بأية قواعد فى الجزيرة، بل بالجزيرة كلها فى حالة الضرورة القصوى، أى نشوب الحرب من جديد، ولكن نزول القوات اليونانية فى أزمير ١٩١٩/٥/١٥م جعل مطلب قبرص غير قابل للطرح بتاتاً، فحتى للويد جورج أعطى إجابة سلبية للوفد القبرصى اليونانى فى نوفمبر ١٩١٩م، هذا فى الوقت الذى كانت فرنسا لا تزال تأمل فى ضم قبرص إلى سوريا، لتصبح هكذا تحت حمايتها وفى دائرة نفوذها.

وفى الإتفاقية اليونانية- الإيطالية فينيزيلوس -تيتونى (Venizelos Tittoni) الموقعة فى ١٩١٩/٧/٢٩م تقرر إعادة رودس إلى اليونان بعد خمس سنوات، شريطة أن تفعل بريطانيا نفس الشئ بالنسبة لقبرص، وفى أغسطس ١٩١٩م عارض الإتحاد الأنجلو -إسرائيلى (Anglo-Israelian

Federation) عودة قبرص إلى اليونان. وفى اتفاقية سيفر Sèveres ١٠/٨/١٩٢٠م تعهدت أيطاليا بالتنازل عن الجزر الإثنى عشر لليونان في غضون خمسة عشر عاماً بعد إجراء إستفتاء شعبى، وبعد تنازل بريطانيا عن قبرص لليونان. وتنازلت تركيا عن كل مزاعمها السابقة فى أى حق لها بالجزيرة، بما فى ذلك الضريبة. ولكن كورزون Curzon أكد لفينيزيلوس (٥/٨/١٩٢٠م) ولوفد قبرص اليونانى فى باريس (٩/٨/١٩٢٠م) بأن بريطانيا لا ترغب فى التنازل عن قبرص لأى طرف. فلقد أصبحت قبرص جزءً من الأسلاب والغنائم التى تم تقسيمها بين الدول المنتصرة فى الحرب العالمية الأولى.

إستعان البريطانيون فى حكمهم لقبرص بالمواطنين القبارصة، وكان الأتراك منهم حتى العشرينيات هم الغالبية بين مساعدى قوات الإحتلال وإداراته. وظلت المحاكم لفترة طويلة تتبع القوانين واللوائح العثمانية، ثم تحولت إلى النظام البريطانى. وفى عام ١٩٢٧م بدأ التفريق بين من هو قبرصى ومن هو غير قبرصى أمام القضاء. وفى العام التالى ألغى قانون العقوبات العثمانى، وفى عام ١٩٣٥م بدأ تطبيق القانون العام البريطانى. وبدأ الإنجليز يصلحون ويعدلون فى القوانين ببطء شديد، أى بنفس الإيقاع الذى عالجت به مشكلة "الإتحاد". وفى عام ١٩١٢م عندما طرحت فكرة تنازل بريطانيا عن قبرص لليونان، طالب الأعضاء الأتراك فى المجلس التشريعى القبرصى أنه فى حالة تغيير الوضع السياسى لقبرص يجب ضمها إلى إنجلترا أو إلى مصر. وفى نوفمبر ١٩١٤م عندما ضمت قبرص رسمياً إلى التاج البريطانى رحب بذلك زعماء الأتراك القبارصة، ووعدوا بالطاعة والولاء للامبراطورية البريطانية العظمى، كما عبروا عن شعورهم بالخزى لأن تركيا إختارت الإنضمام إلى ألمانيا فى الحرب ضد الحلفاء. وفى عام ١٩١٥م عندما طرحت من جديد فكرة إتحاد قبرص مع اليونان هلل القبارصة اليونان، وتوجس مواطنوهم الأتراك خيفة على مصالحهم وإمتيازاتهم. وفيما بين ١٩١٨-١٩٢٠م ذهب وفد يونانى قبرصى إلى باريس ولندن ليقدم مطلب "الإتحاد" إلى المنتصرين، وذلك بعد أن تلقى القبارصة تشجيعاً من رئيس حزب العمال البريطانى فى المؤتمر الإشتراكى المنعقد فى بيرن بسويسرا. ولم يجد الوفد القبرصى ترحاباً أو حتى عناية من أحد فى باريس ولندن، ولا حتى من رئيس الوزراء اليونانى نفسه فينيزيلوس المشغول آنذاك بما هو أهم وأخطر بالنسبة لليونان. عندئذ شكل الدكتور محمد أسد الزعيم القبرصى التركى حزباً صغيراً يتبنى فكرة ضم قبرص إلى تركيا. وإفتعل أعضاء هذا الحزب بعض أحداث العنف، فقبض عليهم وسجنوا.

حاول القبارصة الأتراك إستغلال وضعهم بوصفهم إستمراراً للإحتلال العثمانى تحت الحكم البريطانى. وإستغل البريطانيون وضع هؤلاء وطموحاتهم أسوأ إستغلال. وجاء هذا الموقف البريطانى على غير توقع، لأن المفروض أن البريطانيين أبناء الحضارة الغربية ينحازون إلى شركائهم فى هذه الحضارة، بل أحفاد الإغريق مؤسسى الحضارة الأوروبية القديمة. كانت العامة من الأتراك القبارصة مذبذبة بين تأييد "الإتحاد" مع اليونان وعدم الإكتراث بالأمر، فهو سيان عندهم أن تتحد قبرص مع اليونان أو تظل كما هى. أما الزعامة التركية القبرصية فكان أعضاؤها من البورجوازية، وتضم الأطباء والصحفيين والمحامين والمدرسين ومن هم على

شاكلتهم إلى جانب الأعيان من أبناء الريف. كان موقف هذه الزعامة التركية الأيديولوجي هو التمسك بالإمبراطورية العثمانية. وظل هذا التيار نشطاً ويزداد قوة بمرور الزمن حتى عام ١٩٥٥م. ووصل الأمر ببعضهم إلى حد التشبع بالفكر القومي الشعوبي المتعصب، الذى قد يؤدى إلى كراهية الهيللينية. وكان ذلك التطور موازياً لإزدياد التيار "الإتحادى" اليوناني وتصاعده إلى حد التعصب للهيللينية. وتلك هى بذور المشكلة القبرصية، والتى تولاها بالرعاية الإحتلال البريطاني منذ البداية.

تعد عام ١٩٢٢م علامة فارقة في التاريخ اليوناني والقبرصي، إذ وقعت مأساة آسيا الصغرى وأحدثت شرخاً في الجدار النفسي للقبارصة. ولجأ إلى قبرص عدد هائل من اللاجئين اليونانيين الأسيويين وبعض الأرمن. كما أن مطلب "الإتحاد" تلقى ضربة قاصمة. وحاولت السلطات البريطانية علاج الموقف والتخفيف من الأزمة فعرضت منح الحكم الذاتي، أو توسيع إختصاصات المجلس التشريعي والتنفيذى. ولقد زيد عدد الأعضاء اليونان فى هذه المجالس، بحيث أصبح يمثل نسبة ٤: ٥ من المجموع. لكن فى نفس السنة أعاد الأتراك القبارصة المطلب القديم بإعادة قبرص إلى تركيا، أو إلى وضعها فيما قبل ضمها إلى التاج البريطانى. ووصل وفد قبرصى تركى إلى أنقرة لعرض هذه المطالب، لكن الإجابة التركية الرسمية لم تكن مشجعة لهم، إذ كانت سياسة تركيا قد تغيرت فى عصر الأصولية الكمالية التى أسسها مصطفى كمال أتاتورك.

أما رد فعل بريطانيا على المطلب القبرصي اليوناني بالإستقلال والحرية (١٩٢٣/٢/٦م) فقد كان فحواه أن قبرص لم تنضج بعد لمزيد من الحرية الدستورية. وسرعان ما أعد سبيروس آراؤزوس Spyros Araouzos مذكرة يونانية قبرصية جديدة قدمت للسلطات البريطانية، وتشدد على أن القبارصة ليسوا أقل من غيرهم إستحقاقاً للحرية. وأما عن حقوق الأقليات فيمكن الحفاظ عليها -كما جاء فى المذكرة- عن طريق التمثيل النسبى. وطلبت المذكرة زيادة عدد الممثلين للقبارصة اليونان فى المجلس من ٩ إلى ١٢ لأن اليونانيين القبارصة الآن يمثلون نسبة ٤: ٥ من مجموع السكان. وردت الحكومة البريطانية بالقول إن ذلك سيفقد الأتراك الشعور بالأمان والإطمئنان. ورغم إصرار القبارصة اليونان على مقاطعة الإنتخابات، إستطاعت السلطات البريطانية أن ترشح سبعة يونانيين للمجلس التشريعي. وإستمرت التظلمات القبرصية والردود الإنجلزية -المهينة أحياناً- طوال العامين ١٩٢٢-١٩٢٣م. وفى مواجهة قانون ١٩٢٢/٤/١٢م الذى صدر لحظر الكتابات والإصدارات التحريضية، فإن القبارصة اليونان رفضوه وفهموا أن المقصود منه هو إخماد الحركة الوطنية. وبدأ تيار فكرى قوى بين الكتاب الأوروبيين يحتفى بقبرص وقضيتها وينادى بتحريرها. وفى مقدمة هؤلاء أرنولد توينبى أشهر مؤرخى القرن العشرين، الذى نشر فى الأعوام ١٩٢٢ و ١٩٢٦ و ١٩٣٢ دراسات تؤكد أن "الإتحاد" هو الحل المنطقى المعقول والمقبول للمشكلة القبرصية[١] .

---

(١) عن الحرب العالمية الأولى ومأساة آسيا الصغرى وتأثيرهما على المشكلة القبرصية راجع:

[Greek] Loizides (Athens 1980), passim.

[Greek] Pikros (Athens 1980), passim.

وهذا الكتاب يتحدث بالتفصيل عن دور فينيزيلوس. راجع أيضاً:

S.P. Sonyel, Turkish Diplomacy 1918-1923 M. Kemal and the Turkish National Movement. Sage Publications. London 1975.

٣- معاهدة لوزان وثورة أكتوبر ١٩٣١

كان أقصى تنازل سمحت به بريطانيا للقبارصة هو التعديلات الدستورية، التي صدرت بقرار ١٩٢٥/١١/٦ بعد أن وقعت تركيا اتفاقية لوزان[١] بعامين أي في ١٤ يوليه ١٩٢٣م. وفيها تنازلت عن كل ماكانت تزعمه من حقوق في قبرص. وكانت تركيا قد قبلت رسميا ضم بريطانيا لقبرص ١٩١٤م، ونصحت الأتراك القبارصة بالهجرة إلى الأناضول. وفيما بين ١٩٢٤ و١٩٢٨م عمل بهذه النصيحة خمسة آلاف فقط، بل إن كثيرين منهم شعروا بالإحباط بعد وصولهم إلى تركيا وعادوا إلى ربوع قبرص فرحب بهم أهل الجزيرة. وكان البريطانيون يعارضون هجرة أتراك قبرص إلى خارجها، لأنهم كانوا يستعملون "هذه الورقة" التركية في مفاوضاتهم ومساوماتهم مع القبارصة اليونان. وهؤلاء لم يفعلوا شيئاً ليشجعوا إخوانهم الأتراك على ترك قبرص. بل إنهم رحبوا أجمل ترحيب بمن عاد منهم إلى قبرص بدافع الإحساس الحضاري العميق. وجاءت معطيات اتفاقية لوزان مواتية لبريطانيا، إذ إستغلتها وحورتها لتعلن في ١٩٢٥/٥/١ قبرص مستعمرة تابعة للتاج البريطاني. وشرعت السلطات الحاكمة في إتخاذ الإجراءات اللازمة نحو تدمير الحركة الوطنية، وأعلنت مراراً أن مستقبل قبرص قد حسم وأغلق ملفها للأبد، وهو ماتذكرنا به الآن تصريحات نيتانياهو رئيس وزراء اسرائيل بالنسبة للقضية الفلسطينية.

وشرعت بريطانيا في نفس الوقت -إتباعاً لسياسة العصا والجزرة- تقدم مقترحات جديدة بحياة دستورية. وهي مقترحات في الواقع لا تخالف ما هو قائم بالفعل في قبرص. إذ زاد عدد أعضاء المجلس التشريعي إلى ٢٤، تسعة يعينهم الحاكم البريطاني و١٢ ينتخبهم اليونان و٣ من الأتراك. وهذا معناه أنه لم يحدث أي تغيير فعلي، ولا زال الحاكم البريطاني يمسك بيده السلطة العليا والكلمة الأخيرة في التشريع والإدارة والحكم. ولأن الجانبين اليوناني والتركي أدركا أن الوضع السياسي الدولي بعد الحرب العالمية الأولى قد إستقر لفترة من الزمن، وسيستمر كذلك لبعض الوقت، فإنهما ركزا جهودهما على المسائل الداخلية وتعاونا في ذلك تعاوناً مثمراً ولاسيما في إطار المجلس التشريعي.

وبقانون ١٩٢٩/١٢/٩ صار كل شئ لاسيما في مجال التعليم بيد سلطات الإحتلال. وأدخلت في مواد التعليم بعض النقاط المعادية للهيللينية، وتحت غطاء تدبير المال اللازم سحبت المهام من "لجان المدارس"، ولاسيما حقها في تعيين المدرسين بالتعليم الأولى. ومن ثم صار هؤلاء المدرسون تحت رحمة الإحتلال البريطاني، الذي بذل كل جهد ممكن لكي يضعف الشعور الوطني والروح القومية. لقد ثبت أن إدارة المدارس على يد ممثلين لليونان القبارصة فيما يسمى

---

(١) C. Svoloupoulos, "The Lausanne Peace - Treaty and the Cyprus Problem". Greece and Great Britain during World War I. First Symposium organized in Thessaloniki by the Institute for Balkan Studies and King's College in London 15-17 December 1983. Thessaloniki 1985, pp. 233-245.

(ephoreia) كانت مثمرة، إذ إرتفعت نسبة المتعلمين الذين يلمون بالقراءة والكتابة إلى ٤٥٪. جاء ذلك التقدم في إطار الصحوة القومية اليونانية في قبرص وخارجها، حيث إمتدت إلى اليونان نفسها وآسيا الصغرى ومصر وفلسطين وسوريا ومقدونيا وطراقيا. وهكذا أسهمت قبرص إسهاماً ملموساً في هذا البعث الجديد للقومية اليونانية. وهذا بالضبط ما كان البريطانيون يخشونه ويقاومونه بكل وسيلة. فزادت الضرائب وزادت معاناة القبارصة اليونان والأتراك على حد سواء. وكانت قبرص وإدارتها المالية تتبعان مباشرة وزارة المالية البريطانية. ووفقاً لتقدير الحاكم البريطاني السير رونالد ستورز Sir Ronald Storrs لم يلق المستثمرون البريطانيون أى تشجيع في قبرص، نظراً لعدم الإستقرار وإزدياد الوعي القومي والحس الوطني. ولذا عقد هذا الحاكم البريطاني -الضليع في علم الكلاسيكيات- العزم على تحويل القبارصة إلى "إنجليز يتحدثون اليونانية". وزاد الطين بلة أن الأزمة الإقتصادية العالمية قد بلغت حد الذروة آنذاك.

أشعلت أزمة قانون التعليم المشبوه (١٩٢٩/١٢/٩م) التذمر المتصاعد في نفوس القبارصة اليونان. وفي ١٩٣٠/٦/٢٦م عقدوا "إجتماعاً قومياً" في الأسقفية، وصوتوا لصالح تأسيس "المنظمة القومية القبرصية". وكان هدفها الرئيسي المعلن هو تحقيق "الإتحاد" بكل وسائل الكفاح المتاحة. لقد كان "الإتحاد" هو الملاذ الأخير للحركة الوطنية القبرصية، بعد فشل كل محاولات الإصلاح الدستورى. بل وفي كل وقت يستبد اليأس بالشعب القبرصي يلجأ إلى رفع لواء "الاتحاد" وكما هو الحال بالنسبة لشعور الأمة العربية وشعار "الوحدة".

وكانت الزعامة التركية القبرصية بكل تأكيد تعارض هذا المنحى، لأن سلطات الإحتلال كانت تحابيهم في كل مجال، بإعتبارهم ورقة سياسية في يدها. وكان الحاكم البريطاني سير رونالد ستورز -كما أسلفنا- فقيهاً في علوم الكلاسيكيات عاشقاً للهيللينية، ولكنه نسى كل ثقافته أو نحاها جانباً وإنحاز للإستعمار البريطاني وإدارته في قبرص. وشارك في التخطيط عام ١٩٢٨-١٩٣٠م، لتوثيق ضم قبرص إلى بريطانيا، بل كان ينوى إجراء إستفتاء شعبى على ذلك. ماستغل البريطانيون النزاعات الداخلية القبرصية فيما بين الإتجاهات والتيارات اليونانية المختلفة. حيث وجد بين اليونانيين القبارصة الإتحاديون المعتدلون، والثوريون الراديكاليون، والعملاء المتعاونون مع الإحتلال. وكان السير رونالد ستورز يداوم على زيارة الريف، ويخطب ود المزارعين، وكأنه إستبدل صداقتهم بالزعماء السياسيين المتناحرين. وهكذا نشأت الحركة التعاونية الزراعية في العقدين الأولين من القرن العشرين. ثم إزدهرت في العشرينيات وبتشجيع من ستورز، لتكون سلاحاً يُشهر في وجه الزعامة السياسية. وأسس البنك الزراعى برأسمال أجنبى. ومن ثم ظهرت دعوة جديدة لنزع ملكية الأراضى الكنسية، وكذا الأوقاف، على أن يتم توزيع هذه الأراضى على المزارعين المعدمين. صار هذا شعاراً شيوعياً مطروحاً في إنتخابات أكتوبر ١٩٣٠م. ظهرت الفكرة أولاً في بافوس، وباركها القنصل اليوناني في قبرص وهو أليكسيس كيرو Alexis Kyrou، وهو بالأساس من أصل قبرصى. شجع كيرو كذلك "الإتحاد" بأقصى جهد ممكن، وكان على صلة بزعماء هذا الإتجاه سراً وعلانية، وعلى رأسهم أسقف كيتيون والمولود في أموخوستوس نيكوديموس ميلوناس Nikodemos Mylonas (١٨٨٩-١٩٣٧م)،

العالم الفقيه والخطيب المفوه والفيلسوف الحكيم والزعيم السياسى بالفطرة. والذى نشر الكثير من المقالات فى عدة دوريات قبرصية وأجنبية وكلها ذات محتوى اجتماعى واقتصادى وسياسى وقانونى. ولقد أسهم فى تأسيس الدورية "الحوليات القبرصية" Kypriaka Chronika، عاش بعض الوقت فى جبل طارق وانجلترا وفرنسا وفلسطين ودفن فى بيت المقدس.

وفى السنوات القليلة قبل إضطرابات ١٩٣١م كانت الكنيسة تعرف أن "الإتحاد" قد يعنى مصادرة أملاكها لصالح المعدمين، ومع ذلك ظلت الكنيسة القبرصية –وحتى كل أفراد البورجوازية القبرصية اليونانية– ترفع شعار "الإتحاد"، وتحرض الناس عليه لأنه الأمل الأسمى للجميع وفى سبيله تذوب الخلافات الحزبية والايديولوجية، بل تجسد التعايش السلمى بين الأتراك واليونان القبارصة فى "الحركة التعاونية المتحدة" التى ضمت الطرفين، منذ أن تأسست فى أواخر العشرينيات.

كان التجمع القومى ١٩٣٠/٦/٢٦م ضربا من التعبير المنظم عن الهياج الشعبى الفائز والغائر تحت الأرض منذ زمن، ففى عام ١٩٢٩م إجتمع نفر من المدرسين والمحامين والصحفيين وغيرهم من المثقفين وأصحاب المهن الأخرى، وأسسوا "اتحاد قبرص الوطنى الراديكالى" EREK، بدأت الحركة أولاً فى كيرينيا، ثم فى نيقوسيا بعد ذلك، كان الهدف المعلن لهذا الإتحاد هو تحرير قبرص من الإحتلال البريطانى وتحقيق "الإتحاد"، ثم جاءت إنتخابات أكتوبر ١٩٣٠م بأغلبية يونانية إتحادية، وأغلبية تركية وطنية (ضد الإحتلال)، وقفت الزعامة التركية منير العميل الموثوق به بالنسبة للسلطة البريطانية، ويدعى منير وأيدت الزعامة التركية النهج الكمالى بزعامة نجاتى بيه التركى القبرصى القومى، وكان فحوى هذه الإنتخابات ونتيجتها أن موازين القوى داخل المجلس التشريعى قد تغيرت لغير صالح الإحتلال البريطانى، وتجلى ذلك عندما عرض السير رونالد ستورز تشريعاً جديداً للتعريفة، فلما فشل التشريع غضب وأحال الأمر برمته إلى لندن، وإستصدر من هناك قانوناً مجحفاً بالنسبة لسكان قبرص جميعاً، وفى سبتمبر ١٩٣١م أعلنت الحكومة البريطانية –دون أدنى إكتراث بالأزمة المالية الطاحنة التى وقع فيها الشعب القبرصى– أن الفائض فى الميزانية القبرصية ينفق فى أغراض أخرى لصالح الامبراطورية العظمى!.

وفى ١٧ أكتوبر ١٩٣١م تفككت عرى الوحدة فى صفوف الحركة الوطنية بسبب إنقسامات داخلية بين طرفى نقيض فى أعضائها، إذ كان منهم المتطرف الراديكالى، ومنهم العميل المتهاون، ولا غرابة فى ذلك لأن فينيزيلوس رئيس وزراء اليونان كان دائب النصح للقبارصة بالتعاون مع الإنجليز، وكان القنصل اليونانى آنذاك أليكسيس كيرو (١٩٠١–١٩٦٨م) يتلقى هذه التعليمات ولا يعمل بها قط، بل يحرص على ما هو ضدها، إذ كان شديد الحماس والتأييد للإتجاه الراديكالى المتطرف وجدير بالذكر أن هذا الدبلوماسى اليونانى ألف كتابين مهمين يلقيان الضوء على هذه الفترة. الأولى بعنوان "السياسة الخارجية اليونانية (أثينا ١٩٥٥)، والثانى بعنوان: الأحلام والواقع (أثينا ١٩٧٢م)، وفى ١٨ أكتوبر ١٩٣١م كان أسقف كيتيون نيكوديموس ميلوناس زعيم "اتحاد قبرص الوطنى الراديكالى" EREK المتطرفة فى كيرينيا، وأعلن صراحة التمرد على الحكم البريطانى وإستقال من المجلس التشريعى.

كانت تلك هى الشرارة الأولى التى أشعلت ثورة القبارصة اليونان يوم ٢٠ أكتوبر ١٩٣١٠ وأعلن ميلوناس بجرأة بالغة "إتحاد قبرص واليونان"، وهب الناس جميعاً بطريقة عفوية وأعلنوا التمرد على الحكم البريطانى البغيض، وفى غضون يومين إنتشرت نيران الثورة فى كافة أرجاء قبرص وشملت حوالى أربعمائة قرية، وإنخرط فى أعمال هذه الثورة الكثيرون من الأتراك، حيث كسرت الحواجز بين فئات أهالى قبرص، ولقد أثبت الباحث بتروس ستيليانوس فى رسالته للدكتوراه أنه كانت هناك لثورة اكتوبر ١٩٣١م أصداء فى مصر ولبنان وسوريا والسودان*[1] ، وإضطر الحاكم البريطانى إلى إستدعاء قوات إضافية بريطانية من مصر، وفى ٢١ أكتوبر ١٩٣١م أُحرق بيت الحاكم البريطانى فى نيقوسيا، وقُتل ١١ يونانياً وجرح المئات وسجن الألوف، وفى النهاية فرضت غرامات عقابية على جميع السكان، وكذا ضرائب إضافية لتغطية الخسائر المادية الناجمة عن الثورة، وألقى القبض على زعماء الحركة وتم نفيهم إلى إنجلترا، وكان قد تم القبض على نيكوديموس ميلوناس عشية الثورة فى ١٩ أكتوبر ١٩٣١م، ونفى هو والأسقف مكاريوس (من كيرينيا)، وأدان فينيزيلوس هذه "الإضطرابات"، التى أفسدت العلاقات الودية بين اليونان وبريطانيا العظمى، فى وقت تحتاج فيه اليونان إلى هذه الصداقة حاجة ماسة.

لقد أصبح واضحاً لا يحتاج إلى تبيان أن بريطانيا متشبثة بقبرص مهما كانت الظروف، ولاسيما بعد أن -أصبح فى عام ١٩٣١م- أنه من شبه المؤكد أن بريطانيا ستضطر إلى ترك ما بين النهرين وفلسطين ومصر، ومع ذلك فنحن لا نتفق مع ما يقوله الباحث القبرصى كيريس من أن هذه الثورة القبرصية ١٩٣١م أخرت بالقضية، لأنها حدثت فى توقيت غير ملائم إذ يقول:

"لقد وقع الإتحاديون -و القنصل اليونانى كيرو- فى الفخ الذى أعده الإستعمار البريطانى للهيللينية فى قبرص[2] "،

ولقد كتب أخيلياس كيرو (١٨٩٨-١٩٥٠م) -الأخ الأكبر للقنصل المذكور وله عدة مؤلفات أهمها "التجول الحاسم فى الحرب (العالمية الثانية) أثينا ١٩٤٦م- يقول فى جريدة "هيستيا":

"كان فينيزيلوس يرى أن جزيرة يونانية نائية (أى قبرص) ثارت وهاجت وماجت فى ظل ظروف دولية غير مواتية، وفى وجه أقرب الأصدقاء والحلفاء لليونان أى بريطانيا، هذا فى وقت تنوى فيه اليونان أن تطلب العون العسكرى والبحرى اللازم لحماية قبرص، إذا فكرت بريطانيا فى التنازل عنها لليونان"[3] .

---

(١) **[Greek]** Stylianou (Nicosia 1984), pp. 156-173 et passim
Idem, (1989) pp. 14-17.

(٢) Kyrris. op. cit., p. 245-246
وقارن: **[Greek]** Pantazi, (Athens 1971), pp. 21, 60, 62, 75, 76, 90, 111, 132, 144, 145, 150, 155, 156, 157, 163, 166, 175, 187, 282, 312

(٣) الجدير بالذكر أن الأخوين كيرو من أصل قبرصى وعن أخيلياس كيرو انظر:
[Greek] Pernares (Nicosia 1977). p. 76.

٤- البالميروقراطية والحرب العالمية الثانية

وفي العقد الرابع من القرن العشرين، وبالتحديد ١٩٣١-١٩٤٠م، شهدت قبرص ما صار يعرف في كتب التاريخ بإسم "البالميروقراطية". فلقد أصدر ستورز سلسلة من القرارات، وإتخذ من الإجراءات التعسفية ما جعل هذا العقد هو الأسوأ بالنسبة للقبارصة. إذ صدر أمر بمنع رفع العلم اليوناني والتركي القبرصيين على المباني الرسمية، وألغى إنتخاب المجالس المحلية وعين فيها من يشاء. وبعد موت رئيس الأساقفة كيريل الثالث ١٩٣٣/٣/١٦م ترك مكانه شاغراً وظل الأمر كذلك حتى عام ١٩٤٧م. لأن السلطات البريطانية لم تسمح بإجراء الإنتخابات على النحو المعتاد. ولقد إعترض بشدة على ذلك أسقف بافوس من مواليد ليماسول ليونتيوس Leontios (١٨٩٦-١٩٤٧م)، الذى أقيمت ضده دعاوى قضائية بتهمة نظم وإنشاد "مزامير إتحادية". وحددت إقامته وقيدت حركته. ثم جاء الحاكم الجديد السير ريشموند بالمر Sir Richmond Palmer، ففرض وصاية بريطانية مباشرة على التعليم الإبتدائي. وفرض إجراءات صارمة على إدارة مدارس التعليم الثانوى من حيث مصادر التمويل والوظائف. وفرضت إجراءات مماثلة على مهنة الطب والمحاماة، حيث حرمت ممارستهما لمن لم يتخرج من الجامعات البريطانية. ولا يقوم بالتدريس في التعليم الثانوى إلا من حصل على ترخيص بذلك من السلطات الحاكمة. وحظر إنشاء جمعيات أهلية تجارية أو غير تجارية. ولم يخفف ذلك الحظر إلا عام ١٩٣٦م.

إعترض القبارصة اليونان بشدة، على هذه الإجراءات التعسفية، وإعتبروها مناهضة للهيللينية. تزعم الأسقف ليونتيوس هذه الحركة، وفي نوفمبر ١٩٣٢م حكم عليه بدفع غرامة قدرها ٢٥٠ جنيهاً، ولو أنه نجح في دفع التهمة عن نفسه. أما عن "المزامير الإتحادية" فلقد حذف منها كل مظاهر التحريض. ومع ذلك فلم يسلم تماماً، وظل تحت الإقامة الجبرية في منطقة بافوس لمدة عامين (١٩٣٨-١٩٤٠م). وبعد هذه المدة لم يتوقف عن مواصلة الكفاح وإلقاء الخطب التي تدعو إلى "الإتحاد".

وبقيام الحرب العالمية الثانية عقب الهجوم الإيطالي على اليونان، بوصفها حليفة بريطانيا، بدأت قوات الإحتلال البريطاني تخفف من قبضتها الحديدية على رقاب الناس في قبرص. وكان الشعب القبرصي اليوناني نفسه قد سبق إجراءات التخفيف، وخرج على كل القوانين الإستثنائية، وأقام إحتفالات صاخبة لإنتصار اليونان على الجبهة الألبانية في ٢٨ أكتوبر ١٩٤٠م- ١٦ أبريل ١٩٤١م. ومع ذلك فلم يرفع الإنجليز الحظر على رفع الأعلام في قبرص إلا عام ١٩٤٦م. أما قانون الرقابة على الصحافة فكان تطبيقه يتراوح الشدة والتسامح وفق كل موقف ومناسبة. وأما الدستور الذى ألغى ١٩٣٢/١١/١٢م فلم يعد للحياة مرة أخرى، إلا بعد إنتهاء الإحتلال البريطاني. وفي ١٩٣٥/٩/٦م صدر قانون يوفر المساعدات المالية القيمة للمدارس الثانوية، شريطة أن تدخل التعديلات في برامجها التعليمية، أى أن تخفض ساعات اللغة اليونانية والدراسات

الكلاسيكية لصالح اللغة الإنجليزية. وقبلت بعض المدارس بذلك علناً، وفي السر ضاعفت ساعات الدروس اليونانية.

في الحرب العالمية الثانية كانت بريطانيا في حاجة إلى الجنود القبارصة، ونشرت إعلاناً يطلب الإنضمام إلى الحرب دفاعاً عن الحرية والهيللينية. فإنضم ثلاثون ألفاً من اليونان القبارصة تلبية لنداء الحرية والهيللينية. ومات الكثيرون منهم في ميدان القتال عبثاً، لأن حلمهم في "الإتحاد" لم يتحقق حتى بعد نهاية الحرب وإنتصار الجيوش التي حاربوا في صفوفها. لقد ذاقت بلاد اليونان الأمرين أثناء الإحتلال الألماني، ورفضت عرضاً قدمه هتلر فحواه أن تلتزم اليونان الحياد ولا تدخل الحرب في مقابل أن تمنح قبرص بعد أن تضع الحرب أوزارها. وكانت إذاعة برلين الموجهة إلى اليونان قد أذاعت منذ سنوات قبل الحرب وبعدها الوعود بتحرير قبرص من الإنجليز وتسليمها لليونان أي تحقيق "الإتحاد". كان الهدف هو جذب القبارصة اليونان إلى الايديولوجية النازية ومعسكر المحور. وركز الإعلام الألماني تركيزاً مكثفاً على تحريض القبارصة اليونان على الثورة ضد الإحتلال البريطاني.

ورداً على هذه الدعاية وفي ديسمبر ١٩٤٠م -بعد شهرين من الهجوم الإيطالي على اليونان ١٩٤٠/١٠/٢٨م- لمح السفير البريطاني في أثينا السير مايكل بالسيرت Sir Michael Palairet إلى فكرة تنازل بريطانيا عن قبرص لليونان. وسرعان ما كذب مسئول بريطاني آخر هو فيليب نيكولس Philip Nichols ذلك التلميح -ولا نقول التصريح- لأن هذا المسئول عن الشئون اليونانية بوزارة الخارجية البريطانية كان يسعى إلى تنازل بريطانيا عن الجزر الإثنى عشر وسوريا إلى تركيا. فقال إن تركيا ستناهض وتقاوم هذا "الإتحاد" بكل وسيلة، ولابد من إسترضاء تركيا بطريقة أو بأخرى.

وفي ١٩٤١/٣/٢١م زار سكرتير وزارة الخارجية البريطانية السير أنتوني إيدن Anthony Eden أثينا، ودخل في حوار طويل مع رئيس الوزراء اليوناني الكسندر كوريزيس Alexander Koryzis. طالب الأخير بتحقيق المطلب اليوناني وهو ضم قبرص إلى اليونان التي أبلت بلاء حسناً في الحرب العالمية الثانية إلى جانب الحلفاء. فرد إيدن بأن "مناقشة" هذه المسألة الحساسة والمعقدة لا تقع في نطاق مهمته المكلف بها. وأعاد كوريزيس نفس المطلب في نهاية مارس من نفس العام، قائلا إن الإحتلال الألماني لليونان يجعل كل الجزر اليونانية -بما فيها كريت- غير آمنة ولا تصلح مقراً للملك اليوناني، والأفضل ضم قبرص أو حتى جزء منها ليكون مقر إقامة الملك اليوناني على أرض يونانية. وفي إبريل ١٩٤١م تكرر نفس المطلب على لسان رئيس الوزراء اليوناني والملك جورج نفسه، الذي طلب أربعين ألف جندي يرافقونه إلى قبرص. ومع أن السير وينستون تشرشل يقول في مذكراته إنه أبرق في ١٣ أبريل ١٩٤١م إلى الجنرال ويلسون في أثينا موافقاً ومؤيداً لنقل الملك اليوناني وجيشه إلى قبرص، فإن الإجابة البريطانية الرسمية على لسان إيدن في ١٤ أبريل ١٩٤١م كانت سلبية. وجاء فيها أن الملك يمكن أن يمارس

سلطاته من قبرص كأى رئيس دولة أجنبي مقيم هناك (!)، ودون أن تكون له أية سلطات الجزيرة.

وفى مايو ١٩٤١م إقترح رئيس الوزراء اليونانى الجديد إيمانويل تسوذيروس m Tsouderos، والمقيم آنذاك فى كريت أن تقدم قبرص إلى الملك جورج فى هذه اللحظة الت كهدية شخصية. المهم ان إيدن رفض أن تكون قبرص مقراً للملك، بحجة انها ليست أكثر أمن كريت. وجاء رد رسمى مفصل من بريطانيا فى ٣١ مايو ١٩٤١م فحواه أن مستقبل قب يناقش إلا فى إطار اتفاقية سلام عامة بعد إنتهاء الحرب الدائرة. فعندئذ يمكن مناقشة فكرة إلى اليونان. وجاء فى هذا الرد أن الأتراك القبارصة لن يقبلوا أن تسلم قبرص إلى اليونان البساطة. وإنتهى الأمر إلى أن الملك اليونانى أقام فى مصر أثناء الحرب العالمية الثانية.

كانت المطالب اليونانية القومية فيما بعد الحرب العالمية الثانية هى: قبرص، الجزر الإثنا ع شمال إبيروس. ولقد قدمت الحكومة اليونانية من المنفى مذكرتين بهذا المعنى بتاريخ ١/٩/٢٩ لوزارة الخارجية البريطانية. وقدم الملك جورج المذكرة الثانية للرئيس الأمريكى روزفلت ١٢/٦/١٩٤٢م. وأعلن رئيس الوزراء اليونانى تسوذيروس فى ١٥/١١/١٩٤١م عن محتوى المذكرة. فثارت ثائرة تركيا وإضطرت وزارة الخارجية البريطانية إلى نفى وجود أية مفاوضات اليونان حول قبرص. ورفض تشرشل المطلب اليونانى بالجزر الإثنى عشر، خشية الإحتجا التركية. وفى ١/٣/١٩٤٣م طلب تسوديروس من إيدن تدعيم الأسطول اليونانى فى بحر وهكذا بدأ الصراع اليونانى التركى فى حوض البحر المتوسط الشرقى يأخذ بعداً جديداً. ١٩٤٢-١٩٤٣م بدأت تركيا تشدد الخناق على اليونانيين فى استانبول. وفى ديسمبر ٢ طالب كانيللوبولوس Kanellopoulos .Pan نائب رئيس الوزراء اليونانى فى المنفى الحٰ البريطانية بشدة أن تتنازل عن قبرص (والجزر الإثنى عشر) لليونان بعد أن تضع الحرب أوزارهـ تعط بريطانيا أية إجابة رسمية على هذا المطلب، حرصاً على دخول تركيا الحرب إلى جوارهـا دول المحور.

فيما بين ٤ أبريل- ٥ أكتوبر ١٩٤١م تم تأسيس "الحزب التقدمى لقوى الشعب الع AKEL وإنتخب بلوتيس سرفاس Ploutis Servas سكرتيراً عاماً. وفى هذا الحزب هناك تمثيل للإتحادات الزراعية والمهنية والتجارية. إنه حزب شرعى بديل للحزب الشيوعى الشرعى والسرى. جاء الهدف الرئيسى المعلن فى برنامج الحزب مجسداً فى إعلان الحرب بـ المشروعة على الفاشية والدكتاتورية من أجل إستعادة حرية الشعب القبرصى المسلوبة، والعمل حل مشكلات قبرص وتحقيق التعايش السلمى بين عنصريها اليونانى والتركى. كان التركيز بـ على الطبقة العاملة، أما الهدف الأسمى والغاية النهائية فهى إقامة ديموقراطية شعبية.

وجاء الرد فورياً من قبل اليمين القبرصى، حيث أعلن ثيميستوكليس درفيس (درو Themistocles Dervis فى مايو ١٩٤٢م "تأسيس الحزب القبرصى القومى. وتم تأس

"إتحاد عمال قبرص" و "إتحاد الجمعيات التجارية الجديد" عام ١٩٤٥م، وكل ذلك لمنافسة إشراف "الحزب التقدمي" AKEL على "الإتحاد العام للعمال في قبرص" PSO (فيما بعد PEO)، وفي عام ١٩٤٣م تأسس "إتحاد العمال الأتراك" و "الإتحاد العام القبرصي للزراعيين" (PEK)، و "حزب الشعب القبرصي التركي" (KTHP = Kibris Turk Halk Partisi) عام ١٩٤٤م، وكان المؤسس هو فاضل كيشيك، وحل هذا الحزب محل "إتحاد المنظمات القبرصية التركية" (KATAK)، الذى كان يرأسه فايز كايماك، وعند نهاية الحرب العالمية الثانية كان "إتحاد الجمعيات التركية التجارية" يتكون من ١٣ جمعية فقط، وحتى عام ١٩٥٨م بلغ عدد أعضائه ١١٣٧م فقط، لأن غالبية العمال الأتراك فضلوا الإنضمام إلى "الإتحاد العام لعمال قبرص" (PEO)، وهكذا فعل العمال الزراعيون الأتراك الذين حافظوا على عضويتهم حتى بعد ١٩٧٤م، برغم الغزو التركي الغاشم، وفي عام ١٩٤٤م أعلن قيام "الحزب التقدمي الإشتراكي القبرصي اليوناني" (PESP) في بافوس بزعامة غالاتوبولوس Chr، Galatopoulos المحامي، والذى كان قد شارك في ثورة ١٩٣١م.

ولقد أشرنا إلى قيام هذه الأحزاب لنوضح مدى إزدهار الحركة السياسية، وانتعاش الفكر الفلسفي والحياة الثقافية الفنية في قبرص، إذ تكونت فرق مسرحية قدمت عروضاً جادة، وتأسست جمعية موسيقية إحداها باسم آريس Aris، والأخرى باسم موتسارت، وقُدمت التراجيديا الإغريقية القديمة، وكذا حفلات موسيقية كلاسيكية بقيادة المايسترو سولون ميخاليليديس في ليماسول، ويانجوس ميخاليليديس في نيقوسيا، وأشرف سبيرياكيس على الحفلات الفنية التى نظمتها المدارس الثانوية، وصار "الإتحاد" هو الشعار القومي العام الذى رفعته كل الأحزاب، ورفرف فوق كل الأنشطة، حتى إن كل الإتجاهات الحزبية والسياسية في ١٥ نوفمبر ١٩٤٤م وقعت "بياناً عاماً" يدعو للإتحاد، وتشكلت لجنة تمثل كل الأحزاب لمتابعة الكفاح من أجل تطبيق هذه الدعوة، وباندلاع الحرب الأهلية في اليونان ديسمبر ١٩٤٤م (وبعد ذلك ١٩٤٦-١٩٤٩م) تبددت كل الآمال المعقودة على هذا العمل القومي الجماعي الوليد، بل كاد الأمر يصل إلى حد إندلاع حرب أهلية مصغرة في قبرص كصدى لما يحدث باليونان.

ألغيت معظم الإجراءات والقوانين التعسفية في أكتوبر ١٩٤٦م، ومع ذلك فإن الحركة الإتحادية إشتعلت بحماس متجدد ومستمد من تقرير المبدأ الدولى العام، أى حق تقرير المصير لكافة الشعوب، رفع هذا الشعار في الحرب العالمية الثانية ضد النازية والفاشية، وفي ديسمبر ١٩٤٦م سافر ليونتيوس إلى لندن على رأس وفد لتقديم المطلب القديم من جديد أى "الإتحاد"، كان الوفد يتكون من زينون روسيديس Z.Rossides عن "المجلس القومي"، وديميترى ديميتريو Dem. Demetriou رئيس الغرفة التجارية، وجون كليريديس J. Klerides عمدة نيقوسيا، وأبدى إرنست بيفين Ernest Bevin وزير الخارجية في الحكومة العمالية البريطانية تعاطفاً مع مطلب "الإتحاد"، وجاءت الإجابة البريطانية الرسمية سلبية، وتكرر نفس الرد في

٧ فبراير ١٩٤٧م. وكانت الحكومة البريطانية فى كل مرة تتذرع بمطالبة الأتراك القبارصة لها بضم قبرص إلى تركيا فى حالة تغيير وضعها الحالى تحت الإحتلال البريطانى.

وإنتخب ليونتيوس رئيساً للأساقفة بتأييد ساحق من الأغلبية اليسارية، متغلباً على بورفيريوس من سيناء، الذى كانت الجبهة القومية تقف وراءه. وفى ٢٠ يونيو ١٩٤٧م، أى بعد أربعة شهور فقط من وصول اللورد ونيستر Winster الحاكم البريطانى الجديد، المكلف بتعليمات جديدة، فى مقدمتها وضع دستور لقبرص. ولدى وصوله قاطعه القبارصة اليونان، ورحب به مواطنوهم الأتراك. وفى ١٢ يولية ١٩٤٧م دعا ليونتيوس أتباعه إلى الإنسحاب من المجلس الإستشارى الذى عقده وينستر، بهدف جمع المقترحات بشأن الدستور الجديد. ومات ليونتيوس فى ١٩٤٧/٦/٢٦م وجاء خليفته مكاريوس من كيرينيا وإستلم المنصب فى ١٩٤٧/١٢/٢٤م، وصار يعرف بإسم رئيس الأساقفة مكاريوس الثانى. وسار على نفس الدرب أى المقاطعة والكفاح السلمى من أجل "الإتحاد"، وكان مكاريوس منفياً بعد ثورة ١٩٣١م وسمح له بالعودة ١٩٤٦م.

وتمكن البريطانيون من عقد المجلس الإستشارى يوم ١٩٤٧/١١/٧م بإدارة السير إدوارد جاكسون Edward Jackson كبير القضاة. وفى هذا الإجتماع إستبعد "الإتحاد" و "الحكم الذاتى الكامل". وصدرت المقترحات فى ٧ مايو ١٩٤٨م كما يلى:

١- حق الإنتخاب لكل مواطن من سن ٢١

٢- أعضاء المجلس التشريعى ٢٢ كما يلى:

١٨ يونان

٤ أتراك

علاوة على أربعة أعضاء من الرسميين، يرأسهم من يختارونهم على ألا يكون له حق التصويت.

٣- يتم الحصول على موافقة الحاكم البريطانى قبل تقديم مشروعات القوانين الخاصة بالشئون المالية والدفاعية والخارجية والدستور والأقليات.

٤- يتكون المجلس التنفيذى من ٤ رسميين من بين أعضاء المجلس التشريعى وأعضاء آخرين من خارجه، وقراراته هى توصيات فقط.

ومع أن هذه المقترحات تتضمن شيئاً من التنازلات من قبل الحكومة البريطانية، إلا أنها لم تقنع اليمين ولا اليسار القبرصيين فرفضاها معاً.

فى ١٩٤٨/٨/١٢م ألغى المجلس الإستشارى وفى ١٩٤٨/٩/١٦م نظم الجناح اليسارى من الإتحاد العام للعمال PEO مسيرات فى نيقوسيا وغيرها من أجل الحكم الذاتى. ثم نظم إضراب عام إعتراضاً على الحاكم البريطانى وينستر. وفى ١٩٤٨/٧/١٣م أعيد تنظيم "المجلس

القومى" تحت رعاية مكاريوس، أسقف كيتيون الجديد ورئيس المكتب القومى ، وتم عقد إجتماع حاشد فى ٣ آكتوبر ١٩٤٨م تأييداً لمطلب الإتحاد ، وجاء الرد التركى القبرصى بإجتماع مضاد ضم ١٥ ألف مواطن فى ١٩٤٨/١١/٢٨م بزعامة الدكتور كيشيك ، وأعلنوا إعتراضهم على "الإتحاد"، وجاء الرد اليسارى القبرصى سريعاً، إذ أعلن عن تاسيس "الإئتلاف القومى من أجل التحرير" EAS بزعامة جون كليريديس عمدة نيقوسيا ، بيد أن الأخير إستقال بعد وقت قصير عام ١٩٤٩م[١] .

---

(١) وعن المشكلة القبرصية فى الفترة من ١٩٤٠-١٩٥٤ راجع:

Proc. Papastratis, British policy towards Greece during the second World War (1941- 1944). Ccambridge University Press 1984.

F.G. Weber, the Evasive Neutral Germany, Britain and the Quest for a Turkish Alliance in the Second World War. University of Missouri Press 1976.

M. Economidis, Cyprus, the case for Enosis. Cyprus Affairs commitee London 1954.

وقارن [Greek] Triantaphyllou (Patras 1981) passim

[Greek] Machlouzarides (Cyprus 1985) pp. 1-275 et passim.

٥- الكفاح المسلح - إيوكا ١٩٥٥-١٩٥٩م

جرى إستفتاء على مبدأ الاتحاد فى ١٩٥٠/١/١٥م كانت نتيجته إيذاناً ببدء عصر جديد تطورت فيه الأحداث إلى الكفاح المسلح ، فكرة الاستفتاء على الاتحاد كانت مطروحة منذ زمن طويل وبإلحاح منذ نهاية الحرب العالمية الثانية وتبناها الحزب التقدمى AKEL ووضعها فى أولويات إهتماماته ومطلع برنامجه، وأرسلت هذه الفكرة إلى مجلس الأمن الدولى فى ١٩٤٩/١١/٢٣م، وكانت الإدارة البريطانية قد رفضت فكرة الإستفتاء على الاتحاد فى ١٩٤٩/١٢/١٧م، جاءت النتيجة النهائية فى الإستفتاء ١٩٥٠/١/١٥م بموافقة ٩٥,٧٪ من السكان على الإتحاد.

فاندلعت شرارة المعركة السياسية، ووقعت تبعاتها على كاهل رئيس الأساقفة الجديد -الذى لايزال شاباً- مكاريوس الثالث من كيتيون، الذى تولى المنصب من ١٩٥٠/١٠/٢٠م بعد موت مكاريوس الثانى فى ١٩٥٠/٦/٢٨م، ولقد نذر مكاريوس الثالث أسقف قبرص الأشهر نفسه لقضية الإتحاد، وحاول أن يقنع دول العالم بها وفى مقدمتها جميعاً دولة اليونان، وكانت بريطانيا قد أغلقت هذا الملف رداً على إستفتاء ١٩٥٠م، الذى جرى بدون موافقتها، وكانت اليونان بعد الحرب العالمية الثانية قد صارت تعتمد كلية على بريطانيا وأمريكا فى كل شئ.

وبالتالى لم يكن من المتوقع أن تتبنى اليونان قضية "الإتحاد" ضد رغبة بريطانيا، ولاسيما بعد الحرب الأهلية ١٩٤٤-١٩٤٩م التى أنهكت اليونان تماماً، ومن ثم لم تجد الوفود القبرصية التى ذهبت إلى اليونان تطلب مساندتها فى قضية الإتحاد أذناً صاغية، وذهب وفد من الإئتلاف القومى من أجل التحرير EAS إلى الأمم المتحدة، وإتصل بالدول اليسارية فى محاولة لطرح قضية قبرص على الجمعية العمومية للأمم المتحدة، بعد أن تقاعست اليونان وقوى المعارضة القبرصية، وهذان هما الطرفان اللذان إتهمهما مكاريوس فى مايو ١٩٥٢م من وراء ميكروفون الإذاعة بالنقص فى الشجاعة والإقدام قانعين بالمفاوضات الودية مع سلطات الإحتلال البريطانية، وقال مكاريوس إنه لا طائل وراء هذه المفاوضات، ووافقه على هذا الرأى رئيس الأساقفة اليونانى سبيريذون.

وإحتشد إجتماع قبرصى قومى شامل فى نيقوسيا، بعد أن إتخذ قرار فى ١٩٥٢/١٢/١٦م بمناقشة قضية قبرص فى الجمعية العمومية للأمم المتحدة، وتكرر الإجتماع فى ١٩٥٣/٤/٢٥م و ١٩٥٤/٧/٢٣ و ١٩٥٥/٨/٢٦م، وأمر رئيس الوزراء اليونانى باباجوس مندوب الحكومة فى الأمم المتحدة السفير اليكسيس كيرو -سالف الذكر- أن يقدم المشروع فى ١٩٥٣/٩/٢١م، وكان الفتور الذى به قدم المشروع سراً من أسرار فشله، فلم يدرج فى جدول الأعمال، وفى ١٩٥٣/٦/٢٨م أقسم مكاريوس أن يسعى إلى "الإتحاد" بكل وسيلة، وأن يقبل العون من الشرق والغرب فى سبيل تحقيقه، وبعد هذا التاريخ بنحو ثلاثة شهور (١٩٥٣/١٠/٧م) ولدت منظمة "إيوكا" EOKA -التى سنتعرض لها بالتفصيل بعد قليل- بداية من القسم الذى ألزم اليمين

اليونـاني القبرصى نفسـه بـه مـع نفـر مـن السياسـيين والمثقفـين والعسـكريين ونذكـر منهـم سـافاس وسـقراط لويزيديس ود٠ فيزانيس وجين٠ بابا دوبولوس وج٠ ستراتوس٠ كـان علـى رأسـهم جميعـاً مكـاريوس، الـذى نـاقش إحتمـال الكفـاح المسـلح مـع ج٠ جريفـاس G.Grivas وغيره فـى أثينـا إبتـداءً مـن مـايو ١٩٥١ إلى يوليـة ١٩٥٢م.

فشلت كـل المحاولات اليونانية لإجراء مفاوضات مع بريطانيا حول قـبرص٠ وبلـغ الأمـر حـد الإهانـة، عندمـا رفـض إيدن مجـرد الإستماع لإقـتراح باباجوس "بمحادثـات وديـة ثنائيـة"، أى غـير رسميـة فـى ١٩٥٣/١٢/٢٢م٠ وأعلنـت وزارة المسـتعمرات البريطانيـة فـى ١٩٥٤/٧/٢٨م أن قـبرص هـى من بين المستعمرات التـى لـن يطبـق فيهـا أبـداً مبـدأ الحكـم الذاتـى أو تقريـر المصـير٠ وفـى الخفـاء كـان يعـد دستور إستعمارى جديـد لقبرص، يحـد مـن الحريـات ويفـرض قيـوداً علـى كافـة الأنشـطة، وينظـم التعليـم الثـانوى بهـدف إحكـام السـيطرة علـى الجزيـرة٠ وفـى ١٩٥٤/١٢/١٧م رفضـت الجمعيـة العموميـة للأمـم المتحـدة وضـع مشـكلة قـبرص فـى جـدول الأعمـال٠ عندئـذ إنفجـرت المظـاهرات العنيفـة فـى ليماسـول ونيقوسـيا فـى ١٨ ديسـمبر ١٩٥٤م٠ كـانت هـذه المظـاهرات مقدمـة للمواجهـة المسـلحة التـى إسـتهدفتها "الجبهـة الوطنيـة لتحريـر قـبرص" EMAK٠ وبـالقبض علـى سـفينة تحمـل ١٣ مـن زعمـاء هـذه الجبهـة ومعهـم وثـائق هامـة لهـا، كشـف النقـاب عـن برنامجهـا٠ وعـرف أنهـا طلبـت مـن الشـيوعيين الإبتعـاد عـن حركتهـم بـالمثل طلبـت مـن الأتـراك القبارصـة عـدم وضـع العقبـات فـى طريقهـم مـع وعـد بـالعيش فـى سـلام وتـآخى معـاً٠ وفـى نفس الوقـت أظهـرت تركيـا إهتمامـاً متزايداً بقـبرص، وشـجعت ذلـك كـل مـن الولايـات المتحـدة الأمريكيـة وبريطانيـا٠ وفـى عـام ١٩٥٤م أعربـت تركيـا عـن إعتراضهـا علـى إدخـال أى تعديـل فـى أوضـاع قـبرص ولاسـيما مبـدأ الإتحـاد مـع اليونـان.

وصـل الكولونيـل جـورج جريفـاس ديجينيـس Geoge Grivas Dighenes إلى قـبرص يوم ١٩٥٤/١١/١م٠ وكـان قـد وقـع يـوم ١٩٥٣/٣/٧م "قسـم أثينـا"٠ وبعـد مناقشـات مسـتفيضة تم إختيـاره قـائداً عسـكرياً للتنظيـم السـرى٠ وفـى ١٩٥٥/١/١١م صـار الإسـم الرسمـى للتنظيـم السـرى للكفـاح المسـلح هـو "إيوكـا" EOKA أى "المنظمـة القوميـة للمقـاتلين القبارصـة" (Ethnike Organosis Kyprion Agoniston)٠ وتم تعميـد هـذا الإسـم فـى إجتمـاع سـرى بـين مكـاريوس وجريفـاس، وفـى صبـاح يـوم ١ أبريـل ١٩٥٥م بـدأ الكفـاح المسـلح٠ وبتـوالى عمليـات إيوكـا العسـكرية، وقيـام مظـاهرات شـعبية مؤيـدة لهـا عينـت الحكومـة البريطانيـة فـى أكتوبـر ١٩٥٥م حاكمـا جديـداً هـو الفيلـد مارشـال سـير جـون هـاردنج John Harding، الـذى فـى ١٩٥٥/١١/٢٦م أعلـن حالـة الطـوارئ، بمـا فـى ذلـك الإجـراءات الإسـتثنائية والعقوبـات الجماعيـة[١].

---

[١] عن إيوكا والكفاح المسلح فى قبرص (١٩٥٥-١٩٥٩م) راجع:
دوروس آلاستوس (ترجمة محمد أمين عبد الله، حرب العصابات فى قبرص. سلسلة من الشرق والعرب. العدد ؛
الدار القومية للطباعة والنشر. القاهرة ١٩٦٦.
:ek] Machlouzarides (Cyprus 1985) pp. 276 - 476.
:ek] Clerides (Nicosia 1988-1991) Vol. 1 pp. 30-73

في البداية كان عدد محاربي إيوكا حوالي ٣٠٠م، وجاءت أسلحتهم سراً من اليونان وبعضها صنع محلياً. وكانت إيوكا وعملياتها العسكرية هي التي أعطت لجهود مكاريوس السلمية الدولية قوة التأثير والعمق الشعبي. وإشترك مكاريوس في المؤتمر الأفريقي - الآسيوي في باندونج ١٨- ٢٧ أبريل ١٩٥٥م، والتحمت قبرص بدول العالم الثالث المناضلة من أجل التحرير والإستقلال. وفي ٣٠ يونية ١٩٥٥م دعت اليونان تركيا لعقد مباحثات ثلاثية في لندن لدراسة المسائل السياسية والدفاعية الخاصة بشرق البحر المتوسط، بما في ذلك قبرص. وفي ذلك ماينم عن تحول كبير في القضية القبرصية، حيث أصبحت تركيا طرفاً رئيسياً فيها. ولذلك إعترض مكاريوس بشدة على هذه المباحثات، التي لم تدع إليها قبرص نفسها، مما يعد خرقاً لمبدأ تقرير المصير. ضغط مكاريوس على الحكومة اليونانية لتنسحب من هذه المباحثات. وبإنفجار قنبلة يوم ١٩٥٥/٦/٢١م في الحي التركي بنيقوسيا وموت ١٤ تركياً قبرصياً تصاعد الموقف، وزاد الدور التركي في القضية. وفي غضون يونية - يولية ١٩٥٥م وزعت منشورات تركية ضد إيوكا في ليماسول. وهي تدعو لطرد بعض نظار المدارس الثانوية من اليونانيين وترحب ببقاء الحكم البريطاني، ووقعت هذه المنشورات منظمة تركية سرية حروفها الأولى هي KITEB.

إنتهت المباحثات الثلاثية في لندن ٢٩ أغسطس - ٧ سبتمبر ١٩٥٥م بالفشل الذريع، ليس فقط بسبب الإختلافات الشاسعة بين كل طرف والآخر من الأطراف الثلاثة، ولاسيما عندما إقترحت بريطانيا حكماً ثلاثياً في قبرص أي مشاركة بين أطراف التفاوض الثلاثة. ولكن أيضاً لأنه في ٦ سبتمبر ١٩٥٥م حدث هجوم وحشي تركي علي اليونانيين المقيمين في استانبول وأزمير. كان هذا هو الرد التركي على قنبلة إنفجرت في ٥ سبتمبر ١٩٥٥م في القنصلية التركية الملاصقة لبيت أتاتورك في سالونيكا.

دامت مباحثات مكاريوس -هاردنج من ٤ أكتوبر ١٩٥٥- ٢٩ فبراير ١٩٥٦م ولم تسفر عن شئ. كان التركيز في هذه المفاوضات على مبدأ تقرير المصير من جهة واحتياجات الإمبراطورية البريطانية الاستراتيجية من جهة أخرى. ورفضت بريطانيا وضع جدول زمني لتقرير المصير والحكم الذاتي المؤقت وممارسة كل السلطات فيما عدا الدفاع والخارجية. ورفض مكاريوس الإقتراحات البريطانية، ووقفت وراءه كل الإتجاهات السياسية الوطنية في قبرص. وفي تلك الأثناء زاد إعتماد بريطانيا على الأتراك القبارصة في القوات الأمنية المساعدة لقوات الإحتلال كان الهدف هو إخماد الحركة الوطنية القبرصية اليونانية، ووضع العقبات أمام توحيد عنصري الأمة القبرصية.

وفي ظل حالة الطوارئ المعلنة في قبرص من ١٩٥٥/١١/٢٦م إتخذ هاردنج إجراءات إستثنائية، منها إلغاء كل التنظيمات الوطنية وإعتبارها غير شرعية، وفي مقدمتها الحزب التقدمي AKEL. ولم يعترف إلا بالإتحاد العام للعمال PEO. وفي نفس الوقت أبقى هاردنج على شرعية المنظمة المناهضة لإيوكا أي فولكان VOLKAN، وكذا المنظمة التركية القبرصية السرية. وجدد عدنان مندريس رئيس وزراء تركيا مطالبة بلده بقبرص مهدداً بالحرب. وفي ٩

مـارس ١٩٥٦م ألقـي القبـض علـي مكـاريوس وكيريـانوس ويوأنيديـس وباباسـتافروس باثـانجلو (مـن فانيرومينى)، وأرسلوا إلى المنفى فى جزر سيشل وبقوا هناك حتى أواسط أبريـل ١٩٥٧م.

فى تلك الأثناء زادت أعمال العنف فى المـدن القبرصيـة وبعـض القـرى، وألقـي القبـض علـى الكثيرين وأودعوا السجن، وأغلقت الكثير من المدارس وما إلى ذلك من إجـراءات قمعيـة، وحققـت إيوكـا أكبر إنتصاراتها فى أيام العدوان الثلاثي على مصر أكتوبـر -نوفمـبر ١٩٥٦م بعـد تـأميم قنـاة السـويس، وألقى القبـض على أنثيموس Anthimos مـن كيتيـون، الـذى كـان يمـلأ المكـان الشـاغر بعد نفي مكـاريوس، وعندئـذ طرحـت لأول مـرة فكـرة تشـكيل حكومـة قبرصيـة وطنيـة تمثـل كـل القبارصة، وظهـرت أيضاً فكـرة ضـرورة أن تـترك اليونـان حلـف النـاتو، وتنضـم إلى منظمـة دول عـدم الإنحيـاز ومحـور القـاهرة – بلجـراد، جـاء ذلـك فـى منشـور إيوكـا ١٤ سـبتمبر ١٩٥٦م إبـان أزمـة السـويس.

جدير بـالذكر أنـه صـدرت فـى مصـر جريـدة شـهرية بعنـوان "قـبرص" (Kypros= chypre) عـام ١٩٥٥م أصدرتها "لجنة المقاومة القبرصيـة" برئاسـة تحريـر المحـامي فاسـوس كانـا فـاتيس Vasos Kanavatis وكـان هدفهـا زيـادة الحس الوطنـي القومي، وإعـلام الـرأى العام بحقـائق الكفـاح المسـلح القـبرص، وتـأييد كفـاح الشـعب المصـرى الوطنـي، واسـتمرت هـذه النشـرة حتـى ١٢ أكتوبـر ١٩٥٨ وكـانت تنشـر باليونانيـة والفرنسـية والانجليزيـة والعربيـة[١]، ولعلنـا نفهـم الآن لمـاذا إنخـرط بعـض القبـارصة (اليونـان) فـى المقاومـة الشـعبية المصريـة للعـدوان الثلاثـى ١٩٥٦م.

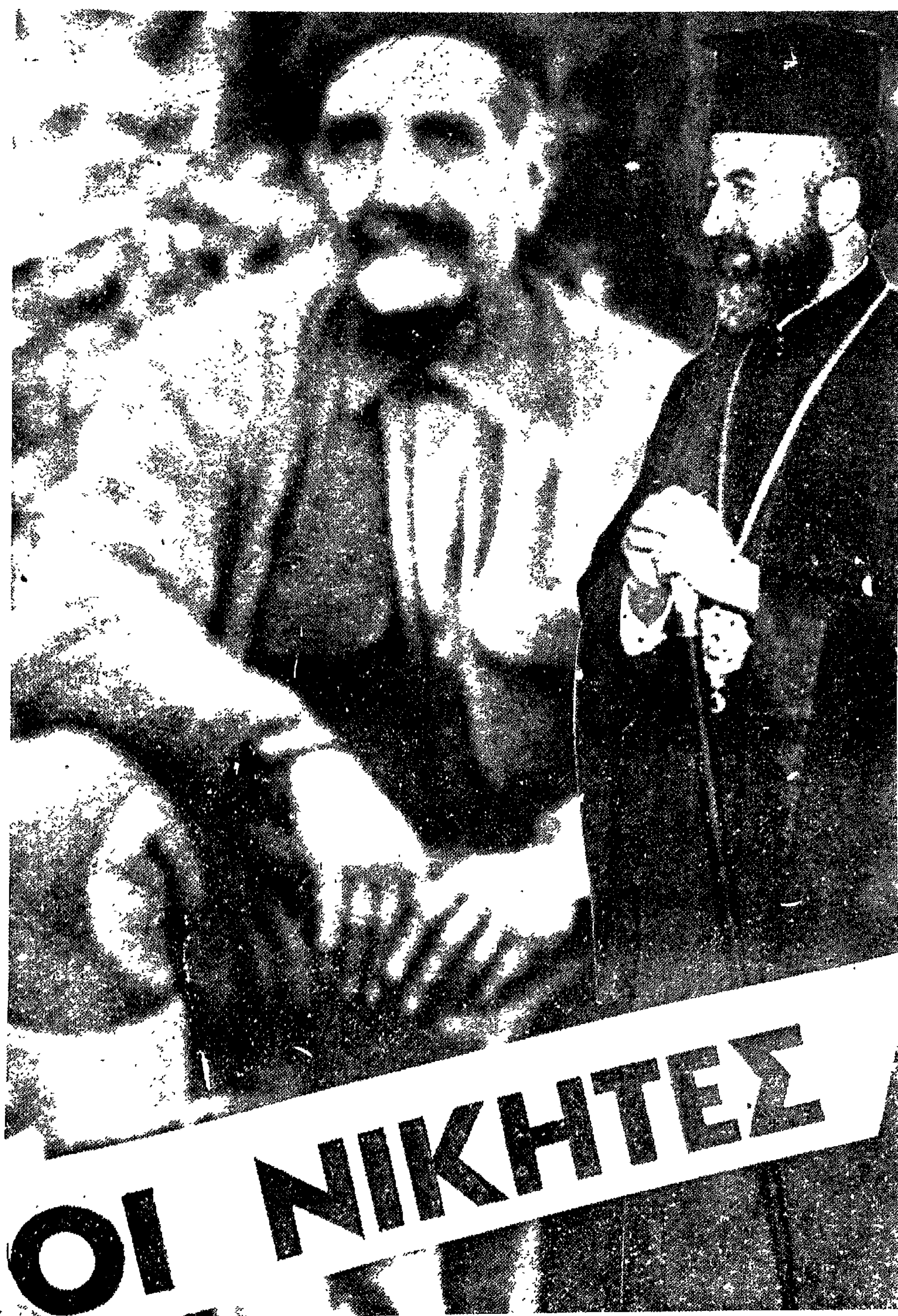
وبـالفعل طـرح مشـروع رادكليـف Radcliffe فـي ١٣ ديسـمبر ١٩٥٦م علـى الحكومـة اليونانيـة وعلـى مكـاريوس فـى منفـاه، وملخـص المشـروع هـو تشـكيل حكومـة قبرصيـة بأغلبيـة يونانيـة، مـع حـق الحـاكم البريطـانى فـى حـل البرلمـان وطـرد رئيـس الـوزراء، وضمـان حقـوق الأقليـة التركيـة، وعنـد تسـليم هـذه المقترحـات، صـرح لينوكـس بويـد ولأول مـرة بحق الأتـراك القبارصـة فـى تقريـر المصـير وبشـكل الفضـالى وهـو مـايلمح إلى التقسـيم كحـل محتمـل، وكـان مـن الطبيعـى أن يرفـض القبارصـة اليونـان مشـروع رادكليـف، وعلـى الفـور نشـبت أحـداث عنـف بـين عنصـرى الشـعب القـبرصي، أى اليونـان والأتـراك، وإستمرت طـوال ينـاير وفـبراير ١٩٥٧م، وسـقط الكثـير مـن الضحايـا فـى الجـانبين.

---

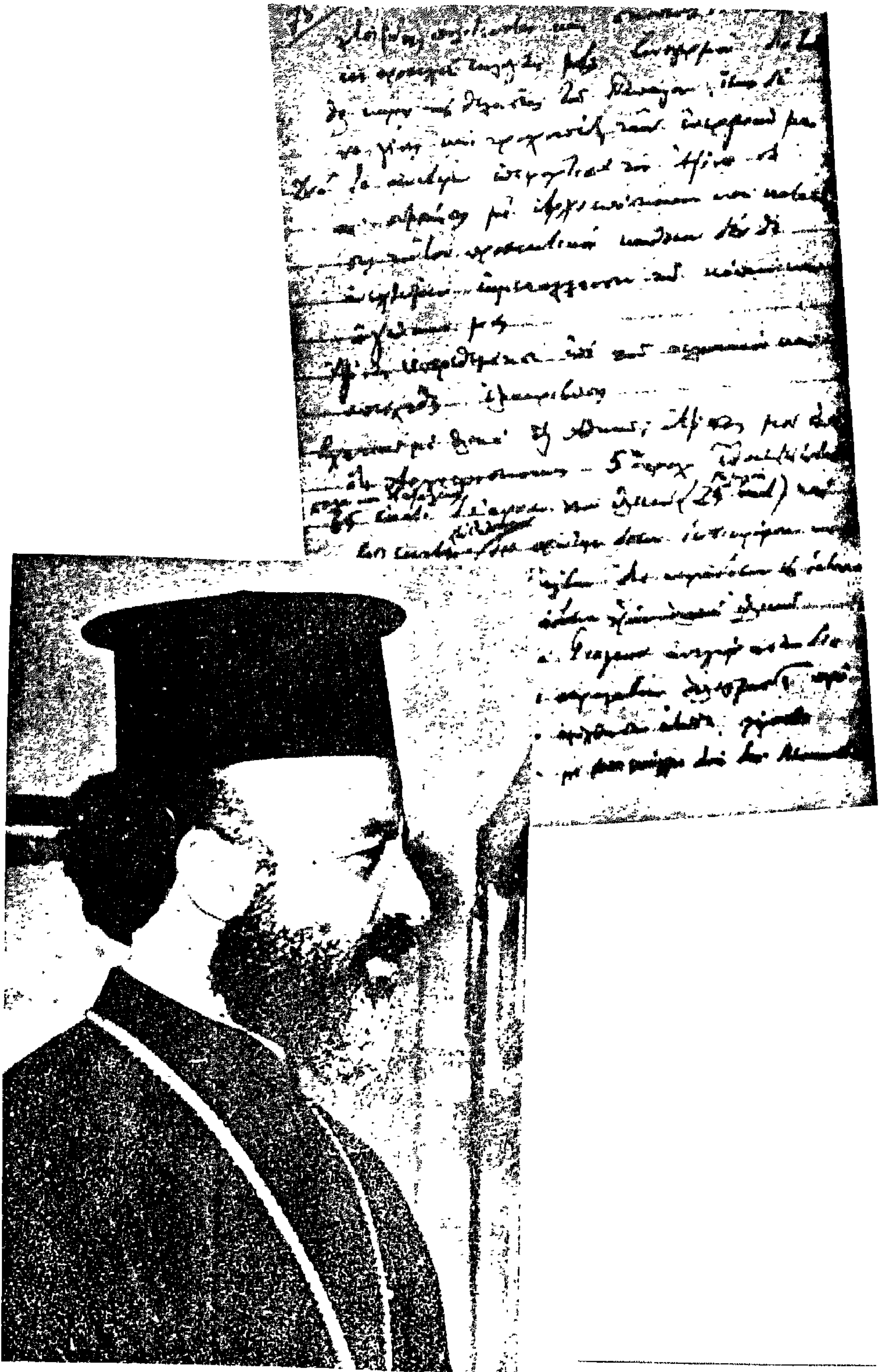
[١] ميخائيليديس، سجل مصور، ص ٢٦٩. وجدير بالذكر أن جيورجوس فيليبو بييريديس نشر كتاباً باليونانيـة ("ذكريـات وحكايات من مصر") فى ثيسالونيكى عام ١٩٨٦ يتحدث فيه عن ذكرياته وأيامـه فـى مصـر منـذ ولادتـه عـام ١٩١٣ حتى عام ١٩٥٤ وله رواية بعنوان "تجار القطن" منشورة بالاسكندرية ١٩٤٥ وراجع:

[Greek] Petrondas (Nicosia 1994).

Philaniotou - Hadjiastasiou O. "The Greek Connection: from Alexa--ndria to Cyprus" Lecture given at the Royal Scottish Museum (May 1988).



شكل رقم (٥٥) : صور جريفاس ومكاريوس كما جاءت في الصحف القبرصية، وتحتها عبارة "المنتصرون"



شكل رقم (٥٦): جزء من مذكرات جريفاس (١١ [illegible] ١٩٥٥) [illegible] مكاريوس [illegible]
التوار .



شكل رقم (٥٧) · مكاريوس وزملاؤه في المنفى بجزيرة سيشل.

وعند مناقشة القضية القبرصية في الدورة الحادية عشر للجمعية العمومية للأمم المتحدة تمت الموافقة على الإقتراح الذى قدمه المندوب الهندى كريشنامينون، والذى يدعو إلى حل سلمى مبنى على ميثاق الأمم المتحدة (قرار ١٠١٣)، ونتيجة لهذا القرار عرض جريفاس هدنة (١٤/٣/١٩٥٧م) لتسهيل المفاوضات مع مكاريوس، حيث كان من شروط الهدنة المقترحة إطلاق سراحه من المنفى وعودته، وإستمرت الهدنة أحد عشر يوماً بعد وقوع أكبر أعمال البطولة الوطنية، عندما ظل جنود المقاومة يتشبثون بموقعهم حتى الموت حرقاً في مكان قريب من دير ماخيراس، وكان على رأس شهداء هذه الموقعة نائب قائد إيوكا جريجوريس أفكسينتيو Gregoris Afxention (من ليسى Lyssi)، ولقد أثارت هذه البطولة الوطنية إعجاب العالم كله بما في ذلك شعراء من بريطانيا نفسها، وأطلق سراح مكاريوس ورفاقه ووصلوا منتصرين إلى أثينا في ١٧/٤/١٩٥٧م، برغم إعتراضات تركية قوية.

حاول مكاريوس إقناع جريفاس بإيقاف الكفاح المسلح في مايو ١٩٥٧م، على أساس أنه غير مجدى، ولأن الولايات المتحدة الأمريكية هددت بتأييد التقسيم إن لم يتوقف القتال، وكانت قد ظهرت منظمات تركية قبرصية سرية، تعمل على فصل القسم التركي عن بقية قبرص، وفي مقدمة هذه المنظمات فولكان VOLKAN، التي كانت تركيا سراً تسلحها وتمولها وتخطط عملياتها العسكرية، وفي ذلك الوقت كان عدد الأتراك العاملين في قوات الأمن البريطانية ٤٢٠٠ في مقابل ٦٩٧ يونانياً[١] .

---

(١) [Greek] Machlouzarides, pp, pp, 276-480

٦- إتفاقية زيورخ - لندن

وفي ١٩٥٧/٥/٣٠م رفض البريطانيون التفاوض مع مكاريوس، على أساس قرار الأمم المتحدة ١٠١٣ سالف الذكر، وطالبوا بأن يكون التفاوض على أساس مشروع رادكليف وتصريح بويد في ١٩٥٦/١٢/١٩م، وقيل آنذاك إن هذين الأساسين يضمنان مساندة أمريكا والناتو لمؤتمر سلام ثلاثي حول قبرص، وسعى سكرتير عام الناتو بين جميع الأطراف للوصول إلى إتفاق يقضي بقيام دولة قبرصية مستقلة تابعة للكومونولث البريطاني، وفشلت هذه المساعي، وفي أكتوبر ١٩٥٧م وعد حزب العمال البريطاني بتحرير قبرص حالة فوزه في الإنتخابات، واستقال الحاكم البريطاني هاردنج وحل محله السيرهج فوت Hugh Foot، ومما أنعش آمال القبارصة اليونان، وفي ١٤ ديسمبر ١٩٥٧م أيدت الجمعية العمومية للأمم المتحدة في دورتها الثانية عشر قرارها السابق ١٠١٣.

ولكن في الفترة من ديسمبر ١٩٥٧م إلى يناير ١٩٥٨م إزدادت عمليات العنف التركية في قبرص، وصارت من روتين الحياة اليومية، كان مدبرو هذه العمليات يستهدفون إظهار حتمية تقسيم قبرص، وبالطبع كانت تركيا وراء هذه الموجة من العنف، وعرض فوت مع سكرتير الخارجية البريطانية سلوين للويد Selwyn Lloyd آنذاك بعض المقترحات على وزير الخارجية التركي زورلو وفحواها: حكم ذاتي لمدة سبع سنوات، وتقرير مصير منفصل لكل من الأتراك واليونان القبارصة، وقواعد بريطانية رفضت تركيا هذه المقترحات وثلثها في ذلك بقية الأطراف.

وفي ٢١ يناير ١٩٥٨م قتل إثنان من أتباع الحزب التقدمي AKEL على يد واحد من رجال إيوكا، فتفجر صراع داخلي بين القبارصة اليونان، قامت مظاهرات وإضطرابات عنيفة وأصدر مكاريوس نداء بضرورة الوئام بين أفراد الشعب، وأرسل فوت رسالة سرية إلى جريفاس يطلب لقاء سرياً معه، وإستجاب جريفاس بوقف العمليات العسكرية، في تلك الأثناء كان هارولد ماكميلان رئيس الوزراء البريطاني يعكف على صياغة مقترحات جديدة، قدمها بالفعل إلى مجلس العموم في ١٩ يونية ١٩٥٨م، وقطع الجانب التركي القبرصي الطريق على أية فرصة للتقارب، وبتدبير من زعيمهم رؤوف دنكتاش وبرعاية تركيا وغض الطرف من بريطانيا، تم تأسيس منظمة تركية قبرصية هي TMT تحت قيادة فيروسكان Viruskan، وفي ٧ يونية ١٩٥٨م إنفجرت قنبلة في مكتب الإعلام التركي في نيقوسيا، وكانت تلك إشارة البدء في سلسلة من عمليات العنف ضد القبارصة اليونان في المدن والقرى طوال يونية -يولية ١٩٥٨م تحت سمع وبصر الحكومة البريطانية، وطرد ٧٠٠ يوناني قبرصي من منازلهم في أمورفيتا Omorfita وغيرها، ولأول مرة وضعت الأسلاك الشائكة في شوارع نيقوسيا، لفصل الأحياء التركية عن الأخرى اليونانية، وتلك بدايات شبه رسمية للتقسيم، فردت إيوكا بسلسلة مضادة من العمليات العنيفة،

وسقط الضحايا من الطرفين، حتى صدر نداء مشترك بوقف العنف وقع عليه كل من فوت ومكاريوس وكوتشوك وكارامانليس ومندريس.

وقدم ماكميلان خطته وتتضمن تعيين مندوب يوناني وآخر تركي لمساعدة حكومة قبرصية على أداء واجبها بعد تشكيلها، وينتخب أربعة وزراء قبارصة يونان ومثلهم قبارصة أتراك، وهؤلاء جميعاً يشكلون المجلس التنفيذى المسئول عن الشئون الداخلية، فيما عدا مايتصل بشئون الأمن الداخلى وطوائف المجتمع، فهذان المجالان مع شئون الدفاع والخارجية تظل فى يد الحاكم البريطانى، كما ينتخب مجلس شعبى لكل جانب أى اليونانى والتركى، ولكل منهما أيضاً بلدية مستقلة، وللقبارصة أن يختاروا بين الرعوية اليونانية والتركية والبريطانية، أو يجمعوا بينها معاً، وتقرر الخطة عدم تغيير الوضع الدولى لقبرص فى مدة إنتقالية تمتد سبع سنوات، وتشكل محكمة عليا للنظر فى أى قضية تتصل بأوضاع طوائف المجتمع.

تدارس مكاريوس هذه الخطة، وتشاور مع عمد المدن القبرصية وأعضاء الإثنارخية (المجلس القومى) المقيمين فى أثينا، وأرسل خطاباً إلى فوت فى يونية ١٩٥٨م يرفض الخطة، وفى اليوم التالى أرسل كارامانليس رئيس وزراء اليونان خطاباً بنفس المعنى إلى ماكميلان، وفيما بين ٢٤ و ٢٦ مارس ١٩٥٨م وقعت إضطرابات عنيفة، تضمنت إضرابات ودعوة لمقاطعة المنتجات البريطانية، ولكن تركيا أرسلت إلى قبرص قنصلاً مكلفاً بمواصلة دراسة وتنفيذ خطة ماكميلان، بعد أن أدخلت عليها بعض التعديلات، وفى ١٩٥٨/٩/٢٢م صرح مكاريوس بأنه على إستعداد للقبول بالإستقلال مع إستبعاد مبدأ "الإتحاد" و "التقسيم"، أى تقسيم الجزيرة بين سكانها اليونان والأتراك، وفى سبتمبر-أكتوبر ١٩٥٨م إزدادت موجة العنف وقدم سكرتير عام حلف الناتو سباك P.Spaak خطة جديدة تعد نسخة معدلة من خطة ماكميلان، وتدعو لعقد مؤتمر سلام خماسى أو سباعى، وفى ٩ أكتوبر ١٩٥٨م أعلن لينوكس بويد فى بلاكبول Blackpool أن بريطانيا قد عقدت العزم على تنفيذ خطة ماكميلان: "لأن قبرص تقع قريبة جداً من تركيا، وبعيدة عن اليونان".

وجاء رد كيبريانوس (من كيرينيا) وج، باباندريو لتعزيز القرار اليونانى - القبرصى بغلق ملف خطة ماكميلان وسباك إلى الأبد، ثم جاء قرار الأمم المتحدة ١٢٨٧ فى ١٩٥٨/١٢/٥م محبطاً، لأنه لم يضف جديداً واكتفى بالحث على إيجاد حل سلمى وديموقراطى وعادل وفق قرار الأمم المتحدة السابق ١٠١٣، وبمبادرة من وزير الخارجية التركى زورلو بدأت مفاوضات بينه وبين وزير الخارجية اليونانى أفيروف فى ٦ ديسمبر ١٩٥٨م، وهى المباحثات التى ساعدت على وقف أعمال العنف ومهدت الطريق لإتفاقية زيورخ - لندن.

فيما بين ١٩٥٧ و ١٩٥٨م مارس مكاريوس وجريفاس وأنثيموس (من كيتيون) ولوكيس أكريتاس وغيرهم من القبارصة البارزين ضغطاً متزايداً على الحكومة اليونانية لكى تنسحب من حلف الناتو، ولكن الحلفاء الغربيين لم يأخذوا هذا التهديد مأخذ الجد، وفرض على اليونان أن

تضحى بمصالحها القومية فى سبيل نجاح هذا الحلف، ومن هنا نفهم تردد اليونان فى تأييد الكفاح المسلح فى قبرص، بل وصلت عدوى هذا التردد إلى مكاريوس نفسه. وقبل أن نصل إلى إتفاقية زيورخ – لندن علينا أن نلقى نظرة على الأهمية الاستراتيجية لقبرص فيما بعد حرب السويس التى انتصرت فيها مصر على العدوان الثلاثى وفقدت بريطانيا العظمى ممراً استراتيجياً خطيراً، ويعرض الأستاذ كمال عبد الحميد الخبير الاستراتيجى هذا الموضوع فى النقاط التالية:

١- صارت قبرص القاعدة الوحيدة لبريطانيا فى كل منطقة الشرق الأوسط، بعد أن انسحبت من قناة السويس، بالرغم من أن بريطانيا كانت محتفظة بقاعدتى "الشعيبة والحبانية" فى العراق إلى آن قامت الثورة هناك، إلا أنها –بريطانيا– ظلت محتفظة بقبرص كقاعدة رئيسية لها لكل الشرق الأوسط، وإستمرت تضاعف الجهد لتحصينها وإتساع قدرتها الإستراتيجية، نظراً لأنها كانت تعتبر قاعدة للقوات البرية والبحرية والجوية، ومن أجل ذلك أقيمت فى الجزيرة رياسة كل القوات البريطانية العاملة بالشرق الأوسط.

٢- كانت الجزيرة تعتبر بمثابة حاملة طائرات ثابتة تتسع لنشاط أسراب الطائرات المقاتلة وقاذفات القنابل الثقيلة، التى كان يصل مداها إلى ماوراء البحر الأسود وشمال البلقان وأوروبا الوسطى فى الشمال، وإلى جنوب وادى النيل جنوبا، وإلى العراق وإيران والقوقاز شرقا، وإلى مالطة وجبل طارق وشمال أفريقيا وغرب أوروبا غربا. ولقد إستخدمت قيادة العدوان الثلاثى على مصر هذه الجزيرة كقاعدة للقوات الفرنسية والبريطانية التى قامت بالهجوم على مصر سنة ١٩٥٦م، كما إستخدمت الجزيرة قاعدة أيضا لإرسال القوات البريطانية إلى الأردن عقب ثورة العراق، كما إستخدمتها الطائرات الأمريكية الثقيلة من طراز (ى٢) التابعة لحلف الأطلنطى بالقيام بعمليات الإستطلاع والتجسس على مواقع الصواريخ والقوات المصرية بمنطقة السويس لحساب اسرائيل فى ديسمبر سنة ١٩٧٠م أثناء حرب الاستنزاف التى بدأتها القوات المصرية سعياً لطرد اسرائيل وضفة القناة الشرقية، كما كشفت ذلك الصحف القبرصية، ولاسيما فيما يتصل بتزود تلك الطائرات مرتين بالوقود من القواعد البريطانية بالجزيرة.

٣- توافر الموانئ الصالحة لإيواء وإصلاح وتموين السفن، وخاصة بعد تحسن مرافقها وامكاناتها الفنية، بعد الجلاء البريطانى عن مصر، وبذلك إتسعت إمكانية الجزيرة للعمليات البحرية وخاصة القطع المتوسطة والخفيفة. وذلك علاوة على وجود الأحواض الجافة وإمكانية رسو الأحواض العائمة بها.

٤- توافر الأيدى العاملة بها، وإن كان مجال الإعتماد على الوطنيين فى الظروف التى إشتدت فيها الثورة المسلحة ضد بريطانيا لم يشجع كثيرا على الإفادة الكاملة من الأيدى العاملة ولذا فإن عدم الإستقرار فى الجزيرة قلل من أهمية هذا العامل، مما دفع بريطانيا إلى الإستعانة بالعمال الأتراك،

٥- وجود كثير من المخازن والمستودعات والصهاريج الخاصة بالبترول، موزعة على أطراف الجزيرة. وبذلك فإن توافر هذه المرافق يزيد من طاقة الجزيرة على إعاشة قوات كبيرة. ولمدة طويلة، وخاصة أن مواردها المحلية تساعد إلى حد كبير في تحقيق هذه الغاية.

٦- قرب الجزيرة من مدخل قناة السويس كان يحقق لبريطانيا موقعاً لحماية أو لتهديد القناة. إذ إن المسافة بين بورسعيد وقبرص ٢٣٠ ميلا. كما أن الجزيرة قريبة من الشواطئ الفلسطينية واللبنانية والسورية والتركية، مما يزيد في أهميتها لبريطانيا التى كانت تسعى للحفاظ ولو على مظهر السيطرة على شرق البحر الأبيض.

٧- كانت بريطانيا تفيد من موقع الجزيرة في تنفيذ خطتها للدعاية السياسية والتجسس لحسابها في منطقة الشرق الأوسط. فأقامت بها محطة إذاعة الشرق الأدنى. التى أصبحت رسمياً منذ بدء العدوان الثلاثى على مصر. اللسان الرسمى (لصوت بريطانيا)، وإن كانت هذه المحطة قد توقفت من مدة طويلة.

٨- ومنذ قيام أزمة فلسطين بين العرب والصهيونية أصبحت قبرص ميدانا للتهريب والتجسس الصهيونى على العرب. وبذلك قامت الجزيرة بدور خطير في التقلبات السياسية التى تعرض لها الشرق الأوسط منذ نهاية الحرب العالمية الثانية. بل وكانت قبرص قبل قيام إسرائيل ١٩٤٨م مركزا لتجميع اليهود المهاجرين من أوروبا لتهريبهم إلى فلسطين.

٩- تعتبر قبرص بمثابة القاعدة الخلفية، التى كانت تحقق العمق الإستراتيجى لحلف بغداد، والذى إشتركت فيه بريطانيا كعضو رئيسى. وبرغم إشتراك الولايات المتحدة في اللجان الإقتصادية والعسكرية وكذا لجنة "مقاومة المبادئ الهدامة"، إلا أن بريطانيا كانت ترى أن بقاءها في قبرص يحقق لها قدراً من التوازن المظهرى "العادل" مع مركز الولايات المتحدة، الذى توطد بعد الحرب العالمية الثانية في شرقى البحر الأبيض وفي الشرق الأوسط.

١٠- تتم قبرص شبكة القواعد البريطانية في حوض البحر الأبيض المتوسط بتعاونها مع قواعد ليبيا ومالطة وجبل طارق، بعد أن فقدت بريطانيا قواعدها في فلسطين "حيفا"، وفي مصر "قناة السويس".

١١- إحتمال تسلل روسيا إلى مياه البحر الأبيض منذ أن أصبحت ألبانيا ضمن الكتلة الشرقية الأمر الذى زاد من خطورة تعرض مالطة إلى التدخل السوفيتى القريب. . وبالتالى دفع ذلك القيادة البريطانية إلى مضاعفة التشبث بقبرص، لتأمين الجناح الأيمن لمالطة من جهة، ومن جهة أخرى لإحتمال القيام منها بأى عمليات مشتركة مضادة ضد الخطر الأحمر سواء كان مصدره عبر أراضى أو مضايق تركيا، أو عن طريق إجتياح اليونان، أو عن طريق المدخل الجنوبى للبحر الأدرياتيكى من ألبانيا، أو عن طريق إفادة روسيا من الخدمات التى تقدمها لها الدول

الصديقة لأسطولها إذا رسا في موانيها. وازدادت أهمية الجزيرة من هذه الناحية بعد وصول الغواصات الحديثة إلى كل من مصر وإسرائيل.

١٢- ونظرا لبعد الجزيرة عن نطاق المياه الإقليمية لأى دولة أخرى، فإن إحتمال غزوها من البحر يعتبر أمراً غير يسير، وخاصة أن طبيعتها الجبلية لاتشجع كثيراً على غزوها من الجو. في حين أنها تعتبر قاعدة لإنطلاق عمليات الغزو إلى ما حولها، كما حدث في أكتوبر سنة ١٩٥٦م بعد أن تجمعت بها القوات البريطانية والفرنسية للعدوان على مصر، فهي بذلك قاعدة هجومية، وهي في نفس الوقت مأمونة الدفاع نسبيا ضد أى هجوم عليها من الخارج. وإن ثبت نقيض ذلك فيما بعد عند قيام الغزو التركي لشمال الجزيرة اعتماداً على القوات الجوية في يوليه ١٩٧٤م.

١٣- إزدادت أهمية الجزيرة بعد أن إكتشف البترول فيها، ولولا الظروف التي إجتازتها الجزيرة بسبب ثورتها ضد بريطانيا من جهة، وبسبب إنشغال الأخيرة في أزمة قناة السويس من جهة أخرى، لكان الإهتمام بإستخراج البترول أعظم[1]، على أية حال فإن إمكانات البترول في قبرص ضئيلة جداً فيما نعرف حتى الآن، وإن كان ذلك لايقلل من قيمة موارد الجزيرة الاقتصادية.

في ١٩٥٨/٢/١٨م أخبر كل من افيروف وزورلو وزير الخارجية الأمريكي سلوين لويد في باريس، أثناء حضور مجلس الناتو، عن الإتفاقية الجارية مناقشتها فيما بين اليونان وتركيا، وفحواها: الإستقلال لقبرص، وإستبعاد إتحادها مع اليونان، وكذا إستبعاد التقسيم، ووافق ماكميلان على مشروع الاتفاقية، وعشية أعياد الميلاد عرض جريفاس هدنة، وإستؤنفت المباحثات في باريس ١٨-٢٠ يناير ١٩٥٩م، ثم برزت مشكلة جديدة، عندما طالب زورلو بقاعدة تركية في قبرص، على أن يسمح بقاعدتين يونانيتين فيها، وأحيط مكاريوس علماً بالشروط التركية، فوافق عليها معترضاً فقط على نسبة الموظفين بين اليونان والترك ٧٠: ٣٠، وإقترح فصل البلديات في المدن، وهو أساساً مطلب تركي كان افيروف قد إعترض عليه.

تم الإتفاق على الاتفاقية نهائياً في زيورخ ١١ فبراير ١٩٥٩م بعد سبعة أيام من المفاوضات الشاقة، كانت توجيهات أمريكا والناتو والمخابرات الأمريكية المركزية (CIA) قد لعبت دوراً كبيراً في الوصول إلى هذه المعاهدة، وكان فوستر دالاس Foster Dulles وزير الخارجية الأمريكية يتابع هذه المفاوضات عن كثب ويتدخل فاعل ومؤثر أحياناً، ومن المفيد أن نعرض هنا للنقاط الرئيسية في اتفاقية زيورخ وهي كما يلي:

أولا: تأسيس جمهورية قبرص.

ثانيا: هذه الاتفاقية تضمنها كل من بريطانيا واليونان وتركيا وجمهورية قبرص.

---

(١) محمد كمال عبد الحميد، سبقت الاشارة اليه، ص ٤٥٤-٤٥٨.

ثالثاً: عقد اتفاقية تحالف بين قبرص واليونان وتركيا.

رابعا: عقد إتفاق ودى - غير رسمى- بين كارامانليس رئيس وزراء اليونان ونظيره التركى مندريس.

وعندما قرأ مكاريوس نصوص الاتفاقية تردد كثيراً فى حضور المؤتمر الموسع المنعقد فى لندن للتوقيع. فى هذا المؤتمر تشارك بريطانيا واليونان وتركيا والقبارصة اليونان ومواطنوهم الأتراك. وبعد مناقشات مستفيضة اجراها مكاريوس مع الفعاليات السياسية القبرصية واليونانية طار إلى لندن فى ١٤ فبراير ١٩٥٩م بنية المحاولة المستميتة فى سبيل تحسين بعض نقاط الاتفاقية. كان الخوف يتهدد القبارصة اليونان من أن بريطانيا ستتركهم تحت رحمة القوات التركية، التى من المحتمل أن تغزو والجزيرة. بل إن بريطانيا هى التى أشاعت إحتمالات الغزو التركى لترهب اليونان القبارصة، ولاسيما بعد قيام الثورة العراقية بقيادة حزب البعث اليسارى فى بغداد ١٩٥٨م التى أطاحت بالملكية وتحالفت مع روسيا، مما أدى إلى وحل حلف بغداد، وتقلص دور تركيا فى المنطقة. وروجت بريطانيا لسياستها الجديدة وهى أنها ليست بحاجة للبقاء فى قبرص كقوة إحتلال، إنما هى فقط بحاجة إلى قاعدة عسكرية فيها. بل إن هذه السياسة البريطانية الجديدة تعد من توابع أزمة السويس، حيث بدأ البريطانيون يعيدون النظر فى مستعمراتهم شرق السويس، ويطرحون أفكاراً جديدة فى أمر "بريطانيا العظمى". قالوا عندئذ نعم نحن بحاجة إلى نفط الشرق الأوسط والخليج، ولكن سكان هذه المناطق بحاجة إلينا من أجل التكنولوجيا والأسواق والحماية. وبإختصار بدأت أمريكا تحل محل بريطانيا فى المنطقة رويداً رويداً، ومنذ نهاية الحرب العالمية الثانية. واشتد هذا الاتجاه بقوة بعد حرب السويس.

وجدير بالذكر هنا أن كمال عبد الحميد المتخصص فى الدراسات الإستراتيجية يقول إن اليونان كانت ضمن الدول التى إحتوتها مجموعة "الشرق الأدنى"، التى كانت تشمل جنوب البلقان، وتركيا، وجزر البحر الأبيض، ومصر. ولكن إختفت هذه التسمية فى الحرب العالمية الثانية، منذ آن إتسعت ميادين العمليات الحربية فى شمال شرق أفريقيا، وفى غرب آسيا، وفى شرق حوض البحر الأبيض ضد ألمانيا وإيطاليا. وأضحت حدود الشرق الأوسط تمتد من مشارف الشرق الأقصى إلى الحوض الأوسط للبحر الأبيض. وذابت مجموعة الشرق الأدنى فى ميدان هذه المنطقة النامية. وبمعنى آخر أصبحت تركيا، والحوض الشرقى للبحر الأبيض، والنصف الشرقى من شمال أفريقيا ضمن المجموعة الإقليمية الجديدة.

وبالنسبة لليونان، -كما يقول كمال عبد الحميد- فإنه بالرغم من إرتباطها الوثيق بالنشاط الأوروبى، إلا أنها ترتبط فى نفس الوقت بالشرق الأوسط، سواء من حيث علاقتها القديمة الوثيقة بتلك المنطقة وخاصة مع الدول العربية، أو من حيث قيام مشكلة قبرص بينها وبين بريطانيا التى أقامت بالجزيرة مركز رياسة قواتها المبعثرة فى قواعد الشرق الأوسط، وماتسبب عنه ذلك من إطراد الإصطدام المسلح فى الجزيرة، وإشتداد الصراع السياسى الذى إشتركت فيه بريطانيا،

وتركيا، واليونان من أجل مستقبل الجزيرة، التي أضحت -منذ عام ١٩٥٤م- قاعدة حربية، لها أهميتها الإستراتيجية الخاصة رسم إذ منذ أن بدأت بريطانيا في تصفية قاعدتها في قناة السويس. كما كان لموقف اليونان من قضية فلسطين، وعدم إعترافها بإسرائيل الأثر الكبير في إطراد علاقاتها بالدول العربية، بالرغم من أن اليونان عضو في حلف شمال الأطلنطي (الناتو)، الذى تعترف كل دوله الأعضاء بإسرائيل. فكان موقف اليونان بالرغم من كل هذه الظروف بالنسبة لإسرائيل أكرم وأقرب للدول العربية من مواقف تركيا (وإيران وقتئذ)[1] . وهذه الرؤية الاستراتيجية لازالت قائمة حتى الآن ونحن على مشارف القرن الحادى والعشرين.

لقد قبلت اليونان باتفاقية زيورخ التى تستبعد إتحاد قبرص مع شقيقتها الكبرى اليونان. ولم تفلح هذه الاتفاقية فى وضع حد للصراع المسلح فى الجزيرة. وكان الهم الأكبر للذين فرضوا هذه الاتفاقية على جميع الأطراف هو الحرص على وحدة الناتو بوصفه درعاً واقياً من الشيوعية السلافية القادمة من الشمال الروسي والأوروبي. أما وقد إنضمت كل من تركيا واليونان لهذا الحلف ١٩٥٢م فعليهما تقديم التنازلات. وتقدر هذه التنازلات بحجم الخدمات التى تقدم لهذا الحلف. والخاسر الأكبر هو المصالح الوطنية القبرصية أى القبارصة اليونان وأشقاؤهم اليونانيون. هؤلاء دفعوا الثمن باهظاً، أما بقية الأطراف فقد حققت كافة مصالحها.

وفى وثائق اتفاقية زيورخ تقرر أن التقسيم وازدواجية المجتمع القبرصى أصبح أمراً مستقراً ودستورياً. فلابد من الأخذ بهذا المبدأ فى تأسيس بنية الدولة والمؤسسات التشريعية والتنفيذية والإدارية للجمهورية القبرصية مستقبلاً. إنه حكم مزدوج أو ثنائي، يملك فيه كل من رئيس الجمهورية اليونانى القبرصى ونائبه التركى القبرصى حق الفيتو على الآخر فى الأمور السياسية المهمة. ووزعت العضوية والمناصب فى المؤسسات التشريعية والتنفيذية والإدارية بنسبة ٧٠: ٣٠ وفى القوات المسلحة بنسبة ٦٠: ٤٠.

أما الفصل فيما بين البلديات فى المدن الكبرى فقد بدا أمراً واقعاً فرضه، الأتراك وأغمض الإحتلال البريطانى عينه عنه منذ ١٩٥٨م فصار الآن قانونياً ودستورياً. وبإنتخابات منفصلة تجرى في كل جانب ينتخب البرلمان من ٣٥ عضواً يونانياً و١٥ تركيا.

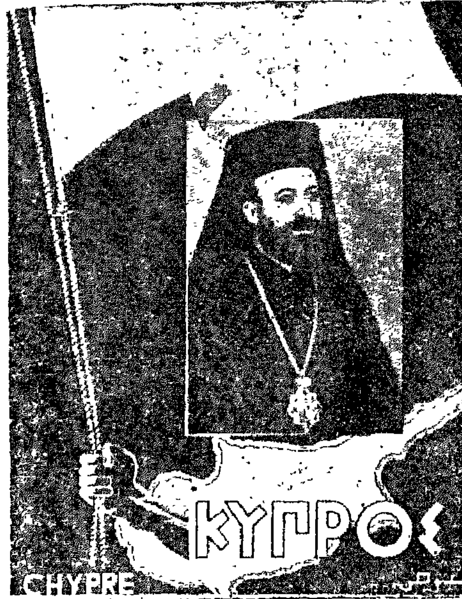
وضمنت بريطانيا واليونان وتركيا الاتفاقية، وتعهدت بحماية قبرص ووحدة أراضيها. وفى حالة خرق أى بند فى الاتفاقية على الدول الثلاثة أن تتصرف معاً، فإذا تعذر ذلك يحق لكل دولة دولة أن تتصرف بمفردها، شريطة أن يكون الهدف الوحيد لأى تحرك هو: إستعادة الأحوال إلى ما كانت عليه، وكما أقرته الاتفاقية الحالية. وتضمن الدول الثلاث سلامة القاعدتين الممنوحتين لبريطانيا فى قبرص. يمنع منعاً باتاً "إتحاد" قبرص مع أى دولة أخرى -سواء اليونان أو تركيا- كما

---

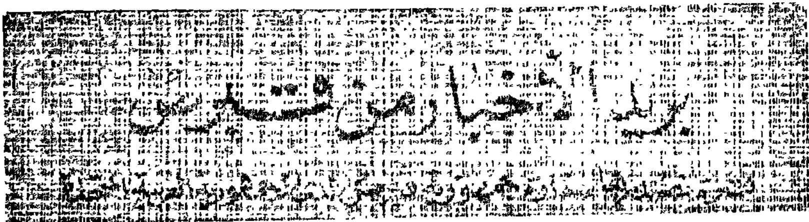
[1] نفس المرجع ص ٤٥٢-٤٥٣. وقارن محمد نصيف، قبرص بين أنياب حلف الأطلنطى، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧.



شكل رقم (٥٨) "الاتحاد" كما صورته ريشة محمد ناجى عام ١٩٥٥م، وهى رائعته المعروفة باسم "الوحده الوطنية" والمعروضة فى متحفه بالقاهرة .







شكل رقم (٥٩): نشرة قبرص كما صدرت في مصر ورئيس تحريرها فاسوس كانافاتس

يحذف نهائياً من جدول الأعمال فى أى تفاوض مستقبلاً "التقسيم" أى فصل الجزء التركى عن ؛
قبرص ، ونص الإتفاق على عقد حلف بين اليونان وقبرص وتركيا للتعاون والتشاور فى شـ
الدفاع وحماية وحدة الأراضى القبرصية مع إنشاء قيادة موحدة لقوة عسكرية مشتركة.

وتم الإتفاق ودياً -لارسمياً- بين اليونان وتركيا على السعى لضم قبرص إلى حلف النـ
وحث السلطات القبرصية على إلغاء الحزب الشيوعى وإصدار عفو عام.

هذه هى شروط اتفاقية زيورخ ، وذهبت جهود مكاريوس المضنية لتعديل بعض موا
سدى، وتعرض لضغوط لا تقاوم من كل جانب فوقع عليها فى النهاية فى ١٩ فبراير ٩٥٩
وإستقبل غالبية القبارصة الإتفاقية بشئ من الإرتياح والتفاؤل ، وعندما عاد مكاريوس إلى قبرص
١ مارس ١٩٥٩م. استقبلته الجماهير استقبال الابطال المنتصرين.

وفى ١٣ ديسمبر ١٩٥٩م إنتخب مكاريوس أول رئيس للجمهورية القبرصية، إذ فاز بنـ
٦٧٪ من الأصوات فى مقابل ٣٣٪ نالها منافسه جون كليريديس الذى تزعم الإتجاه المعا
للإتفاقية ، وإنتخب الجانب القبرصى التركى فاضل كوتشوك نائباً للرئيس، ولم يكن له مناف
وأديا القسم مع الوزراء فى ١٦ أغسطس ١٩٦٠م. معلنين بذلك رسمياً عن قيام "جمهورية قبر
وبدأت صفحة جديدة فى تاريخ الجزيرة[١]

---

(١) عن أحداث ١٩٥٩–١٩٦٠ ومعاهدة زيورخ – لندن راجع:

يسرى سلطان، قبرص مستقلة. الدار القومية للطباعة والنشر. القاهرة ١٩٧١.

Greek] Kranidiotis, (Athens 1985)
Idem (Athens 1983).
Idem (Athens 1981).
Greek] Loizides (Athens 1980)
Greek] Michaelides M. (Athens 1992).
Greek] Clerides (Nicosia 1988-1991) Vol. 1 pp. 74-93.

tanley Kyriakides, Cyprus constitutionalism and Crisis Government. Jniversity of Pennsylvania Press 1969.

'etros Stagor, La Question de Chypre 1950-1960 Memoire, Paris 1975.
i. Tenekides, Chypre. Histoire recente et perspectives d'avenir. Paris. Nagel 1964.

الباب الخامس

جمهورية قبرص (١٩٦٠م -   )

"Quas [Sc. leges Zeno et Stoici] non uni civitati, sed toti humano generi tulerunt".
(Seneca, De Otio VI.4)

" السنة التى سنّها (زينون والرواقيون) لم تك لدولة ما بعينها وإنما للبشرية أجمعين"

(سينيكا، "فى وقت الفراغ" ٦، ٤)

١- فشل اتفاقية زيورخ - لندن:

يعبر المؤرخ القبرصي نيكوس كرانيديوتيس - المولود في كيرينيا ١٩١١م- عن مأساة الجمهورية القبرصية وشعور الشعب القبرصي بالإحباط وذلك في كتابيه "السنوات الصعبة" و "الجمهورية غير المحصنة" أو "جمهورية بلا تحصينات" ويقع في جزءين في حوالى ١٣٠٠ صفحة). وهما كتابان يكملان بعضهما بعضاً ويحكيان قصة ميلاد هذه الجمهورية القبرصية من ١٩٦٠ حتى ١٩٧٤م. ويقول إنه يقسم هذه القصة إلى ثلاثة فترات الأولى ١٩٦٠-١٩٦٣م وهي الجمهورية المتحدة بعنصريها. الثانية ١٩٦٤-١٩٦٧م وفيها تقع محاولات "هلنة" أو "التهلين" أي تحويل الدولة إلى كيان يوناني بإستثناء جزء ضئيل (٤,٨٦٪) من الأرض ترك للجانب التركي القبرصي يديره، أما الفترة الثالثة ١٩٦٧-١٩٧٤م ففيها بذلت المحاولات اليونانية على أساس إستقلالية الأقلية التركية في الإدارة الذاتية.[1] ويفهم من ذلك أننا يمكن أن نضيف فترة رابعة وهي التي تقع بعد الغزو التركي. وفي يوليه ١٩٧٤م وحتى يومنا هذا.

وكما يحدث في مفاوضات الشرق الأوسط دائماً فإن المتطرفين في كلا الطرفين اليوناني والتركي بقبرص لم يكونا راضيين عن اتفاقية زيورخ - لندن، اعتبر الطرفان هذه الاتفاقية حلاً مرحلياً لتحقيق الهدف الأسمى لكل منهما على حدة، أي "الإتحاد" بالنسبة لليونانيين، و "التقسيم" بالنسبة للأتراك. وإتخذ الجانب التركي القبرصي إجراءات حثيثة لتدعيم مركزه وبصفة خاصة زيادة التسليح. ففي ١٨ أكتوبر ١٩٥٩م كانت السفينة التركية دينيز Deniz تحمل أسلحة وذخائر ضخمة للأتراك سراً، فغرقت بطاقمها أمام كيرينيا وهي تحاول التملص من متابعة سلطات أمن السواحل القبرصية، ولولا ذلك ما إكتشف أمرها، مما يعني أن تركيا ترسل السلاح والمؤن بصفة مستمرة لأتراك قبرص.

وفي المقابل إزداد يونانيو قبرص تشرذماً، في الوقت الذي ظل فيه أتراك قبرص يخططون بعناية لتحقيق أهدافهم. ولكن الأخطر أن الشك ترسخ بين الجانبين وفقدت الثقة في بعضهما البعض تماماً. بالطبع هناك بعض الإستثناءات، كالذي حدث في يناير ١٩٦٠م عندما ساندت صحافة الأتراك القبارصة موقف مكاريوس، الذي إعترض على مطلب بريطانيا بالإحتفاظ بـ ١٣٦ ميل مربع من أراضي الجزيرة لقواعدها العسكرية. وكانت تلك.فرصة ذهبية سانحة أمام يوناني قبرصي، لكي يبنوا عليها جسراً من الثقة المتبادلة بين الطرفين. وضّيع الجانب اليوناني هذه الفرصة، كما ضّيع من قبل ومن بعد فرصاً أخرى كثيرة لحماية وحدة الجزيرة، حتى إن مؤرخاً يونانياً يعتبر مشكلة قبرص من البداية "قصة الفرص الضائعة"[2] . ولعل ذلك مايذكرنا بمشكلة فلسطين والفرص الضائعة منذ بداية القرن العشرين إلى يومنا هذا.

---

(1) [Greek] Kranidiotis, passim

(2) نعني كتاب أفيروف توسيتساس وهو منشور عام ١٩٨١ في أثينا باللغة اليونانية وترجمة العنوان هي "تاريخ الفرص الضائعة. المشكلة القبرصية ١٩٥٠-١٩٦٣م".

[Greek] G, Averoph- Tositsas (Athens 1981).



شكل رقم (٦٠): مكاريوس، فوت، كوتشوك في قبرص ١٩٥٩م.



شكل رقم (٦١): مكاريوس وفوت وكوتشوك يوقعون وثيقة إعلان الجمهورية القبرصية

كانت القضايا الخلافية بين الجانبين القبرصيين لاتزال بلا حل، وهى قضايا ذات علاقة بالدستور والقوانين. ومن ثم كانت أوجه التعاون فيما بينهما غالباً ماتكون مظهرية لا جوهرية. وظل المتطرفون فى الجانبين يحاربون هذا التعاون المظهرى، وقتل الأتراك المتطرفون بعض مواطينهم المتعاونين مع الجانب اليونانى مثل أ. حكمت جركان (أبريل ١٩٦٢م). وإستغل الأتراك القبارصة انضمام مكاريوس إلى حركة دول عدم الإنحياز -أو الحياد الإيجابى- وإشتراكه فى مؤتمر بلجراد سبتمبر ١٩٦١م وأعلنوا أن ذلك الإتجاه يعد خروجاً على روح إتفاقية زيورخ-لندن، فهو إتجاه نحو الإنحياز إلى جانب الشيوعية. والغريب أن هذا الإعتراض التركى القبرصى واكبه إعتراض بعض القبارصة اليونان، والحكومة اليونانية نفسها التى بوصفها عضوا فى حلف الناتو رأت فى سياسة مكاريوس عصياناً. وهكذا أسهمت جميع هذه الأطراف فى رسم صورة جمهورية قبرص بزعامة مكاريوس على أنها ألبانيا شرق أوروبا أو كوبا البحر الأبيض المتوسط، وقارنوا بين هذا الزعيم الوطنى القبرصى وفيدل كاسترو. وبدأوا يسلطون الضوء على علاقة مكاريوس الخاصمة برحلات الحزب التقدمى AKEL والذين منحهم مكاريوس ثلاثة مقاعد فى البرلمان. وعندما زار جونسون -نائب الرئيس الأمريكى آنذاك- قبرص فى ١٩٦٢/٩/٤م إنفرد به الأتراك فى حيهم بنيقوسيا، ووضعوا السم فى أذنه ضد سياسة مكاريوس والقبارصة اليونان على أساس أنهم يناصرون الشيوعية ويهددون الأمن الإقليمى، وماكان قد حققه مكاريوس فى ١٩٦٢/٥/٥م عندما زار كنيدى الرئيس الأمريكى، أفسده هؤلاء جميعاً وكل بطريقته،

فلما حاول السفير التركى المستنير لدى قبرص ديرفانا أن يصلح ذات البين بين الطرفين القبرصيين أجهضت محاولته. كان ديرفانا ذا إتجاه كمالى، وكان حكيما وحصيفاً، وسعى إلى أن يتبنى الأتراك سياسة معتدلة تستبعد الفصل بين الجانب التركى واليونانى فى قبرص، وعدم طرد القبارصة اليونان من قراهم وبيوتهم فى الجانب التركى. ولكنه إستدعى إلى تركيا قبل أن يحقق شيئاً من أحلامه المستنيرة.

كل ذلك مجتمعاً هو الذى دفع مكاريوس فى ١٩٦٣/١١/٣٠م إلى أن يقترح إعادة النظر فى ثلاثة عشر مادة من دستور ١٩٦٠م، والتى تعيق الحكومة من ممارسة عملها على نحو سليم. ومن بين هذه المواد حق الفيتو لرئيس الجمهورية ونائبه، وطريقة الإنتخاب والتصويت المنفصل داخل البرلمان وما إلى ذلك. وفى البداية استقبلت مقترحات مكاريوس بمعارضة شديدة من الحكومة اليونانية، وبعض مثقفى قبرص، حيث إعتبروها غير مقبولة وطرحت فى وقت غير ملائم. وأهم ما أخذ على هذه المقترحات أنها لم تضع فى الإعتبار رد فعل أتراك قبرص، حيث كانوا قد أعلنوا مراراً وتكراراً عدم شرعية الخروج على نصوص اتفاقية زيورخ-لندن. وتلك هى المعضلة القبرصية: اتفاقية خلقت جمهورية عرجاء وينبغى الحفاظ على شروط هذه الإتفاقية. هناك ذرورة ملحة لخلق جو من التعاون والثقة بين الطرفين القبرصيين، وهو أمر عسير المنال وتزداد مع مرور الزمن عوامل الفرقة والتناحر بسبب تدخل العناصر الخارجية صاحبة المصالح الحقيقية فى عدم حل المشكلة،

وبقتل جون كينيدى فى ١٩٦٣/١١/٢٢م وصعود ليندون جونسون إلى سدة الرئاسة الأمريكية ساء موقف الحكومة القبرصية. وهذا ماشجع تركيا على رفض مقترحات مكاريوس، وتبعها فى ذلك كوتشوك نائب الرئيس مكاريوس. وفى ١٩٦٣/١٢/٢٠م وقع صدام مسلح بين الأتراك واليونان فى قبرص، قام ــــــ

على أثره القوات القبرصية التركية بعزل الأجزاء التركية فى الجزيرة عن بقية المناطق، وأصبحت شبه مقاطعات أوكانتونات تركية شبه مستقلة داخل الدولة القبرصية. وتدخلت القوات البريطانيـة فـى ٢٩ ديسـمبر ١٩٦٣م بهدف تأمين "الخطوط الخضراء" بين الجانبين، وبذلـك ترسـخ مبـدأ التقسـيم والفصـل برعايـة رؤوف دنكتـاش زعيم الأتراك، وبتأييد من القوات التركيـة الموجـودة فـى الجزيـرة وفقـاً لاتفاقيـة زيـورخ-لنـدن. وقـام الأتـراك بأعمال وحشية أرهبت اليونانيين الموجودين فى هـذه "المقاطعـات"، فـتركوا مسـاكنهم وممتلكـاتهم ورحلـوا إلى الجانب اليونانى[١] .

---

[١] راجع يسرى سلطان، سبقت الاشارة إليه.

Greek] Ligknadis (Athens 1970).
Greek] Pantazi, (Athens 1971).

٢- تدويل القضية:

وإنعقد مؤتمر خماسي في لندن ١٥ يناير- ١٠ فبراير ١٩٦٤م وإقترح البريطانيون "قوة سلام" من قوات حلف الناتو يقودها بريطاني، ويوكل إليها حفظ الأمن والسلام بين الجانبين. أما شئون قبرص فتتولاها لجنة من سفراء الدول المشاركة في هذه القوة، على أن يقوم وسيط دولي توافق عليه بريطانيا واليونان وتركيا بإيجاد حلول دستورية للمشكلات القبرصية. قبلت الحكومة اليونانية هذا المشروع، ورفضه مكاريوس، كما رفض عرضاً آخر قدمه نائب الخارجية الأمريكية جورج بول في ١٩٦٤/٢/١٦م. وقيل إن مكاريوس تشجع ورفض العرضين بناءً على تأييد نيكيتا خروشوف رئيس الإتحاد السوفييتي آنذاك. وظهرت أصوات قبرصية تنادى باللجوء إلى الإتحاد السوفييتي، لأنه لم يعد من الممكن إنتظار شيئ من الغرب.

وبالفعل أنذر خروشوف تركيا بأن تدخلها العسكرى في قبرص سيصطدم بموقف سوفييتي معارض فعلاً لا قولاً. وفي ١٩٦٤/٣/٥م صدر قرار مجلس الأمن ٥٥٧٥/٥ بإرسال قوات حفظ السلام إلى قبرص. وتم تعيين وسيط دولي هو الدبلوماسي الفنلندى سكارى توميويا Sakkari Tuomioya. وفي ٩ مارس من نفس العام نشبت من جديد أعمال عنف متبادل بين الجانبين في بافوس وسقط الضحايا من الجانبين. وظهرت في الأفق نوايا تركيا لغزو قبرص واضحة تماماً، بحجة تأمين الأتراك القبارصة. ولم يوقف الإستعدادات التركية للغزو سوى قرار جديد صدر من مجلس الأمن، ولكن هذه الميول التركية للغزو ستتحقق في النهاية بعد عشر سنوات من تاريخه.

وأعلن مكاريوس رسمياً في أبريل ١٩٦٤م معارضته لإتفاقية زيورخ-لندن. وأسس مكاريوس "الحرس الوطني" من حوالى عشرة آلاف رجل مجند. ثم شرع يعقد صفقات لإستيراد السلاح من اليونان ومصر والإتحاد السوفييتي وغيرها من البلدان الصديقة وأصبحت قبرص ورقة رائجة في لعبة الصراع الكبرى - أو ما يسمونه في قاموس السياسة الدولية - الحرب الباردة بين الشرق الشيوعي والغرب الرأسمالي. إنها الحلقة العصرية من تاريخ قبرص الطويل والمرير والمليئ بالمعاناة منذ القدم.

وبالإتفاق والتعاون مع جورج باباندريو جاءت إلى قبرص قوات يونانية قوامها عشرة آلاف رجل لتنظيم وتدريب "الحرس الوطني". وفي ١٩٦٤/٦/١٩م أصبح جريفاس بعد عودته إلى قبرص قائداً للحرس الوطني. وكان هذا الإجراء ذا مغزى كبير بالنسبة لطبيعة "الحرس الوطني" ووظيفته. وفي نفس هذا الشهر كان ليندون جونسون الرئيس الأمريكي قد وجه تحذيراً إلى تركيا ورئيس وزرائها عصمت أينونو من أن تتدخل عسكرياً في قبرص وقال "على تركيا ألا تنتظر عوناً أمريكيا في حالة هجوم السوفييت على القوات التركية الغازية لطردها من قبرص".

وفي نفس الوقت عين جونسون وزير االخارجية السابق دين أتشيسون Dean Acheson محكما ومستشاراً ومعاوناً -بصفة غير رسمية- للوسيط الدولي فنلندى الجنسية توميويا، بهدف الوصول إلى حل للمشكلة القبرصية ترضى عنه اليونان وتركيا عضواً الحلف العسكرى الناتو. وقدم أتشيسون خطة للحل، فحواها الحفاظ على وحدة أراضي قبرص، وعدم التقسيم، بشرط أن تترك منطقة كارباس لتركيا بالإيجار لمدة

خمسين عاماً وتقام عليها قاعدة عسكرية تركية. وجاء في هذه الخطة أيضاً أن توضع ست محافظات قبرصية تحت وصاية مندوبين أتراك، وأن يعين مستشار للشئون الإسلامية إلى جانب المندوب اليوناني. ووضعت شروط أخرى مثل توفير ضمانات لحقوق الأقلية التركية، وتشكيل قوة دفاع عسكرية يونانية -تركية مشتركة مع وجود تمثيل أمريكي على نحو ما. ونصت الخطة كذلك على ضرورة عودة المواطنين القبارصة اليونان المطرودين من الأراضي التركية، إذ ينبغي أن تعود لهم منازلهم وممتلكاتهم. وجاء في الخطة أن التنفيذ والإشراف على الإجراءات تقوم به الأمم المتحدة.

ولأن القبارصة اليونان رفضوا خطة أتشيسون، رفضتها أيضاً الحكومة اليونانية وعلى رأسها جورج باباندريو، الذى كان أميل إلى قبولها. إعتبروها جميعاً نوعاً من التقسيم، أو الإتحاد المزدوج أى إتحاد الجانب اليوناني مع اليونان والجانب التركي مع تركيا. والأدهى أن الأتراك رفضوا هذه الخطة، حتى قبل أن يعرفوا الموقف اليوناني الرسمي. وفي يوم ٨ أغسطس ١٩٦٤م وقع حادث عنف تركي في المنصورة Mansoura بإقليم تيلليريا Tillyria شمال غرب قبرص. وربما بذلك العنف كان الأتراك يستهدفون الضغط على الجانب القبرصي اليوناني ليقبل خطة أتشيسون. وكان رد "الحرس الوطني" عنيفاً، إذ إتخذ من الإجراءات مايلغى عزل الاقليم عن بقية قبرص، وهو العزل الذى كان قد فرضه الأتراك وجعلوه أمراً واقعاً. فجاءت الطائرات التركية على الفور في ٨ و ٩ أغسطس ودكت الكثير من القرى القبرصية. وإحتج جورج باباندريو، وشجب هذا العدوان الذى يأتي على حساب المصالح القومية لليونان، ولام تركيا على أنها تنفرد بالتصرف دون أخذ رأى الحكومة اليونانية. وأعلن الإتحاد السوفييتي وقوفه إلى جانب قبرص في حالة الغزو التركي. وفي مجلس الأمن أعلنت اليونان -التى رحبت بموقف السوفييت- أنها أيضاً ستقف إلى جانب قبرص لصد العدوان التركي إن لم يتوقف على الفور. وهذا هو السيناريو المعتاد كلما ضربت الطائرات والقوات الاسرائيلية الضفة الغربية وغزة ولبنان.

وفي أكتوبر ١٩٦٤م جددت قبرص مساعيها للحصول على الأسلحة من الإتحاد السوفييتي بما في ذلك الدبابات والصواريخ. وأرسل مكاريوس الكثيرين من الشباب للتدريب على هذه الأسلحة في مصر بناء على تفاهم خاص بين الزعيم القبرصي وجمال عبد الناصر. وفيما بين ١٦-١٧ أكتوبر من نفس العام زار تيتو الرئيس اليوغوسلافي قبرص. ودعمت هذه الزيارة الرسمية موقع مكاريوس المتميز في حركة عدم الإنحياز. لكن الرئيس السوفييتي الجديد ليونيد بريزينيف خالف سياسة سلفه خروشوف في معالجة القضية القبرصية. وتتلخص هذه السياسة الجديدة في تشكيل إتحاد فيدرالي قبرصي يجمع اليونان والأتراك القبارصة.

وفي ٢.٦ مارس ١٩٦٥م نشر جاللو بلازا Gallo Plaza -الوسيط الدولي- تقريره ونادى فيه بضرورة وضع دستور جديد لقبرص يتجاوز اتفاقية زيورخ-لندن التى سقطت بالتقادم، وكان مكاريوس قد ألغاها رسمياً في أبريل ١٩٦٤م. ويقترح بلازا حق تقرير المصير للشعب القبرصي، مع إستبعاد "الإتحاد" و "التقسيم". عندئذ إستشاطت تركيا غضباً ورفضت التقرير. وتحالف كل من جريفاس.ووزير الدفاع القبرصي ب. جاروفالياس P.Garoufalias ضد الحركة اليسارية السرية أسبيدا ASPIDA، الذى كان يتزعمها خفية أبن رئيس الوزراء اليوناني أندريا باباندريو. وإشتدت الأزمة السياسية على أثر فضيحة إضطهاد أفراد

الحركة اليسارية السوية أسبيدا، ورفض جاروفاليـاس الإستقالة بعد إكتشاف أمر تحالفه مع المنظمة السرية اليمينية إيدِّيا IDEA ، فاستقال جورج باباندريو من رئاسة الوزارة اليونانية فـي ١٥ يوليـه ١٩٦٥م. وتشكلت حكومة يمينية محافظة في اليونان.

وبدأ التفكير في فرض حل "التقسـيم" على قبرص، وهو ما كان يرفضه باباندريو رغم خلافه مع مكاريوس ، على أية حال فإن الحكومة الجديدة كشفت بوضوح عن مناهضتها لمكـاريوس وأفكاره. وصدرت الأوامر من أثينا للقوات اليونانية في قبرص بالعمل على الحيلولة دون وصول صواريخ ودبابات سوفيتية إلى الجزيرة. وفي نفس الوقت كثف الأتراك القبارصة من أعمال العنف فقتلوا زعيمين من زعماء الحزب التقدمي AKEL، أحدهما قبرصي تركي هو درويش كافازوغلو Derwis Kavazoghlou، والثاني هو كوستاس ميشاؤليس Costas Mishaoulis. وفي غضون شهر أكتوبر من نفس العام أرسل مكاريوس خطاب نوايا إلى الأمين العام للأمم المتحدة يوثانت وتضمن التعهد باحترام حقوق الإنسان الرئيسية، إطلاق الحريات، تقرير المصير لكل الأقليات في الشئون الثقافية وما إليها. وسهلت هذه الإقتراحات مهمة إستصدار قرار الجمعية العمومية للأمم المتحدة في ١٨ ديسمبر ١٩٦٥م متضمناً معظم النقاط الواردة في تقرير الوسيط بلازا.

وجاء رد الحكومة اليونانية بأن إستعادت جريفاس إلى صفوف قواتها المسلحة في فبراير ١٩٦٦م، بهدف أحكام السيطرة على القوات القبرصية ، أعلنت الحكومة اليونانية أيضاً عن رغبتها في تحقيق "الإتحاد" ولو مع جزء من قبرص برضا تركيا، وفضلت ذلك على دفع ثمن باهظ لتحقيق "الإتحاد" رغم أنف تركيا. وهكذا أشاعت هذه الحكومة اليونانية، وبعض القبارصة وبتأييد من جريفاس، أن مكاريوس هو الذى خان فكرة الإتحاد. وفي ١٧ ديسمبر ١٩٦٦م وقعت اليونان وتركيا "بروتوكول تفاهم" في باريس يتضمن دعوة لمواصلة الحوارين البلدين في سبيل حل كافة المشكلات المعلقة بينهما، ومنها قبرص بالطبع. عندئذ طالبت تركيا بقاعدة عسكرية في قبرص، ونادت بنزع سلاح الجزيرة[1] .

---

(١) R.A. Patrick, Political Geography and the Cyprus conflict 1963- 1971. Ed. hy J.H. Bater & R. Preston Publ. by the Department of Geography, Faculty of Environmental Studies. University of Waterloo 1976.

٣- "ينبغي التخلص من مكاريوس"!

يبدأ الخيط فى سلسلة المحاولات المتتالية للتخلص من مكاريوس. بعرض قدمه له رئيس الوزراء اليونانى ستيفانوبولوس عام ١٩٦٦م أى منصب البطريركية فى الإسكندرية. ولما رفض مكاريوس بدأت المؤامرات للإطاحة به فى إنقلاب عسكرى وتصفيته. وكان مكاريوس يعلم بهذه النوايا، ولذلك سعى للحصول على صفقة أسلحة تشيكية سرية -كما فعلت مصر فى الخمسينيات- لقوة حراسة خاصة به، بعد أن فقد ثقته وسيطرته فى الحرس الوطنى، الذى مال إلى معاداته تأثراً بتعليمات الضباط اليونان فيه. طالب ستيفانوبولوس -عندما علم بالصفقة- أن تسلم الأسلحة للحرس الوطنى، فتدخلت تركيا فى ١٢ ديسمبر ١٩٦٦م وأجبرت قبرص واليونان -المتناحرتين- على تسليم الأسلحة التشيكية لقوات الأمم المتحدة. ومن مخازن هذه القوات تمكن وزير الداخلية القبرصى اليسارى من سرقة معظمها لصالح رجاله المسلحين وقواته الخاصة. وتسببت هذه الفضيحة فى سقوط الحكومة اليونانية ٢١ ديسمبر ١٩٦٦م. وزار مكاريوس أثينا فى ٦ فبراير ١٩٦٧م وتمكن من الإتفاق مع الحكومة الجديدة على الخطوط العريضة التالية:

- الهدف النهائى للطرفين هو الإتحاد، ولكن بدون تضحيات وتنازلات جسيمة من قبل اليونان.
- قبرص دولة مستقلة، وستظل كذلك إلى أن يتحقق الإتحاد.

وبوصول كانيللوبولوس Pan. Kanellopoulos إلى الحكم فى أثينا فى ٣ أبريل ١٩٦٧م بزغت فى الأفق بوادر مشجعة لانفراج الأزمة المستحكمة فى العلاقات القبرصية اليونانية. ذلك أن كانيللوبولوس صديق حميم لمكاريوس. بيد أن هذا الأمل الوليد قتل فى المهد وتبدد بقيام انقلاب الكولونيلات المشئوم فى أثينا يوم ٢١ أبريل ١٩٦٧م.

عند هذه النقطة بدأت سنوات الإنهيار. فبعد الإنقلاب المشئوم قام الجناح الديموقراطى اليسارى بتشكيل لجنة ضد الديكتاتورية، عقدت إجتماعها الأول فى مسرح أبوللو بنيقوسيا. وفى نفس الوقت شرع الإعلام اليونانى الرسمى، سواء المقروء أو المسموع أو المرئى فى شن حملة هوجاء ضد القبارصة المعارضين للإتحاد، مع التلميح أحياناً والتصريح أحياناً أخرى بأسماء أقرب المقربين من مكاريوس. وبعد طول إنتظار أرسل مكاريوس على مضض برقية تأييد إلى النظام الجديد فى ٢٠ مايو ١٩٦٧م، أى بعد شهر من الإنقلاب. عندئذ بدأت الإستعدادات لإجراء الحوار المتفق عليه مسبقاً بين تركيا واليونان فى باريس ١٩٦٦/١٢/٧م. وبرز مطلب "إزالة خائن الإتحاد" (=مكاريوس)، فهو الشعار المرفوع فى اليونان. ولكن زيارة جورج بابادوبولوس -الوزير فى وزارة كوللياس آنذاك- لقبرص فى ٩ أغسطس ١٩٦٧م أذابت الجليد. إذ أعلن بعد عودته إلى إثينا أنه "لم يجد معارضين للإتحاد فى قبرص". كان هذا الوزير قد أدى الخدمة العسكرية ضابطاً فى قبرص لوقت طويل. وكانت زيارته تستهدف إقناع مكاريوس بضبط النفس إزاء أعمال العنف المنطلقة من المقاطعات التركية فى يوليو ١٩٦٧م. وهى عمليات أمرت بها أنقرة فى إختبار للحكومة الدكتاتورية الجديدة فى أثينا. وفى ٥ يولية ١٩٦٧م تأسست "الجبهة القبرصية الإتحادية" (PEM)، وتزعمها بعض المتحمسين للكولونيلات فى أثينا، من القبارصة واليونانيين.

وتم عقد الإجتماع المرتقب بين كوللياس وبابادوبولوس وأعوانهما من جهة، وسليمان ديميريل وأعوانه في الحكومة التركية من جهة أخرى في ٩-١٠ سبتمبر ١٩٦٧م في إفروس Evros ، عرض الجانب اليوناني "الإتحاد" مع إعطاء قاعدة عسكرية لتركيا في قبرص، وتوفير الضمانات اللازمة للقبارصة الأتراك، والتنازل عن جزء من طراقيا ، ورفض ديميريل العروض اليونانية وإنتهى "لقاء إفروس" بفضيحة، لأن الوفد اليوناني كشف النقاب للأتراك عن بعض الإجراءات القمعية ضد الشيوعيين في البلقان، وهي معلومات قدمها ديميريل بدوره إلى السوفييت في زيارة قام بها إلى موسكو بعد "لقاء إفروس" بوقت قصير. ومع ذلك إستمر الحوار التركي اليوناني في ٧ نوفمبر ١٩٦٧م، وكان مكاريوس يعارضها بشدة. وفي ٣١ أكتوبر ألقي القبض على الزعيم التركي المنفي رؤوف دنكتاش وهو يدخل سراً إلى قبرص، فأعيد إلى تركيا في ١٢ نوفمبر.

وبعد أيام قليلة وقعت أزمة كوفينو Kofinou، وهي قرية صغيرة في منتصف الطريق بين نيقوسيا وليماسول. كان الأتراك قد حولوها إلى مقاطعة تركية خالصة فعقد جريفاس العزم على تطهيرها. وكانت النتيجة النهائية لهذه الأزمة هو سحب القوة اليونانية التي كان باباندريو قد أرسلها عام ١٩٦٤م. سحبت هذه القوات وعادت إلى اليونان في يناير ١٩٦٨م. وفي مواجهة التهديدات التركية بغزو قبرص، أرسلت الولايات المتحدة الأمريكية نائب وزير الدفاع السابق سيروس فانس لتسوية هذه الأزمة وتهدئة التوتر.

وبالفعل حقق فانس الإنفراج المطلوب بعد مساعي مضنية ومباحثات مكوكية بين أثينا وأنقرة وأروقة الأمم المتحدة. وتم سحب جريفاس نفسه ليس فقط من كوفينو بل من قبرص كلها في ١٩ نوفمبر، واتهمته حكومة الكولونيلات الأثينية بأنه تعدى حدود الأوامر الصادرة له. وتم الإتفاق على فك القواعد الحربية في جنوب تركيا، وزيادة دور قوات الأمم المتحدة، ونزع سلاح القوات المتصارعة في قبرص، بل ونزع سلاح الجماعات المسلحة بطريقة غير مشروعة ، وبالطبع وكما كان من المتوقع إعترض مكاريوس، لأن معنى هذه الخطة هو حل الحرس الوطني، القوة الوحيدة الباقية للدفاع عن قبرص ورئيسها الشرعي بعد سحب القوات اليونانية.

ضاق القبارصة الأتراك ذرعاً بطول الإنتظار للغزو التركي المرتقب، ولم يقنعوا بما وصلوا إليه في ديسمبر ١٩٦٧م أي قيام "إدارة تركية قبرصية مؤقتة"، مع وجود خبيرين من تركيا إلى جوارها. وحل اليأس بالقبارصة اليونان، فإندفع الكثيرون منهم إلى الهجرة وكانت هجرة غالبيتهم إلى كندا. وبذلت جهود مكثفة لتفادي هذه الهجرة ، ثم بزغ في الأفق أمل جديد في الحل والصلح في ٢٤ نوفمبر ١٩٦٧م عندما صرح مكاريوس بوضوح شديد أنه ينبغي السعي لتحقيق ما هو ممكن ephikton (أي الإستقلال والوحدة القبرصية الداخلية)، لا السعي وراء ما هو مرغوب evktaion ولكنه محال (أي الإتحاد بين قبرص واليونان)".

وإستهدفت الإنتخابات الرئاسية القبرصية -٢٥ فبراير ١٩٦٨م دعم هذا الخط الجديد في السياسة التي إنتهجها مكاريوس، وكذا تسليط الضوء على إزدهار الديموقراطية القبرصية في مقابل الدكتاتورية الأثينية آنذاك. وفاز مكاريوس بـ ٩٥,٤٥٪ من الأصوات. وهنا إشتدت الهجمة الإتحادية ضد مكاريوس، وتزعمها أنثيموس أسقف كيتيون وأقرب الأصدقاء إلى نفسه قبلئذٍ.

ونسى هؤلاء أو تناسوا أن إنسحاب القوات اليونانية من قبرص قد أدى إلى إختلال توازن القوى فى الجزيرة لصالح الجانب التركى، ومن ثم صار مطلب "الإتحاد" الذى يتشدق به المزايدون اليونان والقبارصة حلماً وسراباً. أما إعلان "الادارة التركية القبرصية المؤقتة" فى ٢٩ ديسمبر ١٩٦٧م كان بمثابة ضربة قوية لوحدة الجزيرة الداخلية وتمهيداً للتقسيم. فجاء رد فعل مكاريوس فى ١٧ يناير ١٩٦٨م بالاعلان أن الحكومة القبرصية اليونانية لن تستخدم القوة للقضاء على هذه الإدارة، ولكنها فى نفس الوقت لن تسمح لهم بالتحرك خارج الأحياء التركية فى نيقوسيا. وكل ذلك أضعف قضية الإتحاد وحتى مطلب الإستقلال.

وزاد الطين بلة وقوع الإنقلاب الملكى الفاشل فى اليونان فى ١٩٦٧/١٢/١٣م وهروب الملك قنسطنطين، مما دعم حكومة الكولونيلات، وهم شرذمة من العسكر لايفقهون شيئاً فى السياسة أكثر من حبك المؤامرات وتحقيق أهدافهم الشخصية. ومثل هذا النظام الفاسد فى أثينا لا يرجى منه خير فيما يتصل بقضية قبرص ولا حتى فيما يتصل بالمصالح اليونانية نفسها.

ومما عجل بإجراء الإنتخابات الرئاسية القبرصية فى ٢٥ فبراير ١٩٦٨م أنه فى ٢٥ يناير من نفس العام كان قد عقد مجمع كنسى حضره كيبريانوس من كيرينيا والثيموس من كيتيون وجناديوس من بافوس وقرروا مطالبة مكاريوس بالتنحى عن رئاسة قبرص. فلما نجح فى الإنتخابات بنسبة مرتفعة (وأعيد إنتخاب كوتشوك نائبا له)، بدأت الضغوط الخارجية من اليونان وحلف الناتو لبدء مفاوضات داخلية بين اليونان والأتراك القبارصة. تبنى يوثانت الأمين العام للأمم المتحدة هذه الفكرة، وإستجاب لها مكاريوس وأعلن أنه يعترف بالأتراك القبارصة بوصفهم "مجتمعا" (community) وليس مجرد أقلية (minority). ووعد بتقديم تنازلات مهمة لهم وإمتيازات فى حالة الوصول إلى حل نهائى للمشكلة. أصدر مكاريوس قراراً بالعفو عن دنكتاش، لكى يعود من منفاه إلى قبرص فى ١٩٦٨/٤/١٣م. وفى ٨ مايو من نفس العام ألغى مكاريوس القيود التى تحدد حركة الأتراك داخل مقاطعاتهم، على أمل إستعادة التواصل بين عنصرى قبرص. ولكن الأتراك القبارصة أصروا على الإنعزال والإنفصال، ولم يسمحوا للقبارصة اليونان بدخول قراهم فيما عدا القرى المشتركة.

وفى يونية ١٩٦٨م بدأت المباحثات بين الجانبين جلافكوس كليريديس Glavkos Clerides ورؤوف دنكتاش. الأول يمثل الجانب اليونانى وكان رئيس البرلمان، والثانى هو رئيس المجموعة القبرصية التركية داخل البرلمان (وكلاهما الآن فى موقع الرئاسة، فالأول هو رئيس جمهورية قبرص، والثانى هو رئيس الكيان السياسى المعلن وغير المعترف به إلا من تركيا). وكانت بداية هذه المباحثات مشفوعة بجو عام من التفاؤل.

وفى خريف ١٩٦٨م وقعت محاولة فى أثينا لإغتيال باپادوبولوس قام بها اليكوس باناجوليس Alekos Panagoulis. فالقى القبض عليه بعد فشل المحاولة، وتم الكشف عن كل خيوط المؤامرة، وتبين



شكل رقم (٦٢): فى بيت جلافكوس كليريديس، حيث إجتمع لأول مرة مع رؤوف دنكتاش فى بداية المفاوضات بين الجانبين القبرصيين

أن بوليكاربوس جيور جاتزيس وزير الداخلية والدفاع القبرصي -وآخرين من المقربين إلى مكاريوس- متورطين في هذه المحاولة الفاشلة. فإضطر مكاريوس إلى إقالة وزيره جيورجاتزيس رغم أنه من أخلص خلصائه وأعوانه، فإنقلب ليكون من ألد أعدائه، ولم يتورع عن التآمر مع "الجبهة القومية الإتحادية" اليمينية ضد مكاريوس. وهي جبهة ترعاها حكومة الكولونيلات الأثينية، وتستهدف بالإرهاب تطهير قبرص من المعارضين للإتحاد وعلى رأسهم مكاريوس. وكانوا يتلقون التعليمات مباشرة من الكولونيلات في أثينا. وفي ١٠ أغسطس ١٩٦٩م طالبت هذه الجبهة بإنهاء المباحثات مع أتراك قبرص، وبإستقالة جلافكوس كليريديس، وإستغلوا لين ومهادنة مكاريوس، الذى بذل قصارى جهده لتفادى حرب أهلية قبرصية يونانية. وفي النهاية انقسمت هذه الجبهة على نفسها، كما حدث بالنسبة لأسيادها الكولونيلات في أثينا وفي ٢٨ أغسطس ١٩٦٩م أعلن مكاريوس أنها تنظيم خارج على القانون ومحظورة.

وفي يوم الأحد الموافق ٨ مارس ١٩٧٠م قامت مجموعة من "الجبهة القومية الإتحادية" بإطلاق النار على طائرة مكاريوس الهليوكوبتر بمجرد إقلاعها من نيقوسيا في طريقها إلى دير ماخيراس حيث كان ينوى القيام بشعائر جنائزية لجريجوريس أفكسنتيو Gregoris Afxentiou، كتبت لمكاريوس النجاة بأعجوبة، فأخذ قائد الطائرة الجريح ز. بابادويانيس Z.Papadoyiannis إلى المستشفى، وأكمل رحلته إلى الدير في سيارة، وأقام الشعائر كما كان مخططاً من قبل. لقد خرج رئيس الجمهورية القبرصية من هذه المحاولة الغادرة سالماً، ولكن سحب التشاؤم ونذر الخطر تجمعت حول مصيره ومصير قبرص نفسها. وبدر من حكومة الكولونيلات في أثينا ما يدل على أنها تعتبره شخصاً غير مرغوب فيه. وهذا مايتماشى مع موقف الولايات المتحدة الأمريكية ودوائر حلف الناتو. كان هؤلاء جميعاً يتصرفون الآن بوحي من فلسفة وإستراتيجية النجم الصاعد في سماء السياسة الدولية هنرى كيسنجر مهندس السياسة الأمريكية في السبعينيات. بيد أن الأهداف التى رصدها كيسنجر لهذه السياسة قديمة ومعروفة، وهي السيطرة على الشرق الأوسط ومنابع النفط. ورأى هؤلاء جميعاً أن مكاريوس يمثل عقبة ينبغي التخلص منها، لأن وجود قبرص الموحدة وعلى رأسها مكاريوس كان يمثل خطراً على أمن إسرائيل شوكة الإستعمار في قلب العالم العربي، وحارسة منابع النفط لصالح الغرب. ولذلك يعتقد القبارصة أن محاولة إغتيال مكاريوس كانت من تدبير وكالة المخابرات المركزية CIA، وبتوصية من كيسنجر. لقد قرروا تصفية مكاريوس جسدياً، وهو ما نفذه أو حاول تنفيذه اليمين اليوناني القبرصي وهلل له كولونيلات أثينا.

وبالقبض على الأربعة المتورطين في محاولة الإغتيال، تبين أنهم من رجال جيورجاتزيس ويعملون لحساب الكولونيل اليوناني د.بابابوستولو D.Papapostolou وأثاناسيوس بوليتساس Athan. Poulitsas، المسئول عن حراسة مكاريوس. وهم جميعاً على علاقة قوية بالجبهة القومية الإتحادية، وتأتيهم الأوامر من حلف الناتو والمخابرات الأمريكية المركزية مروراً بدهاليز حكومية الكولونيلات الأثينية.

كانت خطة الإغتيال مؤامرة كاملة وحملت إسم "هرميس"، وتستهدف الإستيلاء على الحكم. ولقد أغتيل جيورجاتزيس في حقل على الطريق بين نيقوسيا وفاماجوستا يوم ١٥ مارس ١٩٧٠م، أى بعد المحاولة

الفاشلة بحوالى أسبوع، ويبدو أن المتآمرين على حياة مكاريوس هم الذين قتلوه، خشية أن يكشف خططهم، وهو الذى كان على رأس المتآمرين[1] .

في يونية ١٩٧١م قام مكاريوس بزيارة الإتحاد السوفييتي، وبعد مباحثات مستفيضة صدر البيان المشترك، الذى أيد فيه السوفييت الإستقلال التام لجمهورية قبرص والسيادة الكاملة على أراضيها، مع حل المشكلة القائمة بناءً على ميثاق الأمم المتحدة والقرارات الصادرة عنها. وفى نفس الوقت وفى إطار إجتماع دول حلف الناتو فى لشبونة ٣-٤ يونية ١٩٧١م إتفق وزيرا الخارجية اليونانى والتركى على التعاون المشترك لإيجاد حل للمشكلة القبرصية، فى حال فشل أو توقف المفاوضات بين الجانبين القبرصيين.

كان هذان الحدثان متوازيين، ولكن الصحافة القبرصية أولت عنايتها الأكبر بزيارة مكاريوس السوفييتية، وفى ٩ يونية ١٩٧١م ظهر عنصر جديد تمثل فى طلب غريب من حكومة الكولونيلات فى أثينا. فبناءً على إتفاق وزيرى الخارجية اليونانى والتركى فى لشبونة طلب الكولونيلات من الحكومة القبرصية تقديم بعض التنازلات المهمة للجانب التركى دون مقابل يذكر. فلما رفض مكاريوس إحتدم الخلاف بين نيقوسيا وأثينا. ولاسيما عندما أصر الكولونيلات على إستحداث منصب "وزير الشئون التركية" فى الحكومة القبرصية. وهددوا بإتخاذ إجراءات صارمة ضد قبرص، إذا لم ترضخ لهذا الأمر. ورأى مكاريوس فى هذا التدخل اليونانى إنتقاصاً لإستقلال قبرص، ناهيك عن أن المنصب المقترح سيرسخ مبدأ التقسيم، فرفض مكاريوس هذا المطلب.

وزاد الطين بلة أن جريفاس وصل سراً إلى قبرص يوم ١٩٧١/٨/٣١م،وقبل ثلاثة أيام فقط من قيام مكاريوس بزيارة أثينا سعياً للتفاهم. جاء جريفاس ليؤسس جبهة قومية إتحادية جديدة. هكذا ولدت إيوكا ب. EOKA-B، التى كان معظم رجالها من أتباع الكولونيلات فى أثينا. ومع ذلك فإن أحد معاونى جريفاس وهو كاروسوس Karousos حاول التقريب فيما بين جريفاس ومكاريوس دون جدوى.

ثم وقعت أزمة – مماثلة لأزمة ١٩٦٦م– عندما طلب الكولونيلات من مكاريوس تسليم صفقة الأسلحة التشيكية التى تعاقد عليها إلى الحرس الوطنى، بدلاً من "القوة الإحتياطية" التى أنشأها مكاريوس عوضاً عن الحرس الوطنى الذى أصبح خطراً على الحكومة. كانت إيوكا–ب هى التى إكتشفت أمر هذه الصفقة، وأخبرت اليونان بذلك، وقدم القنصل اليونانى مذكرة لمكاريوس يطلب فيها الكولونيلات تعديلاً حكومياً قبرصياً، لتصبح حكومة وحدة وطنية، وفى ١١ فبراير طلب من مكاريوس وجريفاس الإختفاء من

[Greek] Vrachimis, (Athens1979)

ويتحدث عن مكاريوس الأسطورة والحقيقة:

[Greek] · Pavlides (Nicosia 1992)
[Greek] Idem (Nicosia 1981 Vol. A- Γ.)

ويتعرض المؤلف فى الأجزاء الثلاث لمراحل حياة مكاريوس الثالث رئيس جمهورية قبرص منذ ولادته وحتى وفاته.

P.N. Vanezis; Makarios: Pragmatism versus Idealism. London, Abelard Schuman 1974.
Idem, Makarios: Faith and Power. London, Abelard. Schuman 1971.

المسرح السياسي برمته. ورحل القنصل اليوناني باناليوتاكوس Panayaotakos في ١٦ فبراير، وحذر السفير الأمريكي مكاريوس من قرب وقوع إنقلاب.

وفي ٢ مارس ١٩٧٢م أعاد الأساقفة الثلاثة مطلبهم القديم (٢٨ مارس ١٩٧٠م) بتنحي مكاريوس عن سدة الرئاسة، وبدلاً من بطريركية الإسكندرية التي قدمت لمكاريوس في المرة السابقة عوضاً عن الرئاسة، وعده أسقف أثينا هيرونيموس Hieronymos بمقعد مسكوني. وفي ٣ مارس خرجت مظاهرة حاشدة (٢٠٠ ألف) في نيقوسيا تطلب من مكاريوس الرجوع عن عزمه بالإستجابة لمطلب الأساقفة، وفي ٦ مارس ١٩٧٢م أنذر الإتحاد السوفييتي الحكومة اليونانية بأنه سيتدخل في حالة الإطاحة بمكاريوس. وحرصاً على الوحدة القومية تنازل مكاريوس عن صفقة الأسلحة لقوات حفظ السلام في قبرص. وكانت تركيا هي الرابح الأكبر في هذه القصة، وإتفق رأيها مع الحكومة الدكتاتورية في أثينا، حيث إعتبرا معاً مكاريوس العقبة الكئود في طريق الحل السلمي للمشكلة القبرصية، وسعى الطرفان إلى إختفائه عن المسرح السياسي بصورة أو بأخرى.

وتمكنت قبرص من تعويض صفقة الأسلحة التشيكية المفقودة بجلب أسلحة حديثة من سوريا، بوساطة من منظمة التحرير الفلسطينية برئاسة ياسر عرفات الذى كانت تربطه علاقة خاصة مع مكاريوس. وصلت الأسلحة إلى قبرص في ١٤ مارس ١٩٧٢م. وأرسل مكاريوس رسالة إلى بابادوبولوس يقول فيها إن الكفاح من أجل الإتحاد يمكن أن ينجح بمساعدة أثينا وتشجيعها للقبارصة، الذين لا يستطيعون قبول أى حل لايتفق مع الصالح القبرصي من أجل إرضاء أى طرف ولو كان أثينا نفسها. وفي ١٩ مارس رفض مكاريوس من جديد المطلب الكنسي المتروبوليتاني بالتنحي، وجمع الأساقفة وتتهمهم بالخيانة والتآمر مؤكداً أن توليه الرئاسة ليس ضد الأصول الدينية ولا يعني إهماله لواجباته الكنسية، بل إن تنحيه سيؤدى حتماً إلى الإنقسام والكارثة.

وفي ٢٦ مارس ١٩٧٢م أجهض لقاء بين مكاريوس وجريفاس، حيث إشترط الأخير تنحي مكاريوس وتشكيل وزارة جديدة تضم بعض رجاله، وإستبعد جريفاس حلاً يونانياً مطروحاً وهو "الإتحاد المزدوج" أى إتحاد الشطر اليوناني من قبرص مع اليونان ونظيره التركي مع تركيا. ومن الطبيعي أن يرفض مكاريوس شروط جريفاس، وإنفض الإجتماع دون أن يحقق شيئاً على الإطلاق. وإشتد الجدل السياسي في قبرص، وتبادل مكاريوس المراسلات مع الأساقفة الثلاثة المتروبوليتانيين في حوار ساخن، ودخل في المشادة أساتذة جامعيون وفعاليات ثقافية متعددة من قبرص واليونان.

وتشكلت وزارة قبرصية جديدة في ١٩٧٢/٦/١٦م حيث تسلم وزير جديد وزارة الخارجية في مكان سبيروس كيبريانو الذى شغل هذا المنصب منذ عام ١٩٦٠م. كان مكاريوس بذلك يسعى إلى تهدئة الخلاف مع كولونيلات أثينا. ولكن المؤامرات ظلت تحاك ضد مكاريوس، فوضعت خطة "أبوللو" في ١٩٧٢/٩/١٧م بإشراف جريفاس نفسه وحاول تنفيذها ضباط يونان. كان هذا الإنقلاب المخطط سيغطي قبرص كلها فيما عدا كيرينيا، على أساس أنها ستترك لتركيا في حالة نجاح الخطة والشروع في تقسيم الجزيرة. وتضمنت الخطة تنسيقاً محكماً بين إيوكا-ب والحرس الوطني. وظن المتآمرون أن الجانب التركي والقاعدة البريطانية سيلتزمان

الحياد. وتسربت أنباء المؤامرة مع شائعات تقول إن تركيا خططت للإستيلاء على منطقة كيرينيا بأكملها في حالة الإطاحة بمكاريوس. ونصح لاجاكوس السفير اليوناني في قبرص الأساقفة القبارصة بإيقاف خلافاتهم، فلم يستجب أحد منهم. وفي ١٩٧٢/١٢/٨م وقعوا على مكاريوس عقوبة "التوبيخ". وفي نفس الوقت بدأت إيوكا-ب في ممارسة أعمال العنف والأنشطة الإرهابية. كما بدر عن دوائر حلف الناتو مايكشف النقاب عن تأييدها لموقف الأساقفة.

ولم يملك مكاريوس إزاء كل هذه المؤامرات إلا أن يصر على موقفه معلناً عن انتخابات رئاسية في ١٨ فبراير ١٩٧٣م. وفتح باب الترشيح وعندما أغلق يوم ٨ فبراير لم يكن يتقدم أي منافس لمكاريوس قد تقدم للترشيح. وأعلن ذلك أمام مظاهرة حاشدة (٢٠٠ ألف)، وكان إنتخابه بالتزكية والمظاهرات المواكبة بمثابة إستفتاء شعبي. ولكن في نفس الشهر كان جريفاس قد أكمل حبك "خطة أبوللو" وحدد لها يولية ١٩٧٣م للتنفيذ. وفي الواقع توالت الدسائس والمؤامرات الإنقلابية التي إستهدف بعضها حياة مكاريوس وبعضها الآخر استهدف الوقيعة، ولكنها كانت على حساب مستقبل قبرص.

وفي ٧ مارس ١٩٧٣م أعلن الأساقفة الثلاثة عن إنعقاد مجمع كنسي في ليماسول، بهدف "تجريد" مكاريوس من ردائه الكهنوتي. وجاء رد مكاريوس عنيفاً وحاسماً، إذ أعلن عن إجراء إنتخابات لشغل أماكن هؤلاء الأساقفة، الذين خلعوا إعتباراً من ١٩٧٣/٥/٢م. وفي ١٩٧٣/٧/١٤م عقد مجمع أوسع بحضور بطريرك الإسكندرية وأنطاكية وأربعة عشر أسقفاً من ثلاثة بطريركيات. وإتخذ قرار بخلع وتجريد الأساقفة الثلاثة، حيث وجهت إليهم تهمة الإنشقاق عن الكنيسة والتآمر وإرتكاب أعمال غير مشروعة. وعلى الفور أعلن مكاريوس عن إجراء الإنتخابات الكنسية بعد إدخال بعض التعديلات على عدد الأسقفيات ومهامها.

صار بابادوبولوس رئيساً لجمهورية اليونان في ١٩٧٣/٨/١٩م، وأعلن موافقته على إجراءات تجريد وخلع وتجريم الأساقفة القبارصة الثلاثة. ومرد ذلك الموقف اليوناني الجديد هو أن حكومة الكولونيلات قد سحبت تأييدها لهؤلاء الأساقفة، بعد أن ارتموا في أحضان جريفاس. والمعروف عن الأخير أنه ملكي أكثر من الملك، أي متحمس للملك اليوناني المخلوع، وهو بذلك قد إنشق على حكومة الكولونيلات الأثينية التي ألغت الملكية في ١٩٧٣/٧/٢٩م. أوقفت اليونان مساعداتها المالية وغير المالية لجريفاس وأدانت نشاطاته الإرهابية. وقيل إن جريفاس طلب التمويل من وكالة المخابرات الأمريكية المركزية CIA الأمريكية والموساد الإسرائيلية، فنال مبتغاه وبسخاء شديد. وبلغت أعمال العنف التي قامت بها إيوكا-ب حد إختطاف وزير العدالة فاكيس Chr. Vakes ومحاولة إغتيال مكاريوس في ١٤ أغسطس و ٧ أكتوبر ١٩٧٣م. وإضطر مكاريوس إلى حث "القوة الإحتياطية" وقوات البوليس وقوات الأمن الحكومية الأخرى على الرد بعنف على هذه العمليات، فضيقت الخناق على إيوكا-ب وقطعت أوصالها وألقت القبض على بعض زعمائها مثل ستافروس ستافرو Stavros Stavrou المشهور بلقب سيروس Syros.

فلما جاء رئيس الوزراء اليوناني الجديد سبيروس ماركيزينيس Spyros Markezines أعلن تأييده للحوار المباشر مع تركيا وعقد الصلح بين أتباع مكاريوس ورجال جريفاس مع تحويل إيوكا-ب إلى تنظيم سياسي معلن، أي حزب إعتبرت بذرته موجودة منذ ١٩٧١/١١/٢٠م في "اللجنة التنظيمية القومية

للكفاح من أجل الإتحاد" (ESEA) ويرأسها القاضى ج. فاسيليادس G.Vassiliades، ولكن جريفاس أصر على الكفاح المسلح، وطلب من صديقه القديم ماركيزينيس العون المادى والمعنوى، معلناً أن رجاله (٥٠٠-٦٠٠فرد) هم وحدهم الذين سيحلون المشكلة القبرصية.

وفى ١٩٧٣/١١/٦م كان مكاريوس فى طريقه لزيارة إثيوبيا ومالطه وليبيا، فعقد إجتماعاً مع ماركيزينيس وإتفقا على تنشيط المباحثات بين الجانبين القبرصيين، والتى كانت قد بدأت فى ٦ يونية ١٩٧٢ على إثر مبادرة من كورت فالدهايم السكرتير العام للأمم المتحدة. بيد أن إحتدام الخلاف والصراع داخل الجانب اليونانى هو الذى أدى إلى إزدياد العناد التركى والتشدد والتشبث بمواقفهم غير المقبولة. وأعربت اليونان عن إعتقادها بأن المطلب التركى القبرصى بإدارة ذاتية مستقلة لا يتعارض مع قيام دولة قبرصية متحدة ومستقلة.

ثم جاء سقوط بابادوبولوس فى ١٩٧٣/١١/٢٥م بعد إقتحام الدبابات كلية الفنون والتكنولوجيا Polytechnion على الطلبة وأفراد الشعب المعتصمين داخلها، فوقعت معركة دموية. عندئذ استغل يوأنيديس Dem. Ioannides الفرصة وأمسك بزمام السلطة، وهو كولونيل آخر أكثر التصاقاً بدوائر حلف شمال الأطلسى أى الناتو وبالولايات المتحدة الأمريكية. وأرسل يوأنيديس عشرة ملايين دراخمة إلى جريفاس كل شهر مع كثير من السلاح، وذهب كل ذلك سدى لأن جريفاس مات فى ٢٧ يناير ١٩٧٤م.

تولى قيادة إيوكا-ب بعد جريفاس الكولونيل ج. كاروسوس الذى أعلن هدنة، فرد مكاريوس على هذه المبادرة بإعلان عفو عام عن رجال جريفاس جميعاً. رغب كاروسوس فى أن تتحول إيوكا-ب إلى حزب سياسى، فعارضه يوأنيديس الذى أصر كذلك على دفن جريفاس فى ليماسول ليبقى رمزاً لمقاومة ومناهضة مكاريوس. وواصلت إيوكا-ب أعمال العنف والإرهاب وأعلن رجالها العصيان على كاروسوس الذى غادر قبرص فى ٢٨ فبراير ١٩٧٤م بضغط من حكومة الكولونيلات فى أثينا. وأعلن مكاريوس فى ١٩٧٤/٤/٢٥م حظر نشاط إيوكا-ب بإعتبارها تنظيماً غير مشروع. وبقيادة بانتيلاكيس بانتازيس Pantelakis Pantazes وبتأييد شعبى قامت القوات القبرصية بتصفيه جيوب هذا التنظيم[1] .

---

[1] بالنسبة لإيوكاب وموقف مكاريوس منها راجع:

[Greek] Kranidiotis, Vol. B pp. 139 ff., 331 ff.

٤- الغزو التركي وحالة الإستعصاء

كان تفكك الجبهة الداخلية فى الجانب القبرصى اليونانى وحالة الاستعصاء هو الذى شجع الجانب الآخر على التشدد. وبينما كانت المفاوضات بين الطرفين فى تقدم مطرد وعلى وشك الوصول إلى نتائج ملموسة حول بنية الدولة القبرصية وتقاسم السلطات والمناصب فيها، علقت هذه المفاوضات فجأة. وتولى رئاسة الوزارة التركية بولينت إتشيفيت أجاويد Bulent Ecevit فى يناير ١٩٧٤م وأعلن أن "الفيدرالية" هى الحل الوحيد المقبول للمشكلة القبرصية. وكرر المطالب التركية فى البحر الإيجى، وأعلن عن رغبته فى الوصول مع اليونان إلى إتفاقية شاملة تغطى كل المشكلات بين البلدين وعلى رأسها قبرص. ولكن مكاريوس رفض مقترحات أجاويد مع إعترافه بأن "الفيدرالية" ليست مستبعدة تماماً. وكان آجاويد -ذلك اليسارى- قد إختار الوقت المناسب ليعلن مقترحاته، مستغلاً الصراع الداخلى والتفسخ اليونانى الذى ينبئ بوقوع حرب أهلية جديدة.

وفى الوقت الذى أعلن فيه المستشاران الخبيران اليونانى ديكلريس Dekleris والتركى ألديكاتشى Aldikatci، المراقبان للمباحثات بين الجانبين القبرصيين، أنهما قد توصلا إلى حلول لمعظم المشكلات الرئيسية، ولم يبق أمامهما سوى الصياغة النهائية، فى هذا الوقت وقع إنقلاب فى أثينا ١٥/٧/١٩٧٤م فتعطل كل شئ.

وفى ٧ مايو ١٩٧٤م كان هنرى كيسنجر وزير الخارجية الأمريكى قد إجتمع بنظيره السوفييتى آندريا جروميكو فى قبرص لمناقشة أزمة الشرق الأوسط، بعد إنتصار مصر وسوريا فى حرب أكتوبر ١٩٧٣م. ولكن هذا الإجتماع لم يقدم جديداً لقبرص، اللهم إلا إصرار كيسنجر على التخلص من هذا "الأسقف الأحمر". فهذه الزيارة دعمت مكانة مكاريوس لدى الإتحاد السوفييتى، وكان مكاريوس قد زار الصين من ٧-٢٤ مايو ١٩٧٤م. وإتفقت الحكومة اليونانية الدكتاتورية مع وجهة نظر كيسنجر فى ضرورة التخلص من هذا "الأسقف الأحمر" فأرسل مكاريوس رسالة مفتوحة إلى رئيس الجمهورية اليونانية فايدون جيزيكيس Phaidon Gizikis، يتهم فيها الحكومة اليونانية بممارسة انشطة غير شرعية فى قبرص، والتدخل فى الشئون الداخلية لحكومتها وتمويل فلول إيوكا-ب الإرهابية، وقال إنه -أى مكاريوس- ليس والياً معيناً من قبل الحكومة اليونانية فى أثينا، ولكنه رئيس جمهورية قبرص بإنتخاب شعبى. وفى ٩ يوليه ١٩٧٤م أصدرت حكومة الكولونيلات فى أثينا الأمر بقيام إنقلاب فى قبرص. وفى ١١ يولية استدعى السفير اليونانى لاجاكوس إلى أثينا، ومعه قائد الحرس الوطنى دنيسيس Denisses، وفى تلك الآونة أعلن السفير الأمريكى الجديد فى قبرص روجر ديفيز Roger Davis أن الحكومة الأمريكية تعتبر مكاريوس "رجل دولة من الطراز الأول فى العالم"!.

كانت خطة الإنقلاب تحمل إسم "أفروديتى ٣"، ففى ١٥/٧/١٩٧٤م هوجم القصر الرئاسى فى نيقوسيا بالعربات المصفحة للحرس الوطنى. وإستطاع مكاريوس أن يهرب إلى دير كيكوس Kykkos، ومن هناك إلى بافوس. قام الإنقلابيون بالإستيلاء على محطة الإذاعة (RIK) وجميع المرافق العامة. ولكن مكاريوس

خاطب الشعب من محطة محلية فى بافوس. وهاجم قارب مسلح مقر مكـاريوس فـى الكنيسـة المتروبوليتانيـة فـى بافوس. وفى النهاية لم تنقذ مكـاريوس سـوى طـائرة عسـكرية بريطانيـة أخذتـه إلى لـندن، ومـن هنـاك طـار إلى نيويورك. وفى ١٩ يوليه خاطب مكاريوس مجلس الأمن، فطالب الحكومـة اليونانيـة بإسـتدعاء الضبـاط اليونـان بالحرس الوطن، وإنهاء الوضع الحـرج، وعـودة الأمـور إلى ماكـانت عليـه قبـل الإنقـلاب. ولم تتدخـل القـوات القبرصية التركية وأعلن رؤوف دنكتاش أن الأمر برمته يخص الجانب اليونـانى. وكـان هـذا التضليـل مقصـوداً، لأن رئيس وزراء تركيا أجاويد طار إلى لندن فـى ١٧ يوليـة، وطلـب تدخـلاً تركيـاً -بريطانيـاً مشـتركاً تطبيقـاً للمادة ٣ من إتفاقية الضمان. وإمتنع البريطانيون عن تلبية المطلب التركى فشرعت تركيا فى تنفيذ خطـة الغـزو بمفردها، وهى الخطة المعدة سلفاً.

بدأ الغزو فى الصباح الباكر من يوم السبت ٢٠ يوليـة ١٩٧٤م. وفـى اللحظـات الأخـيرة قبـل بدايـة الهجوم حاولت الولايات المتحدة الأمريكية عبثاً أن توقفه. وكان الهدف الرئيسى من التدخل الأمريكى هو منـع التصادم التركى- اليونانى. لم يلق الأتراك مقاومة تذكر، لأن الإنقسامات والإضطرابات فـى المعسـكر اليونـانى كانت قد أنهكت قـواه. وإسـتولت تركيـا علـى منطقـة كيرينيـا بأكملهـا. ومـن المضحـك المبكـى أن حكومـة الكولونيلات الأثينية حتى هذه اللحظة لم يأخذوا الغزو التركى مأخذ الجد، وقالوا إنه منـاورة عسـكرية تدريبيـة عابرة! أما البيانات العسكرية القبرصية فى نيقوسيا فأعلنت دحر الغزاة! فما أشبه الغزو التركى لقبرص فى ٢٠ يولية ١٩٧٤م بنكسة ٥ يونية ١٩٦٧م بالنسبة لمصر والعالم العربى.

وفى النهاية سقطت الحكومتان الدكتاتوريتان الأثينية والقبرصية التى جاء بها الانقلاب. وفـى أثينـا تـولى السلطة كارامانليس. وفى نيقوسيا تولاهـا جلافكـوس كلـيريديس. وبـدأت المباحثـات الدسـتورية فـى جنيـف لبحث مستقبل قبرص فى الوقت الذى كانت القوات التركية تستغل عنصر الزمن لتوسيع رقعة الإحتلال[1] .

وفى ٢٠ يوليه ١٩٧٤م صدر قرار مجلس الأمن رقم ٣٧٣ وهذا نصه:

"بعد أن فحص تقرير الأمين العام الخاص بالأحداث الأخيرة التى جرت فى قبرص، وبعـد أن أسـتمع إلى التصريحات التى أدلى بها رئيس جمهورية قبرص، والتصريحات التى أدلى بها ممثلو قبرص وتركيا واليونـان، ودول أخرى أعضاء فى المجلس.

فإنه أى المجلس يبدى أسفه العميق لاندلاع العنف وإراقة الدماء التى مازالت جارية. وهو يعبر عـن قلقـه العميق لما أصبح عليه الوضع الذى يشكل تهديدا خطيرا للسلام والأمن الدوليين، والـذى يهـدد بالإنفجـار فـى مجموعة منطقة شرق البحر المتوسـط.

وهو يعبر عن قلقه العميق أيضا لما يتعلق بضرورة إعادة البنية الدستورية لجمهوريـة قـبرص، وهـى البنيـة التى أقرتها وضـمنتها إتفاقيات دولية.

---

(١) Ibidem, pp. 536 ff.

وهو يذكر قرار مجلس الأمن الصادر فى ٤ مارس ١٩٦٤م وكذا القرارات اللاحقة الصادرة من مجلس الأمن حول المشكلة. وهو يدرك مدى المسئولية الأساسية التى تقع عليه، فيما يتعلق بالحفاظ على السلام والأمن الدوليين.

وفقا لما جاء في المادة الرابعة والعشرين من الميثاق ...

(١) يطالب جميع الدول باحترام سيادة قبرص وإستقلالها ووحدتها الإقليمية.

(٢) يطالب جميع الأطراف المتورطة فى القتال الجارى حاليا بالتوقف كلية عن إطلاق النار، وذلك كإجراء أولى. كما يناشد جميع الدول بالإلتزام بأكبر قدر ممكن من الإعتدال، وبالإمتناع عن القيام بأى عمل يمكن أن يؤدى إلى مزيد من تفاقم الأوضاع فى قبرص.

(٣) يطالب بوضع حد للتدخل الأجنبى فى جمهورية قبرص مباشرة. وهو تدخل يعد مخالفة للفقرة الأولى من هذه الوثيقة.

(٤) يطالب جميع العسكريين الأجانب الموجودين على أرض قبرص، خلافا لما نصت عليه الإتفاقيات الدولية، بالإنسحاب الفورى، بما فى ذلك هؤلاء العسكريين الذين كان الأسقف مكاريوس قد طالب بإنسحابهم فى خطابه بتاريخ ٢ يوليو ١٩٧٤م.

(٥) يطلب من اليونان وتركيا، وكذلك المملكة المتحدة (بريطانيا العظمى وأيرلنده الشمالية) البدء فى إجراء مفاوضات دون تأخير، بهدف إعادة السلام إلى المنطقة وعودة الحكومة الدستورية فى قبرص، مع إبلاغ الأمين العام بما تم فى هذا الشأن.

(٦) يطلب من جميع الأطراف التعاون الكامل مع قوات الأمم المتحدة المكلفة بالحفاظ على السلام فى قبرص. على نحو يتيح لهذه الأخيرة ممارسة تفويضها.

(٧) يقرر العمل على متابعة تطور الأحداث فى قبرص على نحو متواصل كما يطلب من الأمين العام تقديم تقرير كلما تراءت له ضرورة لذلك. بهدف إعتماد المجلس إجراءات جديدة، يمكن أن تؤدى إلى إقرار ظروف سلمية فى قبرص فى أقرب وقت ممكن"[1] .

بعد ذلك أجرى وزراء خارجية اليونان والمملكة المتحدة (بريطانيا العظمى وايرلندا الشمالية)، وتركيا. مفاوضات فى جنيف من ٢٥ إلى ٣٠ يوليو ١٩٧٤م. وقد إعترفوا بضرورة البدء فى إتخاذ الإجراءات العاجلة لتهيئة وإعادة الوضع فى جمهورية قبرص إلى حالته الطبيعية، وعلى أسس دائمة، وذلك فى مهلة معقولة ووفقا لما نصت عليه الإتفاقيات الدولية الموقع عليها فى نيقوسيا بتاريخ ١٦ أغسطس ١٩٦٠م، والقرار رقم ٣٥٣ الصادر من مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة، وقد إتفق الوزراء على ضرورة أن تتخذ أولا بعض الإجراءات المباشرة. وأعلن وزراء الخارجية الثلاثة أنه حتى يتم إستقرار الوضع فإن مناطق الجمهورية القبرصية التى كانت

---

(١) راجع مجلة "السياسة الدولية" عدد ٣٨ (أكتوبر ١٩٧٤) ص٢٥٢-٢٥٣.

تسيطر عليها قـوات الجيوش المعادية (أى التركية) فى يوم ٣٠ يوليو ١٩٧٤م فى الساعة العاشرة مساء (بتوقيت جنيف) لا يجب أن تتوسع أكثر من ذلك.

وقد ناشد وزراء الخارجية جميع القوات بما فيها القوات غير النظامية بـالتوقف عن أى نشاط عدوانى أو عدائى.

وقد قرر وزراء الخارجية الثلاثة ضرورة البدء مباشرة فى تنفيذ الإجراءات الآتية:

أ. إن منطقة الأمن التى سيقوم ممثلو اليونان والمملكة المتحدة وتركيا بتحديدها بالتشاور مع قوات الأمم المتحدة المكلفة بالحفاظ على السلام فى قبرص UNFICYP يجب أن تحدد على حافة المناطق المحتلة من قبل القوات المسلحة التركية. فى الوقت الموضح فى الفقرة الثانية عاليه، وألا يسمح لأية قوة أخرى غير القوات التابعة للأمم المتحدة بالدخول فى هذه المنطقة، وستقوم القوات التابعة للأمم المتحدة بمراقبة تنفيذ هذه التعليمات. وحتى يتم تحديد مساحات واسعة وطبيعة منطقة الأمن، لن يصرح لأية قوات بالدخول فى المنطقة الموجودة بين القوتين العسكريتين المتعاديتين.

ب. يجب على القوات اليونانية أو القوات القبرصية اليونانية الإنسحاب من جميع الجيوب التركية التى إحتلتها وستواصل قوات الأمن التابعة للأمم المتحدة حمايتها لهذه الجيوب، التى ستحتفظ بترتيبات الأمن السابقة أما الجيوب التركية الأخرى التى تقع خارج المنطقة التى تسيطر عليها القوات المسلحة التركية فإنها ستبقى تحت حماية منطقة الأمن التابعة لقوات الأمم المتحدة، وسيمكنها الإبقاء على قواتها الخاصة فيما يتعلق بالبوليس والأمن.

جـ. ستقوم قوات الأمن الدولية بضمان الأمن والبوليس فى القرى المختلطة.

د. سيجرى فى أقرب مهلة ممكنة التبادل فى الأفراد العسكريين والمدنيين الذين إحتجزوا أثر الإشتباكات المسلحة أو إطلاق سراح هؤلاء تحت إشراف اللجنة الدولية للصليب الأحمر.

وإتفق وزراء خارجية الدول الثلاث، على ضرورة تنفيذ القرار رقم ٣٥٣ الصادر عن مجلس الأمن فى أقرب فرصة ممكنة، لأنه فى إطار تسوية عادلة ودائمة ومقبولة من جميع الأطراف المعنية، وإلى أن يتم إقرار السلام والأمن والثقة المتبادلة فى الجمهورية القبرصية، يجب وضع إجراءات تؤدى إلى التخفيض المتدرج على مراحل وفى الأوقات المناسبة لحجم القوات المسلحة وكميات الأسلحة، والذخيرة وغيرها من المعدات الحربية فى جمهورية قبرص.

إن وزراء الخارجية الثلاثة وهم يدركون تماما مسئولياتهم التى تتعلق بالحفاظ على إستقلال جمهورية قبرص ووحدتها الإقليمية وأمنها، فقد إتفقوا على أنه يجب البدء فى أقرب فرصة فى المفاوضات التى نص عليها القرار رقم ٣٥٣ الصادر عن مجلس الأمن وذلك بهدف ضمان:—

أ. إعادة السلام الى المنطقة.

ب. إعادة الحكومة الدستورية إلى قبرص.

وفي سبيل ذلك، إتفق الوزراء على ضرورة البدء في محادثات في يوم ٨ أغسطس ١٩٧٤م في جنيف. كما إتفقوا على أنه يجب أن يشارك ممثلو الجماعتين القبرصية اليونانية والقبرصية التركية في مرحلة قريبة في المحادثات التي ستجرى حول الدستور.

ومن بين المسائل الدستورية التي ستناقش، يجب إدراج مسألة الرجوع الفورى إلى الشرعية الدستورية، على أن يتولى نائب الرئيس المهام التي نص عليها دستور ١٩٦٠م، فقد لاحظ الوزراء أنه توجد بالفعل في جمهورية قبرص إدارتان مستقلتان، الأولى خاصة بالجماعة القبرصية اليونانية، والأخرى خاصة بالجماعة القبرصية التركية.

وبدون أى مساس بالإستنتاجات التي يمكن إستخلاصها من هذا الوضع، فإن وزراء الخارجية قد إتفقوا على دراسة المشاكل التي يطرحها وجود هاتين الإدارتين خلال إجتماعهم المقبل.

وإتفق وزراء الخارجية الثلاثة على إبلاغ الأمين العام لمنظمة الأمم المتحدة بمضمون التصريح الحالى، وبدعوة هذا الأخير إلى إتخاذ الإجراءات المناسبة في ضوء هذا التصريح. كما أنهم أعلنوا عن إعتقادهم بضرورة تعاون جميع الأطراف المعنية في جمهورية قبرص على نحو كامل، في تنفيذ النصوص التي جاءت في هذا التصريح[1] .

وصدر قرار جديد من مجلس الأمن في ١٦ أغسطس ١٩٧٤ هذا نصه:

(١) بدافع من قلقه بسبب إستئناف أعمال العنف وإراقة الدماء في قبرص يندد مجلس الأمن بقوة بعدم إلتزام الأطراف بقرار مجلس الأمن رقم ٣٥٧ الصادر في ١٩٧٤م ويعيد التذكرة بالقرارات رقم ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٧ لعام ١٩٧٤م.

(٢) يعلن المجلس إصراره على ضرورة قيام جميع الأطراف بالتطبيق الكامل لهذه القرارات المشار إليها، وكذلك إلى ضرورة التطبيق الفورى لوقف إطلاق النار.

وكان قرار مجلس الأمن رقم ٣٥٣ الصادر في ٢٠ يوليو ١٩٧٤ يتضمن بالإضافة إلى الأمر بوقف إطلاق النار فقرة تطالب جميع الدول بإحترام سيادة قبرص وإستقلالها ووحدة أراضيها. كما يطالب بالإنسحاب الفورى لجميع العسكريين الأجانب من أراضى جمهورية قبرص. ويستثنى من ذلك الموجودين طبقاً لإتفاقيات دولية[2] .

---

(١) نفس المرجع.

(٢) نفس المرجع.

وعن دور الأمم المتحدة عموماً في المشكلة القبرصية راجع:

G. St. Kaloudis, The Role of the U.N. in Cyprus from 1964 to 1979. Dissertation. University of Kansas U.S.A. 1983.

D.S constantopoulos, The Turkish Invasion from the Aspects of International Law' Transl. from the German Yearbook of International Law XXI 1978

Chr. Economidis, The problem of Cyprus. The Territorial Aspect. The Anatolian Settlers and the U.N. Secretary General Initiative. Nicosia 1983. =

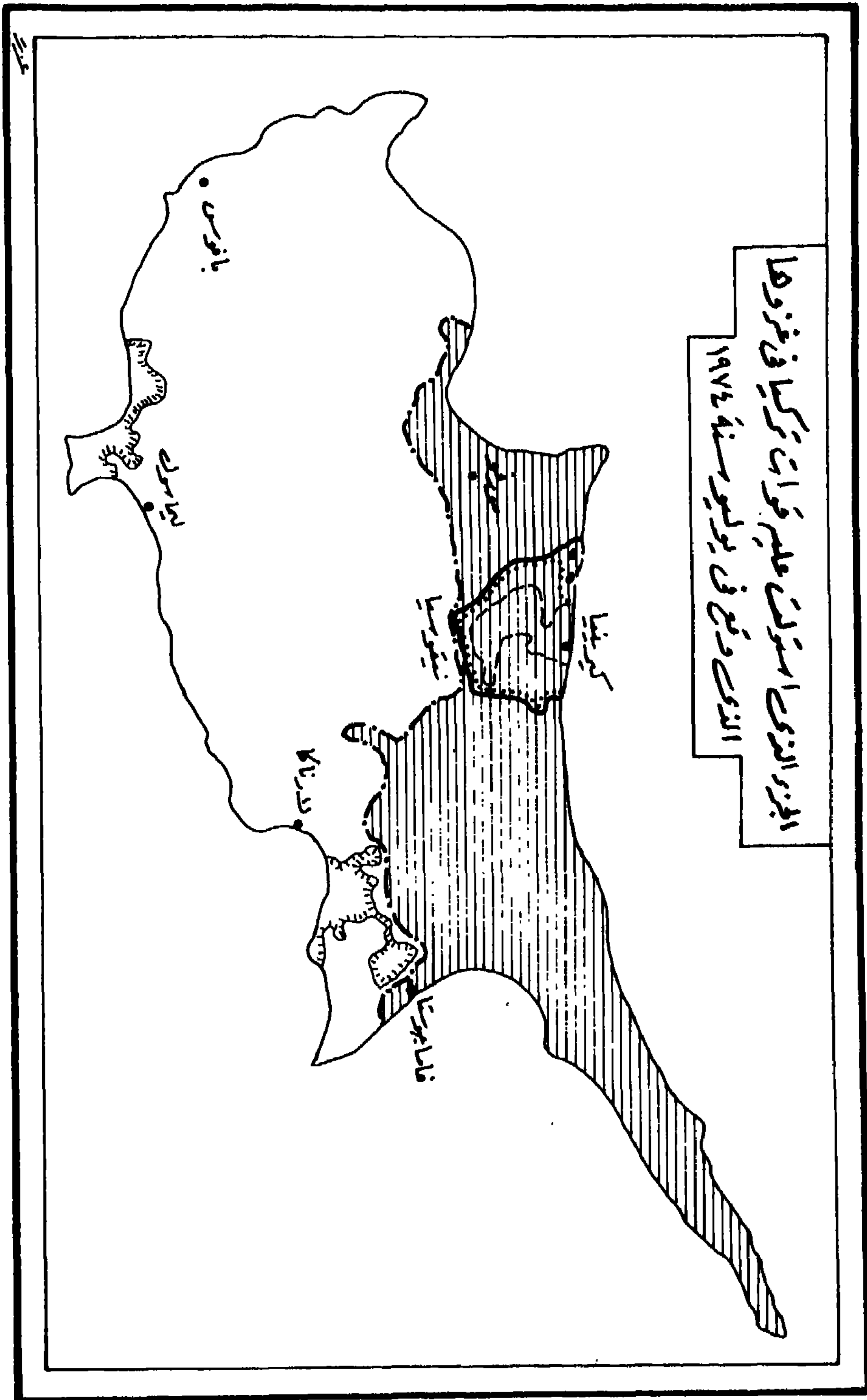
لكن القبارصة الأتراك كانوا يتصرفون بعد غزو ١٩٧٤م من موقف القـوة، وعندما ذهبوا إلى جنيف في ٢٥ يوليه ١٩٧٤ للتفاوض مع الجانب القبرصي اليوناني حاولوا فرض شروطهم وبما يتفق مع الواقـع على الأرض. ولكن قرار مجلس الأمن عهـد إلى دول الضمـان الثلاثـة (بريطانيـا، اليونـان، تركيـا) أن تعيـد الحكومـة الدستورية إلى قبرص. وهكذا أصبح الأمر الأن في يد الدول الثلاثة –بعد أن خـرج من يـد القبارصـة– وهـذه الدول لا يمكـن إلا أن تنطلـق مـن معطيـات الواقـع الجديـد، الـذى خلقـه الغـزو. وكـان مـن الطبيعى أن تبـدأ المفاوضات بالتفاهم حول هذا الكيان التركى الجديد، وإمكانية توحيده مع الجانب اليونانى فى دولة فيدرالية.

ومن ٢٥-٣٠ يولية إقتصرت المفاوضات على فرض الهدنة فى كافة أرجاء الجزيـرة، وتم الإعـلان عـن جولة جديدة للتباحث حول الدستور الجديد بإشتراك الجـانبين القـبرصيين. وتقـرر سـحب الحـرس الوطنـى مـن المقاطعات التركية، ووضع خط فاصل بين المتحاربين. وبدأت الجولة الثانية فى ٨ أغسطس وإستمرت حتى يـوم ١٣ وفشلت لأن المطالب التركية كانت غير مقبولة، لأنها تقوم على نظام "الكانتونات" التركية المستقلة، التـى تحميها القوات التركية وتؤمن لها مداخل ومخارج آمنة. أى أن الأتراك يطالبون بوجود كيانين مستقلين، أحدهما تركى والآخر يونانى، وتجمعهما وحدة فيدرالية، وبلغ مـن تصلـب الأتـراك أن وزيـر الخارجيـة الـتركى جنـش Gunesh رفض إعطاء فرصة للجانب اليونانى لمـدة ٣٦ سـاعة للتشـاور مـع الحكومـة. وفـى فجـر يـوم ١٣ اغسطس أعلن وزير الخارجية البريطانى كالاهان توقف المفاوضات. وفى صباح اليوم التالى واصلت تركيا غـزو قبرص بموجة جديدة من الهجوم والتوسع.

ولم تواجههم أية مقاومة وإنتهت العزوة بإحتلال ٣٧٪ من مسـاحة الجزيرة القبرصية، وتشـمل كل منطقة كيرينيا وثلث نيقوسيا بما فى ذلك مورفو وكيثريا وغيرها. وإستولى الأتراك كذلك على أكثر من نصف مسـاحة فاماجوستا، بما فى ذلك شبه جزيرة كارباس ومعظـم سـهل ميسـاريا، أى حـوالى ٧٠٪ مـن أخصـب الأراضـى القبرصية وأهمها من حيث الصناعة والسياحة أيضاً.

وبحزن بالغ قال كارامانليس إنه لا يستطيع أن يفعل شيئاً لأن قبرص "بعيـدة عـن اليونـان". وهـى مقولـة ترددت منذ قرون، وتلخص مأساة قبرص فى علاقتها باليونان. وفى غضون حوالى شـهر إضطـر حـوالى مـائتى ألف مواطن قبرصى يونانى أن يتركوا منازلهم وممتلكاتهم فى الجزء المحتل، بعد أن عانوا المر مـن ألـوان الإرهـاب والتعذيب على يد الأتراك. وإضطر فيما بين ثلاثين وأربعين ألف من القبارصة اليونان إلى الهجرة تاركين وطنهـم إلى اليونان وبريطانيا واستراليا وغيرها. ووقع الآلاف من القبارصة اليونان فى أسر القوات التركيـة الغازيـة، ولم تتركهم إلا بعد أن إستبدلت بهـم الأتـراك القبارصـة المقيميـن فـى الجـزء الجنوبـى. فكـان الهـدف هـو تكريـس التقسيم. أما القتلى ضحايا الغزو التركى فهم بالآلاف، ولا يعرف عددهم بدقـة لأن حـوالى ١٦٢٠ لا يزالـون من المفقودين الذين لا يعرف مصيرهم بعد.

= Savvas Loizides, The Cyprus Qvestion and the Law of the United Nations. Nicosia 1954.
A.N. Papadopoulos, Aspects Juridiques et politiques de l'action des Nations Uries a Chypre. Nicosia 1970



شكل رقم (٦٣): خريطة توضح الجزء الذى إستولت عليه قوات تركيا فى غزوها الذى وقع فى يولية ١٩٧٤م

أما القبارصة اليونان الذين تشبثوا بالبقاء في بيوتهم ومزارعهم فى الجانب المحتل، برغم الضغوط التركية الإرهابية عليهم، فإنهم فى تناقص مستمر ومعظمهم يقيم فى ريزوكارباسو، وأغياتريادا، ويالوسا، وبلغ من قسوة المعاملة التركية أن هؤلاء المواطنين لايتلقون أية خدمة مثل التعليم والعلاج، ويحرمون من أبسط حقوق الإنسان مثل أداء الشعائر الدينية، ناهيك عن الإعتداءات المتكررة عليهم. لقد إستولوا على ممتلكاتهم لتوزع على الجنود الأتراك الذى جلبوا من آسيا الصغرى بالآلاف، ومنحوا بطاقات الهوية التركية القبرصية. لقد جلبوا حوالى خمسين ألف تركى إلى قبرص لتغيير البنية الديموجرافية للجزيرة. وهم يقومون بارتكاب الكثير من المخالفات والاجراءات التى يسعون بها إلى أن يغلبوا العنصر التركى على مقومات الحضارة القبرصية اليونانية فى الجزء المحتل.

ولقد تكررت جولات المباحثات بين الجانبين القبرصين طوال عام ١٩٧٤-١٩٧٥[1] . وكان جيمى كارتر المرشح الديموقراطى الأمريكى قد وعد الناخبين الأمريكيين من أصل يونانى فى حملته الإنتخابية بحل المشكلة القبرصية. وبعد نجاحه فى الإنتخابات إستطاع مندوبه كلارك كليفورد أن يقنع مكاريوس بعقد إجتماع مع رؤوف دنكتاش فى ٢٧ يناير ١٩٧٧م بحضور مندوب سكرتير عام الأمم المتحدة دى كويار، بهدف دراسة إمكانية إستئناف الحوار بين الجانبين القبرصيين. وتكرر هذا اللقاء فى ١٢ فبراير وبحضور سكرتير عام الأمم المتحدة نفسه كورت فالدهايم، وتم الإتفاق على إستئناف المفاوضات بين الجانبين بعد شهر واحد فى فيينا، على أن تقوم على المبادئ العامة المتفق عليها بين الطرفين وهى:

١- قبرص دولة واحدة مستقلة، أى فيدرالية غير منحازة.

٢- تناقش مشكلة الأراضى التى فى حوزة كل طرف، على أساس الإنتاجية والجوانب الإقتصادية وحقوق الملكية.

٣- النظام الفيدرالى والتكوين الثنائى للمجتمع القبرصى أمور تخضع للمناقشة، لحل مشكلات الطرف التركى من حيث حرية الحركة والتنقل بالنسبة للأفراد والممتلكات.

٤- سلطة الحكومة المركزية الفيدرالية ووظيفتها تستهدف حماية وحدة أراضى الدولة وسيادتها، مع مراعاة ثنائية التكوين.

وتوالت اللقاءات فى فيينا فى الفترة من ٣/٣١-١٩٧٧/٤/٧م، ولم يفلح الطرفان فى التقريب بين وجهات نظريهما، لأن الأتراك خالفوا المبادئ الأربعة سالفة الذكر ولم يعترفوا بحكومة فيدرالية مركزية فى الجزيرة.

---

(١) G. Polyviou, Cyprus: Conflict and Negotiation 1960-1980. Duckworth, London 1980.

Idem, Cyprus in search of a constitution. Constitutional Negotiations and Proposals 1960-1975. Nicosia 1976.

عاد مكاريوس إلى قبرص بعد الغزو التركي يوم ١٩٧٤/١٢/٧م رجلاً مسناً مغلوباً بالحزن يبكي ألماً على إقتطاع الجزء الأفضل من بلاده، وعلى ضياع جهوده وجهود كل الشرفاء في قبرص. وبذل أقصى جهد ممكن ليحتفظ الأتراك القبارصة بمنازلهم وممتلكاتهم في الجزء الجنوبي اليوناني. وخابت مساعي الأسقف مكاريوس أمام إصرار معظم الأتراك القبارصة أو كلهم على النزوح إلى الجانب التركي بإلحاح من السلطات التركية. ولكن مكاريوس تمكن من إعادة بناء الإقتصاد القبرصي، الذي تدهور بسبب الغزو، ولعبت المساعدات الدولية دوراً كبيراً في ذلك. وهكذا إستطاعت الدولة أن توفر مساكن جديدة ووظائف للاجئين اليونان القبارصة المهجرين من القطاع التركي وعددهم ٢٠٠ ألف. ولم يتوقف مكاريوس عن ممارسة كفاحه السياسي وجهوده الدبلوماسية، ففي ٣١ يولية ١٩٧٥م حضر مؤتمر هلسنكي للأمن الأوروبي، وألقى خطبة فيه ووقع على وثيقته الختامية. ولكنه أيضاً لا زال مستهدفاً من قبل المتآمرين، فتلقى خطابات تهديد بالقتل. ورغم ذلك لم تهن عزيمته ففي أغسطس ١٩٧٦م شارك مكاريوس في مؤتمر عدم الإنحياز بسيريلانكا، وألقى خطبة إتهم فيها تركيا بإرتكاب جرائم حرب في قبرص، وهي جرائم موثقة في تقرير اللجنة الأوروبية لحقوق الانسان (٢٦٣ صفحة)، والذي قدم للمجلس الأوروبي في ١٩٧٦/٧/١٠م. وفي يونية ١٩٧٧م شارك مكاريوس في مؤتمر الكومنولث، وكانت هذه هي آخر رحلاته الخارجية. وفي ٢٠ يولية ١٩٧٧م ألقى مكاريوس واحدة من أكثر خطبة إثارة للمشاعر، فقد طلب من شعبه عدم الإستسلام لليأس أو للعنف، إذ لابد من مواصلة الكفاح من أجل الحرية وإنتزاع الحقوق من غاصبيها. وبعد ثلاثة عشر يوماً أي بتاريخ ١٩٧٧/٨/٣م داهمته أزمة قلبية ودع مكاريوس دنيانا قبل أن تظهر بارقة أمل في تحقيق طموحاته الوطنية التي نذر نفسه وحياته لها. وهذه النهاية تذكرنا بموت الزعيم جمال عبد الناصر الذي مات وجنود الإحتلال الإسرائيلي على الضفة الشرقية لقناة السويس وهو الذي وهب حياته لتحرير مصر من الاستعمار.

وفي جولة المباحثات بين الجانبين القبرصيين ٣/٣١-١٩٧٧/٤/٧م كرر الجانب التركي ماسبق أن عرضه رؤوف دنكتاش في الجولة الخامسة في فيينا فبراير ١٩٧٦م. وفي النهاية عندما قدموا مقترحاتهم، التي وعدوا بها منذ فترة طويلة جاءت هذه المقترحات (أبريل ١٩٧٨م) حول قضايا الأرض والدستور، ولا تصلح أساساً سليماً للمفاوضات، لأنها تشترط مبدئياً التقسيم إلى كيانين منفصلين، مع الإعتراف الرسمي بالكيان التركي. وفي مقابل ذلك لايقدمون أي تنازل في الأرض. وفي نوفمبر ١٩٧٨م وضعت كل من الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وكندا "إطاراً عاماً"، تبدأ على أساسه المفاوضات بين الجانبين القبرصيين. ويحدد هذا الإطار الخطوط العريضة التالية:

- دولة فيدرالية ثنائية أي مكونة من إقليمين.
- يتمتع كل إقليم بمؤسسات حكومية منفصلة.

أبدت الحكومة القبرصية بعض التحفظات القوية على هذا الإطار، لأنه يتعارض مع قرارات الأمم المتحدة، ولاسيما ما يتعلق بعودة اللاجئين القبارصة اليونان إلى منازلهم في الجزء المحتل، وكذا إنسحاب القوات الأجنبية من الجزيرة. يتحدث الإطار عن عودة بعض اللاجئين، وعن إستمرار وجود قوات أجنبية على أرض الجزيرة حتى بعد التسوية النهائية. إن كل ما قدمه هذا الإطار هو إعادة ترتيب خطوط التقسيم التي لا

يمكن أن تظل دائماً كما هي عليه الآن. وبعبارة أخرى يثبت هذا الإطار فكرة ومبدأ "خطوط التقسيم"، وهذا ما يتناقض مع الإستقلال والسيادة اللذين يتمسك بهما شعب قبرص.

واصلت الأمم المتحدة جهودها لحل مشكلة قبرص المستعصية ونجحت في النهاية في مساعيها لترتيب لقاء بين خليفة مكاريوس أي سبيروس كيبريانو ورؤوف دنكتاش في ١٩ مايو ١٩٧٩م. وأسفر إجتماع الزعيمين القبرصيين عن الإتفاق على النقاط العشرة التالية:

١- إستئناف المفاوضات بين الجانبين في ١٥ يونية ١٩٧٩م.

٢- الأساس المبدئي لهذه المفاوضات هي الخطوط العريضة الإرشادية، التي توصل إليها مكاريوس ودنكتاش في ١٢ فبراير ١٩٧٧م وقرارات الأمم المتحدة.

٣- إحترام حقوق الإنسان والحريات الأساسية لكل مواطني قبرص.

٤- تتناول المفاوضات كل المشكلات المتعلقة بالأرض والدستور.

٥- تعطى الأولوية للإتفاق حول فاروشا، وصولاً إلى إتفاق شامل تحت رعاية الأمم المتحدة.

٦- التعهد بعدم القيام بأى عمل يعطل المفاوضات، والعمل على بناء الثقة بين الطرفين، والعودة للحياة في ظروف طبيعية.

٧- نزع سلاح قبرص في المستقبل.

٨- ضمان الإستقلال والسيادة ووحدة أراضي قبرص وحيادها وعدم إتحادها كلياً أو جزئياً مع أية دولة أجنبية، وكذا عدم التقسيم أو الفصل.

٩- إستمرار التفاوض دون إبطاء أو إنقطاع.

١٠- تجرى المفاوضات في نيقوسيا.

وبعد إستئناف المفاوضات (١٩٧٩/٦/١٥م) نشبت الخلافات، حيث رفض الأتراك القبارصة المادة (٥) الخاصة بأولوية تسوية مشكلة فاروشا ، وأصروا على التباحث حول كل النقاط العشرة معاً ، وطالبوا بتعديل المادة (٢) بأمور تنم عن وجود دولتين لكل منهما حدودها وسيادتها.

ثم فجر الجانب التركي القبرصي قضية أخرى عطلت المفاوضات، إذ رفعت الأوقاف قضية ضد الحكومة القبرصية التركية، أو بالتحديد "دولة قبرص التركية الفيدرالية" (T.F.S.C)، وهو الاسم الذى أطلقوه على الكيان التركي من الجزيرة القبرصية بعد الغزو. المهم أن الأوقاف تطالب بحماية ممتلكاتها في فاروشا، وأن تكون محمية لا تدخل في المفاوضات بين الطرفين، حتى تنتهي المحكمة من الفصل في القضية. وقالت الأوقاف عن فاروشا -منطقة حول محكمة فاماجوستا- إنها كانت في العصر العثماني ملكاً لثلاثة

باشوات، ثم ورثتها عنهم الأوقاف. كان قائد الغزو العثماني لالا مصطفى قد وهب الباشاوات الثلاثة "عبد الله" قطعة أرض في ١٥٧٠/١/٢٤م في فاروشا الواقعة بين حي ستافروس وإنكومي في فاماجوستا. وكان هؤلاء الباشوات الثلاثة أصلاً من البنادقة، أي الطبقة الحاكمة في قبرص قبل الغزو العثماني. وعندما إستسلموا للعثمانيين الفاتحين وأسلموا أعطيت لهم هذه الأرض هبة ومكافأة فحملوا الأسماء التالية: محمود عبد الله، يوسف عبد الله، ومصطفى عبد الله ومن هنا سميت أراضيهم باليونانية (Aptoullas)[1] .

---

(١) عن تطورات أزمة قبرص في السبعينيات وبالاضافة إلى المراجع سالفة الذكر راجع:

[Greek] Clerides (Nicosia 1988-1991) Vol. 2 pp. 87 ff. et passim.
Ibidem, Vol. 3 passim.
Ibidem, Vol. 4 passim.

هذا ويورد المؤلف في الجزء الرابع تفاصيل المفاوضات بين الجانبين القبرصيين حتى وفاة مكاريوس عام ١٩٧٧. وجدير بالذكر أن هذا الكتاب المهم بأجزاله الأربعة يبلغ ٢٠٥٣ صفحة وتمثل شهادة أحد صانعي الأحداث في قبرص في النصف الثاني من القرن العشرين.

[Greek] Ploutis (Athens 1991).

K. Markides. The Rise and Fall of the Cyprus Republic. New Haven- London. Yale University Press 1977.

C.G. Tornaritis, Cyprus and its Constitutional and other Legal Problems. Nicosia 1980.

P.N. Vanezis, Cyprus. The Unfinished Agony. London, Abelard Schuman 1977.

٥- قبرص فى العقدين الأخيرين من القرن العشرين

توقفت المفاوضات بعد أربعة جلسات فقط فى نوفمبر ١٩٧٩م وأصدرت الجمعية العمومية للأمم المتحدة قراراً يطالب بإستئناف فورى للمفاوضات على أساس "النقاط العشرة". رفض الجانب التركى القبرصى هذا القرار وهدد بإعلان "دولة مستقلة". وفى ٦ يونية ١٩٨٠م قرر الطرفان بدء المفاوضات. ولإرضاء الجانب التركى القبرصى قرر تقرير سكرتير عام الأمم المتحدة فكرة إزدواجية المناطق وتأمينها. وإنسحب رؤوف دنكتاش من الجلسة الأولى فى ٧ يونية. وبجهود مضاعفة من الأمم المتحدة وفى ٩ أغسطس ١٩٨٠م إنعقدت جولة أخرى للمفاوضات فى نيقوسيا على أساس إتفاق فبراير ١٩٧٧م ومايو ١٩٧٩م. كان الهدف المعلن من المفاوضات هو العمل على تأسيس "جمهورية فيدرالية ذات منطقتين أو إقليميين"، على أن تسوى مشكلة فاروشا برعاية الأمم المتحدة. ولأول مرة توافر حسن النية من الطرفين، وقبل الجانب اليونانى فكرة" جمهورية فيدرالية ذات إقليمين" ولكن بدون حدود رسمية، وأن يكون للحكومة المركزية من السلطة مايؤكد وحدة الدولة. بيد أن الجانب التركى أصر على وجود حدود رسمية فاصلة وعلى دولة كونفيدرالية. وعرض على الجانب اليونانى التنازل عن جزء صغير من فاروشا، على أن تظل تحت إدارتهم. ورفضوا كل الإجراءات التى تقدمت بها الحكومة القبرصية بهدف بناء الثقة بين الطرفين.

وفى ٥ أغسطس ١٩٨١م قدم الأتراك القبارصة مقترحاتهم الجديدة وتتلخص فى إرجاع ٢,٦٪ من الأراضى المحتلة، والسماح لـ ٣١ ألف فقط من اللاجئين اليونان القبارصة إلى منازلهم فى القطاع التركى. وحاول كورت فالدهايم التقريب بين وجهتى النظر وفشل فى مسعاه، لأن الجانب التركى ينطلق من رؤية دولة مستقلة ومنفصلة. وإزداد الأمر سوءً عندما هددت تركيا بغزو الجزء المتبقى من قبرص ١٩٨٢-١٩٨٣م بحجة أن "منظمات التحرير الأرمينية" هربت من بيروت (أمام الغزو الإسرائيلى آنذاك للبنان) إلى قبرص. ولم يعد أمام القبارصة اليونان سوى العودة من جديد للمجتمع الدولى.

وفى ١٣ مايو ١٩٨٣م وبأغلبية ساحقة صدر أقوى قرارات الجمعية العمومية للأمم المتحدة فى صالح قبرص (٣٧/٢٥٣)، وقام على أساس من صيغة إقترحتها كتلة دول عدم الإنحياز. طالب القرار بإنسحاب كافة قوات الغزو فوراً، والقبول المتبادل للحل العادل القائم على الإستقلال ووحدة الأراضى والسيادة، ورداً على هذا الموقف العادل من المجتمع الدولى إزاء قضية قبرص إتخذ الجانب التركى خطوتين خطيرتين، الأولى هى إصدار "ليرة تركية"، والثانية تأسيس "بنك مركزى". وفى ١٧ يونية ١٩٨٣م أقدم المجلس التشريعى فى الكيان التركى القبرصى على التصويت بإجراء إستفتاء شعبى لإعلان الإستقلال من طرف واحد، على أساس أن الشعب التركى القبرصى له الحق فى تقرير مصيره وإدارة شئونه. وفى ٨ أغسطس ١٩٨٣م بدأت المساعى فى الأمم المتحدة لتفادى هذا التدهور، وأطلقت الهيئة الدولية نداءً للطرفين بهدف تضييق الهوة بينهما وإستئناف المفاوضات. رد كيبريانو على هذا النداء الدولى بالإيجاب، ورفض دنكتاش هذه المبادرة جملة وتفصيلاً.

وفى ١٥ نوفمبر ١٩٨٣م وفى أثناء التحضير للقاء كيبريانو مع سكرتير عام الأمم المتحدة دى كويار أعلن المجلس التشريعى فى الكيان التركى "الجمهورية التركية فى شمال قبرص" (TRNC) دولة مستقلة. وحتى الآن لم تعترف بها إلا دولة واحدة فى العالم هى بالطبع تركيا. فتركيا هى التى سمحت بتغيير الأوضاع فى قبرص وتثبيت التقسيم وإعلان دولة مستقلة، مما يتناقض مع قرارات الأمم المتحدة والإتفاقيات الدولية بما فيها إتفاقية الضمان المعقودة بين بريطانيا واليونان وتركيا. ولقد رفض البرلمان الأوروبى إستقبال وفد من الكيان التركى المستقل حتى الآن. وفى ١٨ نوفمبر ١٩٨٣م إتخذ مجلس الأمن قراراً (رقم ٥٤١)، بناءً على صيغة مقترحة من بريطانيا، يدين هذه الدولة التركية المعلنة فى قبرص ويعتبرها كياناً غير شرعى، ويدعو إلى عدم الإعتراف بأية دولة مستقلة فى قبرص، فيما عدا الجمهورية القبرصية فى نيقوسيا.

وفى مؤتمر قمة الكومونولث بنيودلهى فى ٢٩ نوفمبر ١٩٨٣م صدر قرار يعتبر هذه الدويلة التركية فى قبرص "تحدياً للمجتمع الدولى". وتشكلت مجموعة عمل من خمسة دول لمساعدة الأمم المتحدة فى حل المشكلة القبرصية.

وبتوجيهات من مجلس الأمن حاول دى كويار أن يجمع بين الطرفين القبرصيين فى سبتمبر ١٩٨٤م فى نيويورك. وتمت الجولة الأولى ١-١٤ سبتمبر ١٩٨٤م ولم تسفر عن شيئ ذى قيمة لأن الجانب التركى أصر على قيام دولتين على قدم المساواة وتحت مظلة حكومة مركزية ضعيفة. وفى الجولة الثانية ١٥-٢٤ أكتوبر ١٩٨٤م والثالثة ٢٦ نوفمبر ١٩٨٤- ١٥ ديسمبر ١٩٨٤م تكررت نفس المواقف التركية المعروفة. ولكن الضغوط الدولية - لاسيما من أوروبا وأمريكا ودول عدم الإنحياز- ساعدت على الوصول إلى "مسودة إتفاق شامل"، أو صفقة شاملة تنص على دولة فيدرالية رئاسية ذات إقليميين وبحكومة مركزية من سبعة وزراء يونان وثلاثة أتراك وإثنين آخرين (من اليونان وتركيا فى الغالب). وخفض نسبة القطاع التركى من ٣٨٪ إلى ٢٩٪ أو أقل من ذلك، وتعود هذه الأراضى إلى القطاع اليونانى. يتم تشكيل برلمانين وينزع سلاح الجزيرة تدريجيا. تم التفاهم على توقيع هذا الإتفاق فى نيويورك يوم ١٧ يناير ١٩٨٥م، وأن يكون أساساً لدستور جديد. وتم عقد إجتماع قمة بين الطرفين فى نيويورك ١٧-٢٠ يناير ١٩٨٥م ولم يسفر عن أية نتيجة[١].

ولعله من المفيد أن نشير إلى أن معظم المحللين السياسيين يرون فى مشكلة قبرص تجسيداً للتآمر الإستعمارى على العالم الثالث. يقول المحلل السياسى والكاتب الصحفى محمد عيسى الشرقاوى:

"وفى ضوء هذا قد يمكن تفسير أحد الدوافع القوية وراء الإنقلاب الذى دبرته حكومة الجنرالات فى اليونان للإطاحة بالرئيس مكاريوس فى ١٩٧٤م، مما أدى إلى الغزو التركى للجزيرة دون أن تتحرك واشنطن أو أثينا لمنعه، وكأنه كان أمراً متفقا عليه.

وعند هذا الحد يتضح بجلاء أن المشكلة القبرصية ليست مشكلة طائفية بالدرجة الأولى وإنما هى نموذج للتآمر الأجنبى ضد إستقلال دولة، وأن سلاح التآمر كان تأليب طائفتى البلد الواحد فى إطار تطبيق الشعار الإستعمارى المعروف "فرق تسد".

---

(١) [Greek] Hatzedemetriou, pp. 315-332.

ولذا فإن الذين يلوحون بتقسيم الجزيـرة ينفذون مخططا إستعماريا ، وليس بخاف أن لعبة الإستعمار الجديد الآن هي محاولة تقسيم دول العالم الثالث بقصد شرذمتها. هل يكفي أن نشير إلى مايجرى في تشاد ولبنان للتدليل على ذلك؟ وأخيراً.. إن السبيل لحل المشكلة القبرصية يكمن في ضـرورة إصرار المجتمع الـدولى على تنفيذ قرارات الأمم المتحـدة بشأن قبرص، وأن يتم إنسحاب قوات الغزو التركيـة من الجزيرة، وأن توفر الضمانات اللازمة لضمان حقوق الأقلية القبرصية التركية في إطار دستورى، حتى يقطع الطريق على المؤامرة الأجنبية لتقسيم قبرص".

يقول ألكسندر كريلوف في مقال بعنوان "قبرص البلد المقسم إلى شطرين" والمنشور عام ١٩٩٠:

وتميزت الثمانينات بازدياد مطرد في عدد النازحين الأتراك ، وفي عـام ١٩٧٤م كان عـدد القبارصـة الأتراك حوالى ١٢٠ ألف شخص (عدد القبارصة اليونانيين ٥٠٠ ألـف)، وفي منتصـف الثمانينـات نـزح من تركيا إلى شمال قبرص حوالى ٥٠ ألف كما تقول مصادر أوربية، وحوالى ٦٥ ألفا كما تقـول مصـادر الحكومة القبرصية ، واسفر ذلك عن تبدل كبير في الموقـف السكاني في الجزيـرة لصـالح الطائفـة التركيـة وغـدا سببا للذوبان السريع لعناصر الاصالة الثقافية لدى القبارصة الأتراك بالمقارنة مع سكان تركيـا ، ان الاقامـة الطويلة الامد التي أدت إلى رسوخ جذور النازحين الأتراك في شمال قبرص بالاضافة إلى التكامل الاقتصـادى والسياسـى بين جمهورية شمال قبرص وتركيا قد جعلت انقسام الجزيرة امرا لا مفر منه في المستقبل المنظور ،

ان جمهورية شمال قبرص لا تتمتع في الواقع بأى استـقلال سياسى أو اقتصـادى، مع أنها تمتلـك كـل مستلزمات الدولة – حكومة ومجلسا تشريعيا وجيشـا ودسـتورا وهلمجـرا ، واعتبـاراً من عـام ١٩٧٤ جرى باطراد تكامل سياسى واقتصادى وثقافي بين القسم الشمالي من الجزيرة وتركيا تحت شعار الاتحاد الفيدرالى ثـم الانفصال ، وأن استقلال جمهورية شمال قبرص الذى طبلـوا لـه وزمروا مجرد اسطورة ، فإن أى قـرار تتخـذه حكومتها يتطلب استحسانا مسبقاً من جانب تركيا ،

الخاتمة كلمة عن آفاق المستقبل

تركيا دولة إسلامية شقيقة، وهي دولة كبرى في المنطقة وهي وريثة الامبراطورية العثمانية التي سيطرت على معظم الدول الإسلامية في أسيا وأفريقيا. وهي التي فرطت في هذه الدول لصالح الإستعمار الأوروبي في القرنين الماضيين. بعض الأسر الحاكمة في هذه الدولة كان من أصول تركية. وكثير من العائلات المصرية والعربية تعتد بجذورها التركية حتى الآن.

ولقد شعرت بهذه القرابة عندما زرت تركيا عام ١٩٧٣م وخلال شهر أبريل بالتحديد. دخلت تركيا من اليونان محل إقامتي آنذاك. وقضيت أجازة خيالية، متنقلا بين استانبول وتشاناكلي. في استانبول زرت متحف طوب كابي وسوق الذهب ومسجد أو كنسية أيا صوفيا، والمسجد الأزرق والذى تقف بالقرب منه مسلة مصرية حقيقية. وفي كل مكان سرت فيه وجدت عناصر مشتركة بيني وبين هؤلاء الناس، الذين يرطنون بلغة لا أعرفها ولا أفهمها. وأذكر القراء الأعزاء أن استانبول هي آخر صورة لإسم هذه المدينة القديمة، التي كان اسمها من قبل القسطنطينية أو باليونانية قسطنطينوبوليس Constantinopolis أى "مدينة قسطنطين". إنه الاسم الذى حملته هذه المدينة بعد أن أصبحت عاصمة الامبراطورية البيزنطية المسيحية، أما اسمها الأقدم فهو "بيزنطة". ووقعت في أيدى سليم الفاتح سنة ١٤٥٣م تقريباً، وصارت دولة اسلامية منذ ذلك التاريخ، وأقول كل ذلك في عجالة لمجرد أن أنبه القراء الأعزاء بطبيعة هذه المدينة الساحرة استانبول.

أما تشاناكلي فقد ذهبت إليها بهدف زيارة قرية حصار ليك القريبة، والتي هو طروادة القديمة طروادة التي تحدث عنها هوميروس في "الالياذة". لقد كانت سعادتي بلا حدود وأنا أقف بين أطلال طروادة القديمة موطن الملك برياموس وابنه هيكتور المدافع عنها وابنه الآخر باريس عشيق هيليني اليونانية، سبب كل هذه المصائب الطروادية، لقد بلغت نشوتي إلى حد أن تخيلت هيليني هذه بجوارى تحادثني وأحادثها باليونانية وبالفرنسية وبكل لغات العالم. ولكنني في تشاناكلي تحدثت مع أحد أصحاب المحلات السياحية بالعربية لقد قلت له "السلام عليكم"، فهب واقفا وكاد يمنحني كل شيء عنده بدون مقابل!

تلك هي تركيا الشعب والأرض، أما السياسة التركية فأمرها عجيب للغاية، بل وغير مفهومة تماما. لقد نشأت وترعرعت وخرجت من المدرسة والجامعة بفكرة مازالت راسخة عندى، وهي أن تركيا هي سبب تخلفنا عن ركب النهضة الأوروبية الحديثة، لقد تعلمنا في كتب التاريخ أن تركيا فرضت على المنطقة ستارا كثيفا من الإظلام منذ أواسط القرن الخامس عشر، وهو التاريخ الذى بدأت عنده شرارة النهضة الأوروبية في إيطاليا وفرنسا وسائر النصف الغربي من القارة الأوروبية، وظل هذا الستار مفروضا علينا حتى بدايات القرن العشرين مع بعض الإستثناءات. ووصلت تركيا إلى مرحلة الرجل المريض الذى تنتزع منه هذه الدرة أو تلك إستباقا لموته المتوقع. وكانت دولنا العربية هي تلك الدرر التي وقعت في أيدى إنجلترا وفرنسا وغيرهما. وبعض ما نعانيه الآن هو حصاد تلك الليلة التركية الطويلة الممتدة لأربعة قرون.

هذه الفكرة منطبعة في ذهني، ولعبت الأفلام والمسرحيات المصرية دوراً في ذلك، فصورة الأغا التركي الأمي وجلفدان وطبوزادة والباشا والأسرة الملكية الحاكمة... إلخ. كل ذلك تراه على الشاشة الفضية

حتى يومنا هذا. ومن خلال مطالعاتي التاريخية المتواضعة لاحظت أن تركيا فعلاً متذبذبة بين آسيا وأوروبا، وهي متارجحة بين العالم العربي وأعدائه، وبين كونها دولة إسلامية وكياناً علمانيا. ومنذ مصطفى كمال أتاتورك وتركيا تتقرب إلى أوروبا بكل الوسائل، حتى إنها إستبدلت بالحروف العربية الحروف اللاتينية، ولكن هذا كله لم يجعل من تركيا دولة أوروبية. لقد رقصت تركيا على السلم الأوروبي طويلا، ودق لها الغرب الدفوف، ولكنهم لم يسمحوا لها قط بدخول صالة الزفاف في العرس الأوروبي.

وفي الدراسات التاريخية بالعالم العربي تجد من يؤكدون هذه الفكرة المنطبعة في ذهني منذ الصغر، وتجد أيضاً من يدافعون عن الدولة العثمانية المفترى عليها ،

وبعد سقوط الإتحاد السوفيتي لم يعد لتركيا أهمية تذكر في جدول الأعمال الأوروبي، وفهمت تركيا ذلك فتحولت ناحية الشرق الأوسط تبحث لها عن دور، وبدأت الضغوط على العراق وسوريا بشأن مياه الفرات. وبدأ التلويح لإسرائيل بإمدادات المياه الوفيرة. وإذا كان الموقف المصري مشرفاً في حرب الخليج الثانية، من حيث الوقوف ضد العدوان العراقي على الكويت. فإن الموقف التركي لم يكن مشرفاً على الإطلاق، وأنا شخصيا كنت أتشاءم من جولات أوزال الرئيس التركي أنذاك في المنطقة. كان يبحث عن إقتناص الفرص ليس إلا. ولا أرى أصدق من العبارة التي قالها العقيد القذافي عن تركيا، إذ قال: إن تركيا إمرأة مطلقة تبحث عن زواج جديد في الشرق الأوسط. وكان يقصد أن أوروبا هي التي طلقت تركيا.

وتركيا هي التي شجعت الأكراد في شمال العراق على التمرد ضد الحكومة المركزية في بغداد، قبل صدام وبعد صدام. وأذكر في حديث لي مع أحد الساسة الأجانب في الثمانينيات، فقلت له: ستدفع تركيا الثمن غاليا لهذه السياسة الرعناء، لأن أكراد تركيا سيفيدون من ذلك. ولم تمضي بضع سنوات حتى حدث ماتوقعت. ولكن تركيا تنجرف من خطأ إلى آخر، فهي تحاول حل مشكلتها الكردية على حساب وحدة التراب العراقي، وبلغت السفاهة بهم إلى حد المطالبة بالموصل.

وسيسعد الغرب بهذا التخبط التركي[1] ، لأن هذه الحفرة الكردية في شمال العراق ستشغل تركيا عن البلقان ولاسيما البوسنة. أو على الأقل ستكون هناك فرصة للمساومة المربحة بالنسبة للطرف الآخر. ولكن العرب الذين وقفوا ضد صدام حسين في غزوه الأبله للكويت مطالبون بالوقوف ضد تركيا في غزوها الإستفزازي لشمال العراق.

ومن منطلق علاقاتنا الأخوية مع الأتراك وتقديراً للروابط التاريخية بيننا، وبغض النظر عن الشوائب العالقة. نقول لتركيا المرأة المطلقة إبحثي لك عن عريس آخر غير شمال العراق.

---

(١) بدأت في الفترة الأخيرة تظهر بعض الكتابات الصحفية في مصر تحلل هذا التخبط التركي بين الدين والعلمانية من جهة وبين الشرق والغرب من جهة أخرى. على سبيل المثال راجع مقال محمد سلماوي – العلماني – بعنوان "المتطرفون وقردة أتاتورك" جريدة الأهرام. عدد ١٩٩٧/٢/٢٤، ص١٩. وقارن فهمي هويدي – الإسلامي – جريدة الأهرام، عدد ١٩٩٧/٣/١١، ص٣.

وعلى الناحية الأخرى لنا مع الشعب اليونانى علاقات مودة وحب وتقدير منذ آلاف السنين • إلى مصر منذ القديم حج الأدباء والفلاسفة والشعراء اليونانيون، وعادوا إلى وطنهم ليتغنوا بحضارة مصر وعراقتها، فصارت كتاباتهم وأشعارهم من المصادر الأولية لأى باحث فى المصريات • فنحن لانستطيع دراسة مصر تاريخا وحضارة بدون كتابات هو ميروس وهيرودوت وأيسخولوس ويوريبيديس وأفلاطون وبلوتارخوس وسترابون.. الخ • ثم صارت الإسكندرية رمزا للزواج المقدس بين مصر واليونان، وهو زواج حضارى يقوم على أسس السلام. والسلام بالمفهوم المصرى-اليونانى الأصيل هو سلام الإخاء بين الشعوب، سلام الإحترام المتبادل على أساس المودة والحب وتبادل المنافع. ولذلك تجد المعابد اليونانية وأوراق البردى اليونانية فى كل مكان بمصر • وفى المقابل نجد معابد إيزيس وأوزوريس وسرابيس منتشرة فى اليونان، وتستطيع أن تشاهد التماثيل المصرية القديمة فى كل المتاحف اليونانية.

وفى القرن العشرين تغنى بجمال مصر وحضارتها وطيبة شعبها كل الأدباء والشعراء، وفى مقدمتهم كازانتزاكيس- الذى كان يفخر بدماء عربية فى عروقه -وكافافيس أبن الإسكندرية البار. فى أثناء زيارته للقاهرة يرسل كازانتزاكيس منها رسالة بتاريخ أول فبراير ١٩٢٧م يقول فيها "روحى تمتلئ بالشرق من جديد.. هذه المدينة أعجوبة". وفى رسالة أخرى كتبها فى اليوم التالى يقول: "كنوز المتحف لا يمكن وصفها. قبر توت عنخ أمون كله من ذهب.. إن كل تلك الزخارف والجواهر، والأوانى والأدوات الذهبية، وذلك الألق الغريب والمربك، تبعث شعوراً بالهول".

وفى رسالة من الأقصر مؤرخة بيوم ٧ فبراير ١٩٢٧م يقول كازانتزاكيس: "النيل ينساب هادئا فيروى ويخصب مايدركه. وكل ما لايسقيه يظل عقيما غير مخصب إلى الأبد، كذلك هو الفكر".

وأسمع لكافافيس شاعر الإسكندرية يخاطب أوديسيوس بطل ملحمة هوميروس الخالدة "الأوديسيا" فيقول فى قصيدته الرائعة "إيثاكى" وهى موطن البطل الذى يسعى للعودة إليه بعد غياب دام عشرين عاما:

"تريث.. ولا تتعجل طريق العودة
وتوقف عند تجار فينيقيا
خذ منهم أثمن البضائع
عروق اللؤلؤ والمرجان
وألواح الأبنوس والكهرمان
وعطور اللذة صنوف وصنوف
ومن عطور اللذة هذه اغترف!.
أقصى ماتستطيع لاتتردد.. إغترف!.
ثم إقترب من مدن مصرية كثيرة
وهناك أطلب العلم.. أطلبه من أرباب العلم،

وشجب الجانبان المصرى واليونانى التحالفات الاقليمية المشبوهة. ومن ثم فإن المواطن العادى فى مصر واليونان وغيرهما ربط على الفور بين أمور ثلاثة وقعت متعاقبة عام ١٩٩٦م وهى: التحالف الإسرائيلى التركى العسكرى، العدوان الإسرائيلى الغاشم على لبنان أى "عناقيد الغضب" والحادث الإرهابى ضد السائحين اليونان، وأقام المواطن العادى علاقة سببية -تقوم على أساس قانون الضرورة والرجحان- بين الأحداث الثلاثة. فكل منها قد أدى إلى الآخر، على نحو مباشر أو غير مباشر. أو أن كلا منها قد أسهم فى تهيئة المناخ للآخر.

ولقد سبق لنا أن عبرنا عن رأينا المتفق مع عبارة للعقيد القذافى تقول بأن تركيا تبدو فى العقدين الأخيرين وكأنها إمرأة مطلقة تبحث عن الزواج بأى ثمن، طلقها الإتحاد الأوروبى بعد سقوط الإتحاد السوفيتى وإنتهاء الحرب الباردة. بحثت عن "العريس" أثناء حرب الخليج الثانية، فوجدته فى شمال العراق وشجعت الأكراد على الإنفصال ولكنها دفعت الثمن غاليا لأكراد حزب العمال التركى، وكانت فضيحتها بجلاجل.

ونحن لانتعجب عندما تضرب إسرائيل العراق ولبنان وفلسطين وغيرها. فتلك هى الطبيعة الأصيلة لإسرائيل وتعودنا عليها. الذى فاجأنا هو أنها دخلت لعبة السلام، ولكنها كما اتضح فيما بعد كانت تلعب دور الممثل الهازل، ويبدو أنها ضاقت بالهزل وعادت للأصل، للعدوان. أما تركيا العضو فى منظمة الدول الإسلامية وجارة العالم العربى فإنها -على غير المنتظر- دأبت فى العقود الأخيرة على تعكير صفو العلاقات مع العرب. فهى تضغط على العراق وسوريا بمسألة المياه العذبة فى الفرات. وأقامت السدود للتحكم فى إمدادات هذه المياه وقطعها فى الوقت المناسب، وهى تريد أن تزرع صحراء النقب الاسرائيلية بمياه تركية حتى لايقف المفاعل النووى الإسرائيلى فى الصحراء الجرداء بمفرده.

أما الإتفاق العسكرى الأخير بين تركيا وإسرائيل فهو يفتح الأجواء التركية للطائرات الإسرائيلية، ولقد إختار الطرفان أسوأ وقت لتوقيع مثل هذا الإتفاق، فمسار السلام السورى اللبنانى مع إسرائيل متعثر إلى أقصى حد، وهذا التعاون العسكرى بين تركيا واسرائيل يمثل عنصر ضغط على سوريا فى المفاوضات. فهذا التحالف يمثل سوطا مسلطا على ظهر سوريا (والعراق ولبنان). ومن حقنا أن نسأل عن المقابل الذى إقتضته تركيا من أسرائيل، وهنا يبرز التحليل السياسى القائل بأن اسرائيل ضربت قواعد حزب العمل الكردى التركى فى لبنان والطائرات الإسرائيلية المغيرة تستطيع أن تقوم بالتجسس والتصوير وإرسال المعلومات إلى تركيا. المهم أن الأخيرة قد فتحت مجال التعاون العسكرى مع إسرائيل الخصم اللدود فى الحرب والسلم للعالم العربى بأسره.

تركيا بذلك تريد أن تضع نفسها فى معسكر أمريكا وحلف الأطلنطى، ولكنها مهما فعلت لن تكسب هذا الطرف الذى طلقها طلقة بائنة، ولاسيما بعد أن غزت تركيا قبرص فى يوليو ١٩٧٤م.

والعالم العربى كله مطالب بإتخاذ موقف حازم مع تركيا، التى أفسدت طريق السلام وعكرت المياه من حولنا، ولاتتوانى عن تهديد أشقائنا فى العراق وسوريا ولبنان، إن مجرد كلمات الإحتجاج لاتكفى وينبغى أن

نعامل تركيا بالمثل ومصالحها فى العالم العربى لاتعد ولا تحصى، هذا مع أننا نقدر مشاعر الشعب التركى الشقيق، والذى تظاهر أمام القنصلية الإسرائيلية إحتجاجا على الوحشية التى هوجم بها الشعب اللبنانى المسالم فى غارات "عناقيد الغضب".

لقد كتبت منذ حوالى عامين مطالبين بتصحيح المسار فى علاقاتنا الثقافية مع اليونان، ولم نكن نتوقع هذا الصدى الواسع والعميق لما كتبنا. مثلا على مستوى الحكومة اليونانية وشعبها الصديق، فقد كان رد فعله غاية فى التحضر وقمة فى الإحساس بالمسئولية. لقد طالبنا فى مقالنا بتوسيع دائرة العلاقات الثقافية مع اليونان والتركيز على الجامعات المصرية التى أنشأت قسما للدراسات اليونانية بها. وفى الواقع نشرنا كلامنا هذا من قبل فى الصحافة اليونانية ووسائل الإعلام المختلفة هناك، وطالبنا فى أكثر من مؤتمر باليونان أمام أساتذة الجامعة هناك، وكذا أمام المسئولين من وزارة الخارجية والتعليم والثقافة. طالبنا بمطلبين رئيسيين الأول هو زيادة عدد المنح الدراسية لطلاب العلم المصريين فى هذا التخصص، وقلت لهم هناك بالحرف الواحد "يوجد الآن باليونان ممنوح مصرى واحد وعلى أيامى كنا حوالى عشرة".

أما المطلب الثانى: فهو الإهتمام بالدراسات المصرية والعربية فى الجامعات اليونانية. وكان الرد اليونانى ذروة فى الوعى التاريخى وفى النبل كذلك. ويكفى فقط أن نعلن هنا أن عدد المنح الدراسية المقدمة سنويا من اليونان للمصريين قد بلغ فى الأعوام الأخيرة ما يربو على الخمس والعشرين.

أما بالنسبة للدراسات المصرية والعربية باليونان ففى حدود ما أعلم لم يحدث تقدم يذكر. ولكن جانبا كبيرا من المسئولية فى هذا المجال نتحمله نحن، أى الجانب المصرى والعربى. وعلينا أن نلتقط الخيط، ومن حقنا أن نشترط تعلم اللغة العربية على أى ممنوح أجنبى، لكن علينا أن نفتح الأبواب وبالذات أمام اليونان والقبارصة.

بالنسبة لليونان لسنا بحاجة لبناء جسور الصداقة والود، فهى موجودة منذ القدم ومستمرة إلى يومنا هذا... المطلوب فقط أن نستغل هذه الجسور ونبنى عليها، لا أن نتركها تتآكل. والخطوة الأولى فى هذا السبيل هى ترسيخ الوعى التاريخى لدى الطرفين بعمق العلاقات بينهما. ذلك أن ذاكرة الإنسان– أى إنسان– ضعيفة وترهقها فيضانات المعلومات والتداخلات. لكن التاريخ وحده لا يصنع علاقات سياسية بين الدول، إن لم يدعمه الإقتصاد ومبدأ تبادل المنافع الملموسة على أساس "هات وخذ".

والناظر لخريطة أوروبا سيلاحظ ثلاثة إمتدادات برية أى شبه جزر ممتدة من الشمال إلى الجنوب، وتكاد تلامس الأرض العربية، وهى بالترتيب من الشرق اليونان وإيطاليا وأسبانيا. هذه النتوءات البرية الممتدة إلينا تمثل فى الواقع جسورا حضارية وتجارية بيننا وبين أوروبا. وشعوب هذه الأراضى تحس بالإقتراب منا وتتعاطف معنا، ولكن ليس بنفس الدرجة. ويؤسفنى القول بأن اليونان هى أقل البلدان المذكورة إلتصاقاً بنا مع أنها الأقرب إلينا جغرافيا، فلماذا؟

هناك أسباب واضحة ومفهومة، منها أن الإستعمار التركى الغاشم لليونان طيلة أربعة قرون نجح فى تشويه الإسلام وخلطه –هكذا مشوها– بالعروبة. ورسخت هذه الصورة المشوهة فى العقلية اليونانية،

وتركت بصمات من العسير محوها، ومن نتائج هذا الوضع إتجهت اليونان دوما ناحية الغرب المنقذ. وهى على هذه الحال إلى يومنا هذا. لكن علمنا أن الأمور بدأت تتغير وتتحرك نحو الأفضل لكن ببطء شديد، لا يتناسب مع إيقاع العصر والمتغيرات العالمية.

وإذا كانت أوروبا والغرب يتجهون شرقا الآن بحثا عن الأسواق والمصالح الإقتصادية. وبعض هذه الدول ليس لها ما لليونان من رصيد فى العلاقات التاريخية والحضارية مع مصر والشعوب العربية، فهل من المعقول أن تتأخر اليونان عن هذا الركب؟

اليونانيون هم أول شعب أوروبى يتجه شرقا فى عصور ما قبل التاريخ. هم الذين جاءوا إلى مصر، ونهلوا من نيلها ومعارفها. وتشهد بذلك بقايا أقدم حضارة يونانية وهى الحضارة المينوية فى كريت، التى إزدهرت فى الألف الثانية قبل الميلاد. ثم أقام اليونان فى القرن السادس ق.م مستوطنة لهم فى مصر أسموها. نوقراطيس وهى بالقرب من إيتاى البارود وتسمى الآن كوم جعيفة. ثم توالت وفود الدارسين الذين تعلموا فى مصر، ثم أصبحوا عند عودتهم إلى اليونان أدباء وشعراء وفلاسفة ومؤرخين مرموقين. ونذكر منهم سولون وفيثاغورس وأفلاطون وهيرودوت وبلوتارخوس، والقائمة طويلة جدا.

وعندما جاء الإسكندر الأكبر وزار واحة سيوة وسماه كهنة أمون هناك... "إبن الإله" أسس مدينة الإسكندرية. وانطلق يفتح بلدان العالم بهذا اللقب "إبن الاله"، الذى إكتسبه فى مصر التى صارت دولة يونانية (بطلمية). وهكذا إمتزجت الحضارتان إمتزاجا كاملا ويظهر ذلك جليا فى مكتبة الإسكندرية وحضارتها.

ولكن هذا الإمتزاج الحضارى له شواهد لايحصيها الحصر، فأنت تجد فى اليونان تماثيل مصرية وأوانى فخارية وتجليات للتأثيرات الحضارية. وأنت تجد فى مصر النصوص اليونانية البردية والمعابد والتماثيل اليونانية. وهذا كله معناه ببساطة شديدة جدا أنه لا غنى لليونان عن مصر وحضارة مصر ولغة مصر. وفى المقابل لا غنى لمصر عن اليونان وحضارة اليونان، ولغة اليونان فكل منهما يلقى الضوء على الآخر.

ومن الواضح الذى لا يحتاج إلى تبيان أن أى تقارب مصرى - يونانى لابد أن يبدأ حضاريا وثقافيا، وهو ما سبق أن ذكرناه، أى ترسيخ الوعى التاريخى بعمق العلاقات بين الشعبين. ولذلك بذلنا أقصى مانستطيع فى سبيل تدعيم الدراسات اليونانية فى مصر خدمة للتراث المصرى والعربى القوميين من ناحية، وإسهاما فى ترسيخ هذا الوعى التاريخى من ناحية أخرى. وفى نفس الوقت لا نكف عن تذكير اليونانيين بأنهم لن يفهموا تراث بلادهم فهما كاملا بدون اللغة المصرية القديمة واللغة العربية. ونصر فى خطابنا لهم على ضرورة تأسيس أقسام علمية فى جامعاتهم تقوم على هذين التخصصين المفتقدين عندهم. ونحن لا نرضى لليونان أن يتخلف عن بقية الدول الأوروبية فى هذا المجال. ونحن لا ننكر وجود بدايات مشجعة للإستشراق فى اليونان، ولكنها لاتتطور بالقدر الكافى ونضيف إلى ذلك رأينا بأن الجانب المصرى والعربى مطالب بتوجيه أقصى قدر ممكن من العناية والرعاية لهذا الإتجاه. ونأمل بأن نشهد فى اليونان قريبا نهضة للدراسات المصرية

والعربية توازى وتواكب الجهود المبذولة هنا فى مصر بالنسبة لتطوير الدراسات اليونانية التى أسسها طه حسين فى الجامعة المصرية منذ نشأتها أى من بدايات هذا القرن.

ولكى نقترب من أرض الواقع أكثر وأكثر، علينا أن نتسلح بالنزعة البرجماتية الصريحة. ونسأل ماذا يمكن أن تقدم اليونان لمصر والعالم العربى؟ فالبعض يتصور أن اليونان بملايينها العشرة تقريبا وإقتصادها القائم على المساعدات الأوروبية لاتستطيع أن تقدم لنا شيئا يذكر. فاليونان لا تملك سوى بقايا الحضارة القديمة، وهو ما لا ينفعنا بشيء. طبعا هذا تصور قاصر ويحتاج إلى تصويب، لأن اليونان بإيجاز شديد هى المدخل الثقافى والبوابة الآسيوية إلى أوروبا، الأوروبيون يتعلمون اليونانية فى المدارس الإعدادية والثانوية، ويعتبرون هوميروس وسوفوكليس وأرسطو من أجدادهم. ولذلك تعد الثقافة اليونانية مدخلا مهما إلى عقل أوروبا وقلبها أيضاً. وفى هذا الصدد أذكر أن توفيق الحكيم فى مذكراته "عصفور من الشرق" تسلل إلى قلب حبيبته الفرنسية سوزى متوسلا بقصيدة لشاعر إغريقى غنائى هو أناكريون. قرأها أمامها بالفرنسية ففهمت من ذلك أنه يحبها. القصيدة ترجمها توفيق الحكيم فى كتابه المذكور بعنوان "المعركة" ويعنى معركة الحب التى يخسرها كل من يقاوم الحب. وبالبحث وجدت أن العنوان الأصلى للقصيدة هو "إلى إله الحب" (EIS EROTA).

إذن فاليونان يمكن أن تكون أحد المنافذ إلى قلب الإتحاد الأوروبى، وهى بصداقتها معنا يمكن أن تحافظ على موازين القوى فى شرق البحر المتوسط. ناهيك عن الأمال المعقودة على التعاون السياحى. فاليونان هى من أكثر دول العالم جذبا للسياح، وإذا نجحنا فى توحيد السوق السياحية فيما بيننا سنخدم بلدينا، مع العلم بأن السياحة والثقافة فى تداخل مستمر. أما التبادل التجارى فهو الذى ينبغى أن يحصد كل تلك الثمار. القرب الجغرافى والتقارب الثقافى والسياسى إن هى إلا روافد تصب فى هذا المجرى، الذى ينبغى أن نوسعه إلى أقصى حد ممكن.

وإنطلاقا من مبدأ التبادلية أى تبادل المنافع، فنحن نسأل وماذا يمكن أن تقدم مصر لليونان؟ فبالإضافة إلى مايعرفه الجميع ويرددونه، أى أن مصر هى بوابة العالم العربى والجزء الأكبر من أفريقيا نقول إن مصر قوة كبرى فى منطقة حوض البحر المتوسط الشرقى، وهى تسهم فى الكثير مما يبذل لحل المشكلات بالمنطقة، وأوضح مثل على ذلك مشكلة السلام. واليونان دولة تشاركنا العيش فى هذه المنطقة ولها مشكلات مستعصية مع تركيا. ولعل من أهم المشكلات التى تقلق المنطقة وتزعج اليونان بصفة خاصة هى مشكلة قبرص. يمكن لمصر أن تلعب دورا بارزاً لأن علاقاتها بالطرفين علاقات تاريخية راسخة. ونحن نعتقد أن دور مصر حيوى فى هذه المشكلة. ولعلنا هنا نتذكر العلاقات الخاصة التى كانت تربط بين عبد الناصر ومكاريوس. فهذه العلاقات لم تنبع من فراغ، ثم أن لمصر موقفا حاسما فى هذه المشكلة يقوم على تأييد وحدة الأراضى القبرصية وإستقلالها.

إن ترسيخ الوعى التاريخى بعمق العلاقات بين البلدين يمكن أن يدعم مبدأ تبادل المنافع ومما يخلق لكل منهما قوة إضافية يستعين بها فى حل مشاكله، أو فى جنى ثمار التبادل التجارى والثقافى، أو فى التنمية الشاملة لشعوب المنطقة.

جاءت مسيرة الدراجات القبرصية التى قادها مواطنوها القبارصة اليونانيون، وإقتحموا الأسلاك الشائكة والفاصلة بين جزءى الجزيرة لتوقظ العالم، حتى لا تنسى مشكلة سياسية وإنسانية مستعصية حدث ذلك فى أغسطس ١٩٩٦م. ففى خضم أحداث الشرق الأوسط المتلاحقة الساخنة منها والباردة. الساعية للسلم أو قارعة طبول الحرب، نسيت قبرص وكان ينبغى ألا ننسى أن مشكلة قبرص وثيقة الصلة بالشرق الأوسط. فالمتأمل المدقق سيلاحظ أن "مسيرة الدراجات" القبرصية ترتبط بتوابع الاتفاقية العسكرية بين إسرائيل وتركيا. وسيربطها كذلك بالتقلبات التركية فى السياسة الخارجية ولاسيما ظاهرة "أربكان" الذى أربك مخططى السياسة الأمريكان، أما اليونان فلقد لجأت إلى أيران للتوسط فى النزاع بينها وبين تركيا. هكذا يعاد توزيع أوراق اللعبة بين اللاعبين، فما هو دور ورقة قبرص فى هذه اللعبة؟

وتمهيدا للإجابة عن هذا السؤال نود الإشارة إلى أن المشكلة القبرصية قديمة جدا وتمتد جذورها فى التاريخ إلى عشرات القرون. فتكوين الجزيرة نفسه وموقعها الجغرافى الحدودى جعلها منطقة نزاع وصراع منذ الأزل، وهى مع ذلك نقطة إلتقاء حضارى تجمع بين الشرق والغرب وبين الأديان السماوية المعروفة. فهى ملتصقة بالساحل الآسيوى وقريبة من لبنان وسوريا وتركيا على المستوى الجغرافى والمادى والثقافى المعنوى. ولكنها فى نفس الوقت جزء عضوى من الحضارة اليونانية العريقة، وبذلك تنتمى تاريخيا وتراثيا إلى أوروبا. وقد يأتى الوقت لنتحدث بالتفصيل عن العلاقة التاريخية العريقة بين مصر وقبرص والممتدة إلى يومنا هذا. إنها إذن جزيرة صغيرة تتنازعها قارات ثلاث أسيا وأوروبا وأفريقيا. وعبر مراحل التاريخ المتتالية عانى أهل الجزيرة مر المعاناة، ودفعوا ثمنا غاليا. ولم يمر على الجزيرة عقد واحد من الزمن دون منغصات من الشرق أو من الغرب، من الشمال أو من الجنوب.

وبعد صراع مرير إنتهى الأمر بقيام جمهورية قبرص وبزعامة مكاريوس وبوجود مجموعتين سكانيتين. الأولى فى الأغلبية اليونانية (حوالى ٨٣٪)، أما الثانية فهى أقلية تركية لاتصل إلى خمس تعداد السكان. وكان يمكن أن تستمر الأمور وتسير سفينة قبرص فى هدوء إلى بر الأمان. ولكن القوى الخارجية تسببت فى قلاقل داخلية، وسارت الأمور من سيئ إلى أسوأ، وإنتهت بكارثة حقيقية هى الغزو التركى للجزيرة فى يوليو ١٩٧٤م. ومما يزيد شعور القبارصة اليونانيين بهذه الكارثة أن السبب المباشر والمعلن فيها هم أشقاؤهم اليونانيون. إذ كانت حكومة الكولونيلات الدكتاتورية تحكم فى أثينا وتدبر المؤامرات، ومنها مؤامرة ضد مكاريوس للتخلص منه وأعلان إتحاد قبرص مع اليونان، وهذا أمر نصت معاهدات سابقة دولية على حظره، ورفع شعار توفيقى "لا إتحاد مع اليونان ولا تقسيم للجزيرة".

المهم أن الغزو التركى الذى مر عليه الآن مايقرب من ربع قرن أوجد حالة من الإستعصاء فى المشكلة القبرصية. والسبب هو التدخل الخارجى، لأن أهل قبرص اليونانيين والأتراك كان يمكن أن يعيشوا فى وئام وسلام. وفى مراحل تاريخية سابقة أداروا معاً دفة الأمور على خير ما يرام. أما الآن فهذا أمر من المحال تحقيقه، إذ سالت الدماء على جانبى الخط الفاصل بينهما، وشرد الغزو التركى مئات الألوف من القبارصة اليونانيين الذين فقدوا ممتلكاتهم وأحلامهم فى مستقبل آمن، فقدوها فى الجزء الشمالى من قبرص الذى تحتله تركيا، فهم لاجئون مهّجرون.

والذى يزيد من حالة الإستعصاء فى المشكلة القبرصية أنها تدخل فى دوائر عدة متداخلة ومتقاطعة، مما يجعل التنسيق والتوفيق بينها من المحال. فإذا أخذنا أقرب هذه الدوائر إلتصاقا بالمشكلة، وأعنى دائرة العلاقات التركية -اليونانية سنكتشف أن قبرص لاتمثل سوى "ورقة" واحدة- لعلها الأهم -من بين عدة أوراق وقضايا ونزاعات تمتد إلى أربعة قرون مضت، عندما كانت اليونان جزءاً من الامبراطورية العثمانية. هناك "عقدة تركية" فى ضمير الشعب اليونانى لا يمكن التخلص منها بسهولة، لأنهم عانوا من الإحتلال التركى الأمرين، ويعتبرون أن تركيا هى سبب تخلفهم عن سائر أوروبا فيما يسمونه "الليلة الطويلة" من القرن الخامس عشر إلى القرن العشرين (أو حتى القرن التاسع عشر مع الثورة اليونانية ١٨٢١م). فى هذه القرون حدثت النهضة الأوروبية الغربية، وتخلفت عنها اليونان بسبب الإحتلال التركى. ناهيك عن مأساة أسيا الصغرى وغيرها من المآسى التى تستشعرها اليونان وتطفو على السطح كلما شب خلاف حول السيادة على جزيرة صغيرة ومهجورة هنا أو هناك فى بحر إيجة.

لا أمل إذن فى حل المشكلة القبرصية من خلال الدائرة اليونانية - التركية وحدها. أما الدائرة الثانية المهمة فهى الدائرة الأوروبية. فقبرص نفسها تعد جزءاً من أوروبا، أو هكذا يراد لها أن تكون. ويتم الإستعداد لدخولها فى الإتحاد الأوروبى، وهناك إتجاه للإسراع فى هذه الخطوة حتى قبل حل المشكلة، على أساس أن هذه الخطوة نفسها قد تكون عاملاً رئيسيا فى الحل(*). وفى هذا الصدد نشير إلى أن اليونان هى التى تقف حجر عثرة فى طريق تركيا، التى تسعى للإتحاد الجمركى مع الإتحاد الأوروبى. وتشترط اليونان حل المشكلة القبرصية وسحب القوات التركية من الجزيرة أولاً. وفى الواقع يستشعر المرء بتعاطف أوروبى عام مع الشعب والحكومة القبرصيين، ولذلك أسباب عدة، نذكر منها أن الضمير الأوروبى يحس بأن قبرص كانت ضحية الإستعمار الإفرنجى واللاتينى والأنجلوساكسونى (لاسيما الأسرة الإفرنجية اللوسينيانية والبندقية وإنجلترا"، الذى ضيعها وجعلها تقع فى أيدى الدولة العثمانية تلك القوة الشرقية المسلمة. والمتتبع لمراحل التاريخ القبرصى يلاحظ أن معاناة القبارصة الأرثوذوكس فى ظل الحكم اللاتينى الكاثوليكى كانت بلا حدود، وفاقت فى بعض الحالات المعاناة فى مراحل تاريخية أخرى. وكانت هذه المعاناة هى التى أضعفت قبرص سياسياً وإقتصاديا، وأوجدت الإنقسام فى المجتمع بين الأغلبية اليونانية والأقلية التركية. وهو ما تعانى منه الجزيرة حتى الآن، وبلغ الكرب مداه بالغزو التركى الذى قضى على كل أمل فى حل إنسانى عادل.

أما الدائرة الشرق أوسطية التى تنخرط فيها المشكلة القبرصية فقد تغيب عن الأذهان وتتوارى عن الملاحظة. وتحتاج إلى تبيان. ومع أن المجال لايتسع للتفاصيل فسنكتفى بالإشارة إلى أن المشكلة القبرصية واكبت الصراع العربى الإسرائيلى وتفاعلت معه سلباً وإيجاباً، صعوداً وهبوطا. ولعل البحث المدقق فى العلاقة الخاصة التى جمعت بين مكاريوس وكل من جمال عبد الناصر وياسر عرفات يستطيع أن يضع أيدينا على تفاصيل مذهلة فى هذا المجال. كما أن نشاط الموساد والمخابرات المركزية الأمريكية والإنجليزية فى قبرص لدليل قوى على الإرتباط الوثيق بين مشكلات الشرق الأوسط وقبرص. وفى كثير من الحالات تغزو القوات

(*) راجع Cyprus and the European Community. Euroconsult. Ltd. Nicosia. 1991. passim

الأجنبية مصر أو غيرها من البلاد العربية إنطلاقا من قبرص. حدث ذلك في الحروب الصليبية وأخر مثل على ذلك العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦م حيث إنطلقت طائرات بريطانيا وفرنسا من قاعدتها في قبرص.

وتستخدم قبرص قاعدة للتجسس على دول الشرق الأوسط، فمنها انطلقت طائرات التجسس الغربية عام ١٩٧٠م لتصوير حائط صواريخ سام الذى بنته مصر كخطوة أولى فى حرب الاستنزاف التى مهدت لانتصار أكتوبر ١٩٧٣م. وكل ذلك ينهض دليلاً قاطعاً على أن ورقة قبرص جزء من لعبة الشرق الأوسط الحربية أو السلمية.

أما أمريكا فهى دائرة كل الدوائر سالفة الذكر. إنها المهيمنة على كل تلك الدوائر. وتصفى أحيانا حساباتها مع كل القوى فى الشرق الأوسط وشرق البحر المتوسط فى قبرص، فمن الغريب أن أمريكا هى التى سبقت غيرها فى إدانة قتل أحد أفراد مسيرة الدراجات القبرصية، عندما حاول إنزال العلم التركي! كنا نتمنى أن يكون موقفها هذا نابعا من شعور حقيقى بضرورة حل المشكلة وإنصاف المظلومين. ولكنها كانت فى الواقع ترد على ظاهرة "أربكان" الشرق أوسطية. وهكذا تفعل كل الأطراف المتورطة فى المشكلة القبرصية، إنها تصفى حساباتها فيما بينها على حساب وحدة قبرص وسلامة أراضيها والوئام بين مجموعتى سكانها. هكذا كانت لبنان إلى عهد قريب. وكثيراً ما ترتبط فى ذهنى مشكلات قبرص بمآسي لبنان وفلسطين.

وها نحن فى مطلع عام ١٩٩٧م نشاهد بزوغ أزمة جديدة عندما قررت الحكومة القبرصية نشر صواريخ روسية جو- أرض للدفاع عن نفسها. فكل التصريحات التى خرجت من أنقرة وأثينا وواشنطون وموسكو تذكرنا بقواعد اللعبة التقليدية السائدة فى هذا الإقليم منذ زمن. وفى أوائل يوليو من نفس العام بدأت مفاوضات بين زعيمى الطائفتين القبرصيتين فى نيويورك تحت رعاية الأمين العام للأمم المتحدة ولم تسفر عن شئ ذى قيمة سوى الإتفاق على استئناف المباحثات فى جنيف فى أغسطس ١٩٩٧م.

كان هناك إتجاه فى السياسة الدولية فحواه أن تنتظر قبرص بعض الوقت قبل أن تلحق بقطار السلام الذى إنطلق فى الشرق الأوسط، فجاءت مسيرة الدراجات وأزمة الصواريخ لتقولا لنا أن الأفضل أن تلحق قبرص بهذا القطار فى أقرب فرصة وإلا فعليها أن تنتظر لعدة قرون قادمة. فالخوف أن تظل فى حالة إنتظار وترقب لقطار وهمى لا يمر بهذه المحطة أبدا، لأنه تعطل عند نقطة الإنطلاق.

قائمة المختصرات

AJA	=	American Journal of Archeology
AKEL	=	الحزب التقدمى لقوى الشعب العاملة
ARDAC	=	Annual Report of the Director of the Department of Antiquities Cyprus
CGF	=	Comicorum Graecorum Fragmenta
EAS	=	الائتلاف القومى من أجل التحرير
EMAK	=	الجبهة الوطنية لتحرير قبرص
EOKA (A)	=	المنظمة القومية للمقاتلين القبارصة (للكفاح المسلح)
EOKA - B	=	نفس المنظمة فى المرحلة الثانية ابتداء من ١٩٧١
EREK	=	إتحاد قبرص الوطنى الراديكالى
ESC	=	Early Society in Cyprus.
ESEA	=	اللجنة التنظيمية القومية للكفاح من أجل الإتحاد
[Greek]	=	المراجع باللغة اليونانيـة الحديثـة، والتـى وردت فـى الحواشـى بحروف لاتينيـة تسـهيلاً للقراء، وهى مكتوبة فى قائمة المراجع بلغتها الأصلية ويمكن الرجوع إليها.
IEE	=	Ιστορια Ελληνικου Εθνους
JHS	=	Journal of Hellenic Studies
JOAS	=	Journal of Oriental and African Studies
JRS	=	Journal of Roman Studies
KATAK	=	اتحاد المنظمات القبرصية التركية
KTHP	=	حزب الشعب القبرصى التركى
ΠΑΑ	=	Πρακτικα της Ακαδημιας Αθηνων
PEK	=	الاتحاد القبرصى العام للزراعيين
PEM	=	الجبهة القبرصية الاتحادية
PEO (PSO)	=	الاتحاد العام للعمال
PESP	=	الحزب التقدمى الاشتراكى القبرصى اليونانى
RDAC	=	Report of the Department of Antiquities Cyprus
SCE	=	Swedish Cyprus Expedition
SIMA	=	Studies in Mediterranean Archeology

قائمة مختارة من المصادر والمراجع
أولا: بالعربية

أ- المصادر

إبن حبيب (شهاب الدين الحلبي الشافعي): درة الأسلاك في دولة الأتراك - نسخة مصورة في ثلاثة أجزاء. دار الكتب المصرية.

إبن بطوطة (محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطبخي): تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار. (نشرها وحققها مع ترجمة فرنسية في أربعة أجزاء الأستاذان دفرمري، سنجو بنيتي). باريس ١٨٧٧م، راجع الترجمة اليونانية.

ابن حوقل (أبو القاسم محمد بن حوقل البغدادي): المسالك والممالك. ليدن ١٨٧٢م.

ابن خرداذبة (أبو القاسم عبيد الله بن عبدالله): المسالك والممالك. ليدن ١٨٨٩م.

أرسلان (الأمير شكيب): تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط. القاهرة ١٣٥٢ هـ.

البلاذري (أبو العباس أحمد بن يحي بن جابر): فتوح البلدان، ليدن ١٨٦٦م.

السخاوي (شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن): التبر المسبوك في ذيل الملوك. بولاق ١٨٩٦م.

السيوطي (جلال الدين بن أبي بكر): غزوات قبرص وردوس. واين ١٨٨٤م.

الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير): تاريخ الرسل والملوك. ليدن ١٨٩٣م.

كاله (باول) : منارة الإسكندرية في خيال الظل المصري (وهي مجموعة من الأزجال والقصص كانت تمثل في خيال الظل في العصر المملوكي) قام بنشرها مع مقدمة تاريخية الأستاذ باول كاله. شتوتجارت ١٩٣٠م.

المسعودي (أبو المحاسن علي بن الحسين بن علي): مروج الذهب ومعادن الجوهر. تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد. مطبعة السعادة بمصر. الطبعة الرابعة. مايو ١٩٦٤م.

المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي): كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك (جزآن). صححه ونشره د. محمد مصطفى زيادة. القاهرة ١٩٣٦-١٩٤١م.

النويري (محمد بن قاسم بن محمد النويري الملكي الأسكندري): الإلمام بالأعلام فيما جرت به الأحكام والأمور المقضية في واقعة الأسكندرية. مخطوط في جزئين. دار الكتب المصرية.

: صورة عن وقعة الاسكندرية في عام ٧٦٧هـ/ ١٣٦٥م. من مخطوطة "الإلمام" للنويدي السكندري. الدكتور بول كاله Dr. Paul Kahle ترجمة وتعليق: درويش النخيلي وأحمد قدري محمد أسعد. مستخرج من مطبوعات جمعية الآثار بالاسكندرية ١٩٦٩م.

ياقوت (شهاب الدين أبو عبد الله الحموي الرومي): معجم البلدان. القاهرة ١٩٠٦م.

ب- المراجع

إبراهيم أحمد العدوى: الدولة الإسلامية وامبراطورية الروم. الطبعة الثانية - مكتبة الأنجلو المصرية. القاهرة ١٩٨٠م.

: الأمويون والبيزنطيون - البحر الأبيض المتوسط بحيرة إسلامية. مكتبة الأنجلو المصرية. القاهرة ١٩٥٣م.

إبراهيم نصحى : تاريخ مصر فى عصر البطالمة - جزآن. مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة. الطبعة الثانية ١٩٦٠م.

: تاريخ الرومان: الجزء الأول من أقدم العصور حتى ١٣٣ ق.م. الجزء الثانى من ١٣٣ حتى ٤٤ ق.م. الطبعة الثانية. الجهاز المركزى للكتب الجامعية والمدرسية والوسائل التعليمية. القاهرة ١٩٧٩م.

أحمد عبد الكريم سليمان: المسلمون والبيزنطيون فى شرق البحر المتوسط فيما بين القرنين الثالث والسادس هـ/ التاسع والثاني عشر الميلادى. الجزء الأول، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٨٢م.

أحمد عتمان : الأدب الإغريقى تراثاً إنسانياً وعالمياً. الطبعة الثانية. دار المعارف، القاهرة ١٩٨٧م.

: كليوباترا وأنطونيوس. دراسة فى فن بلوتارخوس وشكسبير وشوقى. الطبعة الثانية. أيجيبتوس، القاهرة ١٩٩٠م.

: المصادر الكلاسيكية لمسرح توفيق الحكيم - دراسة مقارنة. الطبعة الثانية لونجمان، القاهرة ١٩٩٣م.

: "أوروبا عبر قبرص واليونان" مجلة "أبداع" السنة التاسعة (القاهرة مايو ١٩٩١م) ص١٥٧-١٦٠.

أحمد مختار العبادى - السيد عبد العزيز سالم: تاريخ البحرية الإسلامية فى مصر والشام، دار الأحد (البحيرى أخوان) بيروت - لبنان ١٩٧٢م.

أرشيبالد ر.لويس: (ترجمة أحمد محمد عيسى): القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط (٥٠٠-١١٠٠م). مراجعة وتقديم محمد شفيق غربال. القاهرة - مكتبة النهضة المصرية. الطبعة الثانية ١٩٦٠م.

أسد رستم : الروم فى سياستهم، وحضارتهم، ودينهم، وثقافتهم، وصلاتهم بالعرب. الطبعة الأولى. جزآن. بيروت ١٩٥٥-١٩٥٦م.

السيد الباز العرينى: الدولة البيزنطية ٣٢٣ - ١٠٨١م. بيروت. دار النهضة العربية ١٩٨٢م.

أوليرى، دى لاسى (ترجمة تمام حسان): مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٥٧م.

آلاستوس، دوروس (ترجمة محمد أمين عبد الله): حرب العصابات في قبرص. سلسلة من الشرق والغرب العدد ١٦٦. الدار القومية للطباعة والنشر. القاهرة ١٩٦٦م.

جريمال، نيقولا (ترجمة ماهر جويجاتي): تاريخ مصر القديمة. دار الفكر، القاهرة ١٩٩١م.

جلال يحى : العالم الإسلامي الحديث والمعاصر، المكتب الجامعي الحديث. الإسكندرية ١٩٨٢م.

جوزيف نسيم يوسف: تاريخ الدولة البيزنطية (٢٨٤-١٤٥٣م). مؤسسة شباب الجامعة ١٩٨٤م.

: العدوان الصليبي على مصر: هزيمة لويس التاسع في المنصورة وفارسكور. دار الكتب الجامعية ١٩٦٩م.

حسنين محمد ربيع: دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٨٦م،

رنسيمان ستيفن (ترجمة عبد العزيز جاويد): الحضارة البيزنطية. القاهرة ١٩٦١م. (أنظر المراجع الأجنبية).

زينب عصمت راشد : كريت تحت الحكم المصرى ١٨٣٠-١٨٤٠. الجمعية المصرية للدراسات التاريخية. القاهرة ١٩٦٤م (وأنظر الترجمة اليونانية بهذا الكتاب): "من تاريخ الحكم المصرى في كريت. فتنة مورنييس Mournies عام ١٨٣٣م" حوليات كلية الآداب- جامعة عين شمس، المجلد الثالث (يناير ١٩٥٥) ص١٨١-٢٠٠.

سبيريذاكيس، د.ق. (ترجمة يعقوب كامل الطليحى - ينى ذياكوفوتاكيس): موجز تاريخ قبرص. الاسكندرية ١٩٧١م (وأنظر المراجع باللغة اليونانية).

سعيد عبد الفتاح عاشور: قبرص والحروب الصليبية. بحث في تاريخ العصور الوسطى مقدم لدرجة الماجستير في الآداب. كلية الآداب، جامعة فؤاد الأول ١٩٤٨م وأعيد نشرها في هيئة كتاب بنفس العنوان. مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٥٧م.

: أوربا العصور الوسطى. الجزء الأول. التاريخ السياسى. مكتبة الأنجلو المصرية. الطبعة السادسة ١٩٧٥م.

: الحركة الصليبية صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد الإسلامي في العصور الوسطى. جزآن، مكتبة الأنجلو، المصرية طـ٤، ١٩٨٦م.

طارق منصور محمد: الجيش في الإمبراطورية البيزنطية من بداية القرن السابع إلى نهاية القرن التاسع الميلادى. رسالة ماجستير، كلية الآداب - بنها ١٩٩٣م.

عائشة سعيد شحاتة أبو الجدايل: الإمبراطورية البيزنطية في القرن السابع الميلادى (الأول الهجرى) دراسة في التطورات والتفسيرات. الرياض ١٤١٥هـ (١٩٩٤م).

عبد الرحمن محمد عبد الغنى: "قبرص بين السيادة الإسلامية والبيزنطية (٦٩-٣٥٥هـ = ٦٨٨-٩٦٥م)، المجلة العربية للعلوم الإنسانية. العدد ٥١ السنة ١٣ (جامعة الكويت ربيع ١٩٩٥م) ص٥٨-٩١.

عبد العظيم رمضان: الصراع بين العرب وأوروبا من ظهور الإسلام إلى إنتهاء الحروب الصليبية. دار المعارف، القاهرة ١٩٨٣م.

عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم. الجزء الأول مصر والعراق، الطبعة الرابعة. مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٨٤م.

عبد اللطيف أحمد على: التاريخ اليونانى: العصر الهللادى. دار النهضة العربية (جزآن). بيروت ١٩٧٣-١٩٧٤م.

: مصادر التاريخ اليونانى. دار النهضة العربية. بيروت ١٩٧٣م.

: مصر والامبراطورية الرومانية فى ضوء الأوراق البردية. دار النهضة العربية ١٩٧٤م.

عبد المنعم ماجد : العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى. مكتبة الجامعة العربية، بيروت ١٩٦٦م.

فازليف (ترجمة محمد عبد الهادى شعيرة): العرب والروم. القاهرة ١٩٦٣م. و أنظر المراجع اليونانية).

فتحى عثمان : الحدود الإسلامية البيزنطية بين الإحتكاك الحربى والإتصال الحضارى. ثلاث أجزاء الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦٦م.

قاسم عبده قاسم : ماهية الحروب الصليبية: الايديولوجية - الدوافع - النتائج، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية. القاهرة ١٩٩٣م.

كين، موريس (ترجمة قاسم عبده قاسم): حضارة أوروبا العصور الوسطى، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية. القاهرة ١٩٩٤م.

كلود كاهن (ترجمة أحمد الشيخ): الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية. سينا للنشر، القاهرة ١٩٩٥م.

كولز، بول (ترجمة عبد الرحمن عبد الله الشيخ): العثمانيون فى أوروبا. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣م.

لطفى عبد الوهاب : "عالم هوميروس"، مجلة "عالم الفكر" الكويتية. المجلد الثانى عشر. عدد ٣ (١٩٨١م) ص١٣- ٥٦.

مجدى نصيف : قبرص بين أنياب حلف الأطلنطى. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧م.

محمد فتحى الشاعر: السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية فى القرن السادس الميلادى (عصر جوستنيان). الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٩م.

محمد السعيد إبراهيم: "تركيا والإختيار الصعب بعد أحداث إيران". مجلة "السياسة الدولية". عدد ٥٦ (ابريل ١٩٧٩م).

محمد كمال عبدالحميد: الشرق الأوسط فى الميزان الإستراتيجى. مكتبة الأنجلو المصرية. ط٢ ١٩٧٢م. ص

محمد عبد الوهاب الساكت: "قبرص بين التقسيم الداخلى والتقسيم الدولى"، مجلة "السياسة الدولية" العدد ٧٥ (يناير ١٩٨٤م) ص

محمد عيسى الشرقاوى: "مرحلة حرجة للمشكلة القبرصية". مجلة "السياسة الدولية". العدد ٦٧ (يناير ١٩٨١م) ص

: "تطورات حاسمة للمشكلة القبرصية"، مجلة "السياسة الدولية". العدد ٧٤. (أكتوبر ١٩٨٣م) ص

منى حسن أحمد محمود: دراسات فى العلاقات بين الدولة الإسلامية والدولة البيزنطية فى العصر العباسى الأول (١٣٢- ٢٣٢هـ/ ٧٤٩- ٨٤٦م)، دار الفكر العربى. القاهرة ١٩٩٠م.

ميخائيليديس (أوجين): سجل مصور للصحافة اليونانية فى الديار المصرية (١٨٦٢-١٩٧٣م) اسكندرية ١٩٧٢ (وأنظر المراجع اليونانية).

نازلى معوض أحمد : "الصراع التركى اليونانى فى الجزيرة القبرصية". مجلة "السياسة الدولية". العدد ٣٨ (أكتوبر ١٩٧٤م). ص

نصرت عبد الرحمن : شعر الصراع مع الروم فى ضوء التاريخ (العصر العباسى حتى نهاية القرن الرابع هـ). مكتبة الأقصى، عمان ١٩٧٧م.

وسام عبدالعزيز فرج - جوزيف نسيم يوسف: العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية حتى منتصف القرن الثامن الميلادى. الهيئة العامة للكتاب، الإسكندرية ١٩٨١م.

: الزواج الرابع للإمبراطور ليو السادس (٨٦٦-٩١٦م): الأبعاد الدينية والدلالة السياسية. دار المعرفة الجامعية، الأسكندرية ١٩٩١م.

: الدولة والتجارة فى العصر البيزنطى الأوسط. حوليات كلية الآداب- جامعة الكويت، الحولية التاسعة. الرسالة ٥٣ (١٩٨٧-١٩٨٨م).

: "الألقاب والمناصب الحكومية فى بيزنطة بين الإستمرارية والإنقطاع، "الكتاب السنوى الثالث للجمعية المصرية للدراسات اليونانية والرومانية، (القاهرة ١٩٩٧) ص١١-٥١.

يسرى سلطان : قبرص مستقلة. الدار القومية للطباعة والنشر. القاهرة ١٩٧١م.

ثانياً: باليونانية

Αβερωφ– Τοσιτσας (Ευαγγ.): "Ιστορια χαμενων ευκαιριων (Κυπριακο 1950–1963). Αθηνα 1981.

Ahrweiler (H.) :"Βυζαντιο και Μεσογειακη Ευρωπη" **Byzantium and Europe. Firςt International Byzantine Conference. Delphi 20-24 July 1985 (Athenς 1987) pp. 1-7**

Αθανασιαδης (Κωστας): Οι μεγαλες σιαγονες της Κυπριακης Προδοσιας. Νεα Γιορκη, Καμπανα 1992.

του αυτου :Πως και ποιοι προδωσαν την Κυπρο. Νεα Υορκη, Καμπανα. 1991

Αθανασιου (Α.) :Πορεια Ολεθρου. Αθηνα 1984.

Αριστειδου (Α.Χρ.):Ο Τεκκες της Χαλα Σουλταν. Β' Εκδοση, Λευκωσια 1982.

Βασιλιεφ (Α.Α.) :(μεταφρ. Δημοσθ. Σαβραμη) Ιστορια της Βυζαντινης Αυτοκρατοριας 324 – 1453. Διεθνης Λεσχη Βιβλιου. Αθηνα 1973.

Βλαχος (Αγγ. Σ.) :Δεκα χρονια Κυπριακου, Αθηνα 1980.

Βραχιμης (Ι.) :Ανατολη–Κυπρος– Δυση. Λευκωσια 1980.

του αυτου :Μακαριος Μυθος και Πραγματικοτητα. Αθηνα 1979

Γιαγκουλλης (Κωστας): Ετυμολογικο και ερμηνευτικο της Κυπριακης διαλεκτου. Λευκωσια 1990.

Γλυκατζη – Αρβελερ (Ελε'νη) – (μεταφρ. Τουλας Δρακοπουλου): Η. Πολιτικη Ιδεολογια της Βυζαντινης Αυτοκρατοριας Εκδ эΨυχογιος 1988.

Διονυσιου (Γεωργιος):Ο Φορολογικος ρολος της Εκκλησιας της Κυπρου τον τελευταιο αιωνα της Τουρκοκρατιας. Λευκωσια 1992.

Hunger (Herbert) :(μεταφραση Α.Π. Μπενακη –, Ι.Β. Αναστασιου, Γ.Χ. Μακρη) Βυζαντινη Λογοτεχνια. Η λογια κοσμικη γραμματεια των Βυζαντινων. Τομος Α' Μορφωτικο Ιδρυμα Εθνικης Τραπεζης, Αθηνα 1987.

Ετμαν (Αχμεντ) :Το Προβλημα της Αποθεωσεως του Ηρακλεους εν ταις "Τραχινιαις" του Σοφοκλεους και εν τω "**Hercules Oetaeus**" του Σενεκσ. Ευγκριτικγ μελετγ περι του τραγικου και του Στωικου νοηματος του Μυθου. Διατριβγ επιδιδακτορια Αθηναι 1974

Ιμπν Μπατουτα :ταξειδια στην Ασια και τγν Αφρικη 1325– 1354. Εισαγωγη– Μεταφραση– Σημειωσεις Σισσυ Σιαφακα. Στοχαστης, Αθηνα 1990.

'Ιστορια του 'Ελληνικου 'Εθνους: 'Εκδοτικη Αθηνων: Αθηνα 1970–1980.

Α' ΠΡΟ.Ι.ΣΤΟΡΙΑ ΚΑΙ ΠΡΩΤΟ.Ι.ΣΤΟΡΙΑ: 'Η αυγη του πολιτισμου (μεχρι του 1100 π.Χ.)

Β' ΑΡΧΑ.Ι.ΚΟΣ ΕΛΛΗΝΙΣΜΟΣ: ' Η εξορμηση των 'Ελληνων (1100 π.Χ.– 479 π.Χ.)

Γ' ΚΛΣΣΙΚΟΣ ΕΛΛΗΝΙΣΜΟΣ: Το 'Ελληνικο θαυμα (479 π.Χ.– 336 π.Χ.)

Δ' ΑΛΕΞΑΝΔΡΙΝΟΣ ΕΛΛΗΝΙΣΜΟΣ: 'Η μεταλαμπαδευση του ελληνικου πολιτισμου (336 π.Χ.– 215 π.Χ.)

Ε' ΕΛΛΗΝΙΣΤΙΚΟΙ ΚΑΙ ΡΩΜΑ.Ι.ΚΟΙ ΧΡΟΝΟΙ: Στο μεταιχμιο των δυο κοσμων (215 π.Χ.– 324 μ.Χ.)

ΣΤ' ΠΡΩΤΟΒΥΖΑΝΤΙΝΟΣ ΕΛΛΗΝΙΣΜΟΣ: 'Η αυτοκρατορια του Σταυρου (324–565)

Ζ' ΜΕΣΟΒΥΖΑΝΤΙΝΟΣ ΕΛΛΗΝΙΣΜΟΣ: Προπυργιο κατα των βαρβαρων (565–1081)

Η' ΥΣΤΕΡΟΒΥΖΑΝΤΙΝΟΣ ΕΛΛΗΝΙΣΜΟΣ: Μεταξυ 'Ανατολης και Δυσεως (1081–1453)

Θ' ΝΕΩΤΕΡΟΣ ΕΛΛΗΝΙΣΜΟΣ: 'Η αδουλωτη σκλαβια (1453–1812)

Ι' Η ΕΛΛΗΝΙΚΗ ΕΠΑΝΑΣΤΑΣΗ: 'Η αναγεννηση ενος εθνους (1812–1831)

ΙΑ' ΕΛΕΥΘΕΡΟΣ ΚΑΙ ΑΛΥΤΡΩΤΟΣ ΕΛΛΗΝΙΣΜΟΣ: 'Εδραιωση του 'Ελληνικου Κρατους (1831–1909)

ΙΒ' ΕΞΟΡΜΗΣΗ ΓΙΑ ΤΑ ΕΘΝΙΚΑ ΔΙΚΑΙΑ: Στα χρονια της μεγαλης αλλαγης (1909–1935)

Καραγιωργη (Β.) :Τα Ελληνικα Μουσεια, Κυπριακο Μουσειο και Αρχαιολογικοι Χωροι της Κυπρου. Εκδοτικη Αθηνων Α.Ε. Αθηνα 1975.

Καραγιαννοπουλος (Ι.): Ιστορια Βυζαντινου Κρατους.

Καρλα (Γ.Αθ.) :"Η Κυπρις Αφροδιτη. μια ετυμολογικη Προσπελαση" Παρουσια Η', Πανεπιστημιο Αθηνων (1991–1992). σ. 22–27.

Κληριδη (Γλαυκου): 'Η Καταθεση μου (τομοι 4). Εκδοσεις Αληθεια 1988–1991.

Κρανιδιωτη (Νικου): Ανοχυρωτη Πολιτεια: Κυπρος 1960–1974. τομοι Α–Β. Εστια, Αθηνα 1985.

του αυτου :Οι Διεθνεις Διαστασεις του Κυπριακου. Αθηνα–Θεμελιο 1983.

του αυτου :Δυσκολα χρονια: Κυπρος 1950–1960. Αθηνα 1981.

Κυρρης (Κ.Π.) :Κυπρος, Τουρκια και Ελληνισμος. Θεσμοι, Δομες/ Σχεσεις, Προβληματα Μεσανατολικη Βιβλιοθηκη, Λευκωσια 1980.

Λαμπρος (ΣΠ.) :"Η ελληνικη ως επισημος γλωσσα των Σουλτανων". Νεος Ελληνομνημων V (1908). 76. σ. 40–78.

Lesky (Albin) :Ιστορια της Αρχαιας Ελληνικης Λοδοτεχνιας. Μεταφρ. Α.Γ. Τσοπανακη Εκδ.2. Θεσσαλονικη 1972.

Λευκης (Ι.) :οι ριζες. Ιστορικη μελετη. Λεμεσος 1984.

Λιγναδης (Α.Δ.) :Το Πρωτον Δανειον της Ανεξαρτησιας. Αθηνα 1970.

Λοιζιδης (Σ.) :Ατυχη Κυπρος 1910–1980. Αθηνα 1980.

Λοιζου (Φ.) :Τα Ελληνικα Γραμματα εν Κυπρω. 'Εν Λευκωσια 1930.

Λυμπουριδης :'Ιστορια της Κυπριακης Δημοσιογραφιας 1878–1960. Λευκωσια 1973.

Μαντζουρανη (Ελενη): "Η παραγωγη και το εμποριο του χαλκου στην προιστορικη Κυπρο". Παρουσα Η' Πανεπιστημιο Αθηνων (1992) σ. 71–94.

Μαχλουζαριδης (Π.Σ.): Κυπρος 1940–1960: ημερολογιο των εξελιξεων. Λευκωσια, Κυπρος 1985.

Μιτσιδου (Α.Ν) :'Η Παρουσια της Εκκλησιας Κυπρου εις τον αγωνα υπερ των Εικονων. Γεωργιος ο Κυπριος και Κωνσταντινος Κωνσταντιας. 'Εκδοσεις Ιδρυματος Αρχεπισκοπου Μακαριου Γ'. Λευκωσια 1989.

Μιχαηλ (Γ.) : Οι 'Ελληνες στο Εικοσιενα. Κυπρος 1988

Μιχαηλιδης (Ευγενιου): Πανοραμα ητοι Εικονογραφημενη Ιστορια του Δημοσι ογραφικου Περιοδικου Τυπου της Αιγυ– πτου υπο Αιγυπτιωτων Ελληνων (1826–1972). Αλεξα–νδρεια 1972.

Μιχαηλιδης (Μιχαλης): Κυπρος, αγωνες λευτεριας. Αθηνα– Τηνος 1992.

Μπουμπουλιδου (Φ.Κ.): Μεταβυζαντινη Ποιησις. Ροδικη– Κυπριακη– Κρητικη. Εστιας– Αθηνα (?).

Πανταζη (Τ.) :Διπλωματια και πολιτικη του Κυπριακου. Ανατομια ενος λαθους. Εκδ. Ραππα. Αθηναι 1971.

Παπαγεωργιου (Σπ.): Τα κρισιμα Ντοκουμεντα του Κυπριακου. Αθηνα 1983.

Παυλιδης (Α.) :'Ιστορια της νησου Κυπρου. Λευκωσια Φιλοκυπρος. 1992.

του αυτου :Μακαριος Γ' Αρχιεπισκοπος Κυπρου, Προεδρο και Εθναρχης 1913 – 1977. Λευκωσια 1981.

του αυτου :Μακαριος...τομ Β' (απο την ανεξαρτησια μεχρι το θανατο του. Λευκωσια 1981.

Περναρης (Α.) :Ιστορια της Κυπριακης Γραμματειας. Λευκωσια 1977.

Πετρωνδας (Χρηστος): Οι Ελληνες στην Αιγυπτο απο την αρχαιοτατων χρονων ως σημερα. Εκδοση Συνδεσμου Αιγυπτιωτων Κυπρου. Λευκωσια 1994.

Πιγγουρας (Λ.) :Μικρος Ωριμαγδος. Λευκωσια 1984.

Πικρος (Γ.Π.) :Ο Βενιζελος και το Κυπριακο ζητημα. Μελετηματα γυρω απο τον Βενιζελο και την εποχη του. Αθηνα 1980.

Πλουτης (Σ.) :Κυπριακο: Ευθυνες (Μεταεισβολικες). Αθηνα– Παπαζηση 1991.

Πολιτης (Α.) :Ο Ελληνισμος και η νεωτερα Αιγυπτος. τομος Α–Β. Αλεξανδρεια– Αθηνα 1928– 1930.

Πρωτοψαλτη (Εμμ.): 'Η Κυπρος εις τον Αγωνα του 1821. Εκδ. Ενωσεως Κυπριων Ελλαδος. Αθηνα 1971.

Ραρεντ (**Zenab** Ιεματ) (μεταφρ. Ευδενιου Μιχαηλιδη): 'Η κεητη υπο την Αιδυπτιακην ζξουσιαν 1830–1840. 'Ηρακλειον Κργτης 1978.

Σαρρος (Δ.Μ.) :"Περι Ζηνωνος του Κιτοεως και της Φιλοεοφιας αντου Συνοπτικως" 1901 σ. 65–77. Κυπριακαι Σπουδαι τομος Μθ 1985.

Σουλογιαννη (Θ.Ε.): 'Η Ελληνικη κοινοτητα Αλεξανδρειας 1843–1993. Αθηνα 1994.

Σπυριδακης (Κ.) :Ευαγορας Α'.Βασιλευς της Σαλαμινος. Λευκωσια 1935.

:Evagoraς I von ςalamiς, Unterςuchungen zur Geschichte des Kyprischen königs. Stuttgart 1935, 1942.

Του αυτου :Συντομος Ιστορια της Κυπρου Λευκωσια **1963 A brief history of Cyprus. Nicosia 1974 أنظر المراجع العربية.**

Στυλιανου (Π.) :Το κινημα του Οκτωβρη του 1931 στην Κυπρο. Διατριβη επι Διδακτορια. Λευκωσια 1984.

του αυτου :Το κινυηα των οκτωβριανων". Κοινον Κυπριων τευχος 11 οκτ.- Δεκε. 1989 σ.14-17.

Τριανταφυλλου (Κ.Ν.): Απορρητα του Πολεμου 1940. Πατρας 1981.

Φραδκουδη (Τ.Σ.) :'Ιστορια και γενεαλογια της μεγαλης Κυπριακης οικογενειας Φραδκουδη και των συγγενικων οικογενειων. Αθηναι 1939.

Χατζηδημητριου (Κ.): Ιστορια της Κυπρου. Λευκωσια 1979.

Χατζηιωαννου (Κυριακου): 'Η Αρχαια Κυπρος εις τας Ελληνικας Πηγας.

Τομος. Α' :Τα θρυλογουμενα Ιστορια και εθνολογια απο των προιστορικων χρονων μεχρι του 395 Μ.Χ. Λευκωσια. 1985.

Τομος Β' :Μυθολογια και Θρησκεια, Γεωγραφια και Γεωλογια.1973.

Τομος Γ'- Μερος Α': Γραμματα- επιστημαι (Ιατρικη')- τεχναι απο των ομηρικων χρο'νων μεχρι του 395 Μ.Χ. 1975.

- Μερος Β' Κυπριων Γλωσσαι. 1977.

Τομος Δ'- Μερος Α: Συμπληρωματα εκ των Ελληνικων Επιγραφων και των Λατινικων κειμενων. 1980.

- Μεροϖ Β': Προλεγομενα.

και Σημειωσεις εις τα'ς Εληνικας επιγραφας και τα' Λατινικα κειμενα. 1980.

Τομος Ε, :Γενικαι Συντομογραφιαι. Γενικα Συμπλη ρωματικα- Σχολια κατ' Επιλογην- Γενικοι Πινακες Ονομα'των και Πραγματων- Χαρται. 1983

Τομος ς Συμπληρωματα εις τα κειμενα. Κριτικα Σχολια. Μονογραφιες: Ζηνων ο Κιτιευς. Κλεαρχος ο Σολευς, Αγιος Λαζαρος, Λευκωεια. 1992.

του αυτου :Η Μεσαιωνικη Κυπρος. Θεσμοι. Ποιηση. Λαογραφια. Εκδ. Ιερος Αρχιεπισκοπης Κυπρου. Λευκωσια 1993.

Χριστου (Ξυδα) :Τα Κυπρια "Επη (Προλεγομενα- κειμενα- ερμηνευτικον υπομνημα). Διδακτορικη Διατριβη Αθηναι 1979

Χριστοφιδου (Νασα): "Η Αγνη Λουζινιαν και η οικογεννια της. Συμβ– ολη στην Προσωπογραφια του Οι'κου Λουζινιαν". Ανατυπον απο την Επετηριδα του Κεντρου Επιστημ– ονικων Ερευνων. XIX (1992) σ. 203–250.

Χρυσανθης (Ζιτσαια): Κυπριες Λογοτεχνιδες. Θεσσαλονικη 1972

Χρυσανθου (Κ.) :Κυπρον κατα τους χρονους της Φραγκοκρατιας. Λευκωσια 1967.

Χρυσανθου (Χρ.) :Συντομη Ιστορια της Νεωτερης και Συγχρονης Κυπριακης τεχνης, Λευκωσια 1983.

ثالثا: بلغات أخرى

Ahrweiler (H.) :Byzance et la mer. 1966.

Aldridge (J.F.) :The Cross and its Cult in an Age of Iconoclasm. Ph.D. Ohio State University, 1993.

Alexandris (A.) :The Greek community of Istanbul. The Minority Question and Greek -Turkish Relations from 1918 to the Present. Athens 1983.

Antoniadis (H.) - Bibicou: Etudes d'Histoire maritime de Byzance. Apropos du "thème" de caravisiens. 1966.

Aquinas (Thomas): On Kingship to the king of Cyprus. ed. G.P. Phelan- I. Th. Eschmann. Toronto 1949.

Bagnall (R.S.) :The Administration of the Ptolemaic Possessions. 1976.

Beraud (S.) :La culture Francaise dans l'espace Chypriote: De 1192 à 1571- De 1800 à 1971. Publication du Service Culturel du Ministère de l' Education de Chypre. Nicosie 1990.

Idem :Terre Sainte de Chypre. L'ordre de frères Mineurs: Eglises et couvents (1217-1987).

Δελτιον της Ετα'ρειας Κνπριακων Σπουδων. Λευκωσια 1987, pp. 135–153.

Idem :La resurrection d' Homère. 1930

Bernal (M.) :Black Athena: The Afro-asiatic Roots of Classical Civilization. Vol. I The Fabrication of Ancient Greece 1785 - 1985. Vol. II The Archaeoloical and Documentary Evidence Rutgers University Press 1993.

Cameron (Averil): "Cyprus at the time of the Arab Conquests" Reprint from: Επετηριδα της Κυπριακης Εταιρειας Ιστορικων Επουδων.. pp. 27–50. Νιχοσια 1992.

Idem :"The Eastern Provinces in the 7th. Century A.D. Hellenism and the Emergence of Islam". Actes du colloque de Strasbourg 25-27 Octobre 1989. Université des Sciènces Humaines de Strasbourg. Travaux du Centre de Recherche sur le Proche- Orient et la Grèce Antiques, pp. 287-313.

Campagnolo- Pothitou (Maria): "Les échanges de prisoniers entre Byzance et L' Islam aux IXe et Xe siècles" (JOAS) Vol. 7 (1995), pp.1-56.

Carpenter (Rhys) :"The Antiquity of the Greek Alphabet" AJA xxxvil (1933) pp. 8-20.

Idem :"The Greek Alphabet Again" AJA XLII (1938) pp.59-69.

Charles- Gaffiot (J.): La France aux portes de l'orient. Chypre XII eme-XV eme siècle. Ouvrages collectives sous la direction de jacque charles- Gaffiot centre culturel dupantheon. Paris 1991.

Charanis (P.) :Church and State in the Later Roman Empire. Thessaloniki 1974.

Cobham (C.D.) :"The Story of Umm Haram". Journal of Royal Asiatic Society (January 1897). p.181 ff.

Idem :"A Prehistoric Building at Salamis". JHS IV (1883) p.111 ff.

Coldstream (I.N.) :Geometric Greece. 1977.

Constantinidis (C.N.): Higher Education in Byzantium in the thirteenth & early fourteenth Centuries (1204- ca. 1310). Nicosia, Cyprus Research Centre 1982.

Constantopoulos (D.S.): The Turkish Invasion from the Aspects of International Law. Transl. from the German Yearbook of International Law XXI 1978.

Couloumbis (Th.A.): The United States, Greece and Turkey. The Troubled Triangle. Preface by Alvin Z. Rubinstein New York, Praeger Publishers 1983.

Daszweski (W.A.): "Nea Paphos Excavations 1995" Polish Archeology in the Mediterranean (Warsaw 1996) pp. 91-99.

Dendias (M.) :La question Chypriote aux Points de Vie Historique et de Droit International. Paris 1934.

Dietrich (B.C.) :The origins of Greek Religion. 1974.

Dikigoropoulos A.I.: Cyprus betwixt Greeks and Saracens A.D 647-969. Oxford Ph.D. Thesis 1961.

Idem :"The Political Status of Cyprus A.D. 648-965". RDAC 1940-1948. (1958) pp. 101-121.

Dothan (Tr.) :The Philistines and their Material Culture. 1982.

Dunbabin (T.J.) :The Greeks and their Eastern Neighbours. 1957.

Easterling (P.E.) - Knox (B.M.W.) - edd.: The Cambridge History of Classical Literature. I Greek Literature. Combridge University press 1985 reprint 1987.

Economidis (Chr.) :The problem of Cyprus. The Territorial Aspect, The Anatolian Settlers and the U.N Secretary General Initiative. Nicosia 1983.

Economidis (M.) :Cyprus, the case for Enosis. Cyprus Affairs Committee. London 1954.

Englezakis (B.) :"Cyprus as Stepping Stone between West and East in the Age of the Crusades". Xve Congrès International des Science Hist. 1980 pp. 216-221.

Etman (Ahmed) :"Foreigners in Greek Tragedy", Proceedings of the XIIth Congress of the International Comparative Literature Association, Munich (1988) Published 1990 Vol. 2 pp. 546-552.

Idem :"Isis in the Greco- Roman World with a special reference to Plutarch's Treatise *De Iside et Osiride*" JOAS 2,(1990) pp. 11-21.

Farnell (L.R.) :Greek Hero-Cults and Ideas. of Immortality Oxford 1921.

Flourentzos (P.) :"Tomb Discoveries from the Necropolis of Ayia Paraskevi, Nicosia". Reprinted from the Report of the Department of Antiquities Cyprus, RDAC 1988 part 1 pp. 121-125.

Idem :"Tomb Groups from the Necropolis Ay. Omologites". Reprinted from the Report of the Department of Antiquities Cyprus, RDAC 1986 pp. 150-163.

Idem :"A selection of Roman Lamps from Cypriot Private collections". Reprinted from the Report of the Department of Antiquities Cyprus, RDAC 1982 pp. 207-209.

Frangoudis (G.S.) :Self- government for Cyprus Under British Rule. Draft of a Constiution for Cyprus. Athens 1933.

Georghallides (G.S.): A political and Administrative History of Cyprus 1918-1926. Nicosia, Cyprus Research Centre 1979.

Glotz (G.) :The Aegean Civilization 1925 reprint. 1968.

Habashi (El Z.) :Tutankhamun and the Sporting Traditions. Peter Lang. New York. 1992

Hadjistephanou (Clea): "Athletics in Ancient Cyprus and the Greek Tradition from 15th/14th century B.C.— A.D. 330". Cyprus- to- day, XXXII July-December 1994 (No 3 & 4) pp. 2-15.

Haldon (J.) :Byzantium in the seventh century. Cambridge 1990.

Harrison (Jane) :Epilegomena to the Study of Greek Religion. Cambridge 1921 reprint 1980.

Eadem :Themis. A study of the Social Origins of Greek Religion. Cambridge 1927 reprint 1977.

Havelock (E.A.) :The literate ReVolution in Greece. 1982.

Helbing (L.) :"Alasia Problems" SIMA, LVII, 1979.

Hill (G.) :A History of Cyprus Vol. 1-1V, Cambridge University Press 1949-1952.

Hitchens (Ch.) :Cyprus. Quartet Books, London 1984.

Huxley (G.) : "Why did the Byzantine Empire not fall to the Arabs?". Inaugural Lecture, Gennadius Library. American School of Classical Studies. Athens 1986.

Ioannou (P.) :La legislation imperiale et la christianisation de l' Empire Romain 311-476. Rom. Or. Chr. Anal 1972.

Jeffreys (Elizabeth): "The image of the Arabs in Byzantine Literature". Major Papers of the 17th International Byzantine Congress. New Rochelle 1986. pp. 305-323.

Kaegi (W.) :"Initial Byzantine reactions to the Arab conquests" Church History 38 (1969) pp. 139-149.

Kaloudis (G.St.) :The Role of the U.N. in Cyprus from 1964 to 1979. Dissertation, Univeristy of Kansas U.S.A 1983.

Karageorghis (V.) :Prehistoric Greece and Cyprus. London 1973.

Idem :Cyprus from the Stone Age to the Romans. 1982.

Idem :Salamis in Cyprus. 1969.

Idem :The Cyprus Museum. C.Epiphanou Publications Ltd. Nicosia 1989.

Karapli (Katerina): "Speeches of Arab Leaders to their Warriors according to Byzantine Texts" Graeco- Arabica V (Athens 1993) pp. 233-242.

Knapp (A.B.)- Muhly (J.D.)- Muhly (P.M.): "To hoard is human: Late Bronze metal deposits in Cyprus and the Aegean". Report of the Department of Antiquities Cyprus (RDAC) 1988 pp. 233-262.

Koliopoulos (J.S.) :Greece and the British Connection 1935 - 1941. Oxford 1977.

Koutrakou (N.A) :The Image of the Arabs in Middle - Byzantine Politics. A study in the Enemy principle (3th- 10th centuries) Graeco- Arabica V (Athens 1993) pp. 213-224.

Kypri (Chrystalla): Le Neòlithique à Chypre. Maitrise Université de Toulouse, Le Mirail 1984.

Kyriakides (Stanley): Cyprus, constitutionalism and crisis Government. University of Pennsylvania Press 1969.

Kyrris (C.P.) :History of Cyprus with an Introduction to the Geography of Cyprus. Nicocles Publishing House. Nicosia, Cyprus 1985.

Idem :Peaceful Co-existence in Cyprus under British Rule (1878-1959) and after Independence: an Outline. Nicosia 1977.

Idem :St. Barnabas and St. Paul in Cyprus. Stasinos, Πρακτ. Α' Παδκυπρ. Συνεδρ. Ελλγν. Πολιτ. 21–23 Δεκ. 1973 σ. 97–125. Λευκωρια 1974.

Laurens (A.F.)- Louka (E.): "Les masques Chypriotes", Cahiers du Gita No.3. Montpellier. Octobre 1987, pp. 23-36.

Loenertz (R.J.) :Byzantina et. Franco- Graeca Series Altera. Roma 1978. pp. 64 ff.

Loizides (Savvas) :The Cyprus Question and the Law of the United Nations. Nicosia 1954.

Louca (Eleni) :[Les sanctuaires et les Cultes du Bronze Rècent dans l'isle de Chypre. Maitrise Université Paul Valery, Montpellier III 1983.

Lusignano (Steffano): Chorograffia e breve Historia Universale dell' Isola di Cipro. Bologna 1573.

والنسخة الفرنسية =

Estiene de Lusignan: Description de toute l'Isle de Cypre. Paris 1580.

Maier (F.G.) :Cyprus from Earliest Times to the present day. 1968.

Mango (C.) :Byzantium the Empire of New Rome. London 1981.

Markides (K.) :The Rise and fall of the Cyprus Republic. New Haven- London. Yale University Press 1977.

Masson (O.) :"Apropos d' Alasia", Kadmos XII (1973). pp. 98 ff.

Mellaart (J.) :The Chalcolithic and Early Bronze Ages in the Near East and Anatolia. Khayats, Beirut 1966.

Mitford (T.B.) :The Inscriptions of Kourion. 1971.

Muhly (J.D.) :"The Organisation of the Copper industry in Late Bronze Age Cyprus". Early Society in Cypurs (ESC) 1989 pp. 298-314.

Idem :"The Role of Cyprus in the Economy of the Eastern Mediterranean during the second Millenium B.C." Acts of the International Archeological Symposium "Cyprus between the Orient and Occident" ed. by V. Karageorghis. Nicosia 1986 pp. 43-62.

Nicolaou (A.) :La Chanson d' Arodaphnoussa des origines franques à la tradition populaire actuelle. Memoire de Maitrise. Montpellier 1981-1982.

Nicolaou (I.M.) :Prosopography of Ptolemaic Cyprus. 1976.

Nicolle (D.) :"Byzantine and Islamic Arms and Armours. Evidence for mutual in fluence" Graeco- Arabica (Athens 1991) pp. 299-325.

Ostrogorsky (G.) :History of the Byzantine State. Blackwell 1968.

Panteli (Stavros) :A New History of Cyprus from the earliest times to the present day. Introduction by C.M. Woodhouse. East -West Publications. London and Hague 1984.

Papadopoulos (A.N.): Aspects Juridiques et politiques de l'action des Nations Unies à Chypre. Nicosia 1970.

Papadopoulos (Th.): Social and Historical Data on Population of Cyprus 1570- 1881. Nicosia 1965.

Papageorgiou (Ath.): Masterpieces of the Byzantine Art of Cyprus. 1965.

Papastratis (Proc.): British Policy towards Greece during the Second World War (1941-1944). Cambridge University Press 1984.

Patrick (R.A.) :Political Geography and the Cyprus conflict 1963-1971. Ed. by J.H. Bater & R. Preston. Publ. by the Department of Geography, Faculty of Environmental Studies University of Waterloo. 1976.

Philaniotou - Hadjiastasiou (Olga): "The Greek Connection: From Alexandria to Cyprus". Lecture given at the Royal Scottish Museum 30, May 1988.

Pingree (D.) :"The Byzantine Version of the ***Toledan Tables***". The work of George Lapithes?". Dumbarton Oaks Papers XXX (1976) pp.86-132.

Polyviou (G.) :Cyprus, Conflict and Negotiation 1960-1980. Duckworth, London 1980.

Idem :Cyprus in Search of a constitution. Constitutional Negotiations and Proposals 1960-1975. Nicosia 1976.

Powell (Anton) ed.: The Greek World Routleolge, London and, New York 1995.

Prawer (J.) :Histoire du Royaume Latin de Jerusalem II. Paris CNRS 1975.

Pritchard J.B. (ed.): The Ancient Near East. An Anthology of Texts and Pictures. Princeton Univcristy Press 1958.

Richards (D.) :Brief History of Cyprus in ten chapters. Kyriakou Books, Nicosia 1992.

Rohde (E.) :Psyche. The Cult of Souls and Belief in Immortality among the Greeks. Transl. from the 18th ed. by W.B. Hillis. London 1925.

Runciman (St.) :A History of the Crusades III. Penguin Books 1965.
(وقد ترجم إلى اللغة العربية)

Sandars (N.) :The Sea Peoples, Warriors of the Ancient Mediterranean. 1978.

Setton (K.M.) :A History of the Crusades II. 1189-1311. 1969

Škon-Jedelle (Nancy Joan): "Aigyptiaka": a catalogue of Egyptian and Egyptianizing objects excava-ted from Greek Archeological sites ca. 1100-525 B.C. with Historical commentary. Ph.D. 1994. Univeristy of Pennsylvania.

Smallwood (E. Mary): The Jews under Roman Rule from Pompey to Diocletian. A study in Political Relations. Leiden- Brill . 1981.

Salomidou-Ieronimidou (Marina): Le culte des divinités grecques a Chypre, à travers la documentation epigraphique durant les periodes archaique, classique, hellenistique et romaine, Maitrise Université de Paris Sorbonne. Paris IV. 1981.

Sonyel (S.P.) :Turkish Diplomacy 1918-1923 M. Kemal and the Turkish National Movement. Sage Publications-London 1975.

Sophocles Sophocleou (et alü): Archaeologia Cypria. 1985 in Honour of Professor Einar Gjerstad on the Occasion of the 50th Anniversary of the Department of Antiquities Cyprus. Nicosia 1985.

South (A.) :"From Copper to Kingship. Aspects of Bronze Age Society viewed from the Vasilikos Valley" ESC 1989, pp. 315-324.

Spyridakis (C.) :A Brief History of Cyprus. 1974. (وقد ترجم إلى اللغة العربية)

Stagor (Petros) :La Question de Chypre 1950-1960. Mémoire, Paris 1975.

Starr (C.G.) :The Origins of Greek Civilization. 1961.

Strange (John) :Caphtor/ Keftiu. Leiden- Brill 1986.

Stratos (A.) :Byzantium in the seventh century. Engl. Transl. 5 Vols. Amsterdam 1968-1970.

Stylianou (A. &.J.): The Painted Churches of Cyprus. 1964.

Svolopoulos (C.) :"The Lausanne peace Treaty and the Cyprus Problem". Greece and Great Britain during World War I, First Symposium Organized in Thessaloniki by the Institute for Balkan studies and King's College in London. 15-17 December 1983. Thessaloniki 1985. pp. 233-245.

Svoronos (N.) :Questions sur la situation sociale et juridique des Grecs Chypriots pendant la domination franque XVe Congrès Intern. d'Etud. Byz. Athènes 1976.

Swing (S.) :"From Round House to Duplex: a reassessment of prehistoric Cypriot Bronze Age Society" ESC. 1989. pp. 14-31.

Idem :"The Philia Culture and its foreign relations". ACTSb 1986 pp. 29-44.

Tenekides(G.) :Chypre, Histoire recente et Perspectives d'avenir. Paris, Nagel 1964.

Tornaritis (C.G.) :Cyprus and its Constitutional and other legal Problems. Nicosia 1980.

Toy Barbara :Rendezvous in Cyprus. John. Marray 1970.

Vanezis (P.N.) :Cyprus: The Unfinished Agony. London, Abelard-Schuman 1977.

Idem :Makarios: Pragmatism versus Idealism. London, Abelard Schuman 1974.

Idem :Makarios: Faith and Power. London, Abelard-Schuman 1971.

Vasiliev (A.A) :Byzance et les Arabes II La dynastie Macedonienne. 867-954. Bruxelles 1950. (وانظر الترجمة العربية واليونانية)

Vercoutter (J.) : L' Egypte et le monde égéen prehellenique, Le Caire 1956.

Vermeule (C.C.) :Greek and Roman Cyprus. 1976

Vryonis (Sp.) :The Declinè of Medieval Hellenism in Asia Minor. University of California Press 1971.

Weber (F.G.) :The Evasive Neutral Germany, Britain and the Quest for a Turkish Alliance in the Second World War. University of Missouri Press 1976.

Webster (T.B.L.) :Hellenistic Poetry and Art. London 1964.

Woodhouse(C.M.): "The offer of Cyprus, October 1915". Greece and Great Britain during World War I" First Symposium organized in Thessaloniki by the Institute for Balkan Studies and King's College in London 15-17 December 1983. Thessaloniki 1985, pp. 77-97.

History of Cyprus

The Island of Beauty and Pain
From Antiquity to the Present Day



Ahmed Etman

Professor of Greek and Latin Studies
Centre for Comparative Linguistics and Literary Studies
(CCLLS), Director
Faculty of Arts - Cairo University

Cairo 1997

The Author Prof. Ahmed Etman

- Ex- chairman of the Dept. of Classics, Director of the Center for Comparative Linguistic and Literary Studies (CCLLS), Faculty of Arts, Cairo University.
- Chairman of the Egyptian Society of the Graeco-Roman Studies (ESGRS).
- Ex- chairman of the Egyptian Society of Comparative Literature (ESCL).
- Ex- advisor to the Minister of Higher Education for Bibliotheca Alexandrina.
- Honorary Member of the Greek Society of Philology "Parnassus".

LITERARY STUDIES

- Ancient Greek Literature: A Human and Universal Legacy. First ed. Alam al-Ma'rifa Series. No.77 Kuwait 1984. 50.000 copies. Second ed. Dar Al-Maaref. Cairo. 1987.
- Latin Literature and its Cultural Role uptil the end of the Golden Age. First ed. Alam Al-Ma'rifa Series. No.141. Kuwait September 1989. 50.000 copies. Second ed. Dar Al-Maaref 1995.
- Latin Literature and its Cultural Role. The Silver Age. Aegyptus. Cairo 1990.
- Cleopatra and Antony: A Study in the Art of Plutarch. Shakespeare and Shawky. Second ed. Aegyptus, Cairo 1990 (with summary in English).
- Les Sources Classiques du Théâtre de Tewfik El-Hakim: Etude Comparative, (avec un rèsumé en français). L'Organisation Egyptienne Generale du Livre. Le Caire 1978. Ed. Seconde Longman 1993.
- The Mask of Brechtianism and Communism. A Study of Epic Theatre. Aegyptus. Cairo 1992.
- Different essays. researches and presentations in Arabic. English and Greek. Some were published in certain periodicals others were published in the acta of this congress or that in Greece, Italy. France. Germany... etc.

TRANSLATIONS FROM GREEK AND LATIN INTO ARABIC.

- (Ir alm) Virgil's "Aeneid". Egyptian General Book Organisation 1971-1973. This translation received the State National Award 1973.

[Continued]

المؤلف

د. أحمد عتمان

- أستاذ الدراسات اليونانية واللاتينية ومدير مركز الدراسات اللغوية والأدبية المقارنة بكلية الآداب – جامعة القاهرة.
- رئيس الجمعية المصرية للدراسات اليونانية والرومانية.

من أهم كتبه في الدراسات الأدبية:

- الأدب الإغريقي تراثا إنسانيا وعالميا. الطبعة الثانية – دار المعارف ١٩٨٧.
- الأدب اللاتيني ودوره الحضاري (حتى نهاية العصر الذهبي) – الطبعة الثانية. دار المعارف ١٩٩٥.
- الأدب اللاتيني ودوره الحضاري. العصر الفضي– أيجيبتوس – القاهرة ١٩٩٠.
- كليوباترا وأنطونيوس. دراسة فى فن بلوتارخوس وشكسبير وشوقي. الطبعة الثانية. أيجيبتوس. القاهرة ١٩٩٠.
- المصادر الكلاسيكية لمسرح توفيق الحكيم: دراسة مقارنة. الطبعة الثانية الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان ١٩٩٣.
- قناع البريختية والشيوعية. دراسة فى المسرح الملحمي، التنوير الذهني البريختي والتطهير الأرسطي، بريخت بين الشرق الشيوعي والغرب الرأسمالي. أيجيبتوس، القاهرة ١٩٩٢.



- طريقنا إلى الحرية: محاورة زكي نجيب محمود– أحمد عتمان. عين للدراسات والبحوث. القاهرة ١٩٩٤.

من أهم مترجماته إلى اللغة العربية:

- "الإينيادة" لفرجيليوس (بالاشتراك) ونالت جائزة الدولة التشجيعية عام ١٩٧٣.
- "هرقل" فوق جبل أويتا" لسينيكا، سلسلة من المسرح العالمي الكويتية عدد ١٣٨ مارس ١٩٨١ وأذيعت بالبرنامج الثاني.
- "السحب" لأريستوفانيس: نفس السلسلة عدد ٢١٥ أغسطس ١٩٨٧ (المقدمة) وعدد ٢١٦ سبتمبر ١٩٨٧ (النص) وأذيعت بالبرنامج الثاني.
- "بنات تراخيس": لسوفوكليس نفس السلسلة عدد ٢٤٩ يونيو ١٩٩٠ وأذيعت بالبرنامج الثاني.
- الكثير من قصائد الشعر اليوناني الحديث المنشورة فى مختلف المجلات العربية.

مؤلفات ومترجمات باللغة اليونانيةالحديثة:

- إشترك فى "ترجمة معانى القرآن الكريم". أثينا ١٩٨٧.
- ترجم "بداية ونهاية" لنجيب محفوظ. الطبعة الأولى بسيخيوس أثينا ١٩٩٠. (ونشرت لها عدة طبعات).
- مشكلة تأليه هرقل فى "بنات تراخيس" لسوفوكليس و "هرقل فوق جبل أويتا" لسينيكا دراسة فى المفهوم التراجيدى والمغزى الرواقى للأسطورة" منشورة مع موجز باللغة الإنجليزية. أثينا ١٩٧٤.
- له دراسات أدبية متفرقة بالعربية والإنجليزية واليونانية والإيطالية إما منشورة بمجلات عربية وأجنبية أو ألقيت فى مؤتمرات علمية بالجامعات الأوروبية ونشرت ضمن أعمال هذه المؤتمرات.

من أهم مؤلفاته الإبداعية:

- "كليوباترا تعشق السلام". الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٤ وقد ترجمت إلى الايطالية واليونانية والفرنسية والإنجليزية.
- "عودة البصر للضيف الأعمى". الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦ وعرضتها … " بالكويت … " ١٩٨٣.
- "الحكيم لا… ت بمجلة "عالم ال… ى الأولى لوفاة … ت بالأقصر يو… بالفرقة المركـ… ة بالقاهرة ودار الأوبرا صيف ١٩٩١.

